

الدعوة الإسلامية والإسلام الديني

د. عبد الله شحاته

رئيس قسم الشريعة
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة



الجمعية المصرية لدراسة الكتاب

١٩٨٦

الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الدعوة الى الله رسالة الالبياء والمرسلين ، وسبيل الهداة والمصلحين ، وقد اصطفى الله الدعاة والهداة لنيل رسالته وشرح دعوته ، (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير) الحج ٧٥
وفي الحديث الشريف (لا يزال الله يرسل لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها أمر دنياها)
ومن هؤلاء الاعلام الامام الطبري ، والائمة الاربعة ابو حنيفة ومالك والشافعي واحمد .
ومنهم الامام ابو حامد الغزالي ، والسيد جمال الدين الافغاني ، والشيخ محمد عبده ، والاستاذ حسن البنا ، والاستاذ سيد قطب . طب الله ثراهم اجمعين .
والدعوة الاسلامية غنية برجالها ، بل ان الرجال يشرفون بانتسابهم للاسلام وعملهم له ، وتضحيتهم في سبيله ، فمن انتدبه الله لذلك فقد حظى بالنعمة الكبرى ، والفضل العميم ، وقد جعل الله التفقه في الدين لونا من ألوان الجهاد ، لانه الجهاد الفكري الذي يشرح العقيدة ويحمي الرسالة ، ويرد كيد المعتدين ويشبث ايمان المؤمنين .
قال تعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) التوبة ١٢٢ .
وقد اصبح الاعلام فنا من الفنون ، تخصص له المعاهد والكليات ، وبواكب الحسروب ويسبب الهزائم والانتصارات . والاعلام الديني ، ينبغي ان يواكب العصر ، وأن يستخدم أسلحته ، وأن يوجد فنون الدعوة الى الله .

قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة)

والحكمة هي توجيه الدعوة بالأسلوب المناسب والوسيلة
المناسبة .

وقد تناولت في مقدمة هذا الكتاب فصولا عن الدعوة
الاسلامية وأطوارها وثقافة الداعية ، وعن الخطابة الدينية ،
وكيفية النهوض بها ، وعن الاعلام الديني والحديث الديني
بالاذاعة والتليفزيون . ثم قدمت بعض البحوث في العقيدة ،
ونظام الاسرة .

واتبعت ذلك بعدد من الأحاديث في فنون متعددة
شملت : العبادات ، والآداب الاجتماعية ، والمرأة ، والجهاد،
والأخلاق ، والذكريات الاسلامية . وهذا هو الاسلام ، ومن
هدى القرآن ، والحلال والحرام ، وسؤال وجواب وقصص
القرآن الكريم ، وتربية الهية كريمة .

وهي موضوعات قصيرة قندم أكثرها في الاذاعة أو
التليفزيون آمل أن يجد فيها القارئ صورة مناسبة لعرض
الفكرة الاسلامية بأسلوب العصر ، واضحة الهدف ، سهلة
الأداء ، تيسر ولا تعسر ، وتثير الطريق لمن أراد الهدى

قال تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام)

- أسأل الله أن يجعل هذا العمل مفيدا ونافعا .
- وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

د. عبد الله شحاته

الدعوة إلى الإسلام

رسالة الاسلام

اختار الله بلاد العرب لتكون مقر الرسالة الأخيرة التي جاءت للبشرية جميعا ، والتي تتضح عالميتها منذ أيامها الأولى ، كانت الأرض المعمورة - عند مولد الرسالة الأخيرة - تكاد تنقسمها امبراطوريات أربعة هي : الامبراطورية الرومانية ، والفارسية ، والهندية ، والصينية . وفي هذا الوقت جاء الاسلام لينقذ البشرية كلها ، مما انتهت اليه من انحلال وفساد واضطهاد ، وجاهلية عمياء في كل مكان من المعمورة . جاء ليهيمن على حياة البشرية ويقودها في الطريق الى الله على هدى ونور ، ولم يكن هنالك بد من أن يبدأ الاسلام رحلته من ارض حرة لا سلطان فيها لامبراطورية من تلك الامبراطوريات ، وكانت الجزيرة العربية وام القرى ومحولها بالذات ، هي اصلح مكان على وجه الارض لنشأة الاسلام يومئذ ، واصلح نقطة يبدأ منها رحلته العالمية .

لم تكن في بلاد العرب حكومات منظمة ، ولا ديانة ثابتة واضحة المعالم ، وكان خلخلة النظام السياسي للجزيرة ، الى جانب خلخلة النظام الديني ، افضل ظرف يقوم فيه دين حديد ، متحررا من كل سلطان عليه في نشأته .

وهكذا جاء القرآن لينذر مكة ومن حولها من البلاد ، قال تعالى :
(وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لنتنذر ام القرى ومن حولها) الشورى ٧ .

وامتد نور الاسلام الى المدينة ، ومنها الى سائر الجزيرة العربية . ولما خرجت الجزيرة من الجاهلية الى الاسلام ، حملت الراية وشرقت بها وغربت وقدمت الرسالة للبشرية جميعها ، وكان الدين حملوها هم اصلح خلق الله لحملها ، وقد خرجوا بها من اصلح مكان في الارض لميلادها ، وهكذا تبدو سلسلة طويلة من الموافقات المختارة لهذه الرسالة : (الله اعلم حيث يجعل رسالته) الانعام ١٢٤ .

وسائل نجاح الدعوة الى الله

لقد رسم القرآن دستور الدعوة الى الله في قوله سبحانه : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) النحل ١٢٥ .

وقد عرض القرآن في كثير من سوره أهداف الدعوة الجديدة ، وأركانها وحقائقها الأساسية ، ومن هذه الحقائق : الإيمان بالله وحده ، وبالحياة الآخرة ، وبالوحي والرسالة . كما أرسى القرآن قواعد الدعوة ومبادئها ، وعين وسائلها وطرائفها ، ورسم المنهج للرسول الكريم ، وللدعاة من بعده ، فللنظر في دستور الدعوة الذي شرعه الله في هذا القرآن :

ان الدعوة دعوة الى سبيل الله :

لا لشخص الداعي . ، ولا لقومه ، فليس للداعي من دعوته الا انه يؤدي واجبه لله ، لا فضل له يتحدث به ، لا على الدعوة ولا على من يهتدون به ، واجره بعد ذلك على الله .

والدعوة بالحكمة : وهي النظر في احوال المخاطبين وظروفهم ، والفدر الذي يبينه لهم الداعية في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ، ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها ، والطريقة التي يخاطبهم بها ، والتنوع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها ، فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة ، فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه .

وبالموعظة الحسنة : التي تدخل الى القلوب برفق ، وتعمق المشاعر بلطف لا بالزجر والتأنيب في غير موجب ، ولا يفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية ، فان الرفق في الموعظة كثيرا ما يهدى القلوب الشاردة ، ويؤلف القلوب النافرة ، ويأتى بحير من الزجر والتأديب والتوبيخ .

والجدل بالتي هي أحسن : بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح ، حتى يطمئن الى الداعي ، ويشعر ان ليس هدفه الغلبة في الجدل ، ولكن الاقناع والوصول الى الحق ، فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها ، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه الا بالرفق ، حتى لا تشعر بالهزيمة ، وسرعان ما يختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس ، فتعتر التنازل عن الرأي تنازلا عن هيبتها واحترامها وكيانها ، والجدل بالحسنى هو الذي يطمئن من هذه الكبرياء الحساسة ، ويتسعر المجادل ان ذاته مصونة ، وقيمته كريمة ، وان الداعي لا يقصد الا كشف الحقيقة في ذاتها ، والاهتداء اليها ، في سبيل الله ، لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر .

النبي الداعية

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الاعلى للدعاة والهداة ، فهو صادق النية مخلص في دعوته ، واضح الهدف شديد اليقين ، لقد وقف على جبل الصفا وقال : «والله الذي لا اله الا هو اني لرسول اليكم خاصة والى الناس عامة» .

تم هو النبي الحكيم استاذ التربية السلوكية ، لقد أسر الدعوة وصبر في سبيلها وتحمل الوان الاذى والاضطهاد ، وكان يصنع الرجال في مكة ،

ويكون لهم القدوة الحسنة ، والامام والفائد ، فهو المثل الاعلى في الصلاة
وانصياف والزكاة والحج ، وسائر العبادات والمعاملات .
وهو صاحب الدعوة احسنة ، التي سلك طريقها الى القلوب بعد
تشويق وتمهيد . وقد وضع دعائم التوحيد والايان في وصيته الجامعة
لعبد الله بن عباس :

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال : كنت رديف النبي صلى الله
عليه وسلم على بغلته فقال لى ياغلام : هل اعلمك ظلمات ينفعك الله بهن في
الدنيا والاخرة ؟ قلت بلى يا رسول الله علمنى ، فقال ياغلام : « احفظ الله
يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت
فاستعن بالله ، واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء مانفعوك الا
بشيء قد كتبه الله لك ، واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان يضروك بشيء ماضروك
الا بشيء قد كتبه الله عليك ، جفت الاقلام وطويت الصحف » .

وقد ناقش عليه الصلاة والسلام اهل مكة ، ونفل اليهم نقاض القرآن
وادلته وحججه على وجود الله ، من مشاهد الكون ، ومشاهد النفس ،
وخلق الليل والنهار ، والسماء والارض ، والجبال والبحار ، وبيان ان
الاصنام لانفع ولا تضر ، ولا تسمع ولا تجيب . وقد نوع القرآن في اساليب
الدعوة وطرقها ، وفي سبيل ذلك اشتمل على الامور الانية :

- ١ - العفائد والمثل والايان بالله وملائكته وكنبه ورسله واليوم الاخر .
- ٢ - قصص المرسلين وجهادهم مع قومهم ، نم بيان العاقبة وهى نصر
المؤمنين ، وخذلان الجاحدين .
- ٣ - التشريع للجماعة المسلمة في امور العبادات والمعاملات .
- ٤ - الاخلاق الاسلامية والحث على السلوك السليم ، وقد حفلت كثير من
السور ببيان قيمة الاخلاق والهداية والايان .

وقد شقت الدعوة الاسلامية طريقها الى المدينة ، وبنى بها المسجد
النبوى ، وقد كان دارا للعبادة وبرلمانا للشورى ومؤسسة لرعاية الفقراء ،
ومدرسة للدعوة وتعاليمها . ومن هذا المسجد تخرج الدعاة والهداة والائمة .
وارسل النبي معاذ الى اليمن ليقضى بكتابه الله ، ثم بسنة رسول الله ، ثم
يجتهد بعقله وفكره وقلبه ليعمل بروح الشريعة ومبادئها السمحة .

ان الاسلام دعوة هادنة لخير الفرد والجماعة ، ومن تعاليم الاسلام :
الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتبليغ الدعوة وتعليمها لمن لم يعلمها ،
وطلب العلم فريضة ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، والبحث عنه جهاد .

وقد حملت دعوة الاسلام وسائل النجاح في بساطتها وسهولتها ،
ويسرها ومرورتها . فالطفل يحفظ سورة قصيرة هى سطر واحد فيعرف
احكام العقيدة من قوله تعالى :

(قل هو الله احد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد)

ومن سورة الفاتحة نجد اهداف الايمان بالله وطلب الاستقامة والبعد
عن الاعوجاج والضلال .

أن الإيمان بالله ، والاخلاص له ، ووضوح الفكره ، وحاجه الناس اليها ، وتواضع الداعية ، وحرصه على تبليغ الدعوة ونشرها : كل ذلك من عوامل نجاح الدعوة .

والداعية هو الإيمان المتحرك ، والفرآن الحى ، والفدوة العملية ، والنموذج المحتدى ، وكلما النصف بالفرآن قراءه وطبقا كلما زاد نجاحه وتأثيره . وعندما تبجح أهل مكة ووقفوا في وجه الدعوة والداعية نزل الادب الالهى يقول للرسول الامين وللدعاة والهداة من أمته :

(ومن احسن فولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ، ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) فصلت ٣٣ - ٣٥ .

سنن الله فى الدعوة والدعاة

جاء الاسلام دعوة عالمية ، تؤمن بالكتب والرسل ، وتدعو الى الوحدة والجماعه فالله واحد ، والامه واحدة ، والكتاب واحد ، والهدف من الرسالات السماوية واحد ، وهو هدايه البشرية ودعوتها الى الإيمان ، وصيانتها من الفرقة والاختلاف .

وفى آيه مشهورة من سورة الشورى تطالعنا وحدة الرسالات جميعا ، ووحدة الرسل ، ووحدة الدين ، ووحده الهدف للجميع ، وهو بوحيد الله ، وتدعيم القيم ومحاربه الردائل والانحراف . قال تعالى :

(شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى اوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ماتدعوهم اليه الله يجتنبى اليه من يشاء ويهدى اليه من يئيب) الشورى ١٣ .

وتقرر الآية التالية بعد ذلك أن التفرق قد وقع مخالفا لهذه التوصية ولم يقع عن جهل من اتباع اولئك الرسل الكرام ولكن عن علم ، وقع بغيا وحسدا :

(وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) الشورى / ١٤ .

ثم تصسف اتباع الأديان وحملة الكتب السماوية بأنهم فى حيرة وشك لاضطراب احوال الديانات ، وخروجها عن الهدف الذى جاءت له :

(وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب)

الشورى ١٤ .

ان اقصى ضربة توجه الى الدعوة ، هى شك اصحابها وارتياهم فيها ، فاذا فقد الداعية ثقته فى دعوته ويقينه بها ، فقد الحرارة والإيمان ، وفقد القدرة على هداية الآخرين لان فاقد الشيء لايعطيه .

ولقد قدم لنا القرآن هذا الدرس الحى ، وبين أن اصعب داء يصيب الدعوة يكمن فى شيئين :

اولهما : ضعف الايمان بالله .
ثانيهما : الفرقة والاختلاف .

ومن كلمات أحد الدعاء المخلصين لاتباعه :
لا اخشى عليكم الدنيا كلها ولكنى اخشى عليكم احد امرين :
اولهما : ان تغتروا بانفسكم وتفقدوا صلتكم ويقينكم بربكم ، فينزع الله عنايته
عنكم :

(ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا) التوبة ٢٥ .
ثانيهما : ان يختلفوا فتفشلوا ، قال تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم
واصبروا ان الله مع الصابرين) الانعام ٤٦ .

ان الضربة القاضية التي اصابت الدعوات السابقة على الاسلام ، هي
فقدان اتباع هذه الديانات لحراره الايمان ، وقوة العاطفة ، ثم انتشار الفساد
والكساد ، واستمرار اللهو والمتعة والابتعاد عن القيم والمثل ، وقد حذر القرآن
من هذه الحال فقال سبحانه :

(اتم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ،
ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير
منهم فاسقون) الحديد ١٦ .

ان العميدة الصادقة والايمان الصادق ، والاستعداد للبلد والغداء من
اسباب نجاح الدعوة .

وقد حرص الانبياء والرسل على دعوة قومهم ، وتحملوا الالام في سبيل
هذه الدعوة . مكث نوح في قومه الف سنة الا خمسين عاما ، ووضع في النار
ابراهيم وتحمل يوسف السجن ، وابتلع الحوت يوسف ، وخرج موسى من
مصر خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ، وحاول الاعداء قتل
المسيح وصلبه فرفعه الله اليه ، وكان محمد صلى الله عليه وسلم مثالا اعلى
في تحمل تبعات الجهاد في مكة والطائف والمدينة ، وهذ ضريبة الدعوة والفكر
لان الداعية يخرج على ما اوف الناس ويدعو الى الخير ويأمر بالمعروف وينهى
عن المنكر ويؤمن بالله ، قال تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران ١١٠ .

الداعية اشد الناس بلاء ، واكثرهم تحملا ، لانه قائد فكرة ، وحامل
مشعل ، ورسول اصلاح ، وزعيم حركة تغيير ، ودائما يتحمل اللعنة قسوة
تغيير المألوف . وفي الحديث الشريف (اشدكم بلاء الانبياء ثم الأولياء ثم الامثل
فلامثل) .

وعندما يصدق الايمان نتفتح افعال الارض ، ونتكشف خزائنها . ولعل
هذا يفسر لنا وجود هذا الحشد من الرجال العظام في الصحابة من امثال
ابى بكر وعمر وعثمان وعلي وحزمة والعباس وابى عبيدة وسعد بن ابى وقاص ،
وخالد بن الوليد وسعد بن معاذ ، وابى ايوب الانصارى وغيرهم وغيرهم ،
من تلك العصبة التي تلقت الاسلام ، فتفتحت له وحملته ، وكبرت به من غير
شك وصلحت ، ولكنها كانت تحمل البذرة الصالحة للنمو والتمام .

(اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) الانعام ٩٠ .

الاسلام دين القيم

التأمل في صفات المؤمنين يوحى بأن الاسلام دين القيم ، دين يهتم بالجواهر لا بالعرض ، ويتوكلون النفس البشرية لا بالقيم الزائلة فما هي قيم الجماعة المؤمنة .

انها الايمان ، والتوكل ، واجتناب كبائر الالم والعواحيش ، والمغفرة عند الغضب ، والاستجابة لله ، واقامة الصلاة ، والشورى الشاملة والافاق مما رزق الله . والانتصار من البغي ، والعتو والاصلاح ، والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتحمل تبعات الجهاد والصبر على البلاء والشكر على النعماء والثقة بالقضاء .

وبهذه القيم يحول العرب من اشتات مختلفين الى امة متماسكة ، متراحمة مؤمنة بالله مستقيمة على هداه ، فوطأ الله لهم اكناف الارض وصاروا خير امة اخرجت للناس .

قال تعالى :

(فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يفتقرون ، والذين استجابوا لربهم وافاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ، والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون ، وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين) الشورى ٣٦ - ٤٠

ضعف الدعوة

قال تعالى : (فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) مريم ٥٩ . فبعد النصر المبين ، والعصر الذهبي للاسلام ، وبعد أن فتحت الارض وجاء المال ، ضعف الوازع الديني ، وخفت صوت الدعوة وانتشر اللهو والترف ، وصارت بغداد عاصمة الخلافة نبع بالمتناقصات . فنرى مجالس اللهو والقيان والغلمان ، والغزل بالمدكر والمؤنث ، حتى قال الشاعر :

اخلع ببغداد العذارى	ودع التنسك والوقارا
فلقد بليت بفتية	ما أن يرون العار عارا
لا مسلمين ولا يهود	ولا مجوس ولا نصارى

وعندما هان أمر الدعوة ، وضعفت قوة اليقين وحرارة الايمان ، سقطت همة المؤمن وسقطت بغداد في يد التتار سنة ٦٥٦ هـ ، لكنها سقطت في يد اللهو والعبث قبل أن تسقط في يد التتار ، ولما ذاق التتار حلاوة الاسلام تحولوا الى دعاة له ومؤمنين به .

ادوار الدعوة الاسلامية

الفقهاء يدكرون أن العمه الاسلامى مر بمراحل مختلفة يمر بها الكائن الحى ، وهى دور النشأه والنمو ، ودور النضج والكمال ثم دور التقليد والجمود ، وأخيرا دور اليفظه العقهية :

١ - دور النشأه والنمو من البعثه المحمديه الى سنه ١٠٠ هـ
٢ - دور النضج والكمال من ١٠٠ هـ الى سنه ٣٥٠ هـ ، وهو عصر ازدهار الفقه ، وانشاره فى الكرة الأرضية .

٣ - دور التقليد والجمود من ٣٥٠ هـ - ١٢٨٦ هـ . وينقسم الى قسمين :
(١) بداية التقليد من سنه ٣٥٠ هـ الى سقوط بغداد سنه ٦٥٦ هـ .

(ب) مرحله التقليد المطلق والجمود والضعف من سنه ٦٥٦ هـ الى ظهور المجلة العدليه للاحكام الشرعيه بتركيا سنه ١٢٨٦ هـ .

٤ - دور اليفظه الفقهيه من سنه ١٢٨٦ هـ الى الوقت الحاضر . ومايقال عن العمه يمكن ان يقال عن الدعوة الاسلاميه .

لقد نلارم نجاح الدعوة مع وحده المسلمين ، وحسن فهمهم وتطبيقهم للاسلام . فالاسلام دين عالمى ودعوه الله الى الناس اجمعين ، دين العداله والمساواه والحريه والاخاء والتسامح ومكارم الاخلاق . وهذه الصفات تجعل من الاسلام ديننا ممنازا ، وطبيعه الاسلام نوجب على المؤمنين به الدعوة الى الله والجهاد بالقرآن قال تعالى : (وجاهدوهم به جهادا كبيرا) الفرقان ٥٢ .

وقد روى مسلم فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » .

لقد امتد الاسلام الى الفرس والروم ومصر وشمال افريقيا ، وامتد نوره الى اوروبا عبر اسبانيا .

وقد دخل المغول الى الاسلام بفضل الدعاه المسلمين ، ودخل البلغار على يد التجار المسلمين . ودخل الاسلام الهند فى وقت مبكر من طريق التجار العرب . كذلك وصل الاسلام الى اندونيسيا والفيليبين على يد اللصاه من العرب والهند . كما وصل الاسلام الى الصين فى القرن الاول الهجرى . كما وصلت جاليات مسلمة الى امريكا الشماليه والجنوبيه واقاموا هناك ، واسسوا جمعيات ومساجد فى اشهر المدن ، ولهم سمعة طيبة فى كل حقل يعملون فيه من حقول التجارة والصناعة وغيرها . وللاسلام اعوان وانصار فى كل جهات العالم .

ان عصور التقليد والظلام والضعف انما حلت بالمسلمين نتيجة بعدهم عن دينهم ونتيجة فرقتهم واختلافهم .

لقد امرنا القرآن ان نجهر بالدعوة وان نستعلى على الاهواء ، وان نستقيم على امر الله ، فهو وحده مرسل الرسل ، ومنزل الكتب وولى المؤمنين وناصر المتقين . قال تعالى : (فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل آمنتم بما انزل الله من كتاب وامرت لأعمل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير) الشورى ١٥ .

منهج الدعوة الإسلامية

اهداف المستشرقين :

الاسلام يحمل خصائص الدعوة العالمية ، وقد ختم الله به الأديان ، وجعله صالحا لكل تطور في الحياة البشرية على اختلاف بيئاتها ومستوياتها، وهناك في الغرب حركتان قويتان تتصلان بالشرق والاسلام .

١ - أما الحركة الاولى فهي الاهتمام بالشرق ودراسة علومه ومعارفه وحضارته وامكانياته ، لمعرفة الطريق الى السيطرة عليه ثقافيا. أو اقتصاديا .

وقد انشئت كراسي للدراسات العربية والاسلامية والشرقية في عدد من الجامعات الغربية .

٢ - أما الحركة الثانية فهي البحث عن دين عالمي تطمئن اليه النفوس ويحل المشاكل الداخلية المعقدة التي لا يستطيع العلم حلها ، لان العلم رغم تقدمه السريع لم ينجح في حل المشاكل الخلقية والنفسية ونرى ان الفرصة سانحة امامنا لعرض الاسلام ، ففيه حل لمشاكل الانسان في القرن العشرين .

من هدى القرآن

لقد سلك الاسلام اجمل الطرق للوصول الى النفس البشرية عن طريق الهداية والدعوة الى الايمان بالحكمة والموعظة الحسنة .

وآيات القرآن واحاديث الرسول خير شاهد . ففي القرآن الكريم :
(يا ايها المدثر قم فأنتد) . (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) آل عمران ١٠٤

(ياايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته)
المائدة ٦٧ .

اما النبي الكريم فكان المثل الاعلى للداعية وقد زوده الله بالحلم والحكمة والصبر وعندما يتس أهل مكة ذهب الى الطائف يدعوها الى الاسلام فاوذى

ابلق الاذى ، واستجار بالله سبحانه في دعاء صادق فنزل جبريل من السماء وقال يا محمد ان شئت اطبق الجبال عليهم فقلت ، فقال النبي لاتفعل انى لارجو ان يخرج من ظهورهم من يعبد الله ، اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون .

الدعوة الى الاسلام في الوقت الحاضر

ان اقتناع المسلمين بأهمية دينهم ، وحاجة العالم اليه ، يعد أساسا سليما ونقطة انطلاق للدعوة الى هذا الدين .

وان التخطيط امر ضرورى لنجاح كل مشروع ، واذا كان اعداء الاسلام يخططون للنيل منه ومن امته ، فيجب ان نحاربهم بمثل سلاحهم .

ان القائد الحكيم هو الذى يتمتع بمرونة الحركة ، وسرعة اتخاذ القرار والقدرة على المناورة والمفاجأة ، والاحتفاظ بالسرية وتعبئة الروح المعنوية .

وجيش الدعوة الى الاسلام في القرن العشرين ، بحاجة ماسة الى رجال على درجة عالية من الذكاء والبصيرة ، والثقة بالنفس والغيرة والحماسية وطهارة القلب والاخلاص لله سبحانه . (ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شئ عليم) التغابن ١١ .

اعداد الداعية

لابد من معرفة الداعية بحالة البلاد التى يتوجه اليها للدعوة ، حتى يكون كلامه وعمله مشمرا ومفيدا ، وينبغى ان يحيط الداعية بتاريخ البلاد ، ونظام الحكم ، والعقيدة والعادات والامكانيات المادية والظروف المختلفة ، ذلك ان ظروف العالم تتغير من زمن الى زمن ، ومن منطقة الى منطقة .

ان الله عز وجل حث على اعداد الدعاة بقوله سبحانه : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) التوبة ١٢٢ .

علينا ان نجهز هذه الطائفة التى تنفر الى الالمان ممن يجيدون الالمانية والى الامريكان ممن يجيدون الانجليزية ، فنخاطب الناس بلغاتهم ، ونحمل اليهم هداية السماء وختم الرسالات ونقدم الدواء لمن يحتاج اليه ، بعد تشخيص مناسب ، فالحكمة الحقة هى وضع الشئ فى موضعه ، وتقديم العظة المناسبة فى الوقت المناسب وبالحكمة المناسبة ، قال تعالى : (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب) البقرة ٢٦٩ .

التخطيط للدعوة

يبدل اعداء الاسلام جهدا منظما ، ويقومون بنشاط متعدد الاشكال والالوان ضد الاسلام والمسلمين ، فهم يشجعون الحركات الاقليمية كالدعوة الى الفرعونية والبابلية والفينيقية والبربرية ، لان هذه الدموات تحطم الوحدة الكبرى التى خلقها الله بين المسلمين ، وهم يحاربون الوحدة بين الامم الاسلامية ، ويشككون فى قدرة الاسلام على القيام بدور حضارى بناء .

والدعوة الى الاسلام في حاجة الى تنفيذ مفتريات العدو ، وتأكيد قدرة الاسلام الدائمة على العطاء ، وهذه الدعوة بحاجة الى انشاء جهاز مستنير ، جامع لارباب الفكر والتخصصات الفنية المختلفة التي تتصل بالدعوة ، وتكون مهمته الاولى الاساسية هي الدعوة النقية الخالصة بعيدة عن المؤثرات المحلية والافراض الخاصة ، وليت هذا الجهاز يكون واحدا للعالم الاسلامي كله ، ويختار له مقر في القاهرة قلب العالم الاسلامي او الحججاز مهبط الوحي ، ويكون لهذا الجهاز فروع وادارات وشخصيات تمثله في الدول الاسلامية بقدر الامكان .

ان التفكير في تكوين جمعيات ، وانشاء منظمات واجهزة لمباشرة الدعوة بطريقة منهجية منظمة ، تفكير حديث في تاريخ الدعوة الاسلامية ، وفي سنة ١٩١٠م أسس السيد محمد رشيد رضا جمعية في القاهرة ، كانت تهدف الى تأسيس دار للدعوة والارشاد .

« وفي شبه القارة الهندية اربع وعشرون جمعية للدعوة الى عقائد الاسلام وعقد المناظرات مع غير المسلمين ، وطبع ونشر الكتب التي ترد على هجرات الجمعيات المعادية» (١) . ومن أهم هذه الجمعيات جمعية (انجومان حامي اسلام) في اجمر ، وجمعية (انجومات حمايت اسلام) في لاهور ، ومن الهيئات التي تحمل عنوان اندعابة للاسلام ، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ، ومجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، وجمعية التعريف الدولي بالاسلام في القاهرة .

ولمصر موقع جغرافي وتاريخي وثقافي وقيادي هام ، وهي قبلة فكرية للعالم الاسلامي ، وقد حملت لواء النهضة الحديثة ، وبها أعداد وافرة من الجامعات ومراكز البحث العلمي وهي تستقبل أبناء العالم الاسلامي للدراسة والتعليم والتدريب ، ويقوم الازهر بواجب في هذا المبدان ولكنه يحتاج الى عناية ورعاية وامكانيات مادية وفكرية حتى يؤدي واجبه على الوجه الاكمل .

ثقافة الداعية

ينبغي ان يتزود الداعية بمهارات وخبرات ودراسات مناسبة لما يقوم به ، ومن هذه الخبرات ماياتي :

- ١ - التعمق في معرفة القرآن والسنة ، وعلوم الشريعة والسيرة النبوية والعبادات والمعاملات والاخلاق وغيرها من فروع الثقافة الاسلامية .
- ٢ - ان يجمع الى العلم القديم علما حديثا بالمعارف المختلفة التي توضح العلوم الدينية بأسلوب العصر ، وبدلك يكون نموذجا مشرفا يعيش مع العصر واحداثه ويتصل بالمجتمع ومايجب به من مشاكل .
- ٣ - ان يكون متمكنا من لغة القوم الذين يخاطبهم .

(١) الدين العالمي ومهج الدعوة اليه ، لفيلة الشيخ عطية صقر ، الكتاب الحادي عشر لمجمع البحوث الاسلامية ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

٤ - أن يكون خبيراً بأسلوب الدعوة وطرق التربية والتعليم والرعاية والتوجيه، فقد نصح النبي معاذاً وزميله حين أرسلهما إلى اليمن قائلاً : « يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا » (١)

٥ - أن يكون على خلق كريم ، فالإخلاق سلاح فعال في نجاح الدعوة ، وهى فى الوقت نفسه دعاية صامتة ، قد تغنى عن الدعاية القولية ، ومن أخلاق الداعية عدم الحرص على الدنيا ، والعفة والقناعة والصبر ، والإخلاص لله فى السر والعلن ، والاعتزاز بالإسلام ديننا وسلوكنا .

قال تعالى : (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال اننى من المسلمين) فصلت ٣٣ .

ومن كلمات النبي صلى الله عليه وسلم لعمر : « أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا » (٢) .

٦ - أن يكون الداعية حسن الهيئة ، طيب المظهر ، جميل الهمام «وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة يلبسها للعديد والجمعة » (٣) . وفى الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « ما على أحدكم لو اشترى - أن وجد سعة - ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته » (٤) .

وقد اعتنق اليهودى سعيد بن الحسن الإسلام سنة ١٢٣٨ م ، بسبب رؤيته لشهد صلاة الجمعة فى مسجد عام وقال : «لما ظهر خطيب الجمعة مرتدياً عيائه السوداء استولى على شعور عميق بالرهبة .. وأيقنت فى نفسى أنى خلقت لأكون مسلماً » (٥) .

٧ - أن يكون الداعية حكيماً ، سليم الفكرة ، حسن الإداء ، بعيداً عن السب والشتم والتجريح ، قال تعالى (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله علواً بغير علم) الأنعام ١٠٨ .

وإذا أراد الداعية أن يبين خطأ فكرة ، أو يقتلع عقيدة باطلة فليوجه الأنظار إلى بطلان ما يشبه هذه العقيدة ، أو يترك الفرصة للعقول أن تستنبط الموعظة بالتفكير والتأمل ، وقد سلك القرآن ذلك فى ضرب المثل وحكاية القصص ، لأن القصة لاتحمل موعظة مباشرة وإنما تترك فرصة للعقل أن يستنبط بنفسه العبرة والعظة .

٨ - أن يحسن الداعية اختيار الموضوع ، وأن يبتعد عن إثارة الشبهات وأن يعرض التشريع مبسطاً ، والعقيدة واضحة عند الدعوة إلى الدخول فى الإسلام .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الدارقطنى والبيهقى والحاكم .

(٣) زاد المعاد لابن القيم ج ٢ ص ١٢١ .

(٤) رواه أبو داود وابن ماجه .

(٥) تاريخ الدعوة لأرنولد ص ٤٥٨ .

سئل امرأبى عن الدليل على وجود الله فقال : البعرة تدل على البعير ،
والاثر يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وارض ذات فجاج ، وبحار
ذات أمواج ، أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير ؟

وعندما سئل نيونن (المنوفى ١٧٢٧ م) عن وجود الخالق قال : من
الجلي الواضح انه لا يوجد أى سبب طبيعى يمكن ان يعزى اليه توجيه
جمع الكواكب ونوابعها للدوران فى وجهة واحدة وعلى مستوى واحد ،
دون أن يحدث فيها أى تغيير يذكر ، فمجرد النظر لهذا التدبير يشعر
بوجود قدرة الهية .

٩ - الداعية امام وقائد ، وهو قدوة ومثل أعلى ، فعليه ان يلتزم بما يدعو
الله ، وأن يحرص على هداية الناس ، وأن يجد سعادته فى مساعدة
الآخرين ، ومن كلمات الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراعى :

« من لوازم الداعى أن يكون شجاعا صادقا قوى الإيمان بما يدعو
اليه ، برى فى الاقدام لذة وحقا للنفس الخرة ، وبؤدبه احتسابا لله
لا على انه مكلف به ، بؤديه للاجر وزيادة الدرجات والمرتبات ، ومن
حق الداعى أن يكون بصيراً بالوسط الذى يمشى فيه ، خبيراً بأحوال
النفوس ، واسع الحيلة فى التنقل من طريق الى طريق ، يقصد الهداية
المطلوبة من طريقها النافع » (١) .

مقترحات لنشر الدعوة

مما يساعد على نشر الدعوة ويشد أزر الدعاة ماياتى :

١ - استغلال كل الوسائل الممكنة للنشر ، فقد كان عصر الاسلام يعتمد على
الكلمة واللقاء المباشر . واليوم نجد وسائل لعلام عديدة منها : الاذاعة
والتليفزيون والصحافة والسينما والمسرح والمجلات والاعلانات والدعايات
المختلفة . فعلى دعاة الاسلام ان يستغلوا كل فرصة مناسبة للدعوة
اليه ، فى كافة وسائل الاعلام ، مع استخدام أسلوب العصر وطريقته
ومنهجه . قال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)
ابراهيم ٤ .

٢ - ينبغى أن تنشأ مراكز اسلامية للدعوة للاسلام ، وتعليم الدين واللغة عن
طريق التدريس والمحاضرات والندوات والكتيبات وغيرها .

٣ - التوسع فى ارسال البعث الى كافة ارجاء الدنيا ، بعد اعدادهم اعدادا
سليما .

٤ - التوسل الى تدبير الاموال اللازمة والخبراء بالدعوة للاسلام ، وباحبدا
لو كان هنالك صندوق عام يعول من كل الأقطار الاسلامية ، ويا حبذا لو
زيدت فى ميزانية كل دولة المبالغ المرصودة لهذا العمل الجليل .

(١) جريدة الدستور ١٩٢٨ . والنظر : الدين العالمى ، للشيخ عطية صقر ص ١٢٦ .

٥ - من أهم ما يساعد على قبول الناس لدعوة الاسلام أن يكون العمل بالدين ومبادئه واقعا حيا في المجتمع الاسلامي فالعمل بالدين أكبر دعاية له .

ان في الناس فراغا روحيا وقلقا نفسيا في هذه الايام بعد كثرة الحروب وبعد الصراع الدموي المادى ، وليس الا الدين سكنا للنفس ، ويقينا للقلب ، وحصنا في الشدائد ، وصلة بين المخلوق والخالق ، واما في البأساء ، وعزاء في المصائب ، وقوة في النوائب ، ان الايمان يعنى نفسا مطمئنة ، وقلبا نقيسا تقيا من الشرك برياً لا كافراً ولا شقيماً .

فن الخطابة والإعلام الديني

- (أ) الخطابة الدينية وأهميتها ، وأسباب ضعفها وطرق النهوض بها
(ب) الخطيب والصفات التي يحتاج إليها .
(ج) الخطبة : مقدمتها ، موضوعها ، خاتمها

الخطابة :

- الخطابة من مشافهة الجمهور واقناعه واستمالته .
والخطابة - منذ كانت - سلاح المجتمع الانساني في سلمه وحربه وفي ترقيته والاسراع به نحو المثل الاعلى الذي يجب أن يفصد اليه .
فليس بدعا ان كانت بلاغ الانبياء الى أمهم وسبيل الدعاة الى الهداية والاصلاح . ولربما أثر الخطيب بحماسة وصدق عاطفته أكثر من تأثير الكاتب برزائته واعداد بحثه .
فالخطيب يواجه الجمهور ويحاول التأثير فيه بطريقة أدائه ونبرات صوته وجودة لقائه وروعة بيانه .
والخطيب يواجه ويخاطب القارئ والامى والاعمى والبصير والطفل والكبير ، وهو يتعامل مع القوى البشرية مباشرة يخاطبها ويستميلها ويناجي ضميرها ويحرك بواعث الخير فيها ويسوق أدلته وبراهينه لاقتناعها ويغير من اساليب الخطابة وتعبيراتها حسب ما يطرأ على الجمهور من تغيير .
فالخطيب قادر على الاطالة اذا رغب جمهوره في الاستزادة ، وعلى الإيجاز اذا ظهرت له علامات السامة والملل ، وعلى تغيير طريقته واسلوبه وتعبيره ليناسب السامعين .
قال صلى الله عليه وسلم (ان من البيان لسحرا) .

اقسام الخطابة :

- تنقسم الخطابة الى سياسية وقضائية وحربية وحفلية ودنية . وستنصر هذا البحث على النوع الاخير وهو :

الخطابة الدينية

الخطابة الدينية : هي التي نعتد على الدين في مادها وموضوعها فتربط السامعين بالحائق وتذكرهم بالثواب والمعاب وتدعوهم الى الخير وتحذرهم من الشر .

خطبة الجمعة :

وهي أشهر انواع الخطابة الدينية ، ففي كل اسبوع نجد ملايين المنابر في العالم الاسلامي وقد سعدوا الخطباء في زيهم الديني ليلفوا خطبة الجمعة .

والخطبة شرط في انعقاد الجمعة عند الجميع ويجب ان تشمل على خمسة اركان : حمد الله عز وجل ، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والوصية بالتقوى ، وقراءة آية من القرآن ، والدعاء للمؤمنين والمؤمنات عند الشافعي ، ولم يشترط شيئا من ذلك عند « ابو حنيفة » ، وقال مالك الواجب ان ياتي الخطيب بما يسمى خطبة في العادة من كلام مؤلف به بال .

والقيام في خطبة الجمعة مع القدرة عليه مشروع باتفاق .

لماذا اخفت الخطابة الدينية :

نلاحظ كثيرا من الخطباء الدينيين لم يبرعوا في خطابتهم ، ويرجع ذلك للاسباب الاتية :

- ١ - خطبهم ذات موضوعات عدة من دعوة الى فضائل الى تنفير من رذائل ، فتبدو الخطبة كشكولا جامعا لموضوعات عدة مبتسرة مقتضية لم يدرس واحد منها دراسة كاملة ترسخ في اذهان السامعين ، وتمتلك مشاعرهم ، والخطبة الناجحة لابد ان تكون ذات موضوع واحد .
- ٢ - وهذه الموضوعات الكثيرة ذات معان واحدة مكررة ، وأحيانا ذات اسلوب واحد تكرر على مسامع الناس فيملونها ، وقد مضت على الخطباء فترة من الزمن - وما زالت لها بقية - كان الخطباء يحفظون فيها خطبهم ، او يلقونها من كتب مطبوعة متمشية مع اسابيع كل شهر من كل عام ، فلا تصرف ولا تجدد ولا مراعاة لاحوال المسلمين .
- ٣ - على انها بموضوعاتها المتعددة ومعانيها الواحدة متخلفة عن قافلة الزمن مبينة للحياة الواقعية ، ليس فيها جدة ، وكثيرا ما يشغل الناس حديث جلال أو أمر طارئ ويتشوقون الى سماع كلمة الدين ، فإذا بهم يسمعون نغمات قديمة لاصلة لها يتوقعون ويتوقون الى سماعه .
- ٤ - ومن نتائج ذلك كله انها غير ملائمة لعقلية السامعين ، وغير مشوقة ، فاسلوبها متكلف ، ومعانيها لا تشويق فيها ، والقائما باصت للتأؤب والملل .

كيف ننهض بها :

وإذا ما أردنا أن ننهض بالخطابه الدينيه فعلنا أن نصلح هذه العيوب ، بأن نجعل كل خطبه موحده الموضوع ، جديدة الافكار والمعاني ، مسايرة للحياه الواقعيه معروضه في معرض سائقي رائق . وأن يجملها بالوان من التشبيه والمقابلة وغيرها ، بحيث لا تنكف ولا تعسف ، ثم ليعلم الخطباء الدينون انهم في مسلكهم فدوه للناس ومنل ، فبدن الناس بأقوالهم ووعظهم ان كانوا صالحين ، ولا يهدون بوعظهم ان كانوا غير صالحين . فالخطيب الذي يلقي خطبه كل اسبوع مره ، ثم لا يجس نفسه على الفضيله ، بهدم بيده مكانته . ويقدم بنفسه دعاواه ضد السابر بها بقول :

وذموا لنا الدنيا وهم برضعونها أفانق حتى ماسدر لنا ثمل (1)

قال الشيخ حسين المرصفي : «ان من نصب نفسه لوظيفة الهدى ، ودعاء الناس الى الخير ، يجب أن يكون ابعدهم من المصنع وأحرصهم على الكمال فان أدنى هوه منه سقط أعباره ونسهل النهاون به فلا يكون لكلامه تاثير في القلوب . ويصير مجلسه مسلاة تسلى الناس بحضوره . وقالوا :

ما أحسن التاج وعلى رأس الملك أحسن ، وما أحسن الدرّة وهى على نحر الفتاة أحسن ، وما أحسن الموعظة وهى من الفاضل التقى أحسن .
ثم ان الخطيب الدينى ان لم يكن متأثرا متحمسا لما يدعو اليه فلا ابر لخطابته .

قال حسن البصرى لواعظ لم يقع موعظه بموضع من قلبه ، ولم يرق عندها .

« يا هذا ان بقلبك لشرا او بقلبي » (2) .

ولابد أن يكون الخطيب الدينى منقفا نقافة دينية واجتماعية وتاريخية وأدبية ، ليمتلك قلوب السامعين بطلاوة عبارته ، وحلاوة نصوره ، وطرافة معانيه وحدائث موضوعاته .

ثم لابد من اجادة الالقاء . ومما يبشر بالخير ان كثيرا من الخطباء المعاصرين تحلوا من القيود التى انحدرت اليها من عصور الضعف العقلى والادبى ، فجددوا وانشأوا وتمشوا مع الحوادث . وأحسنوا الالقاء . وأنا لانتظر في شوق ولهفة أن يكون خطباء الدين جميعا لسنا مصاقع ، ليطهروا النفوس من الاثرة والشر ولبسهموا في أمزاز الدين واعلاء كلمة الله في عصر بتحلل الناس فيه من الدين وبنسلون ، وهم انما ينفلتون من سعادة الى شقاء ومن هوى الى ضلال ومن شرف الى ضعة ومن حاة الى فناء .

خطبة لعمر بن عبد العزيز

« ايها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ، ولم تتركوا سدى وان لكم معادا بحكم الله فيه بننكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل

(1) اطماء الناقة والقرّة والشاه ، والطفى لذات الخف والطفى كالثدى للمرأة وفي الجمع

اطماء مثل فقل واقفال ، وتقريب معنى فعل هو ثدى ، انظر المصاحح المنير .

(2) البيان والتسنن ، ٨٤/١ .

شيء وحرم الجنة التي عرضها السموات والارض . واعلموا ان الامان غدا لمن
خاف ربه وباع قليلا بكثير وفانيا بيباق ، الا ترون انكم في اسلاب الهالكين
وسيفلحكم من بعدكم الباقون حتى تردوا الى خير الوارثين ؟

ثم اتم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا الى الله ، فد قضي نحبه وبلغ
اجله ، ثم تغيبونه في صدع من الارض ثم تدعونه غير موسد ولا مههد ، قد
خلع الاسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب ، غنيا عما ترك فقيرا الى
ماقدم .

وايم الله اني لاقول لكم هذه المقالة وما اعلم عند احدكم من الذنوب اكثر
مما عندي فاستغفر الله لي ولكم « (١) .

الخطيب الديني

صفات الخطيب :

- ١ - الاستعداد الطبيعي .
- ٢ - سداد الراي .
- ٣ - صدق اللهجة .
- ٤ - طلاقة اللسان .
- ٥ - سعة الثقافة .
- ٦ - معرفة نفسية السامعين .
- ٧ - روعة المنظر وجودة الالتقاء :

(١) الوقفة

(ب) حسن الاشارة

- ٨ - سمو الخلق .

الخطيب الديني داع الى دين الله ، مرشد الى الفضيلة والهدى ، ناصح
باتباع الحق والسداد ومحذر من الوقوع في الرذيلة . وليس كل من صعد
المنابر هز القلوب وابكى العيون وحقق للسامعين الفائدة والهداية . ولذلك
يحتاج الخطيب الى صفات وآداب يجب ان يتحلى بها في نفسه وفي سياسته
السامعين وملاحظة احوالهم .

١ - الاستعداد الطبيعي :

الخطابة فن من فنون القول تحتاج الى موهبة واستعداد ، ويجب ان
يكون الخطيب مفضولاً على حب الخطابة ، والميل اليها ، ولا بد له مع ذلك من
المران والمزاولة حتى يصقل فطرته وينمي مواهبه واستعداده .

قال ابو الحسن الرماني : اصل البلاغة الطبع .

(١) فن الخطابة ، دكتور احمد الحوفي ، ص ١٣٢ ، ط ٣ .

٢ - سداد الراى :

وذلك بدراسه الخطيب للموضوع الذى يحطب فيه دراسة نامة ، فان الراى المحكم لا يكون الا بدراسة عميعة واحاطة نامة واطلاع واسع وعلم غزير وفكر قوي . وليس معنى ذلك انه لا يحطب الا اذا كان محضرا مهينا للكلام ، بل المراد الا يتكلم الا فى موضوع سمعت له دراسته والاحاطة به حتى يكون كلامه مسددا ، سواء اكان يلقي الخطبة بعد نهية ، ام يلقي الكلام ارتجالا من غير سابقة بحضير . فان المرئجل لا يحسن ارتجاله فى كل الاحوال ، بل لا يحسن الا اذا لقي كلاما سمع فيه آراء محكمه ، ولا يم له ذلك الا اذا كانت له سابقة اطلاع على ذلك الموضوع ، او له به علاقة تمكنه من ان يدلى فيه برأى قيم له شأن ، فعلى الخطيب الا يتعرض لحدث ليس له به علم ، حتى لا يشط فيبدي رأيا فطيرا ، والراى الفطير مبتسر لا ينال الحق من كل نواحيه وقد يكون مع الحق على طرفي نقبض ، ومما يساعد على تكوين الراى الناصح بعد الدراسة النامة ، سلامة الفكر من هم قاطع وهم شاغل ، لان من شغل بالهم لا يخلص له رأى ولا فكر . وقد قال الغزالي ان من عارضت فكره شوائب الهموم لا يسلم له رأى ولا يستقيم له خاطر . وكان كسرى اذا دهمه أمر بعث الى مرزبته فاستشارهم فاذا قصروا بالراى ضرب فهارمته وقال « ابطاتم بأرزاquem فأخطاوا فى آرائهم » .

وقال بشر بن المعتمر فى وصاياه للخطيب : « خذ من نفسك ساعة نشاطك ، وفراع بالك ، واجابتها واياك ، فان قليل تلك الساعة اكرم جوهرها ، واشرف حسنا ، واحسن فى الاسماع واحلى فى الصدور واسلم من فاحش الخطأ . واجلب لكل عين من لفظ شريف ومعنى بديع » . فصفاء الدهن وسلامة القلب لهما اثرهما فى احكام الراى واجادة اللفظ .

٣ - صدق اللهجة :

وهو أن يظهر الخطيب مخلصا فيما يدعو اليه ، حريصا على الحقيقة فما يعمل ، فانه ان ظهر كذلك وثق الناس به وصدفوه فيما يدعو اليه ، واحسوا بانه شريف تجب اجابته لشرفه وشرف مايدعو اليه ، ومن أجل أن يكون الاخلاص بادنا يجب أن نكون من حاله مايطابق مقاله ، فلايتجافى فى عمله عن قوله بل نكون أكثر الناس اخدا بقوله .

لا تعجبناك من خطيب فوله حتى نكون مع اللسان أصيلا ان الكلام لفى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا ويقول الحكماء : حال رجل فى الف ابلغ من وعظ الف لرجل .

ان الفدوه العملية والسلوك المستقيم ابلغ فى الموعظة من الاقوال المنمقة ، والحكم الرائعة . وقد كان الانبياء والمرسلون نماذج هادية وأمثلة تحتذى ومتلا علنا فى السلوك والاعمال والاقوال . قال تعالى (فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل) . وقال سبحانه (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) . وقد ذم القرآن تناقض الأقوال مع الأفعال وجعله من أبشع الخصال . قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) .

ويقول القائل :

يا أيها الرجل المعلم غيره
تصف الدواء لدى السمام وذى الضنا
أبدأ بنفسك فانهها عن غيرها
فهناك يسمع ما يقول ويهتدى
لأنه عن خلق وبأى منله

هسلا لنفسك كان ذا المعلم
كيما يصح به وأب مستقيم
فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
بالقول منك وينمخ التعليم
عار عليك اذا فعلت عظيم

٤ - طلافة اللسان :

اللسان أداة الخطب الاولى فلا بد ان تكون الاداة سلمة كاملة لتسنى له استعمالها على أكمل وجه وأتمه .

ولا بد للخطيب ان يكون فصيحاً ، ذرب اللسان ، بلبل الريق ، فديراً على التعبير لان منطقه هو تروته وعدته وهو بمنطقه بقنع وبمنطقه بسميل . وماهر بالمنابر في القديم والحديث ، ولا تزعم الامم وقاد الجماهير ، الا اللسان الفصحاء .

قال بهلة الهندي . . « اول البلاغة اجتماع آلة السلافة وذلك ان يكون الخطيب رابط الجاش ساكن الجوارح متخّر اللفظ ويكون في كلامه البصر في كل طبقة ، ولا يدقق المعاني كل التدقيق ، ولا ينقح الالفاظ كل التنقح ، ويصفيها كل التصفية ويهدبها كل التهذيب ، ولا يفعل ذلك حتى بصادف حكيماً وفيلسوفاً عظيماً » .

٥ - سعة الثقافة :

يجب ان يكون الخطيب ملماً بفسط وافر من المعلومات والثقافة ، دائم الاطلاع على كثير من المعارف والفنون فانه يعرض عقله على الناس .

قيل لعبد الملك بن مروان : عجل اليك الشيب يا أمير المؤمنين . قال كف لا يعجل الي وانا أعرض عقلى على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين ، أو قال : شبنى صعود المنابر والخوف من اللحن .

وليس للخطابة موضوع خاص تبحث عنه بمعزل عن غيره فانها لا تحجم عن النظر في كل العلوم والفنون ، ولا شيء الا ويتناول اليه جيد كلامها ويخضع لسلطان لسانها ومن ثم يجب على خطيب الدين ان يكون ملماً بمعارف نتي من علم الاجتماع الدنى ، والتاريخ العام ، والتاريخ الاسلامى ، وعلم النفس وطرق التهذب والتربة الدينية ومعرفة نفسه الجمهور اطفالاً أو شباباً أو رجالات ، فقراء أو أغنياء ، تحاراً أو موظفين ، حكاماً أو محكومين ، فلكل فئة طرق تناسبها وأساليب تستميلها .

ولا يستغنى الخطيب عن الاطلاع الدائم ، والا تخلف واكدي وفقد تأثيره ، فالروح نار اذا أنت لم تطعمها لتزيد وتقوى تناقصت وخبت . والانسان بالتعلم ومجالسة العلماء ويطول التقليل للكنب بجود لفظه ويحسن أدبه . وهو كما يقول الجاحظ لا يحتاج في الجهل الى اكثر من ترك التعلم ، وفي عدم

البيان الى اكر من برك التخير . ويفول في موضوع آخر «انا اوصك الا بدع التماس البيان والتبيين ، وأن ظننت أن لك فيها طبيعة وانهما يناسبانك بعض المناسبة وبشاكلتك في بعض المسائلة ، و نهمل طبيعتك فسنولى الاهمال على قوه الفريجه ، وسند بها سوء العاده » .

ويحدر من مخالطة غير المتعقب ومن ترك الاطلاع بقوله «ولو جالس الجبال غير المعفين سهرا فعط لم ينق من اوضار كلامهم وخبال معانيمهم بمجالسة أهل السان دهرًا ، لان الفساد أسرع الى الناس وأسد النحاما بالطباع » .

٦ - معرفة نفسية السامعين

هدف الخطيب أن يتغلغل في نفوس سامعيه فحركها كما نشاء معتمدا على اثاره عواطفهم واشعال مشاعرهم .

وسبيله الى ذلك ان يلم بعلم النفس الاجتماعى لعرف روح هذا المجمع، ويقف على طبائع النفوس وعواطفها ، ويعلم ماير هذا المجمع أو يهدئه ، وما يرضبه أو يغضبه ، واى الاساليب ملائم له : أهو أسلوب البسط والادلائب أم أسلوب الاختصار والابجاز ؟ .

والخطيب الناجح من امنزجت بروح السامعين روحه وكان هو وهم كسلكين كهربيين سالب وموجب بلتقيان فيشع منهما ضوء وحرارة .

والسامعون من طبقات سسى وبيئات عده فهم الكبر والصغر ، والمتعلم والامى ، والفقر والغنى ، والخصم والولى . فعليه أن يهدد الطريق الى افناع هذا الجمهور المتباين والى التاثير فيه ، فالعواطف بخنلف حسب الموضوعات من سكينه وهياج ، وطمانينة وخوف ، وكره وحب ، ورضا وسخط . وتختلف فما يثرها ، فعواطف الففبر ثرها مالايشير عواطف الغنى ، وعواطف الشاب بهيجها غير ما بهيج عواطف الشيخ . ثم هى تختلف تباعا لزاج السامعين ومبولهم ، فبعضهم حساس فما يتصل بالوظيفة ، وبعضهم فيما يتصل بالدين أو الفضلة .. وهكذا .

فمنلا الخطاينه ادلة وجدانية تتر الرغبة والاحساس ، وهذه صالحة للتاثير فى العامة فى مجال الوعظ والارشاد واسعال ثورة أو اخمادها .

ومن أمثلة ذلك خطبة الامام على (رضى الله عنه) وقد أثار الضحاك بن قس على الحيرة من قبل معاوية وغنم من اموال أهلها ، فاستصرخ الامام على الناس فنقاعدوا ، فقام فيهم خطبا فوبخهم وقرعهم بأدلة خطابية ، ثم استحثهم على الجهاد لحماية أعراضهم ودينهم ، ثم أقسم لهم انه لن يصدقهم، ولن يرجو نصرتهم . ثم عجب من أن يكونوا رجالا كرجال معاوية . ولكنهم لا يعملون عمل الرجال ، فقال : « أبها الناس المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ، كلامكم بوهى الصم الصلاب ، وفعلكم بطمع فكتم الاعداء . تقولون فى المجالس كسك وكبت ، فاذا جاء القتال قلتكم حدى حباد ، ما عزت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم ، أى دار بعد داركم تمنعون ؟ ومع أى امام بعدى تقاتلون ؟ المنرور والله من غررتموه ، ومن فاز بكم فقد فاز والله

بالسهم الاخيبي . ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناضل . أصبحت والله لا اصدق قولكم ولا اطمع في نصركم ، ولا أوعد العدو بكم ، ما بالكم ، مادواؤكم؟ ما طبكم ؟ القول رجال أمثالكم « (١) .

ثم لا بد للخطيب من دراية بنفسية السامعين ليشوقهم دائما ، حتى لا يملوا فان أحسن منهم فترة أو من حركاتهم مللا ، شوقهم بفكاهة مناسبة أو قصة طريقه ملائمة أو عبارة ملهبة ، فانهم أن ملوا انصرفوا عنه وصار يخطب لنفسه . ولذا قال عبد الله بن مسعود « حدث الناس ما حدجوك بأسماعهم ولحظوك بأبصارهم ، فاذا رأيت منهم فترة فامسك » .

٧ - روعة المنظر وجودة الالتقاء :

لا بد أن يكون الخطيب رائع المنظر ، جيد الالتقاء لان شخصيته ووقفته ، وإشارته وجهارة صوته وحلاوته ، وحسن هندامه ويزته ، وحسن خلقه ، كل هذه أعوان على التأثير والاستمالة . ونحن نقرا خطبا كان لها دوى حين سمعت فلا نحس بها روعة لانها استمدت تأثيرها من الأسباب التي صاحبت اللقاءها ، ولقد يعين على روعة المنظر واجادة الالتقاء عدة عوامل :

(أ) الوقفة :

يقف الخطيب أمام الجمهور ليشرف عليهم وليتطلعوا اليه . ويستطيع أن يقف وقفة تضيء عليه فخامة وعظمة . مع اجتناب بعض العادات المستهجنة كوضع اليد في الخاصرة ، أو كثرة الحركة ، وذلك بان يعتدل في وقفته ويبرز صدره الى الامام ويلزم المهابة والوقار .

(ب) حسن الإشارة :

الإشارة لغة منظورة أو لفظة متحركة مفهومة فاذا اقترنت بالإشارة باللغة في موضعها الملائم أثرت تأثيرا عظيما ، وصوت الخطيب مهما تغير نبراته ونغماته لا يكفي للتعبير عن العواطف كلها . فلا بد من أن تساعد حركات اليد والرأس والمنكبين وملامح الوجه .

(ج) نظرات العينين :

فالعين هي النافذة التي تطل منها على العالم ، ويطل منها علينا ، تشف نظراتها العواطف ، وتكشف عما بداخله النفس .

فمثلا العين المفتوحة تمثل الفيظ أو الخوف أو الإعجاب ، والعين المغلقة تشير الى التواضع أو البغضاء ، والنظر الشرز يترجم عن الاحتقار والاستهانة . والعين المتحركة يمينا وشمالا تنبئ عن الرياء والاشمئزاز ، والعين المنطلقة الى السماء ترمز الى الدعاء ، والنظرة الى الارض تعبر عن

(١) جمهرة خطب العرب ١/٢٣٨ . وحيدى حياض : كلمة يقولها الهارب الفار الى ابعدى ونحى عن أيتها العرب . والسهم الاخيبي : الذي لا يصيب . أفوق ناضل : سهم ناقص خارج

التأثر والخشوع أو الحياء ، والعين المستقرة في نظرها تفصح عن الشدة والثبات والرجاء ، والعين اللامعة ترجمان عن الظفر .

ولا بد أن يراعى الخطيب عدة أمور :

- ١ - أن الاكثار من الاشارة باليد خطل وصرف للسامع عن الانتباه ، فعلى الخطيب أن يقلل منها .
- ٢ - أن يجعلها موافقه للمعنى وسابقة له ، فيشير ثم ينطق .
- ٣ - أن يذكر أن الموضوعات لانتحاج الى افتنان في الالقاء ، فاذا لم يكن انفعاله قويا فليتكلم كما يحسن .

الخطبة الدينية

اجزاء الخطبة :

(ا) المقدمة

(ب) العرض

(ج) الخاتمة

(د) الخطبة الثانية

١ - المقدمة :

المقدمة من الخطبة كالمطلع من القصيدة ، وهى اول ما يطرق الاسماع من الخطبة فيجب ان تكون جذابه جيدة الصياغة والاداء ، متصلة بموضوع الخطبة تخدمه وتمهد له . ويجب ان تشمل على حمد الله والشهادتين والصلاة والسلام على رسول الله ، مع تعظيم الخالق وذكر جلاله ووحدانيته حتى تخشع القلوب وتفتح الاذهان لسماع الموضوع .

٢ - العرض :

يجب أن يعرض الخطيب الموضوع عرضا فنيا فيشرحه ثم يبدي زاي الدين فيه ، ويدلل على ذلك بالحجج والبراهين .

شروط جودة العرض :

- ١ - الوحدة ، وذلك ان تنبع مسائله كلها من ينبوع واحد كأنصاف أقطار الدائرة تتشعب كلها من مركز الدائرة . وقد سبق أن من أسباب ضعف الخطبة الدينية أن الخطبة الواحدة ذات موضوعات شتى .
- ٢ - الترتيب ، فيعرض الخطيب موضوعه متسلسلا يسلم كل جزء الى ما بعده ، وبذلك تعهد الاجزاء كلها الى النتيجة التي يريدتها .

٣ - الوضوح : وهو اساس الخطبة الناجحة ، وكلما كان الخطيب واضح المعنى سهل الأسلوب كلما كان أقرب الى الفهم وادعى الى التانير .

٤ - التدليل بالادلة المنطقية أو الخطابية ، والاستشهاد بالقرآن الكريم والاحاديث النبوية أو بما أُر عن الصحابة أو السلف الصالح .

٣ - الخاتمة :

هي آخر ما يبعث في آذان السامعين وأذهانهم من الخطبة ، وفيها يتجلى نجاح الخطيب في أفناع الجمهور واسمالاته .

انواعها :

للخطيب أن يلخص في خاتمته الافكار والعناصر البارزة من خطبته ، وله أن يستشير السامعين ويلهب مشاعرهم ، وقد بجمع بين الطريقتين . شروط جودتها :

- ١ - أن تكون قوية العبارة لتهمز المشاعر .
- ٢ - أن تكون قصيرة لان قصرها يكسبها روعة .
- ٣ - أن تكون مغايرة في أساليبها لتعبيرات الخطبة .
- ٤ - أن يتبعها بحديث نبوي يؤيد موضوع الخطبة ويؤكد .

خطبة الجمعة الثانية

يجلس الخطيب جلسة قصيرة ثم يقف فيحمد الله ويشنئ عليه وينشده ويصلى على النبي وآله ثم يدعو الناس الى الخير ويوصيهم بتقوى الله وطاعته، أو يشرح معنى من المعاني التي لم تتسع له الخطبة الاولى . ثم يعقب ذلك بالدعاء للمؤمنين والمؤمنات .

وهذه خطبة تقليدية من كتاب غالية المواظ المطبوع بمطبعة السعادة بالقاهرة .

«الحمد لله رب العالمين ، وأشهد ان لا اله الا الله البر الرحيم ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله الصادق الوعد الامين ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد ،

عليكم ايها المسلمون بطاعة ربكم وبر آبائكم وأمهااتكم والتزود لمعادكم ، فكانى بك ياغافل وعمرى قد انقرض وهجم عليك المرض وغاب كل مراد وغرض، واذا بالتلف قد عرض أخاذا ، لقد كنت فى غفلة من هذا .

شخص البصر وسكن الصوت ، ولم يمكن التدارك للفوت ، ونزل بك ملك الموت وحاذا لقد كنت فى غفلة من هذا ، ثم ادرجوك فى الكفن وحملوك الى بيت العفن على العيب والفييح والافن ، واذا الحبيب من التراب قد حفن وصرت فى القبر جاداذا . . لقد كنت فى غفلة من هذا . وتسريت عنك الاقارب تسرى،

في مالك تفرى وتمرى ، وغاية امرهم ان تجرى دموعهم رذاذا . . لقد كنت في غفلة من هذا . قفلوا الاقمال ، وبضعوا البضاعة ، ونسواذكرك يا حبيبهم بعد ساعة ، وبقيت هناك الى يوم الساعة لانجد زادا ولا معاذا . . لقد كنت في غفلة من هذا .

وبعيت هناك الى ان قمت من قبرك حسيرا ، لائملك من المال نقيرا واصبحت بالذنوب عفيرا ، فلو قدمت من الخير حقيرا صارا ملجا وملاذا . . لقد كنت في غفلة من هذا .

ونصب الصراط والميزان ، وبغيرت الوجوه والالوان ، ونودى شقى فلان وسعد فلان ، وما نرى للعذر نفاذا . . لقد كنت في غفلة من هذا .

اللهم يامصلح الصالحين اصلح فساد قلوبنا ، واستر في الدنيا والآخرة عيوبنا واغفر بعفوك ورحمك ذنوبنا ، وامح عنا زللا وانما .

اللهم اشف مرضانا . اللهم ارحم موتانا . اللهم ارزقنا علما نافعا وقلبا خاشعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء .

اللهم اختم لنا بالايمان والاسلام يارب العالمين .

ويمكن للخطيب ان يسوق بعض النصوص او الاحاديث التي ترقق القلوب ، ونجدها في البخارى تحت عنوان كتاب الرقاق ، او كتاب الادب . ونجدها في صحيح مسلم ، وفي مسند الامام احمد ، وفي غيرها من كتاب السنن ، وكتب الاحاديث القدسية ، وقد طبع المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة كتابا جامعا للاحاديث القدسية .

نماذج من الاحاديث القدسية :

روى البخارى عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الله قال : من عادى لى ولما فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبدى بشيء احب الى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وان سألنى لاعطينه ، ولئن استعادنى لاغيثنه ، وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وانا اكره مساعته » .

وروى مسلم في صحيحه عن ابي ذر الغفارى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيما يرويه عن ربه عز وجل انه قال : «يا عبادى اتى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا . يا عبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى اهدكم . يا عبادى كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعمونى اطعمكم يا عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى اكسكم . يا عبادى انكم تخطئون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى افقر لكم . يا عبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتتفعمونى ، يا عبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا ، يا عبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر

قلب رجل واحد مانقص ذلك من ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته مانقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخطط إذا ادخل البحر ، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم أياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » .

نموذج من النظم الدينى

والكون مشحون بأسرار اذا قل للطبيب بخطفته يد الردى قل للسليم يموت لا من عله قل للمريض نجما وعوفى بعدما قل للبصير وكان يجدر حصره بل سائل الأعمى يمر في وسط الزحاح قل للجنين يعيش معزولا بلا واسأل بطون النحل كيف تقاطرت الله في كل الحقائق مائل	حاولت تفسيرها لها اعيانا يا شافي الامراض من ارداكا من بالمنيا ياسليم دهاكا عجزت فنون الطب من عافاكا ؟ فهوى بها من ذا الذى ارداكا م بلا اصطدام من ذا بقود خطاكا راع ولا مرعى من ذا الذى يرعانا شهدا وقل للشهد من حلاكا ان كم تكن لتراه فهو يراكا
---	---

امل ورجاء

مجتمعنا مجتمع متدين للدين فيه منزلة وكلمة مسموعة ، وخطبة الجمعة زاد اسبوعى يقدم لجمهور المسلمين ، ونأمل أن تكون الخطبة زادا روحيا ووسيلة فعالة لبناء الامة والنهوض بها والدعوة الى التعاون والتكافل والتحذير من الرذائل وتصحيح القيم والمفاهيم ، وتوضيح اصول الشريعة الاسلامية .

الاقتصاد في التبريع والتحذير :

الاسس التربوية نرى أن يتم بناء الايمان بالله عن طريق المحبة والمودة وعرض نعم الله والآله حتى ينشأ النشء سعيدا بايمانه سعيد اليقين بربه ودينه وجبدا لو كانت العبادة لله أساسها الحب والرغبة وقوة الثقة والايمان بالله .

« وقد درج بعض الخطباء على تحذير الناس من الشر وتذكيرهم بالموت وتكرير نغمة رهيبة عن فساد المجتمع وما أصاب النساء من الخلاعة وما منى به الشباب من الاستهتار ، وهذا كلام للاستهلاك المحلى ، لا يفيد إلا اليأس والاسف . ولانما من التعرض له تعرضا يسيرا بقصد التوجيه والافادة ، ولكننا نمانع تكرير الخطب في أمور سلبية كالاسف على فساد الزمان أو التخويف من الموت والبلى . وفناء الدنيا وهجوم الموت على الانسان ، نريد أن تكون الخطبة أسلوبا للبناء وطريقا لحياء العادات السليمة والمنهج القرآنى الحكيم ، الذى أمد الرجال ومنحهم العزيمة والثقة والايمان والثبات ، ورسم الطريق للأسرة المؤمنة ولتكافل المجتمع ، وتواصى الناس بالخير والصبر ، ودفع المؤمنين الى الجهاد والنضال وبناء صرح الاسلام عاليا حتى يكون المسلمون خير أمة أخرجت للناس » (١) .

(١) د. عبد الله شحاته ، أركان الاسلام ، ص ١٤٣ .

قال النووي : يستحب كون الخطبة فصيحة بليغة مرتبة مبينة من غير تمطيط ولا تقصير، ولا تكون الفاظا مبتدلة ملفقة لأنها لاتقع في النفوس موقفا كاملا ، ولا تكون الفاظها وحشية لأنها لا يحصل مقصودها ، بل يختار الفاظا جزلة مفهمة .

وقال ابن القيم :

« وكذلك كانت خطبه صلى الله عليه وسلم إنما هي تفرير لاصول الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه ، وذكر الجنة والنار وما أعد الله لاوليائه وأهل طاعته وما أعد لأعدائه وأهل معصيته فيملا القلوب من خطبه ايمانا ونوحيدا ومعرفة بالله وإيامه ، لا كخطب غيره التي نفيد أمورا مشتركة بين الخلائق وهي النوح على الحياة والتخويف بالموت ، فان هذا أمر لا يحصل في القلب ايمانا بالله ولا توحيدا له ولا معرفة خاصة ولا نذكيرا بإيامه ولا بعثا للنفوس على محبته والشوق الى لقائه ، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون وتقسّم أموالهم ويبلى التراب أجسامهم ، فياليت شعري أى ايمان حصل بهذا وأى توحيد وعلم نافع يحصل به ؟ ومن تأمل خطب النبي صلى الله عليه وسلم وخطب أصحابه وجدها كفيلا ببيان الهدى والتوحيد وذكر صفات الرب جل جلاله وأصول الايمان الكلية والدعوة الى الله وذكر آلائه تعالى التي تحببه الى خلقه وإيامه التي تخوفهم من بأسه والأمر بذكره وشكره الذى يحبهم اليه ، فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه الى خلقه ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحببهم اليه فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم ، ثم طال العهد وخفى نور النبوة وصارت الشرائع والأوامر رسوما تقوم من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به ، فجعلوا الرسوم والأوضاع سننا لا ينبغى الاخلال بها وأخلوا بالمقاصد التي لا ينبغى الاخلال بها فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر وعلم البديع ، فنقص ، بل عدم حظ القلوب منها وفات المقصود بها .

الإعلام الدينى

ارسل الله الرسل لهداية البشرية وانزل عليهم الكتب والصحف وامرهم ان يبلغوا الرسالة للناس . قال تعالى (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) .
وقد بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم رسالة ربه بالكلمة والحديث العادى والخطبة والكتاب وكل ما اتيح له من وسائل الاعلام فى عهده .

وفى عصرنا الحاضر تطورت وسائل الاعلام وتعددت ، وبعد ان كانت الكلمة والخطبة تمثل ٨٠٪ من وسائل الاعلام ، أصبحت لانتمثل الا ٢٠٪ ، وجدت وسائل كثيرة للاعلام مثل الاذاعة والتليفزيون والسبنا والمسرح والمجلة والكتاب والصحيفة والانايبد والتمثليات والملصقات والمنشورات وغيرها . وعلى الدعوة الى الله ان يستغلوا جميع الوسائل المتاحة لنشر الدعوة وان يستخدموا سلاح العصر واساوبه . فالله تعالى يقول (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) والعلماء يقولون : ان القوة تكون فى كل عصر بما يناسبه . ولا بد ان يكون سلاح المؤمن ارقى سلاح ممكن لاجراز النصر لان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب .

وكذلك اسلوب الدعوة وادائها ، لا بد ان نسنغل ما يتاح لنا من الاذاعة والتليفزيون والصحافة والمجلات وغيرها وان نعرض الاسلام بلغة العصر حتى تؤدى فريضة الله ، فقد اخذ الله الميثاق على العلماء (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) .

واسلوب الدعوة يكون فى كل عصر بما يناسبه حتى تقوم الحججة لله على عباده ويتحقق ابلاغ الناس دين الله بطريقة تحرك فبهم دواعى الاقتناع والقبول . قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) .
وقد ادت وسائل الاعلام دورا بارزا فى العصر الحديث ، ونريد ان نقدم للدعوة الى الله رسالة علمية ، فيها خبرة عملية وتجربة مفيدة عن تقديم البرامج الدينية وعن خطبة الجمعة والحديث الدينى بالتلفزيون والاذاعة .

١ - خطبة الجمعة بالتليفزيون

من حوالى سنة ١٩٦٣ م والتليفزيون العربى بالقاهرة يؤدى شعائر خطبة الجمعة وصلاتها من مسجد التليفزيون . حيث نقرأ القرآن أحد مشاهير

القراء . نم يؤدي خطبة الجمعة وصلاتها احد العلماء المختارين ، وخطبة الجمعة مقصورة على عدد معين من العلماء اذ تتطلب حسن المظهر وجودة الالتقاء وسهولة عبارته وحضور البديهة وانطلاق اللسان والاحاطة بعلوم الشريعة وشئون الحياة . وبذاع خطبة الجمعة على الهواء مباشرة من مسجد التلفزيون، ولذلك اثره في ارتباط المشاهدين بالخطيب ومتابعتهم له وصدق تجاوبهم معه .

ويستدعى ذلك ان يكون الخطيب محل ثقة وكفاءة عالية . ولاختلف خطبة الجمعة بمسجد التلفزيون عنها في اى مكان آخر ، ولكن المستوى والموضوع والاسلوب وطريقه معالجة الموضوع يخلف ، ذلك ان خطيب التلفزيون يخاطب جماهير متعددة واصنافا مختلفة ونسافات متنوعة ، وذلك كله يستدعى ان يكون حديثه سهلا ميسرا مسترسلا متناسبا مع جميع الفئات . واغلب من يستمع لخطبة الجمعة بالتلفزيون من النساء والاطفال والشيوخ الكبار والاجانب والمتخلفين عن أداء فريضة الجمعة ، حيث ان جموع الشباب والرجال تتجه الى المساجد يوم الجمعة لاداء هذه الفريضة . وفي العادة يختار لخطبة الجمعة موضوعا عاما . مثل الوحدة الاسلامية الاخوة بين المسلمين ، السلام في الاسلام ، الانسان في القرآن ، حكمة العبادات من هدى القرآن ، اخلاق الاسلام ، المرأة في الاسلام ، الدعاء ، الاسرة في الاسلام ، حقوق الابناء والاباء في الاسلام .

ويلاحظ ان عددا من الاجانب والسياسيين والدبلوماسيين وغيرهم ربما شاهدوا الخطبة ولذلك ينبغي تخير اللفظ والاسلوب والعبارة .

وخطبة الجمعة في التلفزيون مقيدة بزمن معين قرابة ثلث ساعة . ولذلك ينبغي للخطيب ان يركز ذهنه وان يحصر الموضوع ويرتب الخطوات وان يكون حكيما لبقا حسن التامر .

وتستغرق الخطبة الاولى حوالى ربع ساعة يتبعها جلسة بين الخطيبين، ثم الخطبة الثانية ويعقبها الدعاء للمسلمين والمسلمات ، وتستغرق حوالى خمس دقائق .

ويعقب ذلك صلاة الجمعة ، وعادة يكون الامام حسن القراءة ، يقرأ القرآن في خشوع وترتيل حتى يستانس به المشاهدون ، ويهتدون بما يسمعون .

وفي ايام حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ خطب اول جمعة في الحرب بمسجد التلفزيون فتركت الخطبة اثرا حميدا في نفوس الجنود والضباط ، وبلغ ذلك المسئولون فامرؤا بان يبقى الدكتور عبد الله شحاته يخطب الجمعة بالتلفزيون فترة حرب اكتوبر وانضمت الاذاعة الى مسجد التلفزيون في هذه الفترة ، وكانت الخطب تتجاوب مع الجهاد واحكامه ويطولانه وحقوق الانسان في تحرير ارضه ومواقف اليهود في الماضى والحاضر ، وفي نهاية الخطبة الثانية كان الدعاء يصعد الى السماء مع الايدى المرفوعة والقلوب الضارعة والنفوس المتضرعة الى الله راجية منه النصر والتوفيق . (وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) الانفال/ ١٠ . .

٢ - الاحاديث الدينية بالتليفزيون

التليفزيون وسيلة هامة من وسائل الاعلام ، يستمعها الكثير من المواطنين ، وتصل الى الناس في منازلهم وبها تأثير على المشاهدين .

وللاحاديث الدينية جانب من برامج التليفزيون العربى بالقاهرة ، فنرى من البرامج الدينية برنامج نور على نور ، فى نور القرآن ، اقوال الرسول ، من هدى النبوة ، هدى الله ، ندوة العلماء ، الدين والحياة . .

وبعض هذه البرامج تقليدى يفسر آية او يشرح حديثا ، وبعضها متطور يعرض شئون العلم والاختراع ويبين آثار قدرة الله فى هذا الكون . او يشرح أسرار الشريعة الاسلامية وقنونها او يوضح احكام الدين ويربطها بالحياة ، او يعرض مشكلة او رسالة من الحياة ويحل المشكلة او يجيب على السؤال .

ومن أقدم البرامج الدينية برنامج « نور على نور » ، وهو يعتمد على استضافة بعض العلماء المتبحرين فى الدين ويطرح قضية او موضوعا امامهم ويحدد جواب الموضوع ويدعو احد المتحدثين ليتحدث فى جانب منه ، ثم يدعو المتحدث الثانى ، وربما تحدث الاول او اشترك فى مناقشة مع زميله او مع احد السائلين فى استديوهات التليفزيون .

ويدير الندوة الاستاذ احمد فراج ، وله قدرة ممتازة فى تحضير الموضوع والاحاطة بمراجعته ، وتحديد النقاط لكل متحدث ، وتحضير الاسئلة وتوزيعها على السائلين . .

ومن البرامج النى تلحقه «ندوة العلماء» حيث يختار احد اساطين العلم ليعرض افكاره وتجاربه وكتبه ، وتصوراته لامور معينة من الدين والحياة .

وهناك برامج : « اقوال الرسول » و « من هدى النبوة » ، ويعتمد على اختيار احاديث دينية من كتب السنة ثم شرحها والتعليق عليها باسلوب عصرى مناسب يساهم فى نهضة الامة ، وتقويم المعوج وتهذيب السلوك ، وبيان احكام الشريعة .

ومن البرامج الدينية برنامج «فى نور القرآن» وهو يعتمد على تفسير القرآن الكريم تفسيرا موضوعيا . فيتناول موضوع الصلاة فى القرآن ويجمع آيات الصلاة ويوزعها على عدد من العلماء ، مثل : خشوع الصلاة ، فضل الصلاة ، اوقات الصلاة . . الخ . ومثل الزكاة فى القرآن ، او الدعاء فى القرآن او الاسرة فى القرآن .

ويقدم المتحدث تفسيرا للآيات يعتمد على عرض الافكار العامة للآيات ، وبيان المقاصد الرئيسية لها والتركيز على عنوان الحلقة .

وقد قدم البرنامج الكثير من الحلقات وأسهم فى تفسير آيات القرآن وفى تقديم تفسير عصرى سهل ميسر ، وفى تيسير قراءة القرآن وفهمه .

ومن البرامج الدينية «هدى الله» ، وهو يعتمد على عرض موضوعات عامة مثل تحريم الخمر أو لباس المرأة وزينتها ، ويستضيف بعض الاساتذة أو المختصين ويوجه اليهم بعض الاسئلة .

وتباع نسخ مختارة من البرامج الدينية في البلاد العربية والاسلامية وتلقى نجاحا واقبالا لأن الدين من أهم العوامل في هداية البشر وتقويم السلوك وتصحيح مسار الحياه ولأن للدين تأثيرا كبيرا في نفوس الناس في هذه المنطقة، فهي أرض الديانات والكتب الالهية والرسالات السماوية .

تحضير الحديث الدينى للتليفزيون

الوقت محدود امام المتحدث ، وهو جالس امام الكاميرات والتصوير ، وفي العادة يسجل التليفزيون الحديث قبل اذاعته ، وأحيانا يتوجه الحديث على الهواء مباشرة .

ومدة الحديث محدودة ، فهي بضع دقائق في العادة ، وأحيانا عشر أو خمس عشرة دقيقة ، ولذلك لا بد من بهنئ الحديث في الذهن ، وتحضير نقاط الموضوع ومراعاة أن يكون التمهيد قصيرا ومناسبا ، ويتبع ذلك حسن التخلص والوصول الى الموضوع ، ومعالجة الموضوع في نقاط مركزة لتغطية جوانبه وتقديم التصور العام له . ومناقشة الافكار والمعارضة له في سهولة ويسر .

ويلاحظ المتحدث انه ليس في قاعة بحث ، ولا في مركز اكاديمي جامعي . انه يتحدث في جامعة شعبية هي جامعة التليفزيون ، ويستنمى ذلك سهولة العبارة وسلامة الحديث وعرض الجوانب الاساسية للموضوع ، والبعد عن الخلافات والاقوال المتعددة التي تشوش فكر الانسان العادى .

ويكفى أن يذكر افوى الآراء ، وان تعرض للذكر أكثر من رأى فينبغى أن يكون ذلك في حيز محدود .

وعلى المتحدث أن يكون هادئا رزيناً متمكنا من الموضوع مهتما بالامور الكبرى تاركا للتفريعات والجزئيات ، وأن يحضر بعض الامثلة أو القصص أو الاحاديث التي يستشهد بها ، ولا يلزم أن يقدم للناس كل محاضره ، بل يختار أحسنه ويترك الباقي غير آسف على ذلك حتى لا يخرج عن الوقت المحدد للبرنامج .

٣ - الحديث الدينى بالاذاعة

تقدم اذاعة القاهرة احاديث الصباح الدينية من البرنامج العام ، وتقدم فقرة دينية في برنامج ربات البيوت تداغ يوم الأحد والأربعاء . وتقدم الاذاعات الاخرى فقرات دينية في اوقات مختلفة ، فيقدم صوت العرب (في نور التلاوة)، وتقدم اذاعة الشعب فقرة دينية كل مساء فيها القرآن الكريم والحديث الدينى ، ويتكرر ذلك في ركن السودان والبرامج الموجهة التي تنطق باللغة الاجنبية ، فضلا عن اذاعة القرآن الكريم الى تقدم القرآن والتفسير والاحاديث الدينية .

تحضير الحديث الدينى للاذاعة

الاذاعة أصعب من التليفزيون ، لانك في التليفزيون نعرض فكرك على الناس ، ساعدك في ذلك قسماات وجهك وإشارة بدك ، وصورتك وحركتك

وطريقة عرضك للموضوع . اما الاذاعة فالصوت وحده هو الذي يصلك بالجمهور ولذلك ينبغي أن يكون الصوت معبرا ، وأن يقوم الصوت بجميع وسائل الايضاح . وفي الاذاعة نجد العرصه ميسرة لتحضير الموضوع وتنظيمه وينبغي أن نحرض هنا أيضا على سهولة العبارة وقصر الفواصل وتحاشي الكلمات الصعبة في النطق واستبدالها بكلمات أيسر وأسهل ، وفي اللغة العربية من المترادفات في الالفاظ الكثير .

والتحدث يكون بصيرا بنفسه ، خبيرا بالكلمات السهلة عليه في النطق والكلمات والحروف الصعبة .

وكمثال لذلك كان نطفي لحرف السين رديئا في بعض الكلمات ، فكنت استبدالها بغيرها ، وقد تفاجأ أثناء تسجيل الحديث أمام المذيع بخطأ لفظي أو اعرابي فتصحح الخطأ ، وبمكنتك أن توقف التسجيل إذا كنت سجلت خطأ ، أو تعاود استماع الحديث إذا كنت تشك في صحة ماذعته ثم نصوب الخطأ ، أو تسجل ما هو أولى وأوفق ، أو ما هو بعيد من الخلاف والشك . وإذا كانت الاذاعة على الهواء مباشرة فلا مجال لذلك .

وأفضل الاحاديث ما كان بعيدا عن التكلف ، معبرا عما يعتقد الانسان ، محققا للصدق والواقع ، متجاوبا فيه الانسان مع نفسه ومجتمعه .

ونلاحظ ان الخطيب أمام الجماهير ربما احتاج الى الشجاعة والحماسة والتدفق ، ولكن المتحدث بالاذاعة ليس خطيبا ، انه يأخذ من الخطيب ، ومن المتحدث ، ومن المدرس ، ومن الممثل ، ومن المذيع ومن غسيرهم بعض الصفات .

فهو أهدأ من الخطيب ، وهو أكثر حماسا من المتحدث العادي ، وهو ممثل غير محترف يجسد الحقيقة ويبرز المعنى ويجعل الصوت يعبر عن الحزن أو الفرح ، وعن علامات الاستفهام ، وأدوات التعجب والتأثر .

فالمذيع أو المتحدث في الاذاعة نمط فريد ، يجنح الى الهدوء وحسن الالقاء ومخاطبة الناس جميعا في بيوتهم وفي أماكن راحتهم ، وهذا يدعوهم أن يكون هو نفسه مستريحا ومريحا ، وأن يكون حلو الحديث هادئ النفس صادق اللهجة واضح التعبير متمتعا بالموهبة وحسن الصوت ، متمرسا بالتمرين وحسن الاداء حتى يصل الى هدفه بأفضل السبل وأنجح الوسائل، قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) . وقال سبحانه (وقولوا للناس حسنا) .

وقال صلى الله عليه وسلم « ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة » . وكان صلى الله عليه وسلم أصدق الناس لهجة وأفصح الناس حديثا ، ولم يكن يسرد الحديث سردا سريعا ، وإنما كان يلقيه بهدوء حتى يفهم عنه ، وكان الانسان يستطيع أن بعد حديثه حرفا حرفا . وكان عليه الصلاة والسلام يختار الوقت المناسب للنصحة ، ويتحدث مع أصحابه في شؤونهم الدنيوية والدنيوية . بقول أحد الصحابة : « كان صلى الله عليه وسلم يتخوننا بالموعظة مخافة السامة علينا والملل » .

قال في المصباح المنير : (تخونت الشيء) تنقصته .

والمقصود ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يطيل الموعظة او النصيحة،
فخير الكلام ما قل ودل .
وافضل المتحدثين من ينتهي حديثه والجمهور متعطف الى سماع المزيد
منه ، فكثرة الكلام تنسى بعضه .

مراجعة الحديث

ينبغي مراجعة الحديث بعد اعداده ، وتنظيم فقراته ، وتشكيل كلماته
الصعبة ، وتكرير قراءته حتى يصبح سهلا ذلولا .
كما ينبغي التثبت من الآيات القرآنية ومراجعتها في الوصف ومعرفة
رقم الآية والسورة زيادة في التثبت ، لان المتحدث يخاطب الآلاف والملايين ،
والخطأ في الاذاعة يشيع ومنتشر .
وعليه ان يراجع الاحاديث النبوية وان يتأكد من درجتها وصحتها
ويسجل ذلك بايجاز ، حتى يكون الحديث وثيقا سليما .
وعليه ان يتأكد من صحة النصوص التي ينقلها ، وسلامة المصدر الذي
ينقل عنه .
وبعبارة موجزة ان المتحدث يعرض عقله على الناس ، فعليه بحسن التخير
وتزيين حديثه بالفكرة المناسبة والخبر الطريف ، والشاهد المختار ، وأن
يقصد بعمله وجه الله ونفع العباد . وقال تعالى (ومن احسن قولا ممن دعا
الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) .

البحث والمقال

- الداعية محتاج الى الناس ليبلغهم دعونه ، ويلتمس سعادته في الدنيا والآخرة بنشر الهدى وشرح احكام الاسلام .
- ومن شان الداعية ان يسلك جميع السبل في سبيل الوصول الى الهداية والاقناع .
- ومن ذلك كتابة البحث والمقالة والقصة والنشيد والتمثيلية وغيرها .
- والبحث موضوع يتعمق فيه الباحث فيحيط بمراجعته ويقرا ماكتب فيه قديما وحديثا . ثم يبدأ في الكتابة ومما يجعل البحث غنيا وثرانيا مراعاة قواعد البحث العلمي ، ومنها :
- ١ - كثرة المصادر والمراجع وحسن الاستفادة منها .
 - ٢ - مراجعة قوائم دور النشر وفهارس المكتبات العامة ، وتدوين مايهمه منها .
 - ٣ - جمع المادة العلمية ووضع الخطوط الكبرى للبحث في ضوء ماجمع الباحث من معلومات .
 - ٤ - قراءة البحث واخراجه في ثوبه الجديد .
- ويحسن بالباحث ان يسير الى المراجع والمصادر ، وأن يلاحظ علامات الترقيم ، وأن يحسن استعمالها في مواضعها ، وأن يعتنى بأسلوبه فيؤدي مايريد في قوالب جذابة وعبارة واضحة .

والمقال بحث ميسر يتناول موضوعا من موضوعات الساعة يشغل الاذهان او مشكلة من المشاكل ، او أصلا من أصول الدين ، وينبغي أن تكون صفحاته مناسبة للمجلة او الجريدة التي سينشر منها وقد يكون بحث من صفحة واحدة ينشر في جريدة سيارة أوسع انتشارا وأكبر نفعا من بحث كبير .

ان العاقل ينبغي أن يكون بصيرا بزمانه ،

فان وجد السبيل الى الكتابة في صفحة دينية في الأهرام او الاخبار او الجمهورية او غيرها . فعليه مراعاة مقتضى الحال واختصار المقال الى صفحة

أو بعض صفحة ويلجأ عندئذ للوضوح والتركيز وتجنب التشعب والبعد عن الخلافات .

فان كان المقال في مجلة شهرية مثلا ، فان عدد صفحاته بنراوح من خمس صفحات الى سبع صفحات وربما زاد على ذلك .

والمقال الذي ينشر في مجلة دينية غير المقال الذي ينشر في مجلة ثقافية او علمية أو أدبية .

فالبلاغه مراعاة مضمي الحال ونجاس المقال مع المجلة .

والمقال العادي بضع صفحات يتناول موضوعا معيناً .

ولابأس ان يرجع الكاتب الى مراجع اذا كان الموضوع مطروقا من قبل واحيانا يكتب الباحث خبرته ، ويسجل معاناته الخاصة فيكون مرجعه الوحيد هو الذاكرة وماسبق أن شاهده خلال تجاربه ، وقد مكثت قرابة خمسة عشر عاما أحدث في التلفزيون والاذاعة وأخطب الجمعة بمسجد التلفزيون ، ثم كتبت هذه التجارب من الذاكرة وأكملت بها موضوع الخطابة الدينية ، فقد أستولى التلفزيون على منصة الخطابة وأحاديث المحافل وقلت رغبة الافراد والجماعات في حضور الندوات العلمية والأدبية والاجتماعية لاسباب متعددة من بينها قيام التلفزيون والاذاعة بمخاطبة الناس في بيوتها وأماكن راحتها .

وسيظل اللقاء المباشر له أهميته ودرجته العالية ، بشرط أن يدخل ميدان المنافسة مع التلفزيون ، ويقدم الخصائص والموضوعات التي لم يقدمها التلفزيون ، ويتيح الفرصة للندوات والمناقشات والاستفسارات . .

نماذج من البحوث

وبين يديك نماذج من البحوث عن العقيدة ، وعن نظام الاسرة . . وعن السلام في الاسلام .

العقيدة والإيمان بالله

- ١ - المفيدة والإيمان بالله
- ٢ - نظام الأسرة في الإسلام
- ٣ - الإيمان سبيل السلام للفرد والمجتمع

أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم على حين فتره من الرسل يدعو الى توحيد الله وينهى عن عبادة الاوثان والاصنام وأنزل الله عليه كتابا مبينا يلفت نظر الانسان الى قدرة الله وجلاله وعظمته ، فيقول في أول آية منه **أقرا باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم** .

واستمرت آيات القرآن الكريم تدعو الى توحيد الله وتقديم الأدلة المتعددة على وجوده وتبين ان الناس جميعا متساوون امام الله مهما اختلفت الوانهم أو أصولهم أو مراكزهم وانما يتفاضلون عنده بالتقوى ويدركون ثوابه بالعمل الصالح .

ونوالت حملات القرآن على عبادة الأوثان والاصنام فبينت انها لاتنفع ولا تضر ولا تسمع ولا يجيب ولا تملك لنفسها ولا لغيرها نفعا ولا ضرا ، وعلى ذلك فهي لاتخلق ، ولا توجد ، ولا ترفع سماء ولا تبسط أرضا ولا تدبر كونا ولا يصح أن تعبد .

وقد حكى القرآن قصة ابراهيم مع قومه حين حذرهم من عبادة الأوثان ثم حطم الأصنام بيده وقال : **(افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ، اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون (١))** .

ضلال الوثنية

كانت الوثنية وباء أصاب المجتمع الجاهلى فأصبح نهبا رهيبا للاوهام والخرافات وأفسحت الطريق امام طوائف من المستغلين جعلوا أنفسهم كهانا وأخبارا وسحرة وعلماء كما كانت الوثنية عقبة امام وحدة الامة السياسية ، وعقبة فى سبيل استخدام العقل ، والتفكير الحر .

(١) الأبياء ٦٦ ، ٦٧ .

وفد أحسن مولاي محمد على في وصف حالة وثنية العرب في كتابه عن محمد رسول الله اذ قال (وكانوا منكيين على الوثنية يسودهم اعتماد أن العلى العظيم قد عهد الى نهر من الآلهه والآلهات ، والأصنام المسيطرة على العالم ، فكانت العرب تولى وجهها شطر الاصنام ، بتهل وتترعرع في طلب رضوانها وشفاعتها . في كل مايقومون عليه من الامور وهكذا كان اعتقادهم خاويا ، فارغا لايبدو له أثر في شئوهم اليومية ، ولم يكتفوا بالاصنام ، بل كانوا يعتقدون أن الهواء والشمس والقمر والكواكب تتصرف في أمورهم ومستقبل حياتهم ، وعبدها بهذه الصفة وقد هووا الى الحضيض في عبادتهم ، فعبدوا قطع الاحجار والاشجار ، وبلال الرمال ، وكانوا يخرون ساجدين امام اية قطعة جميلة من الحجر يصادفونها في طريقهم .. وكانوا ينظرون الى الملائكة كأنهم (بنات) .. وفوق ال ٣٦٠ صنما التي كانت مقامة بالكعبة فقد كان في كل منزل صنم خاص وباختصار غدت الوثنية طبعاً ثابتاً فيهم وأثرت في حياتهم اليومية ، ومختلف نواحيها) (١) .

هداية الاسلام

استطاع الاسلام ان يقتلع جذور هذه الوثنية ، وأن يقيم على اشلائها صرح التوحيد ، وقواعد الايمان ومكث القرآن في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو الى الايمان بالله وقيم الأدلة على وجوده ويناقش مزاعم المشركين ويحكى قصص الرسل والانبياء مع قومهم ويبين أن الدعوة الى توحيد الله كانت أساس كل رسالة والقاعدة في دعوة الانبياء جميعاً وفي سورة هود نجد السورة تحكى قصة نوح مع قومه وهود وصالح وشعيب وابراهيم ولوط وموسى مع قومهم وتذكر أن كل نبي من هؤلاء كان يبدأ عمله بدعوة قومه الى التوحيد فيقول (يا قوم اعبدوا الله مالكم من آله غيره) (٢) .

فالتوحيد في الاسلام ، هو حجر الزاوية في بنائه بل هو جوهره النقي الصافي ومعينه الاصيل الرائق ، (فالله في الاسلام واحد لايتجزأ ولايتعدد ، ولايتخذ صوراً ، ولايتمثل في مخلوقاته ، لاتدرکه العقول ، ولاتحيط به الافهام ، هو الخالق والبارئ ، والمصور ، وهو الاول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو الحى القيوم العلى القدير السميع العليم البصير ، يبدىء الخلق ويعيده ، فعال لما يريد ، وهو الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، ثم ليس كمثله شيء ...)

وهو ابدى ازلى لايعتربه قصور ولا عجز ، ولايعرض له فناء ولا موت) (٣)

وقد سأل كفار مكة النبي عن ربه ماشكله ومالونه وما نسبه ؟

... فأنزل الله عليه سورة جمعت أساس التوحيد وهي :

(قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد)

(١) محمد رسول الله لمولاي محمد على - ترجمة مصطفى فهمي . نشر لجنة الجامعيين ١٦

(٢) سورة هود الآية ٥٠ وتكرر ذلك في الآية ٦١ ، ٨٤ .

(٣) فتحي رضوان من فلسفة التشريع الاسلامي ص ٩٣ .

فهو واحد في ذاته وفي صفاته ، وفي أفعاله ، وهو متفرد في خلق الكون والقيام عليه وتدبير نظامه المحكم بقوانين ماثلة في جميع الأشياء .

وهو الصمد المقصود في الحوائج فهو الملاذ وهو الملجأ وهو المستعان وهو المستغنى عن كل أحد والمحتاج اليه كل أحد .

وهو المنزه عن النظير والمثيل فلم يتخذ زوجة ولا ولدا ، وليس له والد يدمى ولا قريب يرجى ، لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير (١) .

أدلة الايمان بالله

من الفطرة والعقل والتاريخ (٢)

(١) الفطرة

في فطرة الانسان نزعة طبيعية الى التدين والايمان ، فقد خلق الله في الانسان العقل والفكر وميزد بهذا العقل على جميع الموجودات وبهذا العقل يدرك الانسان جمال هذا الكون وجلال هذه الصنعة الرائعة ، ويدرك ان وراء هذا الجمال والجلال قدرة ماهرة وعظمة باهرة .

(الست اذا وقعت امام امر فنى بارع فعلاً صدرك ، واستبد باعجابك ، تجد في نفسك باعثاً قويا للتعبير لصاحب هذا الاثر عن شعور الاكبار لصنعتة ، والاعتراف بعظمتته ، كان هذا دين في عنقك تؤديه ، لاتنفي منه جزء ، ولا تنقضي به وطراً ، غير الترجمة عن صدق شعورك وتقديرك لهذه الآية القيمة ؟ فما ظنك بأعظم الاثار وابهرها ؟ الا يستحسك على التوجه لصانعه بهذا التعظيم البليغ ، تسبيحا بحمده ، وتقديسا لجلاله بغير فرض ولا عوض ؟ فاذا شعرت بانك أنت نفسك جزء من هذا الاثر العظيم ، وانك مدين بوجودك وفهمك وقوتك لهذا الصانع الذي خلقك وصورك ، وشق سمعك وبصرك ومنحك العقل والبيان ، ومكنك من الانتفاع بما في السماء والارض ، الست تقبل عليه بقلبك وجوارحك مقيدا بقيد احسانه اليك معترفا بعبوديتك له ؟ فهذه كلها غايات نبيلة تؤديها الأدبان ، ولم تفشل فيها يوما من الأيام) (٣) .

ومن شأن الانسان اذا نزل به مكروه او حل به بلاء لايسطيع مقاومه او أصابته مصيبة لايقدر على ردها بالاسباب العادية أن يتحرك في وجدانه شعور قوى بالتوجه الى قوة عليا يعتقد أن بمقدورها ازالة هذا الضر والبلاء ، أو تيسر له الصبر والعزاء ، وهذا امر لابنكره الا معاند مكابر ، أما أصحاب الفطر السليمة فانهم يدركونه ، ويقرون به ويلدعون له ، قال تعالى (هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة

(١) د . عبد الله محمود شحاتة ، فى نور المرآة ص ١٧٨ .

(٢) استفتت فى هذا البحث مما كتبه الزميل العاصل دكتور عبد الحليم مذكور بعنوان

مذكرات فى علم الكلام .

(٣) د . محمد عبد الله دراز الدين ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

وفرحوا بها جاءها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين (٠٠) يونس ٢٢ ، وقال سبحانه (أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءآله مع الله قليلا ما تذكرون) النمل ٦٢ .

وقد سئل الامام جعفر الصادق (١) عن الله وكيف يجده من بريده فقال لسائله ألم يركب البحر يوما ؟ قال بلى ، قال : فهل هاجت الريح عاصفا بكم ؟ قال : نعم ، قال فهل خطر ببالك أو انفدح في نفسك أن هناك من يستطيع أن ينقذك إذا شاء ؟ قال : نعم . قال : فذاك هو الله .

(ب) العقل

يدرك العقل ان لكل شيء سببا ولكل مخلوق خالفا وقانون السببية من القوانين الفطرية الاصيلة في النفس ، والنفس بحسب هذا القانون تطلب لكل حادثة محدثا وهي تطبق ذلك على كل ظاهرة أو حادثة تراها ، ولو ادعى أحد الناس أن ظاهرة ما قد حدثت بلا سبب لأنكر الناس عليه هذا الادعاء ، وبحسب هذا القانون الفطري ينفي البحث عن خالق لهذا الكون لانه لم يوجد وحده ، ولم يستمر في الوجود لذاته بل لأن له خالقا موجدا وهو الله تعالى . والقول بعدم احتياج هذا الكون الى خالق موجد عبث لاتصدقه أبسط العقول وأكثرها سداجة اذا احتكمت الى منطق العقل وحقائق الفطرة .

وقف قس بن ساعدة الايادي خطيبا في قومه قبل البعثة المحمدية بقليل فقال : يامعشر اباد ان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا ، البعرة ندل على البعير وخط السبر يدل على المسير ، سماء ذات أبراج وارض ذات فجاج وبحار ذات أمواج الا ندل ذلك كله على اللطف الخبير .



وروى ان بعض الزنادقة سأل الامام ابا حنيفة النعمان عن وجود الله فقال لهم دعوني فاني مفكر في أمر قد سمعت عنه : ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولايسوقها ، وهي مع ذلك تذهب وتجيء ، وتسير بنفسها وتخترق الامواج العظام حتى تتخلص منها وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد فقالوا : هذا شيء لايقوله عاقل ، فقال : وبحكم أن هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وماشتملت عليه من الاشياء المحكمة اليس لها صانع ؟ فبهت القوم واسلموا على يديه .

(ج) التاريخ

يشهد التاريخ ان شعوب الارض كلها - في القديم والحديث ، مدنية أو بدوية متقدمة أو متأخرة ، نزل عليها كتاب سماوي أو لم ينزل - قد فكرت في قوة مليا ، أرجعت اليها الامر فيما نزل بها من خير أو شر وتوجهت اليها

(١) امام من أئمة الشيعة توفي سنة ١٤٨ هـ .

بالعبادة والخشية ، وقد نختلف التصورات من شعب الى شعب ومن عصر الى عصر لكن الجميع متفق على وجود هذه القوة العليا ، وان من ضلال الرأي ان يقال ان هذا الاتفاق كان صدفة او لا دلالة له ، فان دلالة ظاهرة وهى ان هذا الايمان يمثل نزعة انسانية عامة لا بد ان تكون موضع اعتبار .

يقول معجم (لاروس) للقرن العشرين : (ان الفريزة الدينية : مشتركة بين كل الاجناس البشرية ، حتى اشدها همجية ، واقربها الى الحياة الحيوانية ... وان الاهتمام بالمعنى الالهى وبما فوق الطبيعه هو احدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية) ويقول ايضا (ان هذه الفريزة الدينية لا تختفى ، بل لا تضعف ولا ندبل ، الا في فترات الاسراف في الحضارة وعند عدد قليل جدا من الأفراد) (١) .

فالايان بوجود اله هو اسنجابة لنداء الفطرة وتلبية لمنطق العقل وانسجام مع شهادة التاريخ .

العلم وادلة الالهية

ادى تطور العلم وازدهاره وانساع مجالاته الى نشأة تيار يتبناه بعض العلماء الماديين الذين فسروا الكون نفسيرا ماديا او آليا يجعل الطبيعة او الكون نظاما من المادة المتحركة المضبوطة في حركتها بقوانين صماء لا تقبل التخلف وكان تفسيرهم لظواهر الطبيعة قائما على الكشف عن السبب والنتيجة ، ومادام الامر كذلك ، فليس هناك داع من وجهة نظرهم الى القول باله خالق مدير ، ومن هؤلاء الماديين من يجزم بان هذا الكون كله لا يحتوى شيئا واحدا يلجئنا الى تفسيره بوجود غيره ولا استثناء عندهم في ذلك للنظام الموجود في الكون ولا للعقل الذى ليس بمادة الحياة الموجودة في الكائنات (٢) .

ولكن هذا التفسير المادى للوجود بدأ ينحسر ويتراجع ، وأصبح كثير من العلماء يعتمدون على العلم فى الوصول الى اليقين بوجود الله ، وصرح كثير من هؤلاء (بأنه كلما تقدمت العلوم ضاقت بينها وبين الدين شقة الخلاف، فالفهم الحقيقى للعلوم يدعو الى زيادة الايمان بالله) (٣) .

بل تراجع انصار الاتجاه المادى نفسه عن نظرياتهم التى عجزت عن تفسير نشأة الوجود من الجماد . (٤)

-
- (١) الدكتور محمد عبده الله دراز ، الدين من ٨٤ .
 - (٢) عباس محمود العقاد الله من ١٩٢ .
 - (٣) الله يتجلى فى عصر العلم من ٥٤ .
 - (٤) ندبم الجسر قصة الايمان من ١٦٣ .

ثلاث احتمالات لخلق الكون

أيدت التجارب والنتائج العلمية ان العالم له بداية وبهاية أى أنه موجود وحادث بعد ان لم يكن ومادام الكون مخلوقا وموجودا بعد ان لم يكن فان علينا ان نبحث عن السبب في وجوده ولدينا عدد من الاحتمالات العقلية .

- ١ - ان يكون قد أوجد نفسه
- ٢ - ان يكون وليد الصدفة العشوائية اى الوجود بغير قصد محكم ولاتدبير .
- ٣ - ان يكون قد أوجده خالق فاعل مختار حكيم .

فأما الاحتمال الأول فان العفل يرفضه لأن المدم لاينتج الوجود اذ ان فاقد الشيء لايعطيه ، ويؤكد المنطق الذى لايتطرق اليه الشك أنه ليس هناك شيء مادى يستطيع ان يخلق نفسه .

اما الاحتمال الثانى فهو وجود الكون عن طريق الصدفة عشوائية ترب عليها وجوده ، ورغم رواج هذا الاحتمال في القديم الا أنه يلغى كثيرا من السخرية لذى جمهور العلماء في الوقت الحاضر وهذا هو أحدهم يقول : (ان القول بأن الحياة وجدت نتيجة حادث انفاقى (صدفة) شبيهه في مغزاه بأن تتوقع اعداد معجم ضخمة نتيجة انفجار صدى يقع في مطبعمه) (١).

وليس هذا رأى فرد واحد فحسب بل فروع العلم كافة تثبت ان نظاما معجزا يسود هذا الكون أساسه القوانين والسنن الكونية التى لاتتغير ولا تتبدل . (٢)

على ان العلم قد وضع للصدفة قانونا رياضيا يفسر امكانية وقوع حادث ماعن طريق الصدفة التى لا يحكمها القانون ، ويشرح العالم الأمريكى كريس موريسون رئيس أكاديمية العلوم الأمريكية هذا القانون قائلا : يمكننا ان نفهم شيئا عن قانون الصدفة من المثال التالى : لو تناولت عشرة دراهم وكتبت عليها من واحد الى عشرة ثم رميتها في جيبك وخلطتها جيدا ثم حاولت ان تخرجها من جيبك من الأول الى العاشر بالترتيب العددى بحيث تلقى كل درهم في جيبك بعد تناوله مرة أخرى فامكان ان تتناول الدرهم المكتوب عليه واحد في المحاولة الاولى هو واحد الى عشرة محاولات وامكان ان تتناول الدرهمين ١ ، ٢ بالترتيب هو واحد في العشرة آلاف محاولة . . وامكان ان تنجح في استخراج الدراهم من واحد الى عشرة بالترتيب هو واحد في عشرة بلايين من المحاولات . (٣)

والمأمل في هذا الكون يجد من عجائب الخلق ودلائل الابداع وشواهد النظام ما يخلب العقل ويبهز اللب ، فهل يعود ذلك كله الى الصدفة العمياء التى لاتعقل ؟

(١) الاسلام يتحدث ، وحيد الدين خان ص ٦٥ .

(٢) الله يتجلى في عصر العلم ص ٥ .

(٣) العلم يدعو للايمان .

ان الصدفة افتراض يرفضه العلم ويرفضه العمل فلا مناص اذن من التسليم بالفرض الثالث وهو ان هذا الكون من تدبير وصنع خالق حكيم وهذا هو الذى دعيت اليه الاديان وأرشدت الناس اليه .

أدلة الألوهية بين القرآن والعلم

اهتم القرآن في كثير من آياته بأن يلفت نظر الاسنان الى مافى الكون من آيات القدرة ودلائل الاعجاز وعجائب الصنع ومواطن الاعنبار ، فهذا الكون الفسيح الشاسع الأرجاء ، ومافيه من قوى منظورة لنا وغير منظورة ومايخضع له من نظام لا يحتمل الخلل ، ودقة لا تسمح بالعبث دليل على ان هذا الكون لم يوجد عن طريق صدفة عمياء بل انه وجد لأن له خالقا حكيمًا هو الذى أوجده .

قال تعالى (صنع الله الذى اتقن كل شىء) (١)

وقال سبحانه (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والفجر قموناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) (٢)

وقال ايضا (انا كل شىء خلقناه بقضى) (٣) .

وقد قدم لنا العلم امثلة لاحصر لها تؤكد هذا المعنى وتؤيده ومن هذه الامثلة ما يأتى :

- ١ - الكون فسيح الأرجاء بصورة لافتة للنظر ، ووحدة الفياس فيه هي السنة الضوئية ومايه من الكواكب والنجوم والمجرات لايقع تحت حصر ولكل منها مجاله الذى يسبح فيه فى الفضاء بسرعة مخصوصة وبنظام مخصوص ولكنها لا تصادم على الرغم من كثرتها وسرعتها وضخامتها .
- ٢ - ملاءمة الارض للحياة تتخذ صوراً عديدة تدل على تدبير اله حكيم عليم فالهواء مؤلف من الأوكسجين بنسبة ٢١٪ ومن النتروجين بنسبة ٧٨٪ ومن بعض الغازات الأخرى ، وهذه النسبة لا تزيد ولا تنقص ، وهى الملائمة للحياة والاحياء ، فلو زادت النسبة لأدت الى وقوع الحرائق فى الجو لأقل شراسة ، ولو نقصت لاختنقنا عند تنفسنا له ، والاجسام الحية تحتاج الى الأوكسجين فى التنفس لأنه يؤدي الى احراق الطعام وتحويله الى وقود وطاقة ، ونسبة الأوكسجين فى الجو ثابتة والسبب فى ثباتها يرجع الى اننا نتنفس الأوكسجين فيخرج من الرئتين هواء فاسداً هو ثانى اكسيد الكربون ، وهو غاز قاتل للانسان ، لكن هذا الغاز يؤدي فائدة عظيمة للحياة ، ذلك أن النباتات تنفسه لتحصل

(١) النمل ٨٨ .

(٢) يس ٣٨ - ٤٠ .

(٣) القمر ٤٩ .

على حاجتها من الكربون الذى عليه قوامها ، وحين تتنفس ثانى اكسيد الكربون تقوم بعملية اختزال تستبقى بها الكربون ، وتخرج الى الجو الأوكسجين الذى يساعد على استمرار الحياه ، ولولا ذلك لنفد الأوكسجين واختنق الأحياء (١) .

٣ - الجسم الاساسى يعد اعجوبه من الاعاجيب لما به من اجهزة دقيقة مرئية وغير مرئية ، فالمنخ والقلب والرئتان والمعدة والكلى والكبد والامعاء كلها اجهزه تؤدي عملها فى ايقان ونظام ، والحواس والأعصاب تشاركها هذه الخاصية ، فمن الذى ركبها ومن الذى جهزها وأمدّها بأسباب العمل والاتقان والنظام ؟

٤ - ارتفاع مستوى سطح الأرض عن مستوى سطح الأنهار ، وارتفاع سطح الأنهار عن سطح البحار .

ولو حدث العكس لأغرقت الأنهار الأرض ولطمب البحار الملحة على الأنهار العذبة فأفسدت صلاحيتها للشرب . وفى القرآن (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) أى خلط النهر والبحر يلتقيان فى مكان معين يصب النهر فى البحر وبين الاثنين حاجز من قدرة الله لا يبغي أحدهما على الآخر ، لأن الله أودع الأسباب فى كل قوى الحياة حتى يستمر النظام فى الكون كما قال سبحانه (وكل فى فلك يسبحون) .

٥ - لو زرنا فى مساحة صغيرة جدا من الأرض أصنافا مختلفة من النباتات وسقيناها بماء واحد لخرج كل صنف منها بشماره المختلفه دون تدأخل أو اختلاط (٢) . قال تعالى (وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب ووزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل أن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) . الرعد ٤ .

٦ - أن ازدياد العلم ونمو المعرفة سيكون سببا فى نمو غريزة التدبى لان تقدمنا الحثيث فى العلوم يقربنا حقيقة من الاعتراف بجهالتنا ، والاقرار بأن مثل مانعلمه من الكون فى جانب مانجهله منه كمثلى قطرة واحدة من محيط خضم عميق (٣) .

وصدق القرآن حين يقول (وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

٧ - اعترف مؤسسو الفلسفة الواقعية وكبار انصارها بأن نهاية العلم البشرى ليست هى اطفاء غريزة التدبى بل زيادة اشغالها ومن ذلك شهادة أوجيست كونت ، وسبنسر ، وليتريه (٤) وغيرهم .

طريق المعرفة :

سئل الحلاج بم عرفت الله قال بجمعه بين الضدين

-
- (١) عبد الحميد مذكور فى علم الكلام ص ٩٥ .
 - (٢) تديم الحسر ، قصة الايمان ص ٣١٤ .
 - (٣) محمد عبد الله دراز ، الدين ٩٠ .
 - (٤) محمد عبد الله دراز ، الدين ٩٦ ٩٧ .

هو اول وآخر ، وظاهر وباطن .

وسئلت رابعة العدوية بم عرفت الله ؟ قال : عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي (١) .

وسئل الامام الشافعي بم عرف الله قال (بالنحلة نصفها يلسع ونصفها يعسل) وسئل مره اخرى بم عرف الله فقال : بورفة التوت ناكلها دودة الفز فيخرج منها الحرير وتاكلها النحل فيكون منها العسل ، وتاكلها الطباء (٢) فيكون منها المسك ، وتاكلها الشاه فيكون منها البعر .

وظيفة الأديان في المجتمع

الأديان مبعث السعادة والايامن بالله والسلوك السوى ، وهى وسيلة فعالة فى اصلاح الضمائر وبهذيب النفوس ونصحبح المعاملة وتطبيق قواعد العدل «ولها وظيفة ايجابية اعمق اثرا فى كيان الجماعة ، ذلك انها تربط بين قلوب مصنقيها برباط من المحبة والتراحم لا يعد له رباط آخر من الجنس أو اللغة أو الجوار أو المصالح المشتركة » (٣) .

وقد أدركنا بعد حرب العاسر من رمضان اثر الدين فى قوة اليقين وصدق البذل والفداء ، وجلال التضحية ، والرغبة فى الشهادة حتى كان الجيش يعبر وكأنه يعزف نغمة موسيقية دبية عمادها الله أكبر الله أكبر ، وقد فعل الأيمان فعل السحر فى نفوس الجنود الصائمين المصلين فأمدهم الله بعونه ومدده ونصره وصدق الله العظيم (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)

وبقول المارشال مونتجومرى فى خطبته امام الجيش الثامن يوم ٤ مارس ١٩٥١م (ان أهم عوامل الانتصار فى الحرب هو العامل الأخلاقى ، ولا يمكن لقائد أن يدفع جنوده الى بذل أقصى جهودهم فى العمل الا اذا كانت ضمائرهم مرتاحة الى ما يعملونه وبقبنى أن الجيش اذا سار على غير مرضاة الله سار على غير هدى .

ان خطر الانحطاط الخلقي فى افراد الجيش اعظم من خطر العدو ولذلك لانستطيع أن ننتصر فى معركة ، الا اذا انتصرنا على أنفسنا قبل كل شىء (٤)

فادعاء المذاهب المادية بأن الدين أفبون الشعوب هو ادعاء باطل ، والحكم فى شريعة الله امانة وأصحابها مسئولون عنها أمام الله والناس ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض من فرائض الله وهو من أسباب شرف هذه الأمة وعلو مكانتها ، والمال فى شريعة الله استخلاف يسأل صاحبه عنه كيف جمعه وفيه أنفقه فاذا فهم الناس الدين حق الفهم ، وقاموا بتعاليمه على النحو الذى

(١) عرفت الله بهديته لى ولولا فضله على ما عرفته .

(٢) القلى : الغزال .

(٣) محمد عبد الله درار الدين ص ١٠٣ .

(٤) من الصحف المصرية فى ٥ مارس سنة ١٩٥١ .

يرضى الله فانهم يتأكدون من بطلان هذه الدعاوى المفروضة ، التي لا تليث ان تتهاوى امام حجة الايمان وقوة الحق ، وصدق الله العظيم (**وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا**) .

اثر الايمان عند العقاد

الف الكاتب الكبير الاستاذ عباس العقاد كتابا عنوانه : الله تحدث فيه عن نشأة العقيدة وأطوارها قبل الاسلام وبعده وسرد البراهين على وجود الله ثم أكد حتمية الايمان وضلال الكفر حيث يقول في آخر الكتاب (ونحسب اننا نظلم نصيب الحس اذا قلنا ان مسألة الايمان مسألة عقل ومسألة (وعى) وليس للحس فيها نصيب .

فنحن نستطيع ان نرى بأعيننا ان الايمان ظاهرة طبيعية في هذه الحياة لان الانسان غير المؤمن انسان (غير طبيعى) فيما نحسه من خبرته واضطرابه وبأسه وانعزاله عن الكون الذى يعيش فيه ، فهو الشذوذ وليس هو القاعدة في الحياة الانسانية وفي الظواهر الطبيعية ، ومن أعجب العجب ان يقال ان الانسان خلق في هذا الكون ليستقر على ايمان من الوهم المحض أو يسلب الاستقرار . وليس حجة للمنكر ان يقول ان الانكار ممكن في العقول ، بل حجة للمؤمن ان يقول ان حال المنكر ليست بأحسن الاحوال ، وانه اذا أنكر عن اضطرار تبين لنا على الفور انه في حال (غير الحال الطبيعى) الذى يستقيم عليه وجود الأحياء .

وخاتمة المطاف ان الحس والوعى والبدية جميعا تستقيم على سواء الخلق حين تستقيم على الايمان بالذات الالهية وان هذا الايمان الرشيد هو خير تفسير يسر الخليفة يعقله المؤمن وبدين به الفكر وتتطلبه الطبع السليم (١) .

ويقول الاستاذ محمد فريد وجدى في دائرة معارف القرن العشرين تحت مادة دين (نعم يستحيل ان تتلاشى فكرة التدين لانها ارقى ميول النفس واكرم عواطفها ، ناهيك بميل يرفع رأس الانسان ، بل ان هذا الميل سيزداد . . . ففطرة التدين ستلاحق الانسان مادام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح وستزداد فيه هذه الفطرة على نسبة علو مداركه ونمو معارفه) .

نظام الأسرة في الإسلام

الأسرة هي الخلية الأولى في بناء المجتمع ، وقوة الأسرة وترابطها من أسباب قوة المجتمع وسلامته .

وقد اهتم الإسلام بالأسرة ووضع لها القواعد والنظم التي تضمن لها البقاء وتحقق لها السعادة كما حث الإسلام على الزواج لأنه الوسيلة المشروعة لبناء الأسرة ، واشباع الحاجة النفسية والبيولوجية ووضع الإسلام نظاما سليما لاختبار الزوجة ووضع حقوق الرجل والمرأة .

فأوجب على المرأة طاعة زوجها ورعاية اطفالها والقيام بأمور الأسرة وشؤونها ، كما أوجب على الرجل أن يدفع المهر والنفقة وأن يتولى قيادة الأسرة والقوامة عليها ، وحث القرآن الرجل على العشرة بالمعروف وأمر بالتعاون المستمر بين أفراد الأسرة وتدعيم الروابط وإزالة أسباب النزاع . ويتضح من مقارنة حال المرأة في الجاهلية بحالتها في الإسلام ، أن الإسلام أكرم المرأة ولبدة وفتاة وزوجة وأما ، وشملها في جميع شريعته بعطف كريم ورعاية رحيمة وسما بها إلى منزلة رفيعة لم يصل إلى مثلها في أية شريعة من شرائع العالم قديمه وحديثه ، وسوى بينها وبين الرجل في معظم شؤون الحياة ولم يفرق بينهما إلا حيث تدعو إلى هذه التفرقة طبيعة كل من الجنسين ، ومراعاة الصالح العام ، وصالح الأسرة ، وصالح المرأة نفسها .

وهذه دراسة لبعض الجوانب في شؤون الأسرة تؤكد سمو الإسلام وتوضح أن الشريعة الإسلامية تحتوي على جميع المبادئ اللازمة للنهوض بالمجتمع في شتى نواحيه وأنها شريعة حية صالحة للتطور وأنها كرمت إنسانية الإنسان رجلا كان أو امرأة وسوت بينهما في خمس نواح هامة وهي القيمة الإنسانية ، والحقوق المدنية وحق التعليم والثقافة ، وحق العمل ، وشؤون المسؤولية والجزاء وستوضح هذه الأمور بكلمة موجزة .

القيمة الإنسانية :

سوى الإسلام بين المرأة والرجل في القيمة الإنسانية المشتركة وبين أنه ليس لأحدهما من مقومات الإنسانية أكثر مما للآخر وأنه لأفضل لأحدهما على

الآخر بحسب عنصره الانساني وخلقه الأول وان المفاضلة بين أى رجل وأية امرأة انما تقوم على أمور أخرى خارجة عن طبيعتهما ، وهى الأمور المتعلقة بالكفاية والعلم والأخلاق ... وما الى ذلك ، كما هو شأن المفاضلة بين الرجال انفسهم بعضهم مع البعض .
الشئون الدينية :

سوى الاسلام بين الرجل والمرأة فى الحقوق المدنية بمختلف أنواعها فأعطى المرأة الحقوق المدنية التى أعطاها للرجل ، فجعل لها الحق فى أن تتعاقد وتتحمل الالتزامات وتملك العقار والمنقول وتتصرف فيما تملك .

يقول الاسناذ محمد عزة دروزه (١) من الحمائق المرآنية الكبرى أن القرآن قد قرر للمرأة اهلية تامة وحقا كاملا فى جميع التصرفات المدنية والاقتصادية والشخصية بحيث جعل لها الحق والأهلية لحيازة المال مهما عظم مقداره والارث والهبة والوصية والدين وملك العقار والتعاقد والتكسب والمصالحه والتفاضى والنصرف بما نحوز وتملك ، ويصل الى يدها من مال من أى نوع انفاقا وبيعا وعتقا وهبة وشرط موافقتها على الزواج ، وجعل لها الحق فى تزويج نفسها اذا تاملت ، وغير ذلك من الحقوق التى لم تصل المرأة الغربية اليها الا حديثا ، ولم نزل فى بعض بلاد الغرب محرومه من بعضها)

وبقصة الأمور التى سوى فيها الاسلام بين الرجل والمرأة ظاهره فحقها فى التعليم واضح لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وحقها فى العمل ظاهر لأنها كانت تشارك فى الغزو والجهاد فى عهد النبوه ونقوم بكنبر من الأعمال داخل البيت وخارجه ، ونحن نرشح للمرأة العمل الذى يتناسب مع طبيعتها كالتدريس والتمريض بدلا من الأمور العنيفة والأعمال الشاقة .

ثم أن الله سوى بين الرجل والمرأة فى المسئولية والجزاء وكل ما فى القرآن والسنة من أحكام أو تشريعات فانها للرجال والنساء الا مانص الشرع على تخصيصه قال تعالى .

(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون) النحل ٩٧

وجوه التفرقة بين الرجل والمرأة فى الاسلام

فرق الاسلام بين الرجل والمرأة فى بعض التكاليف الدينية ، والأعباء الاقتصادية والإشراف على الأسرة ، ولكن هذه التفرقة كان يراعى فيها طبيعة كل من الجنسين ، وصالح المرأة نفسها وكان رائد الاسلام فى ذلك التخفيف عن المرأة وصيانتها ومراعاة أحوالها الجسمية ومبلغ احتمالها فمن ذلك مثلا أنه يسقط عنها الكلف بالصلاة فى مراحل حبسها ونفاسها وسقط عنها قضاؤها كذلك .

(١) محمد عزة دروزه : المرأة فى القرآن والسنة ص ٤٠ .

ومن ذلك ايضا أنه يجب عليها الافطار في رمضان في مراحل حيضها ونفاسها ، ويجوز لها الافطار في مراحل حملها ورضاعها ، ومن ذلك أنها تلبس ملابس الاحرام في الحج كاملة سابغة لصيانتها عن كشف أعضاء جسمها .

وربما تساءل الانسان عن الحكمة في التفرقة بين الرجل والمرأة في الميراث ولماذا جعل الله الرجال قوامين على النساء ، وماهى حكمة تعدد الزوجات ولماذا أبيع الطلاق في الاسلام وبين يديك توضيح لهذه الأمور .

الميراث

جعل الاسلام نصيب الذكور في المراث اكبر من نصيب نقاترهم من الاناث في معظم الاحوال فللذكر مثل حظ الاثيين من الاولاد والاخوة والاخوات . وللزوجة من زوجها المتوفى نصف نصيب الزوج من تركة زوجته ، ونصيب الأب من تركة ولده يبلغ احيانا ضعف نصيب الأم و احيانا يساويها .

وقد أعطى الاسلام الانثى نصف نصيب الذكر من المراث للأسباب الآتية:
١ - البنت اذا كانت صغيرة فهى في رعاية أسرتها ، فاذا تقدم زوج لخطبتها فانه ملزم بالمهر وباعداد منزل الزوجية .

٢ - اذا تزوجت المرأة فان نفقتها ونفقة الدرية على زوجها ، واذا كان لها مال فان لها مطلق الحرية في الصرف في هذا المال فاذا كان زوجها فقيرا وانفقت من مالها على نفسها وأولادها فان هذه النفقة تعد دينا على الرجل يجب أن يردّها الى زوجته عند يساره .

٣ - عند طلاق الزوجة يتحمل الزوج وحده جميع الاعباء الاقتصادية فعليه مؤخرا صداق زوجته ، وعليه نفقتها من مآكل ومشرب وملبس ومسكن مادامت في العدة ، وعليه نفقة اولاده وأجور حضانتهم ورضاعتهم ، وعليه وحده نفقة تربيتهم بعد ذلك ، ولاتلغى المرأة أى عبء اقتصادى في هذه الشئون .

٤ - الرجل هو الممثل للأسرة والمنكفل بالتزامها سواء اكان احام زوجها واذا رجعت المرأة يوما ما الى بيت أسرتها فستلقى رعاية واجبة وصلة للرحم مفروضة ، وقد كان الاسلام رحيما بالمرأة حين أعطاها نصف نصيب الرجل وأعفاها من اعباء المعيشة وألقاها جميعها على كاهل الرجل ، لأنه تنظيم الله السمع العليم .

الزواج

حث القرآن على الزواج ورغب فيه لأنه آية من آيات الله في اعمار الكون ونقارب الأسر ورعاية النشاء وتيسير شئون الحياة قال تعالى : (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم ٢١

وفي الآية مايفيد أن الرجل والمرأة يكمل أحدهما الآخر ، وقد شاءت حكمة الله أن تقوم الحياة بين الزوجين على أساس المودة والرحمة وقد قرر الاسلام حقوقا وواجبات لكل من الزوج والزوجة وجعل للرجل حق القوامة

على الأسرة والاشراف على شئونها قال تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم) النساء ٢٤ .

ونفيد الآيه ان قوامه الرجل على المرأة سببها تسيان

الأول : ان الرجل هو المكلف بالانفاق على الأسرة ، ولايستقيم مع العدالة في شيء أن يكلف فرد الانفاق على هيئة ما بدون ان يكون له حق القيام عليها والاشراف على شئونها .

الثاني : ان المرأة مرهفة العاطفة قوية الانفعال ، وان ناحية الوجدان ان نسيطر سيطرة كبيرة على مختلف نواحي حياتها النفسيه

وقد سوى الله المرأة على هذا الوضع حتى يكون لها من طبيعتها مايتيح لها القيام بوظيفتها الاساسيه وهى الامومه والحضانه على خير وجه فلا يخفى ان الوظيفة تحتاج الى عاطفة مرهفة ووجدان رقيق وحنان رحيم اكثر مما نحتاج الى التفكير والادراك والتأمل . فقوة العاطفة والوجدان فى المرأة هى اذن مظهر من مظاهر كمالها وكمال انوثتها ، وليست نقصا فى حقها كما قد يتبادر الى اذهان بعض الناس .

رياسة رحيمة

ورياسة الرجل فى الأسرة لانقوم على السيطرة والاستبداد ولكنها تقوم على المودة والمحبة والارشاد ، وقد قيدها الاسلام بقنود كثيرة تحفظ للمرأة كرامتها وتضمن حقوقها وتحقق مصلحتها على خير وجه .

وتتمثل رياسة الرجل على الزوجة فى حقه فى تدبير سياسة البيت فى تعاون مع المرأة وفى ان تطيعه زوجته فى دائرة المعقول والمعروف وقد فرض الاسلام عليه فى مقابل ذلك عدة واجبات فأوجب عليه الانفاق على الأسرة وصيانة أفرادها ورعاية حقوقهم ، كما أوجب عليه العدالة والمعاملة بالحسنى والرفق فى علاج مشاكل الحياة الزوجية ، وأخذ الأمور بيسر وهوادة وان يقوم المعوج فى رفق ولين ، ولذا كان النبى صلى الله عليه وسلم أرفق الناس بأهله وأكثرهم حلما ورافة مع زوجاته وقال عليه الصلاة والسلام .

(خيركم خيركم لأهله)

وقد لخص القرآن الكريم هذا النظام الحكيم فى عبارة موجزة بليغة

اذ يقول (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) (١)

فوللمرأة من الحقوق فى نظر الاسلام مثل ما عليها من واجبات ، والرجل مثلها عليه من الواجبات بمقدار ما له من حقوق ، وحتى الدرجة التى منحها الله له على المرأة وجعل له الرعاية على الأسرة بسببها ليست حقا خالصا من الواجبات .

نقول المفسرون : فى معنى (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) أنها تعنى أن كل ما يحق للزوج طلبه وانتظاره من زوجته من أمور مشروعه من طاعة وأمانة

(١) النقرة ٢٢٨ .

وعفة وإخلاص وحسن معايشة ومعاملة ، يحق للزوجة طلبه وانظاره من زوجها ومن جملة ذلك أيضا اعتبار كل من الزوجين نفسه شريكا للآخر في مختلف نواحي الحياة ، ومعاملة كل منهما للآخر على هذا الأساس (١)
وقد قال المفسرون في معنى (وللرجال عليهن درجة)

أن الحياة الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس ، وقد جعلت الرئاسة للرجل لأنه أعلم بالمصلحة وأقدر على النفقة بقونه وماله وللمزابا الطبيعية والاجتماعية التي أمار بها وللأموال التي تنفقها ومما كان ولا يزال متسقا مع طبائع الأمور ، ومما يعترف به المرأة ولو في قرارة نفسها وقد قال أهل التأويل أن حق الفواصة على الزوجة يزول إذا قصر الزوج في النفقة أو امتنع عنها (٢)

تعدد الزوجات

كان العرب قبل الإسلام يجمعون في عصمتهم زوجات عديدة بدون تحديد في وقت واحد وكانت الحياة الزوجية والعائلية تتعرض من جراء ذلك لصور عديدة من الضرر والشقاق والبلاء فساءت حكمة الله أن يضع الحق في نصابه وأن يوضح أن أساس الحياة الزوجية هو المودة والرحمة وأن الاقتصار على زوجة واحدة ادعى الى العدل والمودة وأبعد عن الجور والظلم فقال سبحانه (وأن خفتن الا تفسطن في البيتمى فانكحنوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتن الا تعدوا فواحدة) (٣)

وقد روى البخارى عن عائشة أنها سألت عن معنى هذه الآية فقالت (هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويمجبه جمالها ومالها فيريده أن يتزوجها بغير أن يوفى لها صداقها وربما طمع في مالها وأساء صحبتها) لأنها يتيمة ليس لها ولد يدافع عنها . . فنهاهم الله عن نكاح اليتيمة إذا خاف الإنسان ظلمها وأباح لهم الزواج بأكثر من واحدة عند الحاجة والضرورة .
فإذا خاف الإنسان على نفسه من الظلم أو الميل الى أحد الزوجتين وجب عليه الاقتصار على زوجة واحدة .

شبهات الاوروبيين

يتكلم الاوروبيون بكثير من الكلام المعسول عن تعدد الزوجات ويقولون (أن شرف الانسان أسمى من أن يمتن أو أن يجعل أداة متعة) .
وفي الواقع هم الذين أباحوا اتخاذ الخليلات والعشيقات وجعلوهن أداة متعة فقط ومنعوهن حقوق الزوجية في النفقة أو الميراث أو الصاق الولد .
ونشأ عن كثرة الأخدان وانتشارهن في أوروبا انتشار الأمراض السرية الفظيعة ، وقلة النسل لأن النسل قد يخنق أو يجهض أو يمنع .

(١) محمد عزة دروزة المرأة في القرآن والسنة ص ٣٠ .

(٢) محمد عزة دروزة المرأة في القرآن والسنة ص ٢٢٠ .

(٣) النساء ٣ .

وهل فعل الأوروبيون عن المصير الشيء الذي ينتظرهم اذا استمر الحال على ذلك ؟ فالكبير يموت والنشء يقتل :

نهبوا لذلك فصدرت قوانين نفول أبناء الرواح الحر اذا اعترف بهم ابوهم الحقناهم به

فتأخذ الأولاد كل حقوق الابناء ، فهم نفادوا اسم الزوجة فقط واما ابناؤها فانهم يسمعون بكل الحقوق اذا الحقهم بهم ابوهم .
ويمكن أن ندون هنا بعض الملاحظات الآتية :

أ - أوروبا لا تبيح تعدد الزوجات بينما تبيح تعدد الخليلات ولكن القرآن حارب هذه العشرة الا بين الزوج وزوجته قال تعالى (محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان) النساء ٢٥ .

٢ - الرسول نهى عن الزواج المفصود منه المتعة وحدها ، وعن الرغبة في التنفل بين أحضان النساء فقال صلى الله عليه وسلم (أن الله لا يحب اللواقين ولا اللواقات فاذا تزوجتم فلا تطلقوا) .

٣ - الاسلام لم يأمر بالتعدد ولم يحض عليه بل اباحه عند الضرورة

٤ - من الضرورات التي تبيح التعدد أن تكون الزوجة عاقرا ، أو مريضة ولا يرى الزوج من الرافه والانصاف طلاقها ، وهناك احتمال بتزايد عدد النساء في مجتمع ما على عدد الرجال - خصوصا في أعقاب الحرب - وتعرض الزائدات للشقاء والعوز والسفوط وهناك احتمال السفر والتغرب لمدة طويلة لأسباب متنوعة لا يكون في الامكان اصطحاب الزوجة فيها ففي ذلك يكون التعدد سائغا أو واجبا أو مرغوبا فيه وما عدا هذه الحالات فان التعدد بسبب المشاكل والبغضاء والتناحر في داخل الأسرة فيجعل حياتها جحيما (١)

٥ - الواقع ان اكثر المتزوجين من المسلمين حين يتزوجون بأكثر من واحدة ينوون عدم العدل فالجديدة هي المحظمة والقديمة هي الضرة وابناؤها أبناء الضرة

٦ - يرى الامام محمد عبده ان تعدد الزوجات كانت له محاسنه في عصر السلف الصالح حيث النفوس سليمة والفلوب نظيفة والجميع يمثلون أمر الدين ، وأصحح له مساوئ ظاهرة لكثرة مساوئ الناس وضعف أخلاقهم ، ولما تترتب على تعدد الزوجات من الكذب والخيانة والجبن والتزوير ، ونية عدم العدل ، مع أن تعدد الزوجات محرم قطعا عند الخوف من عدم العدل (٢)

٧ - يرى بعض المجتهدين المحدثين انه ليس في الشريعة ما يمنع ان يعهد بتقدير ظروف الناس في التعدد الى هيئة رسمية اجتماعية أو قضائية وأن يقيد الناس في التعدد بحكم هذه الهيئة جوازا أو منعا فان التعدد

(١) محمد مرة دروزة المراه في القرآن والسنة ص ١١٨ .

(٢) تفسير المنارج - ٤ ص ٣٥٠ .

مباح بشرطين ، أن يكون له مبرر وداع شريف معترف به شرعا . وشرط آخر هو ألا يؤدي إلى الجور وعدم العدل فموقف هذه الهيئة التاكيد من تحقيق الشرطين السابقين (١) .

٨ - الفت جمعية في ألمانيا تطالب بتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية في الزواج والطلاق . وطالب النساء هناك - بعد الحرب العالمية الثانية - بتعدد الزوجات حتى تجد النساء من يكفلهن وينفق عليهن وعلى ماينجبن (٢) .

الطلاق

الزواج رابطة مقدسة ، يحرص الاسلام على دوامها ويحث على المحافظة عليها لأن فيها تحقيقا لتآلف الأسر وئرابطها ، وحماية النشء ورعايته ، كما يحذر الاسلام من الطلاق ويأمر باجتناب هذه الكلمة ومايؤدي إليها ، قال صلى الله عليه وسلم (أبغض الحلال إلى الله الطلاق) (٣) .

مبررات عامة للطلاق

أحيانا تطرأ على الحياة الزوجية حالات تجعل الطلاق ضروره لازمة فقد يصل الشقاق بين الزوجين إلى حد يستحيل عنده الصلح وتصبح الحياة الزوجية جحيما لا يطاق ، ويصبح أفراد الأسرة جميعا ذكورهم واناتهم سفارهم وكبارهم ، مهددين من جراء ذلك بأسوأ النتائج وشر الكوارث في مختلف فروع حياتهم المادية والمعنوية والخلقية، وقد تتنافر طباع الزوجين كل التنافر ، أو يحمل أحدهما كراهة شديدة للآخر ، وتعجز جميع الوسائل الانسانية في علاج هذا الحال ، وقد تفسد أخلاق أحد الزوجين أو لايرعى لعقد الزواج عهدا ولا حرمة ، وقد يجن أحد الزوجين جنونا مطبقا ، وقد يصاب بمرض معد خطير لايرجى برؤه ، وقد يفقد مقومات جنسه وقد يكون عقيما لاللد ، وقد نسب غيبة طويلة ولايعرف أحي هو أم ميت ، وقد يحكم عليه بالسجن المؤبد، وقد يعسر الزوج فلا يستطيع الإنفاق على الزوجة ، وقد يرى الزوجان أنفسهما أن استمرار زواجهما متعذر من جميع الوجوه ويريد كلاهما أن يفارق الآخر بالمعروف ليفنى الله كلا من سعته .

ولما كانت هذه الأسباب لها نظائر وأشباه في حياة الأدميين ، ولما كان تحريم الطلاق مع هذه الحالات يوقع الناس في أشد مظاهر العنت والحرج ، لذلك أباح الاسلام الطلاق ولكنه لم يبيحه على الاطلاق بل أحاطه بأحكام وقيود وتكفل عدم ايقاعه الا في حالات الضروره ، وبذلك جعله أداة لتحقيق الصالح العام وصالح الأسرة نفسها ومن الوسائل التي شرعها الاسلام لتفادي وقوع الطلاق ماياتى :-

(١) محمد المدنى عميد كلية الشريعة في كتاب المجتمع الاسلامي كما تنظمه سورة النساء ص ٢٧٣ .

(٢) د . محمد عبد الله دراز تفسير سورة النساء محاضرات لكلية دار المعلم سنة ١٩٥٥

(٣) أخرجه أبو داود وابن ماجه .

- ١ - أحاط الإسلام عقد الزواج بسياج من القدسية ، وأضفى عليه من الجلال ما يدعو إلى احترامه والالتزام به ، والوفاء بشروطه وسماه الله تعالى ميثاقاً غليظاً .
- ٢ - بغض الإسلام الناس في الطلاق لأنه يزلزل كيان الأسر ويشتت شمل الذرية ويستنزل غضب الرحمن قال صلى الله عليه وسلم (تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز له عرش الرحمن) (١) .
- ٣ - أمر الزوج أن يصبر على زوجته ، وأن يهتم بالنظر إلى محاسنها والنواحي الطيبة فيها والا يكرر النظر إلى الناحية القبيحة فلكل شخص حسنات وسيئات قال صلى الله عليه وسلم
(لا يفرك مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضى منها آخر) (٢)
- ٤ - عند نزوب الحب بين الزوجين يمكن أن يصبر الانسان فلفل قلبه أن ينحول إلى الحب أو لعل الله أن يرزقه بلذرية صالحة قال تعالى (وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) (٣)
- وعد جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يستشيريه في طلاق زوجته فقال له عمر لا تفعل فقال الرجل ولكني لا أحبها فقال عمر (ويحك : ألم تبني البيوت إلا على الحب فأين الرعاية ، وأين التدمم (٤) وأين الوفاء)
- ٥ - يأمر الإسلام الزوجين عندما تتأزم الحياة الزوجية ويحدث النفور ، أن يتدارسا أسباب الخلاف ويعملا على تلافياها وأن يحاولا - راب الصراع ، واصلاح الخطأ .
- ٦ - فان لم يستطيعا تحقيق الوفاق بوسائلهما الخاصة كان التحكيم وسيلة للعلاج قال تعالى (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ان يريدوا اصلاحاً يوفق الله بينهما ان الله كان عليماً خبيراً) النساء ٣٥
- ٧ - رتب الإسلام على الطلاق من الناحيتين المالية والاجتماعية نتائج خطيرة وألقى بسببه على كاهل الزوج أعباء ثقيلة ، منها مؤخر الصداق ونفقة الزوجة ، ونفقة الاولاد ، ومن شأن هذه الأعباء أن تحمل الزوج على ضبط النفس وتدبير الامر قبل الاقدام على الطلاق .
- ٨ - لم يجعل الله تعالى الطلاق في مرحلته الأولى قاطعاً لرباط الزوجية قطعاً باتاً ، ولكنه جعله رجعياً وأمر أن تقيم الزوجة في بيت زوجها مدة العدة دون أن تحتجب عنه فقد يكون ذلك وسيلة إلى استئناف الرابطة الزوجية مرة أخرى .

(١) ذكره الكاساني في كتابه : (مدائع الصنائع في باب الطلاق) .

(٢) فرك الرجل زوجته من باب سمع كرهها وأبغضها وفركته كذلك .

(٣) النساء ١٩ .

(٤) التحرج من أن يصح الرجل مصدراً للنفاء الأسرة وتفريق شملها .

٦ - يقرر الاسلام ان الطلاق ينبغي ان يكون في طهر لم يحدث في اثنا اتصال بين الزوجين ، فمن عزم على الطلاق وجب ان ينتظر طويلا حتى تحيض الزوجة ثم تطهر ان شاء أمسكها وان شاء طلقها .

١٠ - امر القرآن ان يقع الطلاق امام شاهدين لاهمية هذا العمل ولان الزواج لا يتم الا امام شاهدين فلا يتم الطلاق الا امام شاهدين قال تعالى (واشهدوا ذوى عدل منكم) وقد ذهب الشيعة الامامية الى وجوب الاشهاد على الطلاق وهذا الاشهاد ركن من اركان الطلاق عندهم وكل طلاق بدون اشهاد يقع باطلا ولا يترتب عليه شيء ، وحيدا لو اخذ تشريعنا بهذا الراى تضييقا لدائرة الطلاق .

عدد الطلقات

جعل الشرع الطلاق ثلاث مرات متفرقات لتهيئة الفرصة للتفكير في اصلاح الحال التى قد تنشأ عن ثورة نفسية مؤقتة او تسرع بلا روية فان لم تنفع هاتان الفرستان في ازالة اسباب الخلاف كانت الطلقة الثالثة هي الفاصلة قال تعالى (الطلاق مرتان فامسك بمرهوف او تسريح باحسان ٠٠٠) البقرة ٢٢٩ ولقد احس الشرع المصرى صنعا اذ قرر القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ان الطلاق المقترن بعدد لفظا او اشارة يقع طلقة واحدة .

وينبغى الا يقتصر المشروع على ذلك وان يصدر قوانين اخرى تحظر جميع انواع الطلاق المخالفة للنوع المبين في الكتاب والسنة .

ففى ذلك احقاق للحق ورجوع بنظام الطلاق الى الاوضاع الصحيحة التى سنها الاسلام وانحرف عنها بعض المسلمين ، فليس المقصود من الطلاق اللعب واللهو ومن يتجاسر على الحلف بالطلاق انما يفعل منكرا من القول وزورا ان الطلاق ابغض الحلال ولم يشرعه الله الا للضرورة القصوى ، منعا للخرج وعلاجاً للشقاق والضرار ويجب ان يتم في طهر الزوجة وفي هدوء نفس كامل ، وامام شاهدين

الإيمان سبيل السلام للفرد والمجتمع

١ - الإيمان بالله :

يتصف الله عز وجل بكل كمال ، ويننزه عن كل نقص ،
يتصف الله بالحياة والعلم والارادة والسمع والبصر ، فهو سبحانه بكل
شئ عليم فعال لما يريد ، وفي بداية سورة المجادلة ، سمع الله صوت امرأة
تشكو للنبي من زوجها واستجاب لرجائها حيث قال سبحانه :

**(قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع
تجاوزكما ان الله سميع بصير) المجادلة ١**

تقول السيدة عائشة رضى الله عنها ما سمع الله وما ابصره . لقد جاءت
المجادلة خولة بنت بعلبة نقول : يارسول الله ان زوجى اوس بن الصامت
نزوجنى وانا شابة مرغوب فى لى مال وجمال ، فانتظر حتى اذا ذهب مالى
وولى جمالى ونفرق اهلى قال لى انت على كظهر امى ، وارجو ان تردنى اليه .
فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ليس لى عندك حل ما اراك الا قد حرمت
عليه . فجاءت المرأة ثانية نقول : يارسول الله انى انجبت منه اولادا كان
بطنى لهم وعاء وكان ثديى لهم سقاء وكان حجري لهم كفاء وان ضمهم اليه
ضاعوا وان ضممتهم الى جاعوا فردنى اليه . فقال النبى ليس لى عندك حل
ما اراك الا قد حرمت عليه . فجاءت المرأة مرة ثالثة نقول : ان زوجى لا يفضنى
وانا لا ابفضه ولكنه دخل على وانا فى الصلاة فلمع خلخالى فى ضوء القمر فرغب
فى بعد الصلاة مباشرة ولم اكن قد تهيات بنفسى له ، فامتنعت عليه ففضب
وقال تمتنعين عنى ؟ انت على كظهر امى . ثم ندم على ذلك ورغب فى عودتى
الى فردى اليه .

وكان الظهار يحرم المرأة على زوجها فى الجاهلية ولم يكن قد نزل بشأنه
شئ فى الاسلام . فقال لها النبى ليس لى عندك حل ما اراك الا قد حرمت
عليه .

وبكت المرأة وقالت للنبي انا لا اشتكى اليك ولكن اشتكى الى الله . وهنا
ظل على النبي ونزل عليه وحى السماء ، واستجاب الله لرجاء المرأة وسمع
كلامها من فوق سبع سماوات .. ونزلت آيات كريمة فى اول سورة المجادلة

تنهى الرجل عن الحلف بالظهار ، وعن تحريم المرأة على نفسها . وبينت أن ذلك زور ومنكر من القول . ثم رسمت الطريق لمن وقع في الظهار وأراد الرجوع الى زوجته بينت أن عليه أن يعتق رقبة أو يصوم ستين يوما أو يطعم ستين مسكينا كفارة عن قوله وتهديبا لنفسه .

قال تعالى (الذين بظاهرون منكم من نسائهم ماهن امهاتهم ان امهاتهم الا اللاتي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور ، والذين بظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم) المجادلة ٢ - ٤

٢ - الايمان بالرسول :

لقد ارسل الله الرسل وانزل عليهم الكتب لهداية البشرية واخراجها من الظلمات الى النور ،

(رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) النساء ١٦٥

هؤلاء الرسل نجوم هادية وعلامات مضيئة في تاريخ البشرية جعلوا للناس الدعوة الى التوحيد والايمان بالله وملائكته وركننه ورسله واليوم الآخر ، وكانوا دعاء الى مكارم الاخلاق ودعائم الفضيلة وحربا على الرذائل والشذوذ والمنكر .

فهؤلاء الرسل يشتركون جميعا في الاساس العام وهو الدعوة الى الايمان بالله ربا وخالقا ورازقا بيده الخلق والامر وهو على كل شيء قدير ، والايمان بالملائكة وباليوم الآخر وبالبعث والحساب والجزاء .

وبنفرد بعض الرسل بدعوات اصلاحية تناسب المجتمع الذي ارسلوا اليه . فشعب عليه السلام حارب تطهير الكيل والميزان . ولوط عليه السلام حارب المثلية الجنسية بين الرجال ، وبين ان الطبيعة البشرية تقتضى ان التوافق الجنسى والتلاؤم لا يتم الا بين الرجل والمرأة . قال لوط : (اتاتون الذكران من العالمين ، وتذرون ما خلق لكم وبكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون) الشعراء ١٦٥ ، ١٦٦

وحارب موسى التفرقة المنصريه بين المصريين واليهود وظل بكافح فرعون وجبروته حتى نجى الله المؤمنين واهلك الظالمين : (ان فرعون علا في الارض وجعل اهله شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحى نساءهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) القصص ٤ - ٦

وجاء المسيح عليه السلام في وقت فلا فيه اليهود في حب المال والاهتمام بالمادة ونعتت الرومان في الطغيان والجبروت ، فكانت دعوة المسيح عليه السلام صيحات ضارعة في التجرد من هوى النفس والخضوع للمال فقول : (لا تكنزوا

أموالكم في الأرض حيث يكون اللصوص والسراق ولكن اكنزوا أموالكم في السماء .

ويقول المسيح (من أحب مالا أو ابنا أكثر من الله فليس مني) ويقول أيضا (من ضحك على خدك الايمن فادر له خدك الايسر ، ومن طلب رداءك فاعطه أزارك ، ومن اراد أن تمشي معه ميلا فامش معه ميلين) . وكانت رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم عامة للناس اجمعين . قال تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) الانبياء ١٠٧ .

وقد اشتملت هذه الرسالة على الاسس العامة ، والخطوط الاصلية في الديانات الالهية ، وجمع القرآن حقائق الالهات ، وصدق الكتب السابقة ، وهي التوراة والانجيل والزبور والفرقان ، لان هذه الكتب لاتضارب بينها ولا تعارض في الاسس العامة التي جاءت بها . قال تعالى : (وانزلنا اليك الكتاب بالحق ، مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا عليه) المائدة / ٤٨ .

وفي اول سورة آل عمران يقول القرآن (الم ، الله لا اله الا هو الحي القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل ، من قبل هدى للناس وانزل الفرقان) . وقد دعا القرآن الى الايمان بالرسول جميعا ، وعدم التفرقة بينهم ، فربهم واحد ودعوتهم واحدة ، هي هداية البشرية ، وارشادها الى مكارم الاخلاق وحماتها من الرذيلة والانحراف . قال تعالى : (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) البقرة/ ٢٨٥ .

ولانكامل ايمان المسلم الا اذا آمن بان الله ارسل رسلا وانبياء كثيرين لهداية الناس منهم من ذكر في القرآن ومنهم من لم يذكر ، قال تعالى (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) غافر/ ٧٨ .

وقد اشتهر من الرسل خمسة سموا بأولى العزم من الرسل ، لكثرة ماتحملوا من المشاق في سبيل الدعوة الى الله وهم : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم . قال تعالى (فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل) الاحقاف/ ٣٥ .

وقد ارسى القرآن دعائم الوحدة الالهية بين الرسل فبين ان هدف الرسل واحد وطريقهم واحد وغايتهم واحدة . . . وبرزت آيات القرآن وحدة الدين عند الله وكررت هذه الحقيقة على لسان الرسل جميعا (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربه لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون) البقرة/ ١٣٦ .

وقد اصطفى الله الانبياء ومنحهم الله الوحي والرسالة ، واختصهم بصفات كريمة هي الصدق والامانة والتبليغ والفظانة ، وجميع الصفات الطيبة التي تدعو البشر الى الاستماع اليهم وتقبل الحق منهم . والرسالة منحة الهبة يختص الله بها من يشاء من عباده . بقول صاحب الجوهرة :

ولم تكن بسوة مكتسبة ولو رقى في الخير أعلى عبه
بل ذلك فضل الله يؤتته من ينساء جل الله واهب المنن

ان الاصطفاء للرسالة منة كبرى وبعمة الهية ، اذ هي رباط بين السماء
والارض (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير)
الحج/٧٥ .

وقد اصطفى الله للرسالة آدم عليه السلام ، ونوحا عليه السلام . كما
اصطفى سبحانه آل ابراهيم ومن نسله اسماعيل واسحاق والاسباط والآلاف
الانبياء . كما اصطفى آل عمران ومن نسله مريم وعيسى الذي جعله الله دليل
القدره الالهية فخلقه من أم دون أب ، كما خلق حواء من أب دون أم وخلق آدم
من دون أب ولا أم . قال تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب
ثم قال له كن فيكون) آل عمران/٥٩ . لقد اصطفى الله افرادا كما اصطفى ذرية
وسلالة من اعماب الانبياء للنبوه والهداية (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل
ابراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم)
آل عمران ٣٣ ، ٣٤ .

لقد اخلص الرسل في تليخ رسالة الله إلى عباده لايتفنون من ذلك اجرا
ولا جاها وانما يبغفون وجه الله سبحانه . ولكن الرسل قوبلوا من قومهم
بالتكذيب والانكار فصبروا وصابروا وأوذوا وقاتلوا وقتلوا .

قال الله تعالى (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم
في سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ، وما كان قولهم
الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدمنا وانصرنا على
القوم الكافرين ، فاتاهم الله نواب الدنيا وحسن نواب الآخرة والله يحب
المحسنين) آل عمران ١٤٦ - ١٤٨ .

والظاهرة الملاحظة في القرآن ان جواب الكفار للرسل حوى عنصر
التكذيب والمكابرة في جمع العصور ، كانما وصى بعضهم بعضا بهذا الجحود
والكنود .

(وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا
فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ، ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن
خاف مقامى وخاف وعيد) ابراهيم ١٣ ، ١٤ .

ولقد كانت رسالات الانبياء ذات صبغة واحدة في الدعوة الى الايمان
والهداية ونوحده الله ونبد الاصنام والانداد .

(قالت رسالهم ائى الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم
من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان
تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتونا بسلطان مبين) ابراهيم/١٠ .

ولقد خص الله الرسل السابقين بمعجرات مادية ملموسة ، فانقذ
ابراهيم من النار ، واعطى موسى البد البنضاء والعصا تبتلج جبال السحرة .
واعطى عيسى ابراء الاكمه والابرص واحساء الموتى باذن الله . ثم اعطى محمدا
صلى الله عليه وسلم وحيا من السماء ودعوة الى الهداية خاطب بها العقل

والفكر ولم يحمل السيف الا دفاعا عن النفس او بحطيمها لطواغيت الكفر او دفعا للفتنة ، وقد تكفل القرآن بدعوة الناس ومناقشتهم ورسم الطريق الى الايمان الهادف ، والتصديق واليقين : قال صلى الله عليه وسلم : « ما من نبي الا واوتى من الآيات ما على مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا يوحى » .

٣ - السلام في الاسلام :

جعل الله شهور العام اثني عشر شهرا منها اربعة حرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب . ثلاثة اشهر متتابعة في نهاية العام الهجرى وبدايته ، وشهر منفرد هو شهر رجب الفرد ، والاشهر الحرم اشهر مباركة يضاعف فيها الثواب ويحرم فيها القتال حتى تهدأ النفوس ويكون هناك فرصة عملية للسلام والأمان . فقد جاء الاسلام بهذا السلام الحقيقي .

فاله اسمه السلام ، والجنة دار السلام ، والقرآن نزل في موكب من السلام ، وتحية المؤمنين يوم يلقون ربهم سلام .
وحين ينتهي الانسان من صلاته ويخرج من العبادة الى الدنيا يخرج من الصلاة بالسلام على اليمين واليسار .

ولن يتردد المؤمن في قبول دعوة السلام اذا دعى اليها ، فالسلام هو الاساس ، ففيه يعمل الناس وتتكاثر الجهود من اجل البناء والاعمار ، وحفظ الدماء والارواح .

قال تعالى (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ، وان يريدوا ان يخذلوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين ، والف بين قلوبهم لو انفقتم ما في الارض جميعا ما لفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم) الانفال ٦١ - ٦٣ .

لقد حارب الاسلام دفاعا عن النفس ، وردا للظلم والعدوان وانتصافا للحق . قال تعالى (اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور) الحج ٣٩ - ٤١

لقد مكث المسلمون في مكة ثلاثة عشر عاما يدعون الى الله . ويرسون دعائم التوحيد ويقدم القرآن الأدلة المتتابعة على الوحدانية، وفي ايجاز وامجاز يجيب القرآن على اسئلة الكافرين حين قالوا يا محمد صف لنا ربك ما هو وابن من هو وما نسبه وما قبيلته واجاب القرآن (قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) . وساق القرآن العديد من الادلة على قدرة الله وتفرد بالخلق والانعام فيقول سبحانه (ام من جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا الله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون ، ام من يجب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض اوله مع الله قليلا ما تذكرون) النمل ٦١ و ٦٢

وتوات آيات القرآن تصف جمال الكون وترابطه ودقة نظامه ، وتبين أن وراء هذه الصنعة المحكمة قدرة سامية وقوة عالية (افحسبتهم انما خلقناكم عبثا وانكم اليها لاترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم) المؤمنون ١١٦

ولكن اهل مكة صموا آذانهم عن سماع الحق وغربهم اموالهم واولادهم ومنعهم الجاه والسلطان والمنصب والعلو في الارض عن الاستجابة لداعى الايمان ثم زادوا في غلوهم فعذبوا المؤمنين وفتنوهم واخرجوهم من ديارهم وهاجر المسلمون الى الحبشة والى المدينة .

ثم اذن الله للمؤمنين بالقتال لانصاف المظلومين ، واغاثة المستضعفين وردع الباغين وتحطيم الطاغوت والجبروت حتى يترك الناس احرارا في تقبل العقيدة واختيار مايشاءون دون اجبار ولا ارهاب . قال تعالى (وما لكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من عندك وليا واجعل لنا من لئنا نصيرا) النساء ٧٥

لقد نزل الاسلام رحمة للناس ودعوة عالمية تخاطب القلب والوجدان . ولا يقبل اعتناق الاسلام الا اذا خالط الايمان اليقين واستقر في القلب والنفس (قالت الاعراب آما قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) الحجرات ١٤ .

وقد قامت الدعوة الاسلامية على الاقناع واقامة الحجج والبرهان . قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) النحل ١٢٥

وقال سبحانه (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) البقرة ٢٥٦

وان حرص الاسلام على السلام ظاهرة واضحة في قبول الاسلام ممن اظهره باللسان وعدم البحث عن خبيثة نفسه وقلبه . . في احدى المعارك أعلن أحد المشركين الاسلام ليحافظ على نفسه وماله عندما رأى الموت رأى العين ، فقتله مسلم . وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فعنف هذا المسلم وقال له : اقتلته بعد أن قال لا اله الا الله . فقال المسلم : انما قالها خوفا من القتل . فقال له النبي : هلا شققت عن قلبه ، أى هل كشفت عن قلبه . فقال المسلم كيف اكشف عن قلبه ، وانما قلبه بضعة منه . فقال النبي فلا أنت كشفت من قلبه ، ولا أنت تركته بعد أن قال لا اله الا الله . فكيف أنت بلا اله الا الله اذا جاءت يوم القيامة .

وانزل الله عز وجل الوحي : (يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتفون عرض الحياة الدنيا فعند الله مفاتم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا) النساء ٤٤ .

لقد حرص الاسلام على سلام الفرد ، بالعقيدة والايمان بالله ، والرضا بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره .

وحرص الاسلام على سلام الاسرة فشرع الزواج وامر بحسن العشرة
والمعاملة وحذر من هدم صرح الاسرة اتباعا لنزوة عارضة قال تعالى (وعاشروهن
بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)
النساء ١٩ .

وحرص الاسلام على سلام الدولة فامر بطاعة الله وأولى الامر من العلماء
والامراء والحكام واهل الحل والعقد ونهى عن الخروج على الجماعة وحث على
وحدة الصف وامر بالتعاون والتناصح والتكافل قال تعالى (ان هذه اممكم
امة واحدة وانا ربكم فاعبدون) الانبياء ٩٢ .

كما حرص الاسلام على سلام العالم فامرنا بحسن الجوار مع الناس
جميعا ونهانا عن البغى والعدوان كما امر الاسلام بوفاء العهد والالتزام
بالمعقود والوفاء بها وحذر من الغدر والبغى . قال تعالى لا ينهاكم الله عن الذين
لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان
الله يحب المقسطين) المتحفة ٨ .

وبذلك جمع الاسلام خصائص الرسالة العالمية والدعوة العامة الى
الناس جميعا لانها دعوة الله الى خلقه فليس فيها محاباة لطائفة أو جنس
وليس فيها دعوة الى عنصرية أو عصبية أو طائفية ، بل هي دعوة الله الى
الناس جميعا ، فالخلق كلهم عيال الله يتفاضلون عنده بالتقوى ويدركون ثوابه
بالعمل الصالح .

قال تعالى (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) الحجرات ٣ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ايها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد
لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، ولا لابيض على احمر ولا
لاحمر على ابيض الا بالتقوى كلكم لام وادم من تراب » .

أحاديث الإذاعة

هذه احاديث قصيرة قدمت من الاذاعة والتلفزيون ،
في بغداد ، والقاهرة ، والرياض ، والخرطوم .
وكان الوقت محددًا للحديث دقائق وأحيانًا بخمس دقائق .
وكان ذلك يفرض على المتحدث التركيز والايجاز حتى يغطي جوانب
الموضوع في وقت يسير .
ولئن فاتنا الاستقصاء والتوسع فقد عوضنا ذلك بالجدة وحسن
العرض ، وتنوع الموضوعات المناسبة .
وقد قسمت هذه الأحاديث الى ١٢ موضوعا هي :

- ١ - العبادات
- ٢ - الآداب الاجتماعية
- ٣ - المرأة
- ٤ - الجهاد
- ٥ - الأخلاق
- ٦ - الذكريات الاسلامية
- ٧ - هذا هو الاسلام
- ٨ - من هدى القرآن
- ٩ - الحلال والحرام
- ١٠ - سؤال وجواب
- ١١ - قصص القرآن الكريم
- ١٢ - ترسة الهبة كريمة

ولم يكن هذا التقسيم حادا فاصلا ، وانما كان من باب التقريب
والترتيب والا فالموضوعات كلها تتحدث عن الاسلام وآدانه في التشريع
والاجتماع وشئون الحياة .

اما الموضوعات التي كتبتها لغير الاذاعة ، فكانت اشمل واحرص على
الاحاطة بجوانب الموضوع ، كما تجد ذلك واضحا في موضوعات : الحج ،
والجهاد في الاسلام

وآمل أن يجد فيها الداعية الى الله زادا مفيدا أو رقيقا مؤنسا . .

(١)

العبادات

الصلاة - الصيام - الزكاة - الحج

الصلاة

للصلاة في الاسلام منزلة كبرى فهي عماد الدين وركنه الاساسى ، وهى اول ما اوجبه الله تعالى من العبادات ، تولى ايجابها بمخاطبة رسوله ليلة الاسراء والمعراج من غير واسطة .

وهى اول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ، وهى آخر وصية وصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم امته عند مفارقتها للدنيا حيث قال : « الصلاة وما ملكت ايمانكم » .

وقد بلغ من عناية الاسلام بالصلاة ان امر بالمحافظة عليها في الحضر والسفر والامن والخوف فقال تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴿١٠﴾ فان خفتهم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) سورة البقرة ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

وقد عرض القرآن للصلاة في مواقع كثيرة ومن جهات متعددة عرض لها في مفتح اطول سورة من كتابه وهى سورة البقرة وأوضح انها من صفات المتقين الذين استحقوا ان يكونوا على هدى من ربهم وان يكونوا مفلحين .

قال تعالى (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون . اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون) .

كما عرض القرآن للصلاة في كثير من سوره وامر باقامتها والاستعانة بها والمحافظة عليها ووصفها بانها كتاب موقوت على المؤمنين وجعل اقامتها

أول عمل بعد الإيمان بالله ، وبين أثرها في تهديب النفوس ووقايتها للآتسان من الفحشاء والمنكر .

كما قرن الفلاح والنجاح باقامتها والمحافظة عليها في أوقاتها والاطمئنان في أركانها وحضور القلب فيها . قال تعالى : (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) .

وقد ذكر القرآن عقاب تارك الصلاة وشدد النكير على من يفرط فيها . قال تعالى : (قويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) . وقال سبحانه (ما سألكم في سقر قالوا لم نك من المصلين) .

ولأن الصلاة من الأمور الكبرى التي تحتاج الى هداية خاصة ، سأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يجعله مقيما لها هو وذريته فقال (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء) .

لقد جعل الله الصلاة صلة العبد وربيه ، وسيلة للمناجاة والمناذاة ومصباحا هاديا للمؤمن الى طريق الخير وهي الزاد الحقيقي للروح ، كما أنها شفاء للصدر وهداية للنفوس ووسيلة للهدى والاستقامة ، كلما غلبت الانسان شئون الحياة أو نازعته نفسه الى الشر والانحراف ، فاذا تذكر المؤمن أنه سيقف بين يدي الله عز وجل متطهرا مكبرا راکما ساجدا كان ذلك من أسباب تمسكه بالفضيلة وبعده عن الرذيلة (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) .

والصلاة وسيلة الى تحقيق رضوان الله ونوابه وتوفيقه وهدايته وهي شفاء لكثير من الامراض العضوية والنفسية فقد ذكر عدد من الاطباء ، أن بعض شفاء الامراض المستعصية قد تم علاجها بسبب ارشاد المريض الى الصلاة سواء صلى هو لنفسه أم صلى عنه غيره . قال تعالى (واقم الصلاة للذكرى) ، أي حافظ على الصلاة لتذكرني فان ذكر الله دواء وشفاء قال تعالى (فاذكروني اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون) البقرة / ١٥٢

والصلاة أولا واخيرا عبادة مفروضة جعلها الله سبيلا لوقوف المخلوق بين يدي الخالق ، ودعاء العبد الفانى للواحد الباقي وهي روح الاسلام وجوهره ولبه . وفي الحديث القدسي يقول الله عز وجل (انما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي وقطع نهاره في ذكرى وأطعم الفقير وآوى الجائع من أجلى) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أرايتم لو أن نهرا بباب أحدكم يفتسل منه في كل يوم خمس مرات اكان يبقى على جسمه شيء من الدرن قلنا : لا يارسول الله . فقال (ص) : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا والذنوب» .

الخشوع في الصلاة

الخشوع في الصلاة روحها وحقيقتها ، إذ أن الخشوع هو اخلاص القلب نفسه لله والتجاءه اليه ، هو مناجاته ومناداته ، هو الفكر والتدبر في قراءة الفاتحة ، والسورة التي تقرأ بعد الفاتحة ، وهو الخضوع في السجود والاطمئنان في أداء الأركان وقد تحدث الامام أبو حامد الغزالي عن الخشوع

فذكر فضله ورسم الطريق لجمع الدهن في الصلاة ، ووجه النداء لكل مصل
قائلا :

١ - اذا رايت ذهنك متصرفا عن الصلاة بسبب الضوضاء والحركة أو الصور
والنقوش فالجأ الى مكان هادىء مظلم اثناء الصلاة .

٢ - اذا كان عدم الخشوع سببه انصراف الدهن وانشغاله بأمور الدنيا ،
فحاول أن تجمع ذهنك . وان تنبه نفسك قبل الصلاة الى أنك ستقف
بين يدي الله ، وأنه مطلع عليك ، واستحضر عظمة الله في قلبك ، وفضل
الخشوع ولذة المناجاة لله .

٣ - اذا لم ينجح كل هذا فاعلم أن هناك داء اصيلا في النفس لابد من قطعه
وهذا الداء هو حب الدنيا والركون اليها . فتقدر ماتكون النفس مشغولة
بالحظوظ العاجلة بقدر ماتنصرف عن المناجاة ، والدنيا والآخرة مثل
كفتى الميزان اذا رجحت احدهما خفت الاخرى .

٤ - ليس سهلا اخراج حب الدنيا من القلب وليس أمرا ميسورا أن تجد
نفسك خاشعا في الصلاة فقد كان السلف الصالح يجاهدون أنفسهم حتى
يصلوا ركعتين لاتحدثهم أنفسهم فيهما بأى شيء من أمور الدنيا
فلايستطيعون .

٥ - اعلم أيضا أن الخشوع في الصلاة ثمرة للاقبال على الله والعمل للآخرة
وتفضيل الآخرة على الدنيا فمن كان قلبه متعلقا بالله مستحضرا قدرته
وعظمته عارفا بالحساب والجزاء والجنة والنار متأكدا أن الآخرة خير
وأبقى من الدنيا ، أنبعث همته في الصلاة وصار يخشع فيها شيئا فشيئا
حتى تصبح صلاته أقرب الى الكمال .

٦ - ان لم تكن خاشعا في الصلاة فلانفاس ، وخذ في الاسباب وادع الله أن
يلهمك الخشوع والخضوع لأوامره ، وحضور القلب في الصلاة فانه يقول
(واذا سألك عبادة عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان
فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون) . البقرة : ١٨٦ .

آداب الصلاة

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم
خاشعون) .

أيها المؤمن

الايمن : تصديق بالجنان ونطق باللسان وانتقاد بالجوارح نحو طاعة
الرحمن ، وليس الايمان كلاما لفظيا ، ولكنه سلوك فعلى ، قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « ليس الايمان بالتمنى ولكن ماقر في القلب وصدقه
العمل ، الا وان أقواما غرتهم الامانى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا
تحسن الظن بالله وكذبوا على الله لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » .

وأول فرائض الإسلام هي الصلاة ، فهي عماد الدين وركن الإسلام ومفتاح
الفلاح ودليل إلى مرضاة الله ، وهي نور على الصراط وأنيب في القبر ونقل
في ميزان الحسنات قال تعالى (**قد أفلح من تزكى • وذكر اسم ربه فصلى •**
بل تؤنرون الحياة الدنيا • والآخرة خير وأبقى •) .

والصلاة وسيلة لطهارة النفوس ونظافة القلوب ومراقبة الخالق وذكر
الله تعالى وتدبر آلائه ونعمائه . قال تعالى : (**واقم الصلاة لذكري**) يفتح
المؤمن صلاته بتكبير الله فهو أكبر من كل شيء ، من سلطان الهوى ومن أغراء
الشیطان ، قال تعالى : (**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا**
فإذا هم مبصرون •)

يبدأ المؤمن صلاته بقراءة سورة الفاتحة فيسنشعر ببركة الله حين يقول:
بسم الله الرحمن الرحيم ، ويتذكر فضله ونعمه حين يقول : الحمد لله رب
العالمين ، ويتذكر رحمته الواسعة وستره وحلمه حين يقول : الرحمن الرحيم
ثم يستشعر عظمة الله وجبروته حين يقول مالك يوم الدين . ثم يخاطب ربه
بقلبه ولسانه قائلا : اياك نعبد واياك نستعين ، ثم يطلب من الله الهدى
والسداد ، وأن يجنبه الزلل والخطل فيقول : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط
الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . ثم يدعو ربه أن يستجيب
دعاه فيقول : آمين .

أيها المؤمن

هذه هي الفاتحة أم القرآن يقرؤها المؤمن في صلاته سبع عشرة مرة في
صلاة الفرض فضلا عن صلاة النفل ، وليس تكرار الصلاة إلا وسيلة عملية
لحماية الإنسان من وطأة الحياة وتسلط الشيطان والهوى ، فالمؤمن يبدأ
نهاره بصلاة الصبح ، وفيها يتذكر القلب عظمة الله الذي جعل الليل سكنا
وأعقبه بالنهار نورا وسعيا ، ثم يبدأ المؤمن عمله ، وبين كل فترة وأخرى يأتي
ميقات الصلاة فيتطهر المؤمن ويفسل أطرافه فيعيد إلى نفسه طهارتها
ونظافتها ، ثم يكرر وقوفه بين يدي ربه في مناجاة مخصصة ومناداة قانتة في
قراءة القرآن ، وركوع وسجود وتشهد يغمز القلب بالإيمان ، ثم يختم الصلاة
بالسلام عن اليمين واليسار ، فيخرج من صلاته وهو سلام وأمان للناس
أجمعين .

أيها المؤمن ،

إن أداء الصلاة في أوقاتها المحدودة يعلمنا النظام في العمل واحترام
المواعيد ، وأنه لتذكرة للمتقين ، في خمسة لوقات يتوبون فيها إلى الله مما
أسلفوا ويجددون صلواتهم به إذا ألهمهم الحياة الدنيا عنه ، فالزم نفسك
بالصلاة والحفاظة عليها في أوقاتها وأمر بها زوجك وولدك . قال تعالى :
(**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى**)
والتقوى هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والاستعداد ليوم الرحيل .
وتذكر أن الحياة إلى فناء وبعدها حساب وخلود وجزاء . وإنك لو
رايت أهل سخط الله تعالى وما صاروا إليه من ألوان العذاب وشدة نقمته
عليهم ، وسمعت زفيرهم في النار وشهيقهم ،

ولو رأيت أهل طاعة الله تعالى وما صاروا إليه من خير ونعيم وجنة عالية قطوفها دانية .

لو رأيت ذلك فحافظت على الصلاة في أوقاتها مهما كلفك ذلك من جهد وتعب ورأيت فيها طريقا إلى الجنة ونورا على الصراط ووسيلة لمناجاة الله في الدنيا والسعادة بقربه يوم القيامة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خمس صلوات كتبهن الله على العباد من أنى بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن ، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد أن شاء عذبه وأن شاء ففر له » .

أيها المؤمن :

إن الإسلام كل لا يتجزأ ، وقد بنى الإسلام على خمسة أركان هي : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا .

وهذه الأركان تربية عملية للمؤمنين ، فهم حين يقيمون الصلاة يتجهون إلى الله بالعبادة ويرتفعون بهذا عن عبادة العباد وعبادة الأشياء ، يتجهون إلى القوة المطلقة بغير حدود ويحنون جباههم لله لا للعبيد والقلب الذي يسجد لله حقا ، ويتصل به على مدار الليل والنهار ، يستشعر أنه موصول السبب بواجب الوجود ، ويجد لحياته غاية أعلى من أن تسنفرق في الأرض وحاجات الأرض ، ويحس أنه أقوى من الخلائق لأنه متصل بخالق الخلائق ، وهذا كله مصدر قوة للضمير كما أنه مصدر للطهارة والتقوى وعامل هام من عوامل تربية الشخصية ، وجعلها ربانية التصور ربانية الشعور ، ربانية السلوك .

أخرج البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله تعالى في الحديث القدسي : (يا عبادي أتى حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطمعته فاستطعموني أطمعكم ، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي أتكم تصلون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم) .

الزكاة

حديثنا اليوم عن الزكاة . والزكاة عبادة قديمة عرفت في الاديان السابقة على شكل من الاشكال . قال تعالى في شأن ابراهيم واسماعيل واسحق : « وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وابتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » ٧٣ الانبياء

ويقول سبحانه في شأن اهل الكتاب عامة : (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) . ومن حديث القرآن عن المال نستخلص المبادئ الآتية : -

١ - اعلن القرآن أن المال في يد الاغنياء ليس الا رديعة من الله استخلفهم في حفظه وادارته وتوزيعه بما رسم لهم من طرق صالحة مفيدة قال تعالى (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) .

فليست الزكاة تبرعا أو تفضلا من الاغنياء على الفقراء ، ان شاءوا تطوعوا بها وان شاءوا حبسوها ومنعوها وانما هي حق معلوم ، للسائل والمحروم ، وهي فريضة محكمة التي يوم القيامة ، فرضها الله لبحفظ التوازن بين الاغنياء والفقراء ، (كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) ٧ الحشر .

فالمال مال الله والاغنياء خلفاء الله عليه والفقراء عيال الله وان احب خلفاء الله اليه ابرهم بعاله ، وان البر ذمة وفريضة لازالة الفوارق الطبيعية الشاسعة لما وراءها من ضغائن واحقاد ، تؤدي الى هزكيان المجتمع ففى الزكاة ازالة للضغينة ، وابادة للجريمة .

٢ - حارب القرآن الشح والبخل ودعا الى التكافل والتعاون والابشار قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وقال عز شأنه (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) وفي الحديث (اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم ، امرهم بالقطيعة فقطعوا ، وامرهم بالبخل فبخلوا وامرهم بالفجور ففجروا) (اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة . واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم) (ان الشح من الكفر والكفر من النار) لان الشح مبعث الحقد والضغن والفساد ولانه يمنع التعاون والتراحم بين العباد .

٣ - توعد القرآن مانع الزكاة بعذاب القبر وصفائح جهنم وسوء الحساب قال تعالى (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فلو قوا ما كنتم تكتزون) ٣٤ ، ٣٥ التوبة .

وفي الحديث الشريف « مامن صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الا جاءت يوم القيامة اعظم ما كانت واسمته تنطحه بقرونها وتطوه باظلافها كلما قضيت من آخرها هادت عليه من اولها حتى يقضى بين الخلائق »
ولنستمع الى حديث القرآن في شأن ارباب الاموال الذين لا يقومون بحق الفقير والمسكين « كلا بل لا تكرمون اليتيم . ولا تحاضون على طعام المسكين . وتأكلون التراث اكلا لبا . وتحبون المال حبا جما . كلا انا دكت الارض دكا دكا . وجاء ربك والملك صفا صفا . وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانن له الذكرى ، يقول يا ليتني قدمت حياتي ، فيومئذ لا يعذب عباده احد . ولا يوثق وثاقه احد » الفجر من ١٧ - ٢٦ .
ويقول سبحانه : « ما سلكتكم في سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين ولم نك نعلم المسكين .

٤ - حدد القرآن الاصناف الثمانية ، الذين تدفع اليهم الزكاة فقال سبحانه :

« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغامرين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله ، والله عليم حكيم » - ٦٠ - التوبة

ولاستحق هذه الاصناف حقها في الزكاة ، الا بعد ان تستنفذ الوسائل الخاصة في الارتزاق فالاسلام حريص على الكرامة الانسانية ومع انه جعل الزكاة حقا واجبا لا منحة وتفضلا فانه لم يفعل ان اليد العليا خير من اليد السفلى وان المعطى ايا كان متفضل والآخذ متفضل عليه ، ولذا مدح القرآن الاستعفاف والاستغناء وحثنا على تفقد ثبات من الناس اخلى عليهم الدهر ومع ذلك يتجملون بالتصبر والتعفف

قال تعالى :

« للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسنهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس اخفا ، وما تنفقوا من خير فان الله به عليم » ٢٧٣ البقرة .

٥ - حث القرآن على الصدقة بجميع انواعها وبين انها خير للمجتمع ومتممة لاهداف الزكاة ، في الرحمة بالفقراء والضعفاء ، وحماية اليتامى والمساكين ، قال تعالى :

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبنى القرى واليتامى والمساكين » ٦ النساء .

وقال عز شأنه :

« وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
والسائلين وفى الرقاب» «أن تبدو الصدقات فنعمها هى وان تخفوها وتؤتوها
الفقراء فهو خير لكم» البقرة ٢٧١ .

بل يعتبر القرآن ان اطعام الفقير والمسكين عقبة وقمة اذا اقتحمها
الانسان وصل الى السعادة الحقة التى لايشوبها تنقيص ولا ألم . قال
تعالى :

(فلا اقتحم العقبة ، وما ادراك ما العقبة ، فك رقبة ، او اطعام فى
يوم ذى مسغبة ، يتيماً ذا مقربة ، او مسكيناً ذا متربة ، ثم كان من الذين
آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة ، اولئك اصحاب اليمينه)
البلد ١١ - ١٨ .

وحسب الفقير أن الله لم يذكر فى كتابه شأننا من الشئون باسم العقبة
الا فى هذا الموضوع موضع تنظيم علاقته بالغنى ، موضع رحمة الانسان بأخيه
الانسان . فاقروا القرآن وتفهموا احكامه فلا تكاد تخلو سورة من سوره من
وصية بالخير والبر والمعروف .

وبذلك يعظم الترابط والتساند ، والتأخى والنعاون ، ويصبح المجتمع
الاسلامى يدا واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

شهر رمضان

مرحبا شهر رمضان ، مرحبا شهر الصيام
مرحبا شهر القرآن ، مرحبا شهر الصدقة وصلة الارحام
(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى
والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه) البقرة ١٨٥ .

شهر فرض الله صيامه ، والصوم في حقيقته الامساك عن الاكل والشرب
وشهوة البطن والفرج من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس .
الصوم امساك عن المفطرات وعزوف عن رغبات النفس وتجرد عن
طلبات الجسم الى مرضاة الرب .

والصائم يترك طعامه وشرابه من اجل مرضاة الله وتقواه قال تعالى
(يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم
تتقون) البقرة ١٨٣ .

الصوم وقاية من المعاصي وبعد عن الشر والعدوان وامتنال لامر الله
وتشبهه بالملائكة الأبرار قال صلى الله عليه وسلم (الصيام جنة فاذا كان صوم
أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ خاصمه أو شاتمته فليقل انى صائم
انى صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى
من ريح المسك يقول الله تعالى ايها العبد الصائم التارك طعامه وشرابه من
أجلى أنت عندي كبعض ملائكتي) .

ومن أهم آثار الصيام ثلاثة أشياء :

١ - التحرر من سلطان العادة ، فان للعادات سلطانا على النفوس فاذا تحرر
الانسان من سلطان الاكل والشرب والدخان وكل مطالب الجسم لفترة
من الوقت خرج من الصيام وقد قويت ارادته وتزود بالصبر ومضاء
العزيمة وصارت لمطالب الروح والقلب المنزلة الاولى عنده .وقدم المسلم
طاعة الله على حظوظ النفس .

٢ - تعود الصبر وغيض البصر وحفظ اللسان وامساك اليد والرجل والقلب
عن الحرام . قال تعالى (ولا تنفق مالىس لك به علم ان السمع والبصر
والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا) والصوم نصف الصبر والصبر

نصف الايمان ، فالصوم ربع الايمان ، والصوم قائم على الصبر
والاحتمال قال تعالى (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) .

٣ - ومن آثار الصيام يعود مراقبة الله وامثال امره واجتناب نواهيه وفي
الحديث القدسي (كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وانا اجزى
به) .

الصوم طريق الى مرضاه الله وطريق الى الجنة ونعيمها وفي الحديث
اذا جاء رمضان فتحت ابواب الجنة وأغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين
ونادى مناد من قبل الله تعالى يا طالب الخير اقبل ويا باقى الشر ادبر) .

حكمة الصوم

بنى الاسلام على خمسة اركان ، هي شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت
لمن استطاع اليه سبيلا .

وهذه الاركان الخمسة تنعاون كلها فى بناء شخصية المسلم ، وارساء
دعائم التعاون والتوادر والتراحم بين المسلمين .

فالشهادتان اعتراف بالتوحيد ، والصلاة صلة بين المخلوق والخالق ،
والزكاة دعامة التعاون والتكافل بين الغنى والفقير .

والصوم صفاء للنفس ، ورقة للقلب ، وطهارة للروح ، والحج توحيد
بين المسلمين فى الهدف والطواف وتعظيم المناسك .

كانى بالمسلمين جميعا فى شهر رمضان وقد اتحدت اهدافهم وصفت
قلوبهم وغيروا مواعيد طعامهم ونومهم .

كانى بهم وقد صلوا صلاة التراويح ، وصمرت بهم المساجد واقبلوا
على قراءة القرآن ، ودعاء الرحمن وطاعة الله الواحد الأحد .

كانى بالمسلمين وقد اذن مؤذن الفجر فى رمضان فتركوا الطعام والماء
والدخان والمخالطة الخاصة بين الرجل والمرأة ، واستقبلوا يومهم بصلاة الفجر
ودعاء الله فيقول المؤمن نويت صيام غد من شهر رمضان ايمانا واحتسابا
لوجه الله تعالى .

كانى بالصائم وهو يجوع ويعطش ، ولكنه يراقب موله ويمسك عن
المفطرات من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس ايمانا واحتسابا .

كانى بالصائم وقد صامت معدته عن الطعام ، وصامت جوارحه عن
الحرام فامسك عنه عن النظر الى ما حرم الله ، وامسك لسانه عن الغيبة

والنميمة ، وأمسك أذنه عن سماع الاثم والبهتان ، وأمسك يده عن إيذاء الناس ، وأمسك رجله عن المشي الى الموبقات ، وأمسك فؤاده عن التفكير في الاذى والمنكر .

فالصوم وقابة من المعاصي ، وحماية للنفس ، وتدريب على الطاعة وصفاء للقلب ، وصله بين الانسان وربه ، ورياضة روحية تصفو فيها النفس ، وتصل الروح نفسها بالمالا الاعلى ، ويصبح الانسان أشبه بالملائكة المقربين ، الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

مراتب الصيام

أيها المؤمنون :

ان معالم الدين واضحة ، واهدافه ومقاصده معلومة ، فقد بين الله الحلال من الحرام ، وميز الخبيث من الطيب ،

أخرج البخارى في صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات ، لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب)

أيها المؤمنون

انما فرض الله الصيام ليكون درسا عمليا في ابعاد الصائم عن الشبهات فقد أعلمه ان كمال الصوم انما يكون بحفظ الجوارح والاعضاء ، وصيامها عن المحرمات وبعدها عما يفضب الله وبهذا كان الصوم مدرسة يتعلم فيها الصائم صفاء النفس وطهارة القلب وصدق العزيمة ، ودوام المراقبة والمحاسبة ، وبذلك يكون الصوم مقبولا كاملا وهو صوم الايمان بالله ، واحتساب الثواب عند الله وذلك ما عناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله «من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»

أيها المؤمنون :

للصيام في الاسلام مراتب ثلاث

المرتبة الثانية : وهى المرتبة الاولى مضموما اليها صوم الجوارح عن الصوم الظاهر الذى يكتفى أكثر الناس به ويظنون أنهم أدوا به الواجب من العهد .

المرتبة الثانية : وهى المرتبة الاولى مضموما اليها صوم الجوارح عن ارتكاب الاثام ، فصوم اليد امساکها عن الايذاء وتناول المحرمات وصوم الرجل امساکه عن السعى الى الفساد والمشى الى ما يفضب الله ، وصوم اللسان امساکه عن قول المنكر وعن اللغو والكذب والهديان والغيبة والنميمة ،

والفحش والمراء وزور الكلام وصوم الاذن : امساكها عن الاصغاء الى الاكاذيب ، واستماع الاكاذيب ، والانصات الى المشائين بالنميمة ، وصوم العين امساكها عن النظر الى الحرمات والتطلع الى الأسرار ، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل ، وان امرؤ قاتله او شانه فليقل : انى صائم انى صائم .
اما المرنية الثالثة : فهي مع كل ما تقدم صوم القلب وتطهيرها عن كل مالا يناسب الايمان ولا يلائم الاخلاص فالتعكير في الخطايا وبدبير الفتن افطار وصرف الهمة في دنيات الأمور افطار ، والحسد والحقد افطار ، وترك المعروف افطار والسكوت عن المنكر يرتكب افطار والتهاون في اقامة الحدود ورد المظالم افطار والتلاعب بالمصالح العامة افطار وهكذا

ومعنى الافطار هنا ان الصائم لم يرتفع بصومه الى منزلة خواص المقربين ، وانما هبط الى منزله عوام الصائمين وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال :

«كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش وكم من قائم ليس له من قيامه الا السهر والتعب»

أيها المؤمنون :

تلك مراتب الصيام الثلاث وهي ما عبر عنها أبو حامد الغزالي بقوله الصوم على ثلاث درجات صيام العوام ، وصيام الخواص ، وصيام خواص الخواص .

فان لم تكن من طبفه خواص الخواص فلا اقل من أن تكون من طبفه الخواص وهم الذين يصرمون عن الطعام والشراب ويحفظون جوارحهم عن المحرمات والشبهات ، ويملاون قلوبهم بذكر الله ومراقبة عظمتة وخشية حسابه قال تعالى :

« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم »
الأنفال آيات ٢ ، ٣ ، ٤ .

اللهم تقبل صيامنا واحعله قربي في ميزاننا ، واجعل رمضان شاهدا لنا لا علينا وتقبل اللهم صلاتنا وقيامنا ونسكنا وارزقنا القبول والتقى ، والعفاف والفنى ، واهدنا سواء السبيل .

اللهم وفقنا ووفق ذريتنا لاقام الصلاة وايناء الزكاة وصيام رمضان وحج بيتك الحرام ، اللهم ارفع راية الاسلام وأعلى كلمته ، وانصر امته ، اللهم ايد جيوشنا المرابطة في سبيلك واملأ صدورنا بفيض الايمان بك وجميل التوكل عليك واجعل معها بأسك الغالب ، ونوفيقك العظيم ، اللهم انصرها على أعدائها ، ومكنها من استرداد الارض السليبية ، ورد الينا المسجد الاقصى وحقوق العرب والمسلمين يارب العالمين .

شهر رمضان .. صيام ودعاء

- ورد في هدى النبوة أنه : « اذا جاء شهر رمضان فتحت ابواب الجنان وغلقت ابواب النيران ونادى مناد من قبل الله تعالى ياطالب الخير اقبل وياباغي الشر ادبر » .
- وقد اختص الله شهر رمضان بعدد من الفضائل والمزايا يمكن ان نذكر عشرًا منها :
- ١ - فهو شهر انزل الله فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .
 - ٢ - وهو شهر الصوم . وفي الصيام صماء النفس ، وخشوع القلب ، ومراقبة الله سبحانه وتعالى .
 - ٣ - وهو شهر الصبر والاحتمال وتربية الارادة وخلق عادات اسلامية سليمة .
 - ٤ - وهو شهر الصدقة وصلة الرحم ، ففيه صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين . وفي الحديث : كان صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، فمرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة .
 - ٥ - وفي السابع عشر من رمضان في العام الثاني للهجرة كانت غزوة بدر الكبرى وهي اول معركة هامة في تاريخ الدعوة الاسلامية . وكان انتصار المسلمين فيها نقطة تحول اساسية بدأت قوة المسلمين بعدها في النمو والازدياد .
 - ٦ - وفي ٢٠ من رمضان سنة ٨ هـ تم فتح مكة وخضعت ام القرى ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ويعتبر فتح مكة من أهم الامور التي اعتز بها الاسلام ، وتمكن بسببها من الصمود والانتشار .
 - ٧ - وفي رمضان ليلة القدر ، وهي ليلة مباركة يضاعف الله فيها الثواب ، ويجعل ثواب العبادة بها خيرا من ثواب العباداة في ألف شهر ، فهي منحة الهية ومكافأة ربانية وعطاء سماوي يكافأ به الصائمون المخلصون . وقد أخفى الله ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان حتى يجتهد المسلمون في اواخره فيحصلوا على قدر كبير من الثواب والاجر .
 - ٨ - وفي شهر رمضان صلاة التراويح وهي عبارة عن صلاة ٢٠ ركعة بعد صلاة العشاء ويجوز ان تصلى ٨ ركعات مع اطالة القراءة .
 - ٩ - وفي ختام رمضان يأتي عيد الفطر مكافأة للصائم الذي ارضى ربه وصام نهار رمضان وقام ليلة فبكون الفرح والسرور في عيد الفطر جزاء عاجلا ، وله في الآخرة ثواب آجل .
 - ١٠ - وفي أعقاب رمضان يأتي صيام الأيام البيض وهي ستة أيام من شوال ، بمثابة مسك الختام لصيام رمضان .

وفي الحديث : « من صام رمضان وأتبعه ستا من شوال فكأنما صام السنة كلها » .

أيها المؤمن :

لقد ذكر القرآن شهر رمضان وحث على صيامه ، وإباح للمريض والمسافر أن يفطرا ، ثم يفضيا عدة الصيام من أيام آخر . قال تعالى : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) .

ومن هذه الآية يتبين أن صيام رمضان واجب وفرض على كل قادر على الصيام مهما كان موطنه أو اقامته . مادام غير مسافر ولا مريض ، ويتبين من الآية أن دين الله يسر لا عسر فيه ولا حرج . وأن تعاليم الاسلام تتفق مع الفطرة الانسانية .

ويجب ان يكمل الصائم صيام رمضان ، ثم يكبر الله تعالى ليلة عيد الفطر أظهارا للفرح والسرور بنعمة الله تعالى على الصائمين ، حيث وفقهم لصيام رمضان ، ثم جعل عيد الفطر منحة وفرحا وسرورا للمؤمنين .

وفي عيد الفطر يتبادل المسلمون التهاني والزيارات دعما لرابطة الاخوة، وتقوية لأواصر المودة بين المسلمين حتى يعودوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

الحج

شعار الوحدة والعزة

قال تعالى : **«ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين»** .

الحج ركن من أركان الاسلام وفريضة من فرائض الدين فرضه الله على كل مسلم قادر على الحج اذا وجد السبيل اليه .
والحج مؤتمر اسلامى عام يجتمع فيه المسلمون من شتى بقاع الارض، فيتدارسون شئونهم ، ويناقشون أمورهم ويعملون على رفعة شأنهم وتحسين أوضاعهم ، والحج عبادة ونسك وتجرد من عوائق الدنيا .

ومناسك الحج فى حقيقتها تثبت دعائم الدين وتقوى عقيدة الاسلام فى نفس المسلم .

يبدأ الحاج عمله باخلاص النية ويتجهز لهذه الرحلة بطهارة القلب والتجرد من الرياء ثم يقول اللهم انى أريد الحج والعمرة فيسرهما لى وتقبلهما منى ، ويلبس ثياب الاحرام ويكثر من التلبية ومن ذكر الله سبحانه وتعالى .

مناسك الحج

الطواف :

اذا رأى المؤمن البست الحرام هلل وكبر وقال : اللهم زد بيتك هذا شريفا وتعظيما وتكريما ، ثم يبدأ الطواف حول البيت سبع مرات .
قال تعالى : **«وليطوفوا بالبيت العتيق»** .

ويبدأ الطواف من عند الحجر الاسود ، ويقبله ان استطاع او يشير اليه بيده ان لم يستطع ، ثم يفف عند الملتزم وهو مكان التزم الله فيه اجابة الدعاء بجوار باب الكعبة فيتشبث بأستار الكعبة ويلصق وجهه بالكعبة ويلحف فى الدعاء قائلا : اللهم ان لكل ضيف قرى ولكل قادر تحية فاجعل قرانا منك مغفرة ذنوبنا وستر عيوبنا ، ويكمل الطواف حول البيت سبع مرات ويكثر من الدعاء لله فى كل مرة فانه من أرجى أماكن القبول .

وبعد الطواف يصلى ركعتين فى مقام ابراهيم عليه السلام ، قال تعالى : **« واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى »** .

ويشرب من ماء زمزم ، فماء زمزم لما شرب له . . ان شربته تستشفى شعاك الله ، وان شربته للغنى اغناك الله . ثم يسعى بين الصفا والمروة سبعة اشواط يبدأ بالصفا ويختم بالمروة وعليه أن يفغ على جبل الصفا ويستعمل البيت ويظن الله ويعول : الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . .

ثم يذهب الى المروة ويعود الى الصفا الى أن يتم سبع مرات ، قال تعالى : **« ان الصفا والمروة من شعائر الله »** ، ثم يقص شيئاً من شعره وبذلك تتم العمرة . ويتحلل من الاحرام ويلبس ملابسه العادية ويظل بمكة الى يوم التروية وهو يوم الثامن من ذى الحجة . فيحرم بالحج ويعمل أعمال الحج وهى الذهاب الى منى والمبيت بها ، والوقوف بعرفات في اليوم التاسع من ذى الحجة . ويكثر من الدعاء في ذلك اليوم ويصعد على جبل الرحمة قبيل الغروب ويدعو الله متبتلاً راجياً فان الله تعالى بساهاى ملائكته بالحجيج في يوم عرفات .

ثم يفيض بعد الغروب الى المزدلفة فيصلى بها المغرب والعشاء جمع تأخير ، وعندما يمر بالمشعر الحرام يكثر من ذكر الله تعالى ، قال تعالى : **« فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم »** .

وفي صبيحة اليوم العاشر من ذى الحجة وهو يوم العيد الاكبر يعمل **اربعة أعمال وهى :**

- ١ - رمى جمرة العقبة الاولى بسبع حصيات بعد شروق الشمس .
- ٢ - ذبح الهدى شكراً لله على اداء الحج والعمرة .
- ٣ - الحلق أو التقصير .
- ٤ - زيارة البيت والطواف حوله سبع مرات وهذا هو طواف الافاضة ويسمى طواف الركن .

وبذلك يتم النسك ويتحلل من الاحرام . ثم يقيم بمنى يومين أو ثلاثة أيام بعد عيد الأضحى ، يرمى خلالها الجمار رجماً للشيطان ويكثر فيها من ذكر الله تعالى ودعائه . قال تعالى : **« واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى »** .

وبعد رمى الجمار بمنى ، يتأهب للسفر من مكة ويطوف بالبيت طواف الوداع ويبكى أو يتباكى وبسال الله الا يجعل ذلك آخر عهده بالبيت . قال صلى الله عليه وسلم : **(الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة)** .

وبعد الحج يذهب المؤمن لزيارة المسجد النبوى ثم يزور الروضة الشريفة مسلماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خشوع ومودة ومحبة،

ويدعو الله عنده ثم يسلم على ابي بكر الصديق وعلى عمر الفاروق ويرور البقيع وبه مداخل الصحابة الاجلاء ويזור معالم المدينة مثل مسجد قباء . وجبل احد . ويصلى في الحرم النبوي ما استطاع . روى البخاري في صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا شدة الرجال الا لثلاثة مساجد : مسجدي هدا ، والمسجد الحرام بمكة ، والمسجد الاقصى بالشام) .

الحج رمز الوحدة :

لقد اراد الله لهذه الامة ان تكون خير امه اخرج للناس ، فأمرها بوحدة الصف ووحدة الهدف وتماسك المشاعر وارتباطها وحشها على التعاون والتراحم والتعاطف ، وشرع لها من العبادات والمناسك ما يجعل هذا الارتباط حقيقة عملية وسلوكا فعليا ، فالصلاة التفاضل حول قبلة واحدة ووراء امام واحد ومناجاة لرب واحد .

والزكاة تراحم وتعاطف وتكافل وتماسك وعطاء من الاغنياء ومودة ومحبة من الفقراء .

والصيام وحدة في الشعور وامساك عن الطعام امتثالا لأمر الله .

والحج تلبية مقصودة وندوة مجتمعة من بقاع الارض المتعددة امتثالا لله الواحد الاحد الفرد الصمد ، وشهادة بانه الاله المسحق للعبادة وأنه صاحب الحمد والمدة وفي الحج بجوار وتجاوز وتلاق بين المسلمين من كل مكان حول الكعبة وحول الصفا والمروة وحول البيت العتيق يدمون ربا واحدا ويلتفون حول قبلة واحدة ويتناقشون فيما يعود عليهم بالنفع ، وعلى امتهم بالخير والنصر .

لقد كانت احداث العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ الموافق السادس من اكتوبر ١٩٧٣ م نموذجا عملنا لوحدة الامة فما ان اذن المؤذن حتى على الجهاد حتى عبرت القناة وحطمت حصون الطغاة وتقدم الجنود وظهر الفداء ونزل نصر السماء .

وعرف الصديق في وقت الضيق فكان العرب المؤمنون يدا واحدا وصفا واحدا وشعورا واحدا يحسون ان المعركة معركتهم وان القتال قتالهم وان العدو عدوهم .

وتجاوب العرب المؤمنون من المحيط الى الخليج وتسابقوا الى مساندة المجاهدين ودعم المقاتلين وظهرت وحدة العرب لأول مرة في التاريخ الحديث قوة عملية وصورة ايجابية تنفع الاصدقاء ونصر الاعداء :

فان لم تستطع نفعا فضر فانما يرجى الفتى كما يضر وينفعا

ان مصر كنانة الله في أرضه وهي قلب العروبة النابض لقد حباها الله بالماضي العريق والتاريخ المجيد والقيادة المؤمنة الواعية وهي الآن تسير في جهادها وتصنع أمجادها وتعرف طريقها وتدمم صفوفها وتقوى جيشها ، وتوازر اخوتها مع جاراتها ، فالوحدة قوة ورباط وعون في النعماء والبأساء . وهي السبيل الوحيد الى العزة والنصر ، والطريق الامثل الى القوة

والسيادة ، والله يقول في كتابه (ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون) الانبياء ٩٢ .

ايها الحجاج بحية حالصه . ودعاء ضارعا ان يكون الحج في هذا العام رمزا عمليا للوحده والعوه وطريبا فعليا لأمجاد الاسلام ونصر المجاهدين ، وصدق الله العظيم . (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) .
ايها المؤمنون :

يد الله مع الجماعة وعناية الله مع المفيين ، وبصر الله للمجاهدين وبركة الله للفرقة والحجاج والمقاتلين :
(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) .

حجة الرسول صلى الله عليه وسلم

الحج ركن من اركان الاسلام وشعبه من شعائره ، بجمع المسلمون من كل فج عميق من تسمى بقاع الارض ، ويفدون الى بيت الله الحرم معظمين شعائره مكبرين مهللين طائفين بالبيت العتيق ، ساعين بين الصفا والمروة ، واقفين على عرفات في يوم واحد وفي وقت واحد يصطف الجميع داعين مكبرين متبتلين ، ويباهى الله ملائكته بالحجيج يوم عرفات فيقول : ياملائكتي انظروا الى عبادي اتوني شعنا غربا من كل فج عميق يسألون رحمتي ولم يروني ويتعوذون من عذابي ولم يروني ، أشهدكم ياملائكتي اني قد غفرت لهم .

حكمة الحج :

الحج مؤنمر اسلامي عام ، وسياحة دينية روحية بدأت من زمن بعيد لم تكن فيه الدنيا تقدر فضل السياحة .

وفي الحج يتعارف المسلمون ببعضهم ويقفون على مشاكل اخوانهم ، فهو وسيلة من وسائل الترابط والتعاون والتآلف ، ترى المسلمين قد قدموا من كل مكان : من تونس والجزائر ومراكش ، من ليبيا ومصر والسودان والحبشة وكل افريقيا ، من الشام والعراق والكويت ، من الهند وباكستان وتايلند ، من الفلبين واندونيسيا والملايو ، من أوروبا وأمريكا والبرازيل . من كل هذه البلاد وغيرها بتوافد المسلمون بالسنة مختلفة واللوان مختلفة ، ولكنهم يناجون ربا واحدا وسحجون الى قبلة واحدة ويؤمنون بدين واحد وكتاب واحد ونبي واحد وهدف واحد . (ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون) .

قد وحد بينهم مظهر واحد يستوى فيه الفنى والفقير والكبير والصغير ، وقد سوى بينهم قصد مشترك ودعاء موحد وتلبية لله واستجابة لندائه فحجهم الجميع قائلين : (لسك اللهم ليك ، لبك لاشريك لك ليك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) .

حجة الرسول صلى الله عليه وسلم :

عزم الرسول صلى الله عليه وسلم على الحج ليؤدي الفريضة وليبين للناس مناسك الحج والعمرة ، وكان ذلك في ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة .

وما كاد النبا يديع في الآفاق حتى توافد الناس الى المدينة استعدادا لنيل شرف الصحبة في هذه الحجة العظيمة .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس من المدينة في اواخر ذي القعدة فنزل بذي الحليفة وصلى فيها العصر ركعتين وأحرم منها ثم رفع صوته بالتكبير والتلبية .

في مكة :

سار صلى الله عليه وسلم حتى دخل المسجد الحرام من باب عبد مناف، الذي يسمى اليوم باب بنى شيبه ، فلما رأى الكعبة رفع يديه وكبر وقال : اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام ، حينا ربنا بالسلام وأدخلنا الجنة بسلام اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما ومهابة وتكريما .

الطواف بالبيت :

قصد صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود فاستلمه ولم يواجم عليه ودعا الله عنده ثم بدأ طوافه .

وابتدأ الطواف من عند الحجر الاسود جاعلا الكعبة عن يساره وطاف سبعة أشواط مهرولا في الثلاثة الأولى منها . ثم صلى في مقام إبراهيم وقرأ قوله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) .

السعى بين الصفا والمروة :

ثم رقى الصفا حتى رأى البيت فاستقبله ، وقال ثلاث مرات : لا اله الا الله والله أكبر ، لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا اله الا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

وسعى صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة سبعة أشواط مبتدئا بالصفا ومنتھيا بالمروة .

ولم يسع صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة في حجته غير سعيه هذا .

يوم التروية :

لما كان يوم التروية - وهو يوم الثامن من ذي الحجة - أهل الناس جميعا بالحج وأحرم كل من كان قد أحل ، وسار صلى الله عليه وسلم بالحجيج ضحى الى منى وبات بمنى ليلة التاسع من ذي الحجة وصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح وبقى بها حتى طلعت الشمس .

الوقوف بعرفات :

بعد طلوع الشمس يوم التاسع سار صلى الله عليه وسلم الى عرفات والناس حوله بكبرون ويلبون فلا يكر على احد منهم ، وسزل في مكان قريب من عرفه اعد له بنمرة .

ولما انصف النهار حطب على راحلته خطبه حالده بين فيها للناس انتهاء عهد الترك وفساد أعمال الجاهليه وقرر حرمة الدماء والأموال والأعراص واسقط الربا وأوصى بالنساء خيرا . وبعد انتهاء خطبته أمر بلال فأذن وأقام الصلاة وصلى بالناس الظهر والعصر وجمع بينهما وقصر الصلاة من أجل السهر ثم ركب واني الموقف وقال الناس وقفت ها هنا وعرفه كلها موفى ، وحير الدعاء يوم عرفه وخير ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

ثم استقبل القبلة ورفع يديه الى صدره كما يستطعم المسكين ودعا ويضع الى غروب الشمس .

الإفاضة الى مزدلفة :

ولما غربت الشمس واستحکم غروبها بدهاب الصفرة يوم عرفه أفاض من عرفه الى مزدلفة ، وتسمى جمعا ، ولما وصل الى المزدلفة صلى المغرب والعشاء وجمع بينهما جمع تأخير ولم يصل بينهما شيئا .

ونام صلى الله عليه وسلم بمزدلفة حتى طلع فجر يوم النحر وهو يوم الحج الأكبر ، فصلى الصبح بأذان واقامة ، ثم ركب فأتى المشعر الحرام - وهو جبل يسمى قزح - فاستقبل القبلة وهلل وكبر ودعا حتى قرب طلوع الشمس وقال : وقفت ها هنا والمزدلفة كلها موقف .

الإفاضة الى منى :

سار صلى الله عليه وسلم من مزدلفة الى منى مليبا ، وبعد شروق الشمس توجه الى حمزة العقبة ورماها بسبع حصيات واحدة بعد واحدة ، مكبرا عند رمي كل حصاة .

ثم ذهب صلى الله عليه وسلم الى المنحرفنجر بلانا وستين بدنة بعدد سنى عمره ، ثم أمر عليا أن ينحر مابقى من المائة وقال : نحرنا ها هنا ومعنى كلها منحر وفجاج مكة طريق ومنحر فانحروا في رحالكم . ثم دعا صلى الله عليه وسلم بالحلاق فحلق شعره .

طواف الإفاضة

في يوم النحر رأينا أن النبي صلى الله عليه وسلم عمل ثلاثة أعمال هي :

- ١ - رمي جمرة العقبة .
- ٢ - ذبح الهدى .
- ٣ - حلق الشعر .

ثم أفاض صلى الله عليه وسلم من منى الى مكة قبل ظهر يوم العيد الاكبر فطاف بالبيت طواف الافاضة وهو طواف الركن ، ويسمى طواف الزيارة . ثم صلى ركعتين في مقام ابراهيم ، ثم شرب من ماء زمزم ، ثم عاد الى منى فصلى بها صلاة الظهر وخطب الناس بعد الظهر خطبة جامعة جاء فيها :

(ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا) .

وامر الناس ان يأخذوا عنه مناسكهم .

رمى الجمار :

لما انتصف النهار ثاني ايام العيد ذهب الى الجمار ماشيا فرمى الجمرات الثلاث الصغرى والوسطى والكبرى ، ثم كرر الرمي في اليوم الثالث والرابع من ايام العيد .

طواف الوداع :

ذهب صلى الله عليه وسلم الى مكة فطاف بالبيت طواف الوداع ، ثم عاد الى المدينة المنورة ، ولما رأى المدينة كبر ثلاثا وقال : (لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده) .

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ثواب الحج والعمرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة) .

رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى (1)

العمرة لغة الزيارة ، واعتمر البيت زاره

وشرعا قصد البيت على كيفية خاصة .

(العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما) أى لما يقع بينهما من السيئات وهذا ظاهر في فضيلة العمرة وانها مكفرة للخطايا الواقعة بين العمرتين .

(1) انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى حرف العين وفيه رواه البخارى فى كتاب العمرة ومسلم فى كتاب الحج والترمذى فى كتاب الحج والنسائى فى كتاب مناسك الحج وابن ماجه فى كتاب مناسك الحج وأحمد بن حنبل فى الجزء الثانى حديث رقم ٢٤٦ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، والجزء الثالث حديث رقم ٤٤٧ .

واحتج به الجمهور وكثير من اصحاب مالك على جواز تكرير العمرة في السنة الواحدة ، وكرهه لأنه صلى الله عليه وسلم اعتمر خمس عمرات كل واحدة في سنة مع تمكنه من التكرير ، وقال آخرون لا يعتبر في شهر اكثر من مرة واحدة (١) .
وجميع السنة وقت للعمرة فتصح في كل وقت منها الا في حق من هو متلبس بالحج فلا يصح اعتماره حتى يفرغ من الحج .

واختلف العلماء في وجوب العمرة فمذهب الشافعي والجمهور انها واجبة وممن قال به عمر وابن عمر وابن عباس وطاوس وعطاء وابن المسيب وسعيد بن جبير والحسن البصري ومسروق وابن سيرين والشعبي وأبو بردة ابن أبي موسى ، وعبد الله بن شداد والثوري وأحمد وإسحاق وأبو عبيدة وداود وقال مالك وأبو حنيفة وأبو ثور هي سنة وليست واجبة (٢) .

الفرق بين الحج والعمرة :

يجب للعمرة ما يجب للحج ، وكذلك يسن لها ما يسن له ، وبالجملة فهي كالحج في الاحرام والفرائض والواجبات والسنن والمحرمات . والمكروهات والمفسدات والاحصار وغير ذلك ولكنها تخالفه في خمسة أمور وهي :

- ١ - الحج فرض عند الجميع مرة في العمر ، والعمرة سنة مؤكدة عند الحنفية والمالكية . وفرض عند الشافعية والحنابلة .
- ٢ - الحج له وقت معين يؤدي فيه من السنة وهو شوال وذو القعدة وذو الحجة أما العمرة فتؤدي في أي وقت من أوقات السنة وتؤكد في رمضان للحديث : (عمرة في رمضان تعدل حجة) .
- ٣ - ليس في العمرة وقوف بعرفة ولا نزول بمزدلفة ولا رمي جمار ، ولا جمع بين صلاتين ولا طواف قدوم ولا خطبه .
- ٤ - ميقات العمرة الحل لجميع الناس ، وميقات الحج للمكي الحرم .

٥ - افعال العمرة أربعة هي :

الاحرام من الميقات ، الطواف بالبيت ، السعى بين الصفا والمروة ، التحلل من الاحرام بالحلق أو التقصير .

واقفال الحج عشرة هي :

الاحرام من الميقات ، الطواف بالبيت عند القدوم ، السعى بين الصفا والمروة ، الوقوف بعرفة ، المبيت بالمزدلفة ليلة النحر ، المبيت بمنى في الليلة التالية ، رمي الجمار ٩ حصاة أو ٧ حصاة ، ذبح الهدى لمن عليه هدى ، التحلل من الاحرام ، طواف الافاضة .

(١) صحيح مسلم بشرح الامامين الأبي والسنوسي . الجزء الثالث . فصل العمرة .

(٢) صحيح مسلم شرح النووي ح ٩ ص ١١٨ .

(والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة) .
الحج المبرور هو الذى لا يخالطه اثم ماخوذ من البر وهو الطاعة وقيل
هو المقبول ومن علامة القبول ان يرجع خيرا مما كان ولا يعاود المعاصى . وقيل
هو الذى لا رياء فيه .

والحج المقبول هو ما كان على طريقة الرسول وهدية معصودا به وجه
الله بعيدا عن الرياء وثواب الحج المقبول تكفير السيئات ورفع الدرجات
ودخول الجنة كما فى هذا الحديث (والحج المبرور ليس له جزاء الا
الجنة) .

ومن علامات الحج المقبول ان يلتزم طاعة الله وان يبتعد عن الرفث
والفسوق قال صلى الله عليه وسلم (من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم
يفسق رجع كما ولدته أمه) .

قال الجمهور الرفث هو الجماع وقال الازهرى هى كلمة جامعة لكل
ما يريد الرجل من المرأة . واما الفسوق فهو المعصية ومعنى كيوم ولدته أمه
اى بغير ذنب .

والحج ركن من اركان الاسلام وشعيرة من شعائره فيه يجتمع المسلمون
من سائر البلاد فيعظمون البيت الحرام ويتبادلون الراى والمنافع ويعظمون
الشعائر ويؤدون المناسك .

والحج وسيلة عملية من وسائل جمع الكلمة وتوحيد الصف وتربط
المسلمين وتعاونتهم وتساندهم حتى تقوى رابطتهم ويجتمع امرهم .

(٢١)

الآداب الاجتماعية

اليتيم

تكررت وصايا القرآن بالعناية باليتيم ، الذي فقد أباه ، فقد يفقده السند الحامى ومصدر العطف والحنان والرعاية والرحمة الحقنة ، فمن واجب المجتمع أن يسهم فى رعاية اليتيم حتى ينشأ عضوا نافعا فيه ، ومن واجب الأوصياء أن يتقوا الله فيما تحت أيديهم ويعلموا أن الأيام وأن الدهر قلب ، فكما يخافون على أبنائهم وقلدة أكبادهم من الإهمال والتضييع فليخافوا على اليتامى وليحسنوا رعايتهم . قال تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) النساء ٩ .

وقد نشأ النبي صلى الله عليه وسلم يتيما ، اذ مات أبوه عبد الله وهو جنين فى بطن أمه فكفله جده عبد المطلب ثم عمه أبو طالب . وكان النبي شديد الوفاء لهما ، لم طلب من عمه أن يعطيه ابنه عليا ، فرباه احسن تربية ونشأه احسن تنشئة ، فى بيت النبوة ومشكاة الدعوة . وكان أول من آمن من الصبيان ، هو الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقد ورد فى الهدى النبوى الشئ الكثير من العدة برفع الدرجات فيما يختص بكفالة اليتيم ، والقيام بحقه وواجبه وحسب من كفل اليتيم ورعاه وقام بوصايا الله فيه ، أن يكون مع النبي صلى الله عليه وسلم فى الجنة صاحبا وقريبا ، يتمتع بما فيها من النعيم ، كما تمتع اليتيم برعايته وحسن معاملته والاشراف عليه . قال صلى الله عليه وسلم « من عال ثلاثة من الايتام كان كمن قام ليلة وصام نهاره وعدا وراح شاهرا سيفه فى سبيل الله ، وكنت انا وهو فى الجنة اجوان ، كما أن هاتين اختان (والصق السبابة بالوسطى) . » .

والبست الذى يكرم اليتيم ويحفظ ماله وبرعى حقه بيت فاضل كرم ، قال صلى الله عليه وسلم « خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه ، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم ساء اليه » .

أما هذه الام التي مات زوجها وترك لها ايتاما فشقيت في سبيل تربيتهم والمحافظة عليهم ، أما هذه السيدة فحسبها مكانة عند الله قول الرسول عليه الصلاة والسلام : «أنا وامرأة سفهاء الخدين مات عنها زوجها وترك لها صبية صفارا فحبست نفسها عليهم حتى استغنوا عنها ، أنا وهى كهاتين يوم القيامة » وأشار بالسبابة مع الوسطى ، يريد أنها بجانبه في الجنة لايفصل بينهما شيء .

أيها الأخ المؤمن ، ان القرآن المكي والمدني قد حث على رعاية اليتيم واکرامه قال تعالى في سورة الضحى (ألم يجعلك يتيما فأوى) . ثم يقول : (فاما اليتيم فلا تقهر ، واما السائل فلا تنهر ، واما بنعمة ربك فحدث) .

وقال سبحانه : (أرايت الذي يكذب بالدين ، فلذلك الذي يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين) . وقال عز شأنه : (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن ، حتى يبلغ أشده) وكل هذه آيات مكية ، نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هجرته الى المدينة . وفي المدينة المنورة تخرج المسلمون عن مخالطة اليتيم خوفا من أن يقربوا ماله ، وسألوا رسول الله عن طريقة رعايتهم اليتيم ، ولابد لهم من مخالطته وتشمير ماله ، فأنزل الله عز وجل قوله (ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فآخؤانكم والله يعلم المفسد من المصلح) فافهمهم أن المخالطة مع العدل والاصلاح من مقتضى ما بينهم من الاخوة الانسانية والدينية والرحم .

ثم جاءت سورة النساء وبرزت فيها عناية خاصة باليتيم في شأنه كله، ومهدت لهذه العناية بطلب تفوى الله والارحام وبيان أن الناس خلقوا من نفس واحدة ، فاليتيم حتى ولو كان من غير أسرته فهو أخوكم ورحمكم فقوموا له بحق الاخوة وحق الرحم واحفظوا أمواله وهذبوا نفسه واحذروا اهماله والقاء حبله على غاربه . وفي ذلك يقول الله تعالى : (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبغضوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا) . ويقول سبحانه (وأبتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح ، فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها أسرافا ، وبنوا ان يكبروا . ومن كان غنيا فليستغف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف . فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى الله حسيبا) .

((انا لانضيع اجر من احسن عملا))

يقول الله تعالى في كتابه الكريم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع اجر من احسن عملا) .

قرن الله الايمان بالعمل الصالح وبين ان الانسان مجزى بمثله ومحاسب على سعيه (وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى) وليس الايمان دعوى باللسان بل هو تصديق بالجنان وعمل في مرضاة الرحمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس الايمان بالتمنى ولكن ما قر في القلب وصدقه العمل الا وان اقواما غرتهم الامانى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا على الله لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل) .

وفد حارب الاسلام اللهو والترف والخمول والكسل ، لانها ادواء اجتماعية ، وامراض تهدم بناء الدولة ، وتحطم النفوس وتفرى بالجريمة .
قال تعالى :

(**واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين**) وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن ، واعوذ بك من العجز والكسل ، واعوذ بك من الجبن والبخل ، واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) . ومن دعائه ايضا :

(اللهم انى اعوذ بك من الكمر والمعر) ، وهذا الدعاء النبوى يرسم للامه طريق الهدى والعمره والقوة ، ويجنبها مظاهر الضعف فى الراى والوهى فى العريمه ، والفتور فى السعى ، والذلة فى الحياه ، فالؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وان القوة كل القوة فى احترام انسانية الانسان ، والحفاظة على ماء وجهه ان يراى ، وعلى عزة ايمانه ان تذلل ، وعلى قوة يفيئه ان يهن ، ولن تكون للانسان قوة الا اذا اعتمد على سعيه وعمله وكده ونعمه فأصبح عضوا عاملا ، رخليه مثمرة ولبنة متممة لبناء أمته ، وتدعيم وطنه ، قال عليه افضل الصلاه والسلام (لأن يأخذ احدكم حبله فيأتى بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس اعطوه أو مسعوه) . وقال ايضا :

(ما اكل احدكم طعاما خيرا من ان يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده) .

أيها المؤمنون لم تضيق الاسلام من حدود النشاط الاسلامى ولم يصغر من معانيه بل وسعها وكبرها وترك لها الحدود الفسيحة ففد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع اصحابه يوما فنظروا الى سباب ذى جلد وقوة وقد نكر لسعى ، فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لانقولوا هذا فان كان خرج ليسعى على ولده صفارا فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على ابوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها عن المسألة فهو فى سبيل الله وان كان خرج سسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان) .

وقد حث عليه الصلاة والسلام على العمل والسعى واكل القوت من عرق الجبين وكد اليمين فان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصوم ولا الصلاة ولكن بكفرها طلب القوت من حلال .

وقد جلس عليه الصلاة والسلام مع اصحابه فجعلوا يبنون على رجل فقالوا ان فلانا يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر فقال ايكف نفسه طعامه وشرايه فقالوا كلنا فقال كلكم خير منه ، سمع اصحابه ذلك فاندفعوا يعملون وينشطون حتى قرن الله التجار منهم بالمجاهدين فى سبيل الله قال تعالى (**وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقائلون فى سبيل الله**) فهل هناك شرف للماملين وراء هذا الشرف العظيم .

وقد كان ابو بكر الصديق رضى الله عنه مثالا للنشاط الاسلامى ، فلم يقعه مكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يضرب فى الارض وينمى

تجارته لانه يرى في ذلك تنمية لوارد المجتمع الذي يعيش فيه وقد بلغ ماله اربعين الف دينار فكان يعتق من هذا المال المستضعفين وكان يعول فقراء المسلمين ، لقد غرس الاسلام في اباعه السخاء والبذل وجعلهم يجودون بارواحهم فكيف بأموالهم ؟

وتكافل المسلمون في الرخاء والشده والمسر والبسر ، وكان عطف الغنى على الفقى ورحمة القوى للضعيف آية من آيات سمو هذا الدين وأثره في نفوس المسلمين واستجابتهم لتعاليمه .

تاجر عبد الرحمن بن عوف فأثرى في الاسلام براء ضخما حتى قدم له مرة سبعمائة بعير تحمل البر والدقيق والطعام فلما دخلت المدينة سمع لها ضجة وبلغ عبد الرحمن حاجة أهل المدينة فقال العير وما عليها في سبيل الله .

وروى ابن عباس ان الناس قحطوا في عهد أبى بكر وقدمت لعثمان بن عفان ألف راحلة تحمل برا وطعاما .

ففدا التجار على عثمان فقرعوا عليه الباب فخرج اليهم فقال ماتريدون؟ قالوا بئنا ماعندك ، حتى نوسع به على فقراء المدينة ، فقال لهم ادخلوا - فدخلوا - فاذا الف وقر قد صب في دار عثمان فقال لهم كم تربحوننى على شرائى من الشام قالوا العشرة اثنى عشر .

قال عثمان لقد زادونى قالوا العشرة اربعة عشر قال لقد زادونى قالوا العشرة خمسة عشر قال لقد زادونى قالوا من زادك ونحن نجار المدينة قال لقد زادنى الله لكل درهم عشرة (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) قالوا لانقدر على ذلك قال عثمان فاشهدكم معشر التجار أنها صدقة على فقراء المدينة - ذلك نبا عن خلق الرجل المسلم الذى أيدته الله بنصره وأعزه بعونه ولعل في ذلك بلافا لمن كان له قلب ولعل في الماضى أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا .

عناية الاسلام بالأسرة

يقول الله تعالى في كتابه الكريم

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا) .

أيها المسلمون خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته واسكنه فسح جنته قال تعالى :

(واذا قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)

وحلق الله حواء من آدم لنؤسس وحدته ويكون له موده ورحمه وأمننا
وسكننا قال تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها
وجعل بينكم مودة ورحمة) .

وفد حث القرآن الكريم على العناية بالاسرة والمحافظة عليها لانيها اللبنة
الأولى في بناء المجتمع والاساس السليم للامة القوية ، فاذا قويت روابط
الالعه والمودة بين الزوجين وأبنائهما تم بين الاقارب وأولى الارحام زادت
أواصر التعاون والتساند في المجتمع وأصبح المؤمنون صفا واحدا كالبنين
المرصوص ، لذلك حض الاسلام على الزواج لأنه الوسيلة السليمة لبناء
الأسرة ، واشباع العاطفه ، وامتناع النفس ، قال صلى الله عليه وسلم :

(الدنيا متاع ، وخير ماعها المراه الصالحة ، أن نظر لها زوجها سرته
وان أمرها أطاعه ، وان غاب عنها حفظته ، في عرضه وماله) .

واوصى الرسول عليه الصلاة والسلام باختيار الزوجه كريمه الخلق
فاضله النفس حمدة السيرة لانيها سريكة لزوجها وأم لأولاده وأمنه على بينه
وعرضه وسره .

قال صلى الله عليه وسلم (تخبروا لنطقكم فان العرق دساس)
كما حذرنا من المراه السوء حميلة المظهر سيئة المخبر فقال (اياكم
وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يارسول الله ؟ قال المراه الحسناء في
المنبت السوء) .

أيها المسلمون

ان عنانه الاسلام بالاسرة فاقب كل عناية ففد احكم الله تشريعانها وفصل
حقوقها ووضع لها النظام السليم الذي يكفيها شر الخلل والخطأ ويجتنبها
العثار والزلل .

بين الله حقوق الزوجين في كتابه العزيز فأمر الزوج ان يعطى زوجته
المهر والصداف دليلا على صدقه في رغبته وجده في طلبه وبرهانا على قدرته
على النفقة والقيام بحقوق الزوجية قال تعالى : (وآتوا النساء صدقاتهن
نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا) .

وليس المهر بمننا للزوجة ولا شراء لها وليس في ارتفاع المهر ارتفاع لقيمة
الزوجة ولا في قلة المهر دليل على قلة شأنها لأن الزواج تعاون وتساند
واشتراك في خير عمل الا وهو بناء أسرة وتكوين منزل وتربية النشاء عماد
المستقبل وكنز الامة .

ومهر المراه الحقيقي هو خلق الزوج الكرم وانسانيته وعطفه المستمر ،
وهديه الرجل من زوجته هو فضيلة نفسها ، لا كثرة مالها ولذلك ورد في
الحديث الشريف (أخفهن مهورا أكثرهن بركة) .

لقد أوجب الله على الزوج أن ينفق على زوجته حسب طاقته ويساره
قال تعالى :

(فينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله
لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا) .

فالجحش والتسحر في النفقة جور وظلم (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون) .

والاسراف في النفقة والسطع الى ملابس الآخرين وريثهم وتفليدهم في
البدخ والترف والمأكل والملبس يرهق ميزانية الاسره ويعرضها للتمزق
والانحراف .

قال تعالى (ولا تمنن عينيك الى ما امتننا به ازواجاً منهم زهرة الحياة
الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) .

وقال سبحانه

(ولا تبذر تبذيراً ان المبترين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه
كفوراً) . سورة الاسراء ٢٦ ، ٢٧

العشرة بالمعروف

يقول الله تعالى في كتابه الكريم (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً
لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة)

خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه . وخلق حواء من آدم لتكون له
سكناً وامناً وهدوءاً وراحة واوجب على الرجل حقوقاً لزوجته هي الصداق
والنفقة والعشرة بالمعروف قال تعالى (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) وقال
سبحانه (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله
لا يكلف الله نفساً الا ما آتاهما سيجعل الله بعد عسر يسراً) ٧ - الطلاق .

★★★

واوجب على المرأة حقوقاً لزوجها هي طاعة الزوج ، وحفظ سره ،
وماله وعرضه ، قال تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم
على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما
حفظ الله) ٣٤ - النساء .

وليس في قوامة الرجل على المرأة مهانة لها ولا احتقار لشأنها وانما
مرد ذلك الى التوزيع الوظيفي لا الى التفضيل النوعي .

وقد أمر الله الرجل بحسن العشرة والصفو والصبح والمفطرة قال تعالى :

(وعاشروهن بالمعروف) (وان تمفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور
رحيم) .

وبذلك تقوم الحياة الزوجية على أساس متين من التضحية والفداء
وتكران الذات والعمل في سبيل المجموع كما يقول السيد المسيح عليه السلام
(من يفقد نفسه بجدها) أي من يضح بنفسه في سبيل الحق فانه يثبت
وجوده حقاً .

ان طاعة الزوجه لزوجها ليس معناه فناءها أو الغناء وجودها بل ان
فناءها في زوجها هو عين وجودها .

إذا رأيت المروجة المطعمه لزوجها فانك شاهد جمال الطبيعه الحاضمة
لنواميس الحياة وقوانينها .

لان للزوج وظفة وللزوجة وظيفة فاذا انضم العملا سارت سفينة
الحياة اشبه بسلكي الكهرباء أحدهما سالب والآخر موجب ولا غنى لاحدهما
عن الآخر ولا فائدة لاحدهما بدون الآخر .

قال صلى الله عليه وسلم (الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة ان
نظر اليها زوجها سره وان امرها اطاعته وان غاب عنها حفظته في ماله
وعرضه) .

ولنستمع الى أسماء بنت زبد الانصارية النى لفتت بخطبة نساء العرب
ورسولهن الى محمد صلى الله عليه وسلم .

وقفت أسماء عند رسول الله وهو بين اصحابه فغالب (أبى وأمى أم
نا رسول الله) أنا واعدت النساء الك ، ان الله عز وجل بعثك الى الرجال
والنساء كافة فآمننا بك وبالك أنا معتر النساء محصورات مقصورات ، قواعد
بيوتكم ، وحاملات اولادكم وانكم معتر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات
وشهود الجنائز والحج بعد الحج وافضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل
وان احدكم اذا خرج حاجا ، او معتمرا ، او مجاهدا ، حفظنا لكم اموالكم
وغزلنا اثوابكم وربينا لكم اولادكم ، افنشارككم في هذا الاجر والخير ؟ فالتفت
النبي صلى الله عليه وسلم الى اصحابه بوجه كله سم قال (هل سمعتم مسألة
امراة قط احسن من مسألتها في امر دنها) فقالوا يا رسول الله ماظننا ان امرأه
تهتدى الى مثل هذا فالتفت النبي اليها وقال : (افهمى ايتها المرأة . واعلمى من
خلفك من النساء أن حسن نعل المرأة لزوجها يعدل ذلك كله) واخبرت
اسماء نساء العرب ففرحن جميعهن .

نعم اذا فامت الزوجة بواجبها في طاعة الزوج والمحافظة على أسرته
وربية اولاده والقيام بحقه استحقت أفضل المنازل وأعلى الدرجات . وكان
لها عند الله ثواب المجاهدين وأحر المؤمنين . قال تعالى :

(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة
ولنجزيهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)

وكما اوجب الاسلام على المرأة حقوقا لزوجها ، اوجب على الرجل ان
يقوم بواجب أسرته من النفقة والكسوة وحسن العشرة والصبر والاحتمال
قال تعالى (وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل
الله فيه خيرا كثيرا) وقال صلى الله عليه وسلم (لايفرك مؤمن مؤمنة ان كره
منها خلقا رضى منها آخر) أى لايبغض الرجل زوجته لخصلة او عيب محتمل
فلعل فيها خللا كرمة ، لو نظر اليها بعين الرضى لأحنملها وابقى عليها كما

حرم الدين الطلاق بدون سبب وبين انه ابيض الحلال ، وانه يهنر له عرش الرحمن لان في الطلاق صدع الاسر وشريد الابناء واشاعة للرذائل وفصما لعري ونفها الله ، وابطالا لعقود عقدا على كتاب الله وسنة رسول الله قال تعالى (وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا) وقال (ص) (ان الله لا يحب الدواقين ولا الدواقات فاذا تزوجم فلا تطلقوا) فاتقوا الله في ارحامكم واستوصوا خيرا بازواجكم واولادكم .

قال صلى الله عليه وسلم (خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي)

الاسراف والتقتير

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

(ولا تجعل يدك مفلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتتعد ملوما محسورا) الاسراء ٢٩

بين الله للانسان في هذه الاية اصولا واقام له حدودا ان التزمها هدى الى صراط مستقيم ، وان جاوزها وحاد عنها كان من المعتدين الضالين **(تلك حدود الله فلا تعتوها)**

والانسان مفطور على حب المال مفتون به **(انما اموالكم واولادكم فتنة) .**
والاسلام يكره كنز المال ويعاقب عليه **(والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم)**
ويحرم البخل والشح فنقول سبحانه **(الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) .**

وينهى الاسلام عن الاسراف ويندد بالمبذرين قال تعالى **(ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) ، (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) .**

ويامر بالاعتدال في النفقة والابزان في الصرف وبعد ذلك من محامد المؤمنين **(والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) .**

وقد احل الله لنا الطيبات من الرزق في غير اسراف ولا بطنة وابعح الاستمتاع بخيرات الحياة ما ابعدنا عن الترف والفتنة فقال تعالى **(يا بني آدم خلوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعلوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين) .**

ايها المسلمون : البخل يفسد خلق صاحبه ويجمد ماله والبخيل اناني مشغول بنفسه ومعزول عن مجتمعه ينظاهر بالفقر ويشكو القلة وينكر المنه ويكفر بالنعمة ، وهذا الصنف من الناس شر مايتلى به المجتمعات ، حيث غلب عليهم المادية والمصالح التحصيه لا ساهمون في مشروع نافع ولا يشاركون في عمل صالح ، وجزاؤهم عند الله ان يدلهم في الدسا بمالهم ولهم في الآخره عذاب الحريق .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اباكم والسح فانه اهلك من كان قلكم ، امرهم بالقطعة فقطعوا ، وامرهم بالفجور ففجروا) .

كما ان الاسراف انغماس في الحيواناته واسلاخ من الانسانية واقبال على المطالب الفردية ، واهدار لحقون الجماعه وحظر داهم بهدد حياة المجتمع ، والمسرفون متكالبون على الشهوات منغمسون في اللذات والمنكرات ، فارغون الامن البطالة ، جائعون الامن الطعام والشراب عراة الا من فاخر الشاب ، بنعمون بفقر امهم ، وبسعدون بشقاء اوطانهم يحبون في فترات الظلام ويتوارون في عصر النور ، ويظهرون وبسبطرون في عهد الضعف ، وبخفون في عهد القوة .

وقد حارب الاسلام التبذير لانه يودي بالمال وبستنزف الثروة ويومع صاحبه في مخالبا الدين والشقاء .

اما الاقتصاد فانه يوفر المال ونعم المال الصالح للرجل الصالح والاقتصاد في النفقة نصف المعشة .

وقد نهى القرآن ان تكلف المراه زوجها فوق طاقه او مرهقه من امره عسرا وامر الزوج ان ينفق على زوجته وابنائيه بحسب مقدرته فلا يبخل ولا يبلر قال تعالى

(لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا) الطلاق ٧ .

ونهى القرآن عن الغلو في التشبه بالاغنياء والمترفين والتسابق في المظاهر الكاذبة والتطلع الى مااشتره غيرك من اثاث ورياش وامر بالقناعة والاكتفاء بما اعطاك الله قال تعالى (ولاتهمن عينيك الى مامتعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى)

ولقد كانت النساء في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتين بحليهن وذهبن ليجهنن به الجيوش ويقمن به صرح الاسلام ، وكانت نساء النبي صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة ، وبذلك صبرن على الشدائد واحتملن المعشة القفار والرزق الكفاف في سمو وسعة الصدر .

ولما جاءت نساء النبي صلى الله عليه وسلم تطلب منه المزيد من النعمة والزينة وقلن يا رسول الله نساء كسرى ويفصر بين الحلى والحلل والاماء والحول ونساؤك على ما ترى من هذه الحال اى فى سده ومسفة وضيق ، سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم الوحي من السماء بقوله تعالى (يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتنعن واسرحكن سراحا جميلا ، وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما) الاحزاب ٢٨ ، ٢٩

وبدا النبي صلى الله عليه وسلم يستشير نساءه ويخبرهن بين الرضا بما عنده او اطلاق سراجهن واعطائهن المتعة والنعمة وبدا بعائشة وقال لها - أخيرك بين امرين ارجو الا نعطى في احدهما قبل ان نسنشيري ابويك ، وقرأ لها الآية الكريمة ، فبكت عائشة وقالت افيك اشاور ابوى يا رسول الله ؟ اخار الله ورسوله ، وقالت كل نسائه مثل ذلك فعوضهن الله عن ذلك ان سماهن امهات المؤمنين .

(النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين المهاجرين الا ان تفصلوا الى اولياتكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا) الاحزاب ٦ .

حقوق الانسان فى الاسلام

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم

(ولقد كرمتنا بنى آدم ورحمناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) الاسراء ٧٠ .

ايها المسلمون تحتل الامم والشعوب كل عام بالذكرى الخالدة لاعلان حقوق الانسان وقد كان لديننا الحنيف القدح الملى فى تقديس الحقوق والواجبات وللقرآن الكريم فضل السبق فى تكريم انسانية الانسان ونقدبر آدمته .

كما كان لهدى النبي الكريم اثره العملى فى تحرير الانسان واقرار السلام واقامة القسط وتأكيد مفاهيم الاخاء والمساواة والحربة والعدالة منذ اربعة عشر قرنا من الزمان .

فقبل الدعوة الاسلامية كانت الحريات موءودة والحقوق مساوية والعدالة مفقودة وكان الظلم والطغيان شريعة الافراد والجماعات ، يفتك القوى بالضعف ، ويستلب الفادر حق العاجز ويستنزف الغالب دم المغلوب ولما

أشرفت شمس الإسلام اذن الله للعالم أن يستشير بعد الجهالة وأن يهتدى بعد الضلالة وأن يحاب بعد العدوان وأن يتأخى بعد الطغيان وأن يعبد الله لا شريك له ونزل القرآن الكريم فايفظ الانسان واحبا ضميره وخط للحياة مثلا رفيعة وأخرج الناس من الظلمات الى النور (كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد) ابراهيم :

ولقد كان نزول هذا الكتاب العزيز حدنا ناريحيا عالميا ففد نزل للحرير الانسانى العام حرر الفرد من الخرافات والاهام ، وحرر الجماعة من اللد والهوان ، وحرر البشرية من الفوضى والطفيان ، ووضع حدا فاصلا بين عهود بميضة من الهمجبة والظلام ومصور كريمة سمتها النور والايمان . (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمؤمنين)

ايها المسلمون بين البشرية رحم عامة يجب ان نوصل وقربى متينه بعب ان تحترم ، وصلاة من صنع الله الذى خلق كل شىء فالناس جميعا انشاء رجل واحد تشابهوا فى الخلقة وانفقوا فى المبدأ واتحدوا فى المنتهى والى الله يرجعون .

وقد دعا القرآن الكريم الناس الى وحدة انسانيه عامة ننظمهم فى مشارق الارض ومغاربها ونعم خرها اقصاهم وادناهم وحدة تقوم على الاخوة العامة - والزماله الانسانية المشتركة قال تعالى (ياايها الناس انا خلقناكم من ذكرا وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) (الحجرات - ١٣) .

وهذه الوحدة الانسانية يستوى فيها الناس فى الحقوق والواجبات ويستوى فيها الفنى والفقير والقريب والبعيد وحدة لا تقيم وزنا للعنصريات والاجناس ، والطبقات والالوان ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته فى حجة الوداع (ايها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لادم وادم من نراب ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم لس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على ابيض ولا لأبيض على احمر فضل الا بالتقوى) .

وقد حقق رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحدة بين المسلمين وربط بين قلوبهم حتى اصبحوا اسرة واحدة تتكافأ دماؤهم ويسعى بدمهم ادناهم وياخذ القوى بيد الضعيف ، يرشده اذا غوى وبهديه اذا ضل. وينصره اذا ظلم ويحفظه فى ماله وعرضه ، قال تعالى (انما المؤمنون اخوة) وقال صلى الله عليه وسلم (المسلم اخو المسلم لا بظلمه ولا سلمه) ، وقد كان العدل بين الناس من اهم ماقرره الاسلام حفظا لنظام المجتمع البشرى ، قال تعالى (ان الله يامر بالعدل والاحسان) ٩٠ النحل . والعدل هو قانون الله الذى شرعه

لرسوله لافاذ البشريه من ظلمات البقى والجهل والعدوان قال تعالى (فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وامرت لأعدل بينكم) الشورى - ١٥ .

فى كل هذا سحق السعادة والطمأنينه للبشرية ويعم السلام والامان ول الحديث السريف (الناس سواسية كأسنان المشط ليس لعربى فضل على عجمى الا بالقوى) .

التفرق ضعف

ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا وندبرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وقد جمع الله به العرب بعد نفرق ووحيد به المسلمين بعد شنات وامن الله على المسلمين بهذه الوحده وتلك الالفه . فقال سبحانه (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمه الله عليكم اذ كنتم اعداء فالق بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا) آل عمران ١٠٣ وقد حاول اليهود من الأزل. وضع اصابع الفتنة بين المسلمين محاولة منهم لتفريق صفوف المسلمين وتوهين وحدتهم وحتى يضرب العرب بعضهم بعضا وبذلك تضعف دولتهم ويتمكن اعداؤهم منهم وقد حذرنا الله من دسائس اليهود وكيدهم فقال سبحانه : (بايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) آل عمران ١٠٠ .

فالله جعل الوحده والالفه دلالة على عمق الايمان وفهم الاسلام وجعل الفرقة والخلاف والاستماع الى دسائس الاعداء مما يؤدى الى الهزيمة والردة والكفر بآيات الله واحكامه .

ثم نهى سبحانه عن الخلاف وبين ان القرآن بأمر بجمع الصف ووحده الكلمة وهو حبل الله المتين من تمسك به هدى الى الطريق القويم قال تعالى (وكيف تكفرون وانتم تنلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) آل عمران ١٠١

وقد أحكم عليه الصلاة والسلام بنيان المسلمين واحسن تربيتهم فأمرهم بالتواصل والتراحم ونهاهم عن التدابير والتقاطع ففى الحديث الصحيح (مثل المسلمين فى توادهم ونراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تدامى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى) .

وكان عليه الصلاة والسلام بنهى المسلمين عن الفرقة والخصام والتنازب لانها معاول هادمه تهدم قوة الصف ووحده الامة قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تباذروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكفوا عباد الله أخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحفره ولا يخذله . المفوى هاها ويشير الى صدره ثلاث مرات - بحسب امرىء من الشران يحفر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) رواه مسلم .

وقد حاول اعداء الاسلام توهين صفوف المسلمين ابر غروره احد واسأحر ابو سعيان ركبا من عبد الفيس كانوا فى طريقهم الى المدينة وقال لهم ابو سعيان هل انتم مبلغون عنى محمدا رساله ارسلكم بها اليه . واحمل لكم ربيا بعكاظ اذا وفيتموها قالوا نعم . فال فاذا واميتموه فأخبروه انا قد اجمعنا السر البه والى اصحابه لنستأصل بعينهم فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد وأخبروه بالذى قال ابو سفيان واصحابه فعال عليه الصلاة والسلام (حسبنا الله ونعم الوكيل) اى كافيا الله هو ولينا ونصيرنا ، لقد خرجنا لنصره دينه معمدبى عليه لا نخاف غيره ولا نرهب سواه ، وازداد المؤمنون ايمانا ونماسكا وتقدموا الى عدوهم ففر اعداؤهم طلبا للنجاه قال تعالى (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرع للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم ، الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ، انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) آل عمران ١٧٢ - ١٧٥ .

الاسلام والعمل

كانت دعوة الاسلام دعوه الحياة الفاضلة والقيم النافعة والخير والبر بالانسانية دعوة تقوم على التعاون والتراحم ومساعدة المحتاجين والأخذ بيد الضعفاء والمعوزين .

دعوة تلفت نظر الانسان الى الكون وخالقه وتدعو الانسان الى تعمير الكون ، واشاعة الخير والنماء فيه ، والعمل من أجل منفعة الآخرين قال تعالى:

« ان الدين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانصيح اجر من احسن عملا »

الكهف ٣٠ لقد مدح القرآن العمل الصالح ولم بضيق ابواب النشاط على المسلم بل جعل الارض كلها ميدانا لنشاطه ، ودعاه الى استغلال خيراتها واستخدام طاقته فى تفجير ينابيع الخير فى أرجائها قال تعالى :

« هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا » البقرة ٢٨ .

فالانسان مدعو الى استغلال حرات الارض من معادن وبرول وكوز
ورراعه وبجاره وصناعة وغير ذلك مما يعود بالحبر والنفع على الانسان وعلى
الاسابية جمعاء .

قال تعالى « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » الملك ١٥

وقال سبحانه « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من
فضل الله » الجمعة ١ .

سمع المسلم الأول كتاب الله يدعو الى استغلال خيرات الارض والى
انفان العمل فانطلق هذا المسلم ولم يدع سهلا ولا جبلا ، ولا وادنا ولا عامرا
ولا عامرا ، الا وقد تحصن باسلاميه بم اصحمه واسعمره واحرى الخر في
جنانه واطلع السعادة في آفاه .

وقد بارك الاسلام نشاط الانسان من أجل الحفاظ على مستواه او رفع
مسنوى اسرنه او المساهمة في قوة امنه ، ووسع اوجه النشاط وفتح امام
الانسان طرق الخير ولم يضيق في وجهه سبيلا من سبل العمل النافع .

روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع اصحابه يوما
فنظروا الى شاب ذى جلد وقوة ، قد بكر ليسعى فقالوا : ويح هذا او كان
شبابه وجلده في سبيل الله !! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لانقولوا
هذا ، فانه ان كان خرج يسعى على ولده صفارا فهو في سبيل الله ، وان
كان خرج يسعى على ابوين سيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وان كان خرج
يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة
فهو في سبيل الشيطان ، رواه الطبراني ...

ولقد نظر صلى الله عليه وسلم وهو الحكيم الربانى الى مايفعل الكسل
في الامم حين تنهار الهمم وتضعف العزائم ويسنلن الناس حباة الدعة والراحة
فتتخلف الامة ويطمع فيها عدوها ثم تطحن طحنا وتباد ابادة ، قال صلى الله
عليه وسلم :

(اخشى ماخشيت على امنى كبر الطن ومداومة النوم والكسل)

ولقد ساء صلوات الله وسلامه على ان ربرى اصحابه على عزة الايمان
وصدق اليقبن وشدة النوكل على الله مع الحرص على العمل النافع ايا كان
هذا العمل ، فانه لبنة في صرح البناء الاقصادى ، وجهد مشكور مقابل
بالأحر والثناء .

روى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(لأن يأخذ أحدكم حبلأ فيذهب ، فيأني بحرمة حطب على ظهره فيبيعهما
فيكف بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس - أعطوه أو منعوه -) .

★ ★ ★

وبذلك يتحرر الإنسان من ذل السؤال ومن أن يعيش حالة على غيره ،
وان الإنسان النافع هو الذي يسهم في خدمة وطنه ونفع أمته سواء أكان زارعا
أم صناعا أم عاملا في أي فن من فنون الحياة ، قال تعالى :

« فمن يعقل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

الزلزلة ٧ ، ٨

★ ★ ★

ان التوكل على الله سبحانه لايتنافى مع الأخذ بالاسباب بل حقيقة التوكل
هي الإيمان بقدره الله والعمل الدائب كما أمر الله .

جاء امرأى الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وترك ناقته بباب
المسجد ثم دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فسأله قائلا : أعقل ناقتى أم
ادعها واتوكل . فقال له صلى الله عليه وسلم (اعقلها وتوكل)

فهل بعد هذا يقال بأن صدق التوكل ينأى الاستمسك بالأسباب ، ،
ومكافحة الاحداث ، والمزاحمة والسابقة والمنافسة ، وانتزاع المجد وصيانة
الحق ؟؟

أخرج الحاكم وابن أبى الدنيا عن معاوية بن قررة قال :

(لقي عمر بن الخطاب ناسا من أهل اليمن فقال : من انتم ؟ فقالوا :
متوكلون !! قال كلبتم !! ما انتم متوكلون !! انما المتوكل الذى ألقى حبة في
الأرض ، وتوكل على الله ..)

★ ★ ★

لقد أقسم الله بالزمن لينبه الإنسان الى أن الزمن ماض لايقر متجدد
لايقف وهو سجل الأفعال وفيه تخليد لحسنات الحسنيين ولأعمال العاملين
قال تعالى :

« والعصر ان الإنسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات »

اليس في هذا القسم مايشعر بجلال المقسم به وعظم شأنه ؟

ووجوب الحرص عليه والانتفاع به والعمل فيه ؟ وأن الخسران المبين
شامل للعاطلين المتبطلين ، لاصق بالعالة الساكنين .

وأما الذين يعملون ويدأبون ويصلحون ، ولا يفترون فأولئك هم عناوين
فحار ومصابيح رشاد - أولئك هم حماة الامم ودعاة النهوض ، أولئك هم
المؤمنون حفا لهم درجات عند ربهم ومغفره ورزق كريم .

ان امتنا احوج ماتكون الى تكاتف القوى وتعاون العاملين ومساهمة كل
انسان بطاقته ووسعه عملا وجدا واحلاصا وصدقا .

ويوم يقوم الصغير والكبير بكل جهد لخدمة هذا البلد فسيقف هذا
العمل سدا منيعا في وجه الأعداء الحائثين .

وقد بارك رسول الله صلى الله عليه وسلم العمل وقبل يد احد العاملين
لأنها يد ظاهرة نظيفة من الكسل والتراخي دائبة في العمل النافع والجهد
الصادق قال على كرم الله وجهه (جعت يوما فخرجت اطلب العمل في عوالي
المدننة ، فاذا انا بامرأة قد جمعت مدرا - ترابا متبلدا - تريد بله بالماء فبادلتها
كل ديو (١) على بمره ، فملأب سه عتر ذنونا حتى محلب (٢) يدي بم جئت
المرأة فبسطت كمي لتري المرأة اثر العمل ، فعدت لى ست عشرة تمره ، فاتت
رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأخبرته فأكل معى منها ..)

فالعمل فضيلة وكرامة ومهما يكن في طلب القوت من عنت ومشقة فذلك
خير من استجداء الناس ركونا الى الراحة ونفورا من النشاط .

جلس عليه السلام يوما فجعل أصحابه يثنون على رجل فقالوا : (ان
فلانا يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر) فقال (انكم يكفيه طعامه وشرابه؟)
فقالوا كلنا نارسول الله ، فقال (كلكم خير منه ..) سمع الصحابة ذلك
فاندفعوا يعملون وينشطون حتى قرن الله التجار منهم بالمجاهدين في سبيل
الله ، قال تعالى :

« وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون
في سبيل الله » المزمع ٢٠ .

فهل هناك شرف للعاملين في الحياة وراء هذا الشرف ؟

لقد سرى روح النشاط الاسلامى في كل ناحية ، وتناول جميع الاعمال
فكان العالم المفكر الفيلسوف (ابن حزم) الاندلسى يقول (اعلموا أن اللذة
والسلامة والعز والأجر في أصحاب فلاحه الارض) .

(١) الذنوب - الدلو العظيمة .

(٢) مجلت - ظهر بها الاحمرار من العمل .

وارسل العلماء قضاياهم ، يتناقلها الناس في هذا المعنى المفتس
من التشريع العملى للصدر الأول فقد جاء في كشف الظنون : (لو علم عباد
الله ان رضاء الله في احياء ارضه ، لم يبق في وجه الارض خراب ..)

علم الاسلام المسلمين العزة والاباء والانفة والكرامة ، فراحوا يعملون
ويكدحون ويطرقون ابواب الرزق في عزة وايمان .

وكان عليه الصلاة والسلام يؤاخي بين كل مهاجر ، وبين كل انصارى
فلما آخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع قال سعد
لعبد الرحمن ان مالى شطران لى شطر ولك شطر .. وأن لى زوجتين اطلق
احدهن لتتزوج منها فقال له عبد الرحمن لا حاجة لى الى مالك ، ولا الى
أهلك ، بارك الله لك فيهما ولكن دلنى على السوق

وتاجر عبد الرحمن بن عوف فآثرى في الاسلام اثناء ضخما حتى نقد
قدم له مرة سبعمائة بعير تحمل البر ، والدقيق ، والطعام ، فلما دخلت المدينة
سمع لاهلها رجاة !! فتصدق بها وبما تحمل في سبيل الله .

ولقد نزع الاسلام من تلك النفوس الخيرة كل حقد وكل موجدة

فلن ترى رجلا حربيا على رجل ولا عالما حاقدًا على عالم . وهذا الامام
أحمد بن حنبل يثنى على الشافعى ويكثر الثناء عليه فقال له ابنه اى رجل
كان الشافعى ؟ فقال الامام أحمد يابنى كان الشافعى كالشمس للدنيا والعافية
للناس فانظر باننى هل من هذين خلف .

تلك صورة من صور الرجال الذين عملوا فأحسنوا العمل وتركوا لنا
أسوة حسنة وخلقوا فاضلا حتى نفتدى بهم ، في جدهم وعلمهم وعملهم ، وفي
حسن خلقهم وكريم صفاتهم (اولئك الذين هدنى الله فيهداهم اقتده)
الأنعام . ٩٠ .

السلام والوحدة

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا اله الا الله البر الرحيم ، وأشهد أن
سيدنا محمدا رسول الله الصادق الوعد الأمين ، اللهم صل وسلم وبارك على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

(يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر
الا اولو الاباب)

الحكمة هي القرآن الكريم أو هي العلم والعمل ، والمشهور أنها وضع الشيء في موضعه أو حسن التآني للأمور .

قيل لعنتره أنت أشجع العرب قال لا . قيل فيم شاع عنك ذلك ؟ قال كنت أقدم إذا رأيت الاقدام عزما ، وأحجم إذا رأيت الاحجام حزما ، ولا أدخل موضعا حتى أعرف لى منه مخرجا .

وكننت أعمد الى الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع ثم اثنى عليه فاقتله .

ايها المؤمن : الايام دول يوم لك ويوم عليك ، والحرب خدعة تحناح الى الكر والفر واستخدام الاقدام والاحجام وربما كان التقهقر طريقا الى النصر ، مادام استخدامه عن تعقل وتبصر قال تعالى **(الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة)** .

وحيث تلوح بادرة السلام ، وينجح العدو الى المسالمة فلن يتردد المؤمن في قبولها مهما كانت بواعثها لان السلام في الاسلام عنصر اساسى وسبيل اصلى والحرب استثناء وضرورة لا يلجأ اليها المؤمن الا مضطرا . قال تعالى .

(وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه السميع العظيم ، وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين والفاء بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم)

ايها المؤمن : ان قوة المؤمنين تكمن فى ايمانهم وصدق يقينهم وسلامة صدورهم ووحدة صفوفهم .

يقول الله سبحانه وتعالى : **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)** .

لقد جمع القرآن العرب بعد شتات ووحدهم بعد تفرق وكان الاسلام دين الوحدة والجماعة ، جمع المسلمين على معان خالدة من الحب والوفاء ، والتضحية والفداء ، والبذل والايثار .

وكانت هذه المحبة والمودة قدرا الهيا وبركة سماوية لا تعادلها اموال الارض وكنوزها وكان المسلمون ندا واحدة فى السراء والضراء فى المحنة فى النعمة والشدة ، فلا يعرف الصديق الا وقت الضيق .

وحيث هاجر المسلمون من مكة الى المدينة فرارا بدينهم وعفديتهم ، استقبلهم اخوانهم من الانصار استقبال الاخ الشقيق لآخيه الحبيب وقاسموهم اموالهم ودورهم ويسروا لهم فرصة الحياة وفرصة المذل ، بل آروهم على انفسهم بدافع الايمان والوفاء قال تعالى **(والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا**

ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
الفلحون) . الحشر ٩ .

ايها المؤمن :

استقر المؤمنون في المدينة وآخى عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين
والانصار وكانت اخوة ودية عملية وقام المجتمع الاسلامي في المدينة مهتديا
بهدى القرآن ، حريصا على صلة الرحم ، ومعاونة المحتاج ، ومساعدة
الضعيف ، وصار المسلمون صفا واحدا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .
وكانت احاديث النبي الكريم تذكى هذا الاخاء وتبارك هذه المودة وتحث
المسلمين على التواصل والتراحم والتعاطف .

فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم
وبعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر
والحمى) .

ايها المؤمنون : من هذه الوحدة العملية ، من هذه الصفوف المترابطة ،
من هذه القلوب المؤمنة ، من هذه النفوس المخلصة ، من هذه الايدي المتشابكة ،
من هذه الافئدة المترابطة ، صاغ النبي الكريم مجتمعا متماسكا مترابطا
معاطفا ، واعد الجيوش وقاد الغزوات وبعث سرايا تحارب باسم الله ويقال
لنكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى . وخاض المسلمون
غزوات فيها النصر وغزوات فيها الهزيمة فلم يسكرهم النصر ، ولم تضعف
روحهم الهزيمة ، وتنزلت آيات القرآن تثبت المسلمين في الشدة وتعلمهم ان
الايام دول وان الحرب سجال يوم لك ويوم عليك فيقول القرآن (ان يمسسكم
قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين
آمنو ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين) . ١٤٠ آل عمران .

وعاود المسلمون القتال بنشوفون الى الشهادة والى الموت في سبيل الله
وحادوا بارواحهم واموالهم لنصره الدين وفداء الاسلام وكان المسلمون يقاتلون
بروح جديدة وعفيدة سليمة ومحبة مخلصة ورايط وثيق ، ففتحت امامهم
البلاد ، وذلت لضربانهم اعناق الطغاة ، وجاءهم نصر الله المبين والفتح العظيم .
وتوج الله جهادهم بفتح مكة ام القرى وكعبة القاصدين . فقال تعالى (اذا جاء
نصر الله والفتح ، ورابت الناس بدخلون في دين الله افواجا ، فسيح بحمد ربك
واستغفره انه كان توابا) .

ايها العرب : هذا هو ماضيكم المشرف وتاريخكم الناصع وسيرة
اجدادكم الحافلة بالانضحية والفداء . لقد كانوا روحا جديدا ، وفقرا جديدا ،
ونورا جديدا ، وسراجا المعلم والمعرفة وكانت دولتهم دولة العلم والامان ،
والخلق والاسلام ، وفتحوا البلاد بأخلاقهم قبل ان يفتحوها بسبوفهم ،

فعودوا ايها العرب الى ماضيكم ، والى اخلاق اسلافكم ، وتمسكوا بقيمكم ودينكم ، وعليكم بالوحدة والجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية قال تعالى (ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون) . الانبياء ٩٢

فالمسلمون كتابهم واحد ونبيهم واحد وقبلتهم واحدة ونجمعهم الآمال والآلام ويربط بينهم الاسلام والايمان ، وان عدونا الغاضب يعمل ليل نهار لتأكيد تفوقه وترسيخ اقدامه ، فكيف يترابط عدونا على باطله ونتفرق ونحن اصحاب الحق واصحاب الأرض والله عز وجل يقول :

(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) - الانفال ٤٦ .

ايها العرب :

اعملوا واجتهدوا وادابوا فان العمل النافع طريق النجاح قال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، انا لانصيغ اجر من احسن عملا . ٣٠ الكهف .

ان للنصر ابوابا وطرقا توصل اليه هذه الأبواب :

١ - طاعة الله ورسوله فالنصر من عند الله وقد تكفل بنصر المؤمنين وبايد المخلصين .

٢ - اعداد العدة ، وتحصين الثغور ، وسدريب الجيوش ، لتكون في اعلى مستوى واعظم كفاءة قال تعالى (واعملوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لاتهمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون) . ٦٠ . الانفال .

٣ - وحدة الصف والتماسك والترابط والتصالح قال تعالى (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) . ١٠ الحجرات .

وقال سبحانه (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) بنيان مرصوص (٤ الصف .

٤ - الثقة بان الاجل بيد الله ، وان الرزق بيد الله وان الشهادة في سبيل الله شرف وفخار وان الفرار والهزيمة خزي وعار .

٥ - البعد عن البطر والرياء واخلاص النية لله وللجهاد في سبيله وطاعة القائد وتنفيذ الاوامر والمحافظة على الضبط والنظام قال تعالى (ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) . ٥٩ النساء .

تلك هي اسباب النصر في الماضي والحاضر وقد استضاء بهديها المسلمون

الأولون فصاروا خير أمة أخرجت للناس وصار المسلم جنديا من خير جنود الأرض مطيعا لا يعصى مقبلا لا يفر ، صامدا لا يتزعزع ، مجاهدا لا يتخلف مؤمنا يمثل عليا مضحيا من أجلها بالمال والروح يخوض حربا عادلة لاحقاق الحق وازهاق الباطل لا يخاف الموت ولا يخشى الفقر ولا يهاب قوة في الأرض ، يسالم ولا يستسلم ، ولا تضعف عزيمته الا راجيف والاشاعات ولا يستكين لدواعي الفرقة والخلاف ، ولا يقنط أبدا ولا يياس من رحمة الله .

أيها العرب أيها المؤمنون : هذا هو الطريق ، وهذه هي السبيل ، طريق الهدى وسبيل الله وهديه وتوجيهه ، وصدق الله العظيم (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) ١٥٣ الانعام .

الأدب

الأدب يطلق على تعلم فنون النظم والنثر ، كما يطلق على تعلم الاحلاق الرشيدة والصفات الحميدة ومن ذلك قول القائل حلى النساء الذهب وحلى الرجال الادب .

وقد قالت الحكماء نعم العون لمن لا عون له الادب .

– وقال الاحنف بن فبس : الادب نور العقل كما أن النار في الظلمة نور البصر .

وقال بعض العلماء : الأدب على ثلاثة أقسام – كسبي وطبيعي وصوفي أما الادب الطبيعي فهو ما يفطر عليه الانسان من الاخلاق الحسنة والاتصاف بالصفات المرضية كالحلم والكرم وحسن الخلق والحياء. والتواضع والصدق وترك الحسد ، الى غير ذلك من الصفات المحمودة ، وهي نعم الله سبحانه على عباده . وأما الأدب الكسبي فهو ما يكتسبه الانسان بالدرس والقراءة والحفظ والنظر وهو عبارة عن ستة أشياء – الكتاب والسنة والنحو واللغة والشعر وأنام الناس .

وأما الادب الصوفي فهو ضبط الحواس ومراعاة الأساس .

رأس الأدب :

قال بعض الحكماء : رأس الأدب المنطق ولا خير في قول الا بفعل ولا في مال الا بجد ولا في صدق الا بوفاء ولا في فقه الا بورع ولا في صدقة الا بنية .

ولما دخل ضمرة بن ضمرة على المنذر بن ماء السماء وهو اذ ذاك ملك الحبرة واليامة . وكان ضمرة ذا عقل وعلم وحلم وحكمة وشجاعة ، الا أنه كان دميم الخلقة قصير القامة وكان ذكره قد شاع في الآفاق ، فلما رآه المنذر احتقره فقال سماعك بالمعيدى خير من أن تراه .

فقال ضمرة : أيها الملك ليس المرء بحسنه وجماله وبهائه وكماله وهيبته وثيابه لا والله حتى اصفراه قلبه ولسانه ويعلو به اكبراه همته ولبه .

ودخل المختار بن عبيد على معاوية رضى الله عنه وكان عليه عبادة وثرة فاستحقره فقال له المختار بأمر المؤمنين ان العبادة لا تكلمك ولكن يكلمك من فيها . ثم أنشد يقول :

أما وان كانت اثواني ملفقة ليست بخز ولا من نسج كتان
فان في الجد هماتي وفي لفتي فصاحة ولساني غير لحيان

حكمة القائد

جاء الاسلام دينا عاما ورحمه مهدها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نموذجا فريدا في تربية الرجال وتهذيب النفوس وتوجيه المؤمنين . وكان من أقدر الناس على جمع الشمل ورأب الصدع والقضاء على الفتنة .

بعد فتح مكة حارب المسلمون هوازن والطائف ونم النصر المؤزر وغنم المسلمون غنائم كثيرة ، فوزع الرسول صلى الله عليه وسلم الغنائم بين المهاجرين ولم يعط منها للأنصار الا لرجلين فقيرين ، فغضب الأنصار وقالوا لقد وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهله . وانتشرت المقالة بينهم . وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج جزعا يجر رداءه . وأمس مناديه أن ينادى الصلاة جامعة . فاجتمع المسلمون جميعا في المسجد فقال عليه الصلاة والسلام : بامعشر الانصار مامقالة بلغننى عنكم ؟ قالوا : نعم قلنا لقد وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهله . فقال عليه الصلاة والسلام : بامعشر الانصار ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بى . ألم تكونوا كفارا فأسلمتم على بدى ، ألم تكونوا متفرقين فجمعكم الله بى . قالوا : نعم يا رسول الله ، والله ورسوله الفضل والمنة .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما والله ان شئتم لقلنم فصدقتم وصدقتم . أتينا مكلبا فصدقناك ، وطريدا فأوبناك . بامعشر الأنصار اذا أعطيت بعض الناس لعامة من الدنيا أتالفهم بها وتركتكم الى ايمانكم تغضبون ؟ بامعشر الأنصار ، أما ترضون ان يرجع الناس بالشاء والبعير وترجعون برسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيوتكم . والذي نفس محمد بيده لو سلك الناس فجا وسلك الانصار فجا لسلكت طريق الانصار . ولولا الهجرة لكنت امرا من الانصار . اللهم اغفر للانصار وابناء الانصار وابناء أبناء الانصار .

فبكى الانصار وقالوا رضينا بالله ورسوله .

بهذه الحكمة كان عليه الصلاة والسلام سبوس النفوس ويؤلف بين القلوب ويجمع الصفوف حتى تصبح قوة واحدة كالبنيان المرصوص بشد بعضه بعضا .

سيرة فاضلة

اشتهر عمر بن عبد العزيز بالعدل والورع والتقوى حتى سمي خامس الخلفاء الراشدين . ودخلت عليه زوجته فاطمة ذات يوم فوجدته يبكي فسأته ما يبكيك يا امير المؤمنين . فقال عمر بن عبد العزيز : تذكرت الفعير الجائع ، والمريض الضائع ، والعارى المحزون وذا العيال الكثير والمال القليل واشباههم في بقاع الارض واقطار البلاد ، وعلمت أن خصيمي دونهم محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة . فخشيت الا تثبت لى حجتي فرحمت نفسى فبكيت .

كانت سيرة الخلفاء الراشدين نورا يضيء ، ومثالا يحتدى .

خطب أبو بكر الصديق فقال : ايها الناس وليت عليكم ولست بحيركم فان احسنت فتابعوني وان اعوججت فقوموني . القوي فيكم ضعيف حتى أخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوي حتى أخذ الحق له .

وظهر ايمان الصديق يوم الاسراء ، حين صدق النبي فسمى بالصديق كما ظهرت فدائيته ليلة الهجرة ، حيث كان رفيق النبي صلى الله عليه وسلم وكان يسير مرة امام النبي ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره . فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن سبب ذلك فقال : يارسول الله أخاف الرصد فأكون أمامك ، وأخاف الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك ، حتى وصلا الى الغار فقال أبو بكر : والذي بعثك بالحق نبيا لاتدخله حتى أدخله فان كان به اذى بدأ بي .

وسد أبو بكر ثقوب الغار ووضع رجله في ثقب أخير ثم جعل رجله الثانية وسادة للنبي صلى الله عليه وسلم لينام عليها بعد تغيب الرحلة . واشتد خوف أبي بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وتساقطت دموعه خوفا على رسول الله ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ، مابالك باثنين الله ثالثهما . يا أبا بكر لاتحزن ان الله معنا .

قال تعالى (الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايهه بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) التوبة . ٤

(٣)

المرأة

« المرأة العربية »

في الجاهلية والاسلام

أخرج البخارى فى صحيحه - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قرية من قرى اليمن كان فيها بطن من بطون العرب وكان منهن احدى عشرة امرأة وانهم خرجن الى مجلس فتعاهدن وتعاقدن الا بكتمن من اخبار أزواجهن شيئا .

قالت الاولى : (زوجى كلحم جمل غث على رأس جبل مرتفع ، لا سهل فيرتقى ولا سمين فينقل) ، لقد ذمت هذه المرأة زوجها بقلة الخير ، والبخل ، وصعوبة الوصول اليه .

وقالت الثانية : (زوجى لا ابث خبره انى اخاف الا اذره ، ان اذكره اذكر عجره وبجره .

ان عيوب زوجها كثيرة وقصه طويلة تكتفى بان تقول انه قصير القامة مدموم الصفات كبير البطن احذب الظهر .

وقالت الثالثة : (زوجى العشنق ان انطق اطلق ، وان اسكت اعلق) .

مسكينة هذه الزوجة انها تعيش مع زوجها اسما بدون مسمى ، فان تكلمت بما فى نفسها طلقها زوجها ، وان سكنت ابقاها فى عصمته معلقة لا ايما ولا ذات بعل .

وقالت الرابعة : (زوجى كليل تهامة ، لا حر ولا قر ، ولا مخافة ولا سامة) ، لقد مدحت زوجها مديحا عاليا ، فهو عذب لطيف كليل الحجاز ، حيث

تشند حرارة النهار ، ويكون نسيم الليل عليلا باردا لطيفا ، فشبهت زوجها بنسيم الصيف ليس حارا مؤلما ولا باردا مؤذيا ، فليس زوجها شديدا قاسيا ولا ضعيفا فارا .

وقالت الخامسة : (زوجى ان دخل مهد ، وان خرج اسد ، ولا يسأل عما عهد) .

انه فى البيت وادع لطيف كثير النوم ، بعيد الايداء ، وهو فى خارج البيت اسد شجاع ، يحمى قبيلته ويدافع عن عشيرته ، فوصفته بأنه مثل أعلى للزوج فى نظر المرأة ، فهو بطل مقدم خارج البيت وهو لطيف عطف داخل البيت .

وقالت السادسة : (زوجى ان اكل لف وان سرب اشنف ، وان نام التف ، ولا يولج الكف ، ليعلم البث) انه الزوج الانانى المحب لنفسه ، فان اكل لف الاكل فى شراهة ، وتدفعه الشراهة الى العطش حتى يشتف كل ما فى الاناء ، وان نام التف بالغطاء غير مهتم بالام زوجته ، غير سائل أو مصغ الى شكاتها .

وقالت السابعة : (زوجى غيايا ، عيايا ، طباقا ، كل داء له داء ، شجك او فلك ، او جمع كلالك) .

انه زوج احمق ضعيف البيان قليل الحيلة ، اذا حدثته زوجته سبها واذا مزحته شجها واذا اغضبته كسر عضوا من اعضائها ، وقد جمع هذا الزوج كل ادواء الكون وكل عيوب الناس فكل داء له دواء .

وقالت الثامنة : (زوجى المس مس ارنب ، والريح ريح زرنب ، وهو اقلبه ، والناس يغب) ، انه لين الجانب ، طيب الرائحة حسن السمعة ، عظيم القدر جليل المنزلة فى تواضع وادب .

وقالت التاسعة : (زوجى رفيع العماد ، طويل النجاد عظيم الرماد ، قريب البيت من الناد) ،

انه رفيع المنزلة طويل القامة كثير الضيوف سيد مطاع بين قومه .

وقالت العاشرة : (زوجى مالك ؟ وما مالك ؟ مالك خير من ذلك له ابل كثير المبارك قليلات المسارح واذا سمعن صوت المزهرايقن انهن هوالك) .

لقد عظمت زوجها واشارت الى انه خير من كل ازواج صويحباتها السالفات - ووصفته بالكرم وهو افضل صفة عند العرب .

وقالت الحادية عشرة : وهى صاحبة الحديث واهم المذكورات .

(زوجى ابو زرع ، فما ابو زرع ؟ اناس من حلى اذنى ، وملا من شحم عضدى وبجحنى فبجحت الى نفسى .

قالت : خرج أبو زرع والاطواب بمخض ، فلقى امرأه معها ولدان لها كالفهدين ،
يلعبان من تحت حصرها برمانتين ، فطلقني وتزوجها .
فتزوج بعده رجلا سريا ، ركب تريا ، وأخذ خطيا ، وأراح على نعمتا
تريا ، وأعطاني من كل رائحة زوجا ، وقال كلي أم زرع وميرى أهلك ،
قال فلو جمعت كل ما أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع) .

هذه أم زرع ، وسميت أم زرع لكثره ما يملك زوجها من مزارع وحقول
مدحت زوجها الاول بأنه اناس أذيتها من الحللى والزينة وملا عضديها من
شحم ولحم ، وعظمتها وأفرحها فعمطت نفسها في عنها .

خرج أبو زرع في أحد أسفاره فرأى امرأة لها ولدان نجيبان فطلق أم زرع
وتزوج الثانية بحثا عن نجابة الولد ، وبعد أن تزوجت أم زرع رجل آخر
أكرمها الثاني وأعطاهما أكثر من الاول ، ولكن حبها ظل وفيها للاول حتى قال
فلو جمعت كل ما أعطاني الثاني ما بلغ أصغر آنية أبي زرع .

وهاهنا قال صلى الله عليه وسلم يعائشه أنا لك كآبى زرع لأم زرع غمر
أبه طلقها وأنا لا أطلقك .

قالت عائشة بل أب والله خير لى من أبى زرع لأم زرع .

وفى هذا الحديث ألوان من الادب الرفيع والبلاغة العالية ، وألوان من
البديع والجناس والطباق والمقابل .

ولو وقفنا على أحاديث هؤلاء النسوة تبين لنا ان الذمات منهن
لازواجهن خمس والمادحات ست ، وفيه دليل على أن الصفو أكثر من الكدر
وأن الرضا أدوم من الغضب ويستفاد من هذا الحديث ما يجب على الأزواج
من حسن العشرة وجميل المعاملة ، وفيه المثل الأعلى للزوجة المخلصة من نحو
الشرف والجدود وسماحة الطبع ولين الجانب والصبر والوفاء .

قال صلى الله عليه وسلم مارزق المرء بعد التقى خيرا من المرأه الصالحة ،
ان نظر إليها زوجها سره وان أمرها أطاعه وان غاب عنها حفظته في ماله
وعرضه .

ويدل الحديث على ان المحبة تستر الاساءة ، وعين الرضا تقضى عن كل
نقيصة وتظل المرأه هى المتفوقة فى هذه الناحية ، وهى المتسامية بعواطفها
ومشاعرها والمستعلبة على أشجانها وآلامها وماتقاسيه من ظلم الرجل وعذره

وقد حث الرسول الأزواج على حسن العشرة ، واحتمال ضعف المرأه
والمحافظة على كيان الأسرة ، والإبقاء عليها متماسكة سليمة بعيدة عن عوامل
الفرقة والتصدع ، قال صلى الله عليه وسلم (ان الله لا يحب الدواقين ولا
الدواقات فإذا تزوجتم فلا تطلقوا) .

وقال تعالى

(وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فمضى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)

المرأة في الاسلام

يقول الله تعالى في كتابه الكريم

(ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فالولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون تقيرا) ١٢٤ - النساء

ان القرآن الكريم رفع من شأن المرأة ، وحث على اكرامها ، والعناية بشأنها وحسن تربيها وتعليمها ، ورعى الاسلام المرأة وليدة ، وبنات ناشئة ، وفتاة يافعة ، وزوجة في كنف زوجها ، واما في رعاية ابنائها .

اما رعايته للمرأة وليدة فقد قضى الاسلام على ذلك المعين الممين وهو واد البنات مخافة العار والحاجة ، وشنع على من يفعل ذلك ، فقال سبحانه :

(واذا بشر احدكم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون) ٥٨ - ٥٩ النحل .

وسلك القرآن اساليب البيان العالية والوان الزجر الرهيبة ، لن يرتكبون هذه الفعلة النكراء ، وهى واد البنات .

حتى ان الموعودة نسال يوم القيامة عن سبب قتلها ، كان الذى قتلها فقد معنى الانسانية حتى لا يستحق ان يسأل قال تعالى :

(واذا الموءودة سئلت باى ذنب قتلت) وقال سبحانه :

(قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) .

وكان فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشريعه العملى ، يلقيان على الأمة ابلغ الدروس فى الرفق بالفتيات ، وتقريبهن ومحادثتهن ، وحياطتهن بالحدب والشفق والرحمة والحنان . واکرم الاسلام المرأة بنتا ناشئة وفتاة يافعة ، فحث على تعليمها وتهذيبها والقيام بشئونها واحسان توجيهها وتربيتها فقال صلى الله عليه وسلم

من كانت عنده بنت فعلمها فأحسن تعليمها ، ورباها فأحسن تربيتها
واسبغ عليها من فضل الله الذي آتاه ، كان له حجبا من النار وميمنة
وميسرة .

وقضى الاسلام على اساليب الجاهلية البالية في تفضيل الذكور على
الاناث بل امر باكرام البنت لتنشأ عزيزة كريمة ، فترضع ابناءها واحفادها
لبان العزة والكرامة .

قال صلى الله عليه وسلم (من خرج الى سوق من أسواق المسلمين
فحمل شيئا منه الى اولاده فكانما حمل اليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ
بالاناث فإنه من فرح انثى فكانما بكى من خشية الله)

وكان للنبي صلى الله عليه وسلم اربع بنات ، وكان يلقب بأبى البنات
لأنه كان يهن شفوفا حفيا ، يدنيهن اليه ويداعبهن ويلطفهن .

روى البخارى عن أبى قتادة قال

خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم يحمل (امامة) بنت (أبى العاص)
وامها (زينب) بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى صبية قال فصلى -
عليه السلام - وهى على عاتقه ، يضعها اذا ركع ويعيدها على عاتقه اذا قام ،
وكانت امامة من احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودخل على أهله - صلى الله عليه وسلم - ومعه قلادة ، فقال لأعطيتها
احبكن الى ؟؟ فقلن يدفعها الى عائشة فدعا بنت ابنته (امامة) فعقدتها لها
بيده الشريفة .

وروت أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت اتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم مع أبى وعلى قميص أصفر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنه سنه وهى باللفة الحبشية حسنة قالت فذهبت العيب بخاتم النبوة ،
فانتهرنى أبى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - دعها - ثم قال عليه
السلام ابلى ثم ابلى واخلقى فعمرت بعد ذلك ما شاء الله أن تعمر ، ولقد تكون
المرأة على غير دين (محمد) ولقد تكون من أعدائه ثم تفد عليه أسيرة فلن ترى
أهدب لسانا ، ولا أرق خطابا ولا أحسن استماعا ولا أجمل ردا مما يخاطبها
به محمد عليه السلام .

أرسل مرة فصيلة على رأسها على بن أبى طالب ، فأعملت فى قبيلة طيء
اسرا وقتلا ، فلما سبق الاسرى الى محمد عليه السلام وقفت بينهم (سفانة)
بنت حاتم الطائي وقالت يا محمد ، (هلك الوالد وغاب الوافد ، فإن رأيت أن
تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب ، فإن أبى كان سيد قومه ، يفك العانى ،
ويقتل الجانى ويحفظ الجار ويحمى الدمار ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم

الطعام ويفشى السام ، - ويحمل الكل ، ويعين على نوائب الدهر ، وما اتاه أحد في حاجة فرده خائبا ، انا بنت حاتم الطائي ، فقال محمد عليه السلام يا جارية هذه صفات المؤمنين فلو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه ، خلوا عنها ، فان أباهما كان بحب مكارم الاخلاق نم قال (ارحموا عزيز قوم ذل ، وغنبا افتقر ، وعالما ضاع بيد جهال) ثم اكرم قومها من اجلها تحية لها ، فأطلبهم من اسارهم فاستأذنه في الدعاء له ، فأذن لها فالتفت عليه السلام الى أصحابه وقال (اسمعوا وعوا ما نقول الجارية) ففالت اصاب الله ببرك مواعه ، ولا جعل لك الى لشم حاجة ، ولا سلب نعمة عن كرم قوم الا وجعلك سسبا في ردها عليه .

ولقد ابانت الحكمة النبوية في تلك الفصة عن مفدار ما يحويه قلب المرأة من استعداد كامل لتلقى الدين لو انها صادقت الربى الحكيم فان (سفانة) ما كادت ترى صاحب الرسالة ، وتستمتع اليه حتى رجعت الى أخيها (عدى بن حاتم) فمدحت له في الرسول ورغبته في الاسلام ونصحته ان يذهب الى رسول الله مسلما وقالت له :

ان محمدا يحب الفقير ، ويفك الاسر ويرحم الصغير ، ويعرف قدر الكبير ومارايت أجود ولا أكرم منه ، وانه لنبي فليسابق اليه فضله واصفى عدى الى رأى اخته وقدم على رسول الله مسلما ، ومعه اخته مسلمة أيضا .

ذلك هو القبس المحمدي والهدى النبوي ، الذى شملت رحمته امته كلها نساءها ورجالها ، وصدق الله العظيم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) .

العشرة الزوجية .

نقول الله تعالى في كتابه الكريم

(ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) ٢١ - الروم .

خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وخلق حواء من قصيره لتكون له سكنا وأمنا ولتشيع في البيت الدفء والحنان والمودة والرحمة والحب ..

وقد حث القرآن على الزواج لانه الوسيلة الوحيدة لإشباع العاطفة وامتناع النفس وتكوين الأسرة ورعاية النشاء :

وحت الرسول صلى الله عليه وسلم على نخير الزوجة كريمة الخلق
طيبة المنبت لتكون قرّة عين لزوجها وأما فاضلة لدرية طيبة ، فقال عليه السلام
تخيروا لنطفكم فان العرق دساس .

وروى الميداني أن عمر رضى الله عنه مر بسوق الليل - في المدينة فرأى
امراة معها لبن تبيعه ومعها بنت شابة فهمت المعجوز أن تعرج لبنها (أى
تخلطه بالماء) فجعلت الشابة تقول يا أم لا تخلطيه (لاتنثيه) فوقف عمر فقال
للأم من هذه سنك ؟ قالت ابنتى فزوجها من ابنه عاصم .

تعلمون كيف صارت هذه الفتاة ؟ وكيف صدق فراسة عمر فيها ؟ فقد
صارت جدة لأمدل بنى أمية عمر بن عبد العزيز فهي جدته لأمه وصدقت
فراسته عمر في أن أنجبت هذه النجبية نجيبا . لقد كانت قوية العلق فأورثت
ابن عبد العزيز تلك النقيبة .

وروى الادب العربى وصايا نافعة لامهات فاضلات كانت بناتهن زهرات
يانعات في حديقة مثمرة لان البنت تأخذ صفة أمها وتقلدها في خلقها وعاداتها .

أوصت أم ابنتها فقالت أى بنية ان الوصية لو تركت لفضل أدب ، تركت
لذلك منك - ولكنها تذكره للغافل ، ومعونة للعافل ، ولو أن امرأة استغفبت
عن الزواج لغنى أبويها وتسد حاجتهما اليها ، كنت اغنى الناس عنه ولكن
النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال .

أى بنية أنك فارقت الجو الذى منه خرجت ، وخلفت العش الذى فيه
درجت ، الى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيبا
ومليكا ، فكونى له أمة تكن لك عبداً وكونى له أرضا يكن لك سماء وكونى له
قرشا يكن لك غطاء .

يابنية احملى عنى عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرى :

الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لواقع
عينيه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلاتقع عيناه منك على قبيح ، ولايشم منك
الا أطيب ريح .

الكحل أحسن الحسن ، والماء أطيب الطيب ، والتعهد لوقت طعامه ،
والهدوء عنه حين منامه فان حرارة الجوع ملهبة وتنفيص النوم مبغضة .
ولا تفسى له سرا ولا نعصى له أمرا فانك ان أفسيت سره لم تأمنى غدوره وان
عصيت أمره أوغرت صدره وكونى أشد ماتكونين له أعظاما يكن أشد لك أكراما
وأشد ماتكونين له موافقة أطول ماتكونين له مرافقة واعلمى أنك لاتصلين الى
ماتحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت
والله يختار لك .

أيها المؤمن :

لقد حث الإسلام المرأة على طاعة زوجها والمحافظة على ماله وعرضه
والإخلاص في تربية النشء واعداد البيت والقيام بحق الزوج .

قال صلى الله عليه وسلم لو كنت أمرا احدا أن يسجد لأحد لأمرت
المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها .

واستمعوا الى (أسماء بنت زيد) الأنصارية التي لفتت بخطيبته نساء
العرب ورسولهن الى محمد صلى الله عليه وسلم .

وقفت أسماء عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه
فقلت (ياي أنت يا رسول الله) أنا وافدة النساء اليك ان الله عز وجل بعثك
الى الرجال والنساء كافة ، فأمننا بك وبإهلك ، أنا معشر النساء محصورات
مقصورات قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم ، وانكم معشر الرجال فضلتم
علينا بالجمع والجماعات ، وشهود الجنائز والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك
الجهاد في سبيل الله عز وجل وان أحدكم اذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا
حفظنا لكم أموالكم وغزلنا أثوابكم وربينا أولادكم ، انفساركم في هذا الاجر
والخير ؟؟ فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى أصحابه بوجهه كله ثم قال
(هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها ؟ فقالوا يا رسول
الله ماظننا ان امرأة تهتدي الى مثل هذا .

فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم اليها فقال : افهمي أيتها المرأة
واعلمي من خلفك من النساء ، ان حسن تبعل المرأة لزوجها (اى قيامها
بواجب الزوجية) يعدل ذلك كله فانصرفت المرأة وهي تتهلل حتى وصلت
الى نساء قومها بين العرب وعرضت عليهن ماقاله لها النبي صلى الله عليه
وسلم ففرحن جميعهن .

أيها المؤمن :

تقررت حقوق المرأة في المجمع الاسلامي ، واخذ المشرع يبني الامهات
على أساس الدين والفضيلة فمجدت المرأة وكرمت فخرجت للامة كل نطل
وكل عظيم .

ولله در الشاعر العربي اذ يقول :

قم ابن الامهات على اساس ولا تبين الحصون ولا القلاع
فهن يلدن للقصب المدالي وهن يلدن للقباب السباعا

خمسة احاديث عن المرأة

١ - المرأة العربية قبل نزول القرآن

كان العربي قبل الاسلام صاحب المركز الممتاز في الاسرة والمجتمع فهو قوام الاسرة وربها المسئول عن حياتها ورزقها وشتونها وسلامتها ، وهو المكلف بالحرب ، والمطالب بالثأر والمغرم .
وكانت القبيلة تهنا في ثلاث حالات ، في فرس تنتج او شاعر ينبغ او ولد ذكر يولد .

كراهية البنات :

وفي القرآن آيات عديدة تحكى ماكان لولادة البنات من كراهية ، وتندد بالكفار على نسبتهم البنات الى الله بينما المفضل عندهم البنون ، ويكون المعقول ان يكون لله ما هو مفضل ، وتذكر وادهم للبنات قال تعالى :
(ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ، واذا بشر احدكم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون) النحل ٥٧ - ٥٩ .
ويقول سبحانه (فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون . ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) .
وقال عز شأنه (واذا المؤودة سئلت باى ذنب قتلت) النكوير ٨ ، ٩ .

حق الكسب والتصرف في المال

ولم يكن حق المرأة في الارث معيننا ثابتا سواء اكانت اما ام اختا ام زوجة ام بنتا . ولم يكن حقها في الكسب والتصرف بما تملك مقررنا معترفا به . بل كان هذا متغيرنا حسب الظروف .
فلما جاء الاسلام سما بالمرأة الى منزلة سامية ، وجعل لها الحق في الحياة والميراث والمعقود والبيع والشراء وسائر التصرفات ، قال تعالى :

(للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك
الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا) .

لمد كان العرب يورثون الذكور دون الاناث ويقولون اما يرب المال من
يركب الفرس ويمسك السيف ويدافع عن القبيلة .
فلما نزل القرآن الكريم جعل الله الميراث حقا بابنا للكبير والصغير
والرجل والمرأة قال تعالى :

(ولانتمنوا ما فضل الله به بفضلكم على بعض الرجال نصيب مما
اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل
شيء عليما) النساء ٣٢ .

الحياة الزوجية

ولم تكن الحياة الزوجية في الجاهلية قائمة على اعراف بحقوق او
سرکه مسادله بين الزوجين وكاتب الروحة موضع الاضطهاد والابزاز .

فلما نزل القرآن الكريم أمر الرجل أن يعاشر زوجته بالمعروف وأن
يحسن عشرتها وأن يوفيقها حقها من المهر والنفقة والرعاية . قال تعالى :

(وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه
هنينا مريئا) النساء ٤ .

وقال سبحانه : (وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فمسي ان تكرهوا
شينا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) النساء ١٩ .

وتوات آيات القرآن تحت على الزواج ونعبره آيه من آيات الله وتبين
ان اساس الزواج الناجح هو المودة والرحمة والألفة وحسن المعاملة : قال
تعالى :

(ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم
مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون) الروم ٢١ .

٢ - العشرة بالمعروف

قرر القرآن ان الله خلق الناس من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث
منهما رجالا كثيرا ونساء .

وفي سورة الاعراف يقول سبحانه : (هو الذي خلقكم من نفس واحدة
وخلق منها زوجها ليسكن اليها .) الاعراف ١٨٩ .

وسورة الأعراف من السور المبكرة في النزول وبتطوي هذه الآية على
سريير أن الرجل والمرأة زوج يكمل أحدهما الآخر ، وهما في مرتبة واحدة
من ناحية الحياة الانسانية وكل مافي الامر أن لكل منهما وظيفة تناسليه
مختلفة من وطيفة الآخر .

وقد تأكد علما المعنى في جملة مشهوره من احدى آيات سورة البقرة
وهي : (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) وهي تمنى أن كل مايقب للزوج
طلبه وانتظاره من زوجته من أمور مشروعة من طاعة وامانة وعفة واخلاص
وحسن معاشره ومودة واحترام وثقة وتكريم وبر وترفيه ، يحق للزوجة
طلبه وانتظاره من زوجها . ومن جملة ذلك أيضا اعتبار كل من الزوجين نفسه
شريكا للآخر في مختلف نواحي الحياة ومعاملة كل منهما للآخر على هذا
الاساس . وقول القرآن : (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) يؤكد قوله
سبحانه (وعاشروهن بالمعروف) وتكررت توصية القرآن للزوج أن يكون
تعاملهم في الحياة الزوجية على أساس المعروف وكلمة المعروف كلمة بليغة
المدى لأنها كلمة عامة تعنى ما هو متعارف عليه بالحق والعدل ، وهذا لايقاس
بزمان بعينه ، بل يظل يتبدل ويتطور حسب ظروف الحياة الاجتماعية
وتطورها . والضابط العام فيه هو أن لايجل حراما ولايجرم حلالا .

وقد روى مسلم وأبو داود عن معاوية القشيري قال : قلت يارسول
الله ماحق زوجة احدنا عليه قال : (تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت
ولا تضرب الوجه ولا تقبح .

وقوله سبحانه (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن
درجة) يوضح أن لكل من الزوج والزوجة حقوقا وعليه واجبات .

فحقوق الزوجة هي المهر والنفقة والعشرة بالمعروف ، وحقوق الزوج
هي طاعته والمحافظة على عرضه وماله وبيته ، ثم قال سبحانه (وللرجال
عليهن درجة) ، وذلك أن الحياة الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع
من رئيس لأن المجتمعين تختلف آراؤهم ورغباتهم في بعض الامور ولا تقوم
مصلحتهم الا اذا كان لهم رئيس يرجع اليه في الخلاف لئلا يعمل كل فرد للرجل
الآخر فتتفصم عروة الوحدة الجامعة ويختل النظام وجعلت الرئاسة للرجل
وعبر عنها بجملة (وللرجال عليهن درجة) لأنه أعلم بالمصلحة وأقدر على
التنفيذ بقوته وماله .

وقال بعض المفسرين ان كون الرجل هو المسئول عن رعاية الاسرة والانفاق
عليها قد جعل له شيئا من الهيمنة عليها وهو المراد بقوله تعالى (وللرجال
عليهن درجة) .

وتتلاقى اقوال المفسرين على أن الحياة الزوجية اساسها العشرة

بالمعروف ودعامتها التوافق والتراحم والمودة والالفة والحدب والرعاية من الزوج والطامة والوفاء من الزوجة .

وكان من آخر وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم (الصلاة الصلاة واستوصوا بالنساء خيرا) .

٣ - الرعاية والعناية بالمرأة

أكرم الإسلام المرأة وليدة وناشئة وفتاة وزوجة وأما فقد ندد القرآن بعبادة وإاد البنات وأنذر الفاعلين بالمساءلة والمعقاب قال تعالى : (وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت) التكوير ٧ ، ٨ .

ولقد روى الشيخان والترمذي عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من بلى من هذه البنات بشيء فأحسن اليهن كن له سترا من النار) ، ولمسلم والترمذي (من عال جاريتين حتى يدركا دخلت أنا وهو الجنة كهاتين) وقرن النبي بين أصبعيه .

وروى الترمذي وأبو داود عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من كان له ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتفق الله فيهن فله الجنة) .

وروى أبو داود عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من كانت له أنثى فلم يثدها ولم يهنها ولم يؤبر ولده عليها أدخله الله الجنة) .

وهكذا سما القرآن بمنزلة المرأة فنهى عن وادها وأمر برعايتها وأكرامها ، وكان سلوك النبي الأمين في رعاية البنات وأكرامهن مثلا يحذى ، فقد نهى النبي عن كراهية البنات ووطد لهن اعتبارهن الانساني . ونالت المرأة في الإسلام منزلة كريمة لم تصل الى مثلها في بعض المجتمعات المتحضرة لأن .

ومن الحقائق القرآنية الكبرى أن القرآن قد قرر للمرأة أهلية تامة وحقا كاملا غير مقيد بأي قيد في جميع التصرفات المدنية والاقتصادية والشخصية بحيث جعل لها الحق والاهلية لحيازة المال مهما عظم مقداره ، والأرث والهبة والوصية والدين وتملك العقار والتعاقد والتكسب والمصالحة والتقاضى والتصرف فيما نحوز وتملك بجميع أنواع التصرفات اتفاقا وبيعا وعتقا وهبة ووصية وشرط موافقتها على الزواج منها ، ولم يجعل لوليها الحق في تزويجها بمن لا تريد أو بدون أذنها ، وجعل عودتها الى زوجها الذى طلقها بموافقتها ورضائها وقناعتها ، وجعل لها الحق في فدائها نفسها من

زوجها وحفظ لها حقها في تزويج نفسها اذا برملت ، وبعض هذه الحقوق لم تصل اليها المرأة العربية الا حديثا ، بل ولم تنزل في بعض بلاد العرب محرومة منها . فالمرأة في الاسلام تتصرف في مالها تصرفا تاما ، ولا يشترط موافقة زوجها على تصرفاتها الخاصة في مالها . على عكس بعض النظم المعاصرة التي نشترط مصادقة الزوج وموافقه حتى تصح تصرفات الزوجة في مالها .

ونصوص القرآن كثيرة متمدة تؤكد حق المرأة في التصرف الخاص بها من ذلك قوله تعالى : (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا) النساء ٤ .

وهذه الآية تأمر باعطاء المرأة مهرها كاملا والا يأخذ الزوج شيئا من مال زوجته الا برضاها وموافقتها وقال تعالى (فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) البقرة ٢٢٩ .

وهذه الآية تجعل حق المرأة ثابتا في طلب الخلع من زوجها اذا ردت البه المهر أو شيئا منه وانفق الطرفان على انهاء الحياة الزوجية بينهما .

وقد وردت الاحاديث النبوية تؤيد هدى القرآن وتشرحه وتبينه ، روى الخمسة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (الشيب احق بنفسها من وليها والبكر تستامر واذنها سكوتها) .

وروى ابن ماجه ان فتاة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ان ابي زوجني ابن اخيه ليرفع به خسيسته (اى ليستفيد ماديا من زواجي) فجعل النبي الامر اليها (اى اعطاها حرية الاختيار) فقالت الفتاة قد اجزت ما صنع ابي ولكن اردت ان يعلم النساء ان ليس للاباء من الامر شيء .

وفي البخارى ومسنده احمد وغيرهما ما يؤكد ان المرأة لا بد من موافقتها على الزواج بكرا كانت ام ثيبا ، حتى يكون الزواج عن تراض ويتحقق فيه المودة والرحمة والألفة وبذلك تستقر الاسر وتسعد الاجيال .

وفي سورة النور نجد الاوامر توجه الى الرجل والمرأة بغض البصر والمحافظة على العرض وتحث على التقوى والاستقامة فيقول سبحانه (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك اذكى لهم ان الله خير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها) النور ٣٠ ، ٣١ .

وفي سورة الاحزاب آية مشهورة سوت بين الرجل والمرأة في المركز والتنويه والوعد الكريم بالنتائج المترتبة على الايمان والاسلام ومظاهرها

من طاعة وصدق وصبر وخشوع وتصدق وصيام وعفة وذكر كثير لله ،
وتضمنت تقرير واجبهما أو ايجاب ذلك عليها سواء بسواء .

قال تعالى : (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين
والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين
والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين
فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة واجرا
عظيما) الأحزاب ٣٥ .

فقد قرن الله بين المسلمين والمسلمات في عشر صفات متتابعة ثم قرن
بينهما في الجزاء الكريم للرجل والمرأة على السواء .

٤ - المساواة في الحقوق والواجبات

سوى القرآن بين المؤمنين والمؤمنات في المسئولية والجزاء والعمل
والثواب وتواترت نصوص القرآن تمدح العمل الصالح من الرجل والمرأة على
السواء قال تعالى : (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه
حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) النحل ٩٧ .

وفي صدر الاسلام هاجر الرجال والنساء وتحملت المرأة عبء الجهاد
والتضحية والغداء وشاركت الرجل في الدموة الى الله وتحمل الأذى والقتل
والقتال واستحقت المرأة نفس الثواب والجزاء قال تعالى : (فاستجاب لهم
ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين
هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلى وقاتلوا وقتلوا لا كفرن عنهم
سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده
حسن الثواب) البقرة : ١٩٥ .

كما سوى القرآن بين الرجل والمرأة في العقوبة والجزاء وفي التوبة
والمغفرة لمن تاب . قال تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما
كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم . فمن تاب من بعد ظلمه واصلاح فان الله
يتوب عليه ان الله فلور رحيم) المائدة ٣٨ ، ٣٩

وفي سورة التوبة آيات تقرر تعاون المنافقين والمنافقات في الكيد والدس
والوقية وآيات أخرى تصور مواقف المؤمنين والمؤمنات بصورة مشرقة
أساسها الايمان والعمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله
ورسوله واقامة الصلاة وايتاء الزكاة ثم تبادل الولاء والتضامن في مايلم
بالمسلمين من اخطار قال تعالى : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض
يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون
الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم ، وعند الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار) . التوبة ٧١ ، ٧٢ .

٥ - الأهلية التامة للمرأة

كان القرآن روحا وحياة وبعثا ، أحيا الجزيرة العربية وأمدتها بمقومات الحياة ، والوحدة والقوة ، وجعل من المسلمين خير أمة أخرجت للناس ، كما سوى القرآن بين الرجل والمرأة في وجوب طاعة الله ورسوله والتزام أوامرهما ، وحذرهما سويا من معصية الله ورسوله ومخالفة أمرهما . قال تعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضللا مبينا) الأحزاب ٣٦

كما أقر القرآن للمرأة بالشخصية المستقلة والأهلية المستقلة تبعا لذلك فأمر الرسول أن يبايع النساء أسوة بالرجال قال تعالى : (يا أيها النبي إذا جارك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرفن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله أن الله غفور رحيم) المتحنة ١٢

وفي نصوص السنة المطهرة نجد أحاديث متعددة يتمثل فيها روح المساواة والأهلية التامة للمرأة . فقد روى الإمام أحمد والترمذي وأبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (النساء شقائق الرجال) .

وروى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم : (قال نعم نساء الانصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين) .

وروى البخاري أيضا : (أن النساء قالت للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعدهن وأمرهن) .

أيها المؤمن

جميع ما تقدم يسوغ القول بأن الشريعة الإسلامية ونصوص القرآن والسنة قد سوت بين المسلم والمسلمة في التكليف العامة من زكاة وحج وجهاد وصيام وصلاة وحدود وطاعة لله ورسوله وفي واجب التواصل بالخير والرحمة والصبر والتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتضامن وتبادل الولاء والأخلاق الحسنة ، وفي واجب تدبر كتاب الله والحث على التفكير والتعلم وأنها قررت للمسلمة أسوة بالمسلم الأهلية التامة والحق الكامل في مختلف التصرفات المدنية وأن كل هذا يتضمن اقرار مشاركة المسلمة للمسلم في كيان الدولة والمجتمع سواء بسواء .

ويجعل لها بالتالي الحق مثلها في النشاط السياسي والاجتماعي على مختلف أشكاله وأنواعه ، ومن جملة ذلك تعلم العلوم والفنون على أنواعها لاستكمال الاستعداد لممارسة الأهلية والحقوق التي منحتها ، كما جعل للمرأة

الحق في ممارسة كافة الحقوق والاعمال والحريات المباحة والمشروعة والاستمتاع بزيينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ضمن نطاق القصد والاعتدال ومجانبة الاسراف والغلو والفواحش والاثام والبغى واسباب الفتنة .

فالمرأة التي كلفت بجميع التكاليف البدنية والمالية والمدنية ، وحملت مسئوليتها مثل الرجل دون اى نقص ، ينبغي لها الحق في ممارسة كل نشاط وسعى يمارسه الرجل والاستمتاع بالحقوق والمباحات والحريات المشروعة التي يتمتع بها الرجل ، في مجالات الحياة العامة والخاصة سواء بسواء . مع مراعاة لطبيعة المرأة وطبيعة كل زمان ومكان فمن اصول هذا الدين انه لاضرار ، وان اتقاء الشبهات واجب ، وان دفع المفسد مقدم على جلب المصالح .

وهكذا تسجل الشريعة الاسلامية للمرأة منذ اربعة عشر قرنا من الحقوق والواجبات مالم تسبق بمثله بل ومالم تلحق به لانها شريعة الله (ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون) المائدة .هـ

الأم فى القرآن

نزل القرآن على النبى الكريم فى ثلاث وعشرين سنة يدعو الى الايمان ويرسم الطريق السليم لقواعد الاسلام وآدابه ، ومثله وفضائله ، وقد كان القرآن ثورة على مخلفات الجاهلية ، وبناء لصرح الفضائل والقيم الانسانية .

كان من عادات العرب فى الجاهلية توفير الفنى واحتقار الفقير ، وتعظيم القوى واهمال الضعيف

كان العرب يرحلون بحثا عن الرمى والكلأ ، وربما تركوا كبار السن يلاقون مصيرهم المحتوم فى الصحراء .

وهذا هو سر عناية القرآن البالغة برعاية الوالدين واکرامهما والتأدب فى الحديث اليهما .

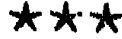
كما عنى القرآن بالأم عناية خاصة لانها تحملت آلام الحمل والولادة والرضاعة والحضانة والتنشئة ،

ولان الأم اكثر حنانا ورقة وشفقة ، فهى الجندى المجهول وهى صانعة الاجيال وهى التى ترعى الوليد حتى يشب وتكفله بأنواع الرعاية الصحية والنفسية والفدائية قال تعالى : (ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ان اشكر لى ولوالديك الى المصير) سورة لقمان ١٤

يروى ان رجلا جاء الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يطلب منه ان يمكنه من حضانة ولده من زوجته المطلقة قائلا يا امير المؤمنين حملته قبل ان تحمله ووضعته قبل ان تضعه ، فاجابت الام قائلة يا امير المؤمنين حمله خفيفا وحملته وقرا ووضعته شهوة ووضعته كرها ، فقضى الخليفة العادل للأم بحضانة الولد . وقد شهد القرآن للأم بهذا الجهد المشكور فقال سبحانه : (ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها ووضعته كرها ، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ، حتى اذا بلغ اشعه وبلغ اربعين سنة ، قال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى ، وان اعمل صالحا ترضاه ، واصليح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين) سورة الاحقاف : ١٥

ويطبيعا لهذه الخصوصية التي بهدمها الواقع المشاهد عند كل أم
ويسجلها القرآن في سورتين من سوره .

كانت وصايا النبي الكريم بالأم متكررة نحث على رعايتها واکرامها
واطاعة امرها خاصة في حالة الكبر والضعف ، روى الشيخان أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم سئل من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله ؟ قال
أمك ، قال ثم من ؟ قال أمك ، قال ثم من ؟ قال أمك . قال ثم من ؟ قال أبوك .



وفي سورة الاسراء يتحدث القرآن عن الاحسان الى الوالدين بأسلوب
قوى أخاذ فيحذر من الإيذاء بأقل كلمه .

ويحث على القول الكريم والمعاملة الحسنة والنلطف والادب في رعايه
الوالدين ، ويدعو الى اخلاص الضراعة لله ان يرد للوالدين جميل عنايتهما في
التربية والتقويم ، ثم يلفت الى عهد الكبر الذي يصل فيه الوالدان الى حالة
تشبه الابن في الصغر ، فيتخذ الابن من ذلك فرصة الى عنایتهم بهما وتلمس
رضاهما وقضاء مصالحهما والتأدب في خطابهما ورعاية شئونهما لان هذا
هو رد الجميل وهو التكافل الاجتماعى وهو دين الوفاء يقضيه الابناء للآباء .

ولن تزال البشرية بخير ما حافظ الابناء على رعاية الآباء واکرام
الشيخوخة ، وبر الوالدين والاحسان اليهما ، قال تعالى : ((وقضى ربك ألا
تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما
فلا تقل لهما أف)) وليس هذا فقط بل (ولانتهرهما) وليس هذا فقط بل (وقل
لهما قولا كريما) وليس هذا فقط بل (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)
وليس هذا فقط بل (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) سورة الاسراء
٢٢ - ٢٤ .

الأم وراء رسل الله

تحدث القرآن الكريم عن الأم وأشاد بدورها العظيم في الحمل والولادة
والرضاعة والتربية ، فهي الجندي المجهول الذي يضحي بنفسه من أجل
هدف سام ومبدأ نبيل .

وقد قدمت الأمهات للبشرية روادا سابقين وهداة ومرشدين ، ويكفى أن
تعلم أن أربعا من كرام رسل الله كان وراء كل منهم أم مخلصه مضحية .

وهؤلاء الرسل هم اسماعيل وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة
والسلام .

كان وراء اسماعيل أمه هاجر ووراء موسى أمه يوكابد ووراء عيسى أمه
مريم ووراء محمد أمه آمنة .

وقامت أمهات الرسل بدور عظيم حفظه التاريخ وسجله القرآن
الكريم .

ذهب ابراهيم خليل الله بولده اسماعيل وبركه بجوار البيت الحرام في
بلاد جدباء لا زرع فيها ولا ماء ووقفت هاجر تبحت لاسماعيل عن الماء وتصد
فوق الصفا تارة وتهبط الى المروة اخرى حتى ضرب اسماعيل الارض بقدميه
فنبع ماء زمزم تحتها وجاءت هاجر تقول زمي زمي واستجاب الله دعاء الخليل
لاسرته وكانت زمزم مهذا لنبي الله اسماعيل ، في رعاية هاجر وكفالتها ،
وجاءت قبيلة حرهم من اليمن تستاذن في الاقامة بجوار زمزم ، فاشترطت
هاجر على شيوخ القبيلة ان يقيموا ضيوفا لا اصحاب حق في زمزم ، فقبلوا ،
واقاموا نسيوفا مجاورين لاسماعيل تم اصهاره فيما بعد ، وتبادل اسماعيل
المنافع معهم ، وقد تحدث القرآن عن دعاء الخليل ابراهيم حين قال : ((وبنا
فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون))
ابراهيم ٣٧ .

وقد وقفت ام نبي الله موسى مواقف خالدة ، حفظت وليدها من الضياع
وحمته من القتل ، بشباتها وصبرها وايمانها ، وصارت مثالا خالدا للصبر
والايمان ، قال تعالى : ((واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه
فالتقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من الرسلين))
التقصص ٧ ،

اما عيسى فقد كان معجزة للبشرية حملته امه على غير مالوف البشر ،
فقد نفخ فيها الملاك جبريل ، فتم الحمل وتمت الولادة وتمت مريم الموت
حياء من قومها ، لكن الله انطق وليدها بما يطمئنها وجاءت بعيسى الى قومها ،
فلاموها وميروها فصمتت مريم عن الكلام وتركت وليدها يقول في اعجاز
وبيان : (قال انى عبد الله آتاني الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا اينما
كنت واوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا ، وبرأ بوالدتى ولم يجعلنى جبارا
شاقيا) مريم ٣٠ - ٣٢ .

وقد صدقت مريم بكلمات ربها وكتبه ، ووقفت وراء المسيح طفلا
وناشئا ، وآمنت به نبيا ورسولا ، قال تعالى : ((ومريم ابنة عمران التى
احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت
من القانتين)) التحريم ١٢ .

ونبيننا محمد عليه الصلاة والسلام مات أبوه عبد الله وهو جنين في بطن
امه وجاءت الاخبار الى آمنة بنت وهب بوفاة زوجها الشاب فكان حزنها شديدا
ومصائبها جللا بيد انها احسست بالسلولى بين احشائها وبشرتها الرؤى بانها
حملت خير البشرية وهداية الانسانية فكرست حياتها للوليد المبارك وأودعته

آمالها ورجاءها . ولما بلغ عمر النبي سبع سنين حملته أمه لزيارة أخواله من بني النجار في المدينة وعادت آمنة بمحمد إلى مكة فنقلت عليها الحمى في الطريق وأحسست أنها ستودع الحياة ، وفي مكان يسمى الأبواء بين مكة والمدينة قربت الأم وليدها من صدرها وبثته حنانها وآمالها ، وماتت قريرة العين بطهارته وأمانته ، وقالت آمنة في وداع ابنها الوحيد ، كل حى سيفنى وكل جديد سيبلى ولقد ولدت طهرا وخلفت شرفا فأنا باقية وذكرى ممتد في العالمين .

(٤)

الجهاد

الجهاد في الاسلام

جاء الاسلام دعوة عامة لهداية الناس واخراجهم من الظلمات الى النور وارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم (شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله بالذنه وسراجا منيرا) (١) ، ليرشد الحيارى ويهدى الظالمين ، قال تعالى :

• (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (٢) .

ولأن الرحمة الاسلامية تعم ولا تخص كان لها جانبان احدهما : بث التآلف والتواد والتراحم بين اهل الايمان واهل الحق ، والتعاون معهم على اقامة الحق ونصرته واعلاء كلمته ،

والجانب الثانى منع الظلم ودفع الاذى ، والغلظة على الظالمين حتى يثوبوا الى الحق ، وعلى المعتدين حتى يكفوا عن الاعتداء .

وكان المسلمون نموذجا فريدا يجمع بين جانبى الرحمة ، قال تعالى

• (اشدء على الكفار رحماء بينهم) (٣) .

ومن قانون الرحمة شرعت شريعة الجهاد ، فالجهاد في الاسلام هو دفع الاعتداء واقامة الحق ورفع مناره والقضاء على الظلم والفساد .

ان الرحمة بالانسانية توجب وقف المعتدى عن الاعتداء ومنع الظالم من

(١) الاجزاب ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) الانبياء ١٠٧ .

(٣) الفتح ٢٩ .

الظلم ودفع الفساد في الأرض واقامة دعائم الحق ، وذلك لا يكون اذا قيل للمعتدى : قف مكانك ، وقيل للمظلوم إن معك من يهيمك ومن يدفع عنك شر الظالم ، فاذا كان في الحرب قتل فيها منع لسفك الدماء ان قام بها اهل الحق والعدل .

ان الخير والشر يتنازعا في كل انسان ، وفي انفس الجماعة وبين الدول . فمع الشر الاعتداء ومع الخير منع الاعتداء . ولذلك كان الجهاد شريعة ماضية الى يوم القيامة كما قال عليه الصلاة والسلام « الجهاد ماض الى يوم القيامة » لأن النزاع بين قوى الشر والخير ماض الى يوم القيامة ، فكان الجهاد لابد ان يستمر ليمنع الشر من ان يسيطر ، وليظهر الحق حتى لا يضعف ولا يدل ولولا ذلك لعم الظلم وظهر الفساد في البر والبحر من غير ان يظهر خير بجواره ، قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) (١) .

تفنيد قرينة :

اتهم بعض المفرضين الاسلام بأنه قام على السيف والحروب ، وهذه دعوى باطلة للأسباب الآتية :

- ١ - الاسلام معناه الاذعان والانقياد واخلاص القلب لله ، وذلك يتنافى مع الاكراه والاجبار ، قال تعالى (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) (٢) .
- ٢ - الاسلام يفرض على المؤمن به ان يكون واثقا بربه متيقنا بوجوده مؤمنا بقدرته ايمانا ثابتا عن يقين . قال تعالى (قالت الاعراب آئنا قتل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) (٣) .
- ٣ - نهى القرآن الكريم عن الفتنة في الدين واعتبر فتنة المتدين في دينه اشد من قتله . قال تعالى (والفتنة اكبر من القتل) (٤) .

ولقد منع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا حاول ان يكره بعض ولده على الدخول في الاسلام . وجاءت امرأة عجوز الى عمر بن الخطاب في حاجة لها ، وكانت غير مسلمة فدعاها الى الاسلام فأبت فتركها عمر ، وخشى ان يكون في

(١) البقرة/٢٥١ .
(٢) البقرة/٢٥٦ .
(٣) الحجرات/١٤ .
(٤) البقرة/٢١٧ .

قوله وهو أمير اكراه فانجه الى ربه ضارعا قائلا : اللهم ارسدت ولم اكراه ،
وتلا قوله تعالى (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) (١) .

مشروعية القتال

شرع القتال للأسباب الآتية :

١ - الدفاع عن النفس ورد العدوان ، قال تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم) (٢) .

٢ - ازاحة طواغيت الكفر والظلم من طريق الدعوة ، حتى يستطيع الفرد
العادي أن ينظر فيها وأن يعتقد ما يشاء مجردا من الخوف والأرهاب ،
قال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) (٣) .

٣ - الاخذ على يد العابثين ، الذين يشوهون حقائق الاسلام ، وينفرون
الناس منه ، ثم هم يخونون اليهود وينقضون المواثيق ، قال تعالى
(وان تكونوا ايمانهم من بعد عهدهم ، وطعنوا في دينكم ، فقاتلوا ائمة
الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون) (٤) .

٤ - حماية الضعفاء من العجزة والصفار والنساء ودفع الظلم عنهم ، قال
تعالى (وما لكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء
والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهله واجعل
لنا من لئنا وليا واجعل لنا من لئنا نصيرا) (٥) .

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية أن اقواما من ضعاف المسلمين لم
يتمكنوا من الهجرة ، اذ حالت قريش بينهم وبين ما يريدون تسومهم سوء
العذاب لتصرفهم عن دينهم وتفتنهم في عقيدتهم فكانوا يضجون بالدماء قائلين :
(ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهله واجعل لنا من لئنا وليا واجعل
لنا من لئنا نصيرا) .

(١) البقرة ٢٥٦ .

(٢) البقرة ١٩٤ .

(٣) البقرة ١٩٣ .

(٤) العنكبوت ١٢ .

(٥) النساء ٧٥ .

الاسلام بين الحرب والسلام

الاسلام في طبيعته دين السلام فالله اسمه (السلام) (١) ، والجنة اسمها (دار السلام) (٢) وتحية المؤمنين في الجنة هي السلام : (تحييتهم يوم يلقونه سلام) (٣) والقرآن نزل في موكب من السلام قال تعالى (انا انزلناه في ليلة القدر سلام هي حتى مطلع الفجر) (٤) . وحين ينتهي المؤمن من صلاته ينتهي بالسلام ، فالصلاة فترة محدودة كان يخاطب فيها ربه ويناجيه ، ثم يبدأ تعامله مع الناس بقوله : السلام عليكم عن اليمين ، والسلام عليكم عن اليسار .

ولن يتردد المؤمن في قبوله دعوة السلام اذا دعى اليها قال تعالى :
(وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) (٥) .

★ ★ ★

ومع ان القتال شرع لدفع الاعتداء لم يأمر القرآن بالحرب عند اول بادرة من الاعتداء ، او عند الاعتداء بالفعل اذا امكن دفع الاعتداء بغير القتال فقد جاء فيه (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خسر للصابرين ، واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) (٦) .

وقد مكث النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاثة عشر عاما يدعو الى دين الله ويسوق الادلة على وجوب الايمان ويلفت انظار الناس الى كتاب الله المفتوح وهو الكون ، وكتابه المقدس وهو القرآن ، ولكن اهل مكة وقفوا في طريق دعوته وعذبوا اتباعه حتى اضطروهم للهجرة الى الحبشة والى المدينة ثم اذن الله للمؤمنين بالانتصاف لانفسهم وبدفع الظلم عن دعوتهم قال تعالى (اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله (٧)) .

قوانين الحرب :

الاسلام في طبيعته دين السلام ، ولكنه اذا اضطر الى الحرب حارب دفاعا عن النفس ، وحماية للعقيدة ، وتحطيم لطواغيت الكفر ، وحماية

-
- (١) العصر : ٢٣
 - (٢) الأنعام : ١٢٧
 - (٣) الأحزاب : ٤٤
 - (٤) القدر : ٥
 - (٥) الأنفال : ٦١
 - (٦) البحل : ١٢٦
 - (٧) الحج : ١٣٩ ، ١٤٠

للمستضعفين ، واحفاقا الحق ، وتمكيننا لدين الله في الارض ، حتى يصل الى الناس بدون معوقات ، وتكون لهم الحرية التامة في اعتقادهم وفكرهم . واذا فالاصل هو السلام والحرب ضرورة اجتماعية وانسانية ومع ذلك فقد امر الاسلام بالفضيلة في الحرب لان الحرب موجهة ضد الظلم والعدوان والطفاعة لا ضد الافراد والشعوب ، ولذلك حرم النبي قتل من لم يقاتل ، وكان يوصى قواده الا يتعرضوا الى قتل النساء والاطفال والشيوخ وكل من لم يباشر القتال وليس له رأى في القتال ، ورأى رسول الله (ص) امرأة مقتولة بعد انتهاء معركة فوجه اللوم الى القائد خالد بن الوليد وقال : « ماكانت هذه لتقاتل » .

فالحروب الاسلامية حروب فاضلة في الباعث عليها وفي سيرها وفي انتهائها وفي معاملة المغلوبين لانها نستمد نظمها من قوانين السماء ومن هدى الله الحكيم العليم .

اعداد الامة للجهاد

الاسلام رسالة وفكرة وعقيدة ومنهج ، وقد اهتم ببناء الانسان وتكوينه كما عنى ببث الروح المعنوية العالية والفكرة السليمة والهدف الواضح ، لعد زين الايمان في قلوب المؤمنين ووضح دعائمه وآدابه ورسم للامة طريق النصر واعدتها للقتال اعدادا سليما .

ومن وسائل هذا الاعداد اتباع الدعائم الآتية :

١ - الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

لقد كان الايمان حجر الاساس في تحول العرب من حفاة بداءة منخلفين الى امة متحضرة مؤمنة متعاونة تؤمن بالله ربا وبالاسلام ديننا وبمحمد رسولا وتتبع احكام هذا الدين في اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة والصيام والحج ، ثم تتسابق الى ميدان القتال طلبا للشهادة واملا في ثواب الآخرة ؛ ولازال العامل البشرى من اهم العوامل الحاسمة في المعركة ، وقد اثبتت حرب ٦ اكتوبر ١٩٧٣ الموافق ١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ اهمية هذا العامل ، فقد تسابق الرجال يعبرون القناة ، ريجتازون خط بارليف ، ويستهيون بالموت عند اللقاء ، حتى حطموا اسطورة اسرائيل ، واثبتوا أن الايمان عامل حاسم من اهم عوامل النصر .

٢ - اعداد العدة وتجهيز ادوات القتال والتدريب عليها واستخدام احداث الاسلحة ، وبديل المال الكافي لشراء السلاح الحاسم في المعركة قال تعالى (واعتوا لهم ما استطعتم من قوة) (١) . أى أقصى ما نستطيع من قوة للدفاع

عن أوطاننا وديننا وهذه القوة تكون في كل عصر بما يناسبه ، فمن هذه القوة تزويد الأمة بمختلف أدوات الحرب الحديثة من مدافع وبوارج وطائرات ومصفحات وأسلحة ذرية وصواريخ وقنابل وغير ذلك . كذلك يجب على المسلمين أن يتعلموا الفنون التي يتوقف عليها صنع هذه المعدات لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

٣ - وحدة الصف ، وتماسك طوائف الأمة وترايط المقاتلين والمجاهدين - قال تعالى (أن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (١))

٤ - البعد عن أسباب الخلاف والنزاع ، فان يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ الى النار قال تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) (٢) . وفي الحديث : « من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاضربوه بالسيف كائنا من كان » .

٥ - الثبات في الميدان وطاعة الله والتزام أوامره والبعد عن معاصيه . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) (٣) .

٦ - الصبر على المكاره وتحمل تبعات الحرب وتكاليف الجهاد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (٤) .

٧ - عدم تصديق الإشاعات والاراجيف ، ومحاولة الأسى والتنبؤ ، والقضاء على أساليب العدو ، وعلى الحرب النفسية التي يشنها وغبة منه في تثبيت الهمم والتبئس من النصر . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) (٥) .

٨ - الحذر واليقظة وعدم الاستهانة بالعدو ، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا خفوا حذرکم فانفروا ثبات او انفروا جميعا) (٦) .

٩ - طاعة القائد وتنفيذ الأوامر والمحافظة على الضبط والنظام : قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) (٧) .

(١) الصف/٤ .

(٢) الأنفال/٤٦ .

(٣) الأنفال/٤٥ .

(٤) آل عمران/٢٠٠ .

(٥) الحجرات/٦ .

(٦) النساء/٧١ .

(٧) النساء/٥٩ .

١٠ - عدم الفرار من الميدان والاستماتة في القتال حتى النصر أو الشهادة قال تعالى (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) (١) . ان الشجاعة صبر ساعة ، ورب ثبات لحظات يحول المعركة من هزيمة الى نصر ولذلك حرم الله الفرار من المعركة قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير) (٢) .

١١ - الثقة بان النصر من عند الله وان على المؤمن ان يعد العدة وان يأخذ في الاسباب ثم يتوكل على الله (وما النصر الا من عند الله) (٣) .

١٢ - الثبات في المحنة والهزيمة ، والثقة بان مع العسر يسرا ومع الشدة فرجا . وتقبل الهزيمة بروح التوكل للتأثر الوائق بان الايام دول يوم لك ويوم عليك . قال تعالى (ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس) (٤) .

ترغيب الاسلام في الجهاد

رغب الاسلام في الجهاد وحث عليه ، واعتبر الجهاد من اشرف الاعمال وافضلها ، وجعل الجهاد تجارة رابحة رأس مالها الايمان بالله والجهاد في سبيله هذه التجارة مغفرة الذنوب ودخول الجنة ، وهناك جزاء عاجل في الدنيا وهو النصر المبين والبشرى للمؤمنين ، قال تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومسكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) (٥) .

وفي نصوص القرآن والسنة نجد ان الجهاد افضل الاعمال ، واكثرها ثوابا ، واعظمها اثرا ، اذ يشتمل الجهاد على الفضائل الآتية :

-
- (١) النساء/٧٤ .
 - (٢) الانفال/١٥ ، ١٦ .
 - (٣) الانفال/١٠ .
 - (٤) آل عمران/١٤٠ .
 - (٥) الصب/١٠ - ١٣ .

- ١ - الجهاد أفضل انواع العبادة . روى البخارى عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : دلنى على عمل يعدل الجهاد . قال : لا أجده ، ثم قال : هل تستطيع اذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر (١) ؟ وتصوم ولا تفطر ؟ قال ومن يستطيع ذلك .
- ٢ - المجاهد لا يزال الا احدى الحسينيين ، فهو أن مات دخل الجنة وان عاش فله الأجر والغنيمة ، أو له عظيم الثواب ان لم يحصل على غنيمة . قال تعالى : (قل هل ترضون بنا الا احدى الحسينيين) (٢) .
- ٣ - الجهاد أفضل من التفرغ للعبادة والانقطاع عن الناس ، فلا رهبانية في الاسلام ورهبانية المسلمين هي الجهاد .
- قال صلى الله عليه وسلم : « أن مقام أحدكم في الصف ساعة أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما » (٣) .
- ٤ - الجهاد في سبيل الله أمان من نار جهنم ، وبراءة من عذابها ، قال صلى الله عليه وسلم : « عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله (٤) .
- ٥ - حث القرآن الكريم على الجهاد في كثير من آياته ، وبين فضله وثوابه ، وحذر من القعود والتخلف عن الجهاد ، وتوعد من ترك الجهاد بالعذاب والنكال . قال تعالى (الا تنفروا يطلبكم عذابا لينا ويستبدل قوما غيركم ولا تفروه شيئا والله على كل شيء قدير) (٥) .

(١) لا تفتر : لا تنام .

(٢) التوبة/٥٢ .

(٣) رواه الترمذى وحسنه .

(٤) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

(٥) التوبة/٣٩ .

الرباط

الرباط : هو الاقامة بالسلاح في المكان الذي يتوقع هجوم العدو فيه للحراسة والدفاع . وهو قسمان :

١ - حراسة الحدود لصد العدوان الخارجى ، وهذا مايقوم به الجيش المنظم .

٢ - حراسة داخل البلاد . وهو مايسمى في عصرنا بالمقاومة الشعبية .

مكان الرباط :

مكان الرباط هو الموقع الذي يتوقع هجوم العدو عليه ، وتكون هذه المواقع عادة آخر الحدود الآمنة للمسلمين .

فصل الرباط :

المرابط انسان مخلص يقف على خط النار دفاعا عن المسلمين وحماية لاطوانهم ، فهو راهب متجرد وفدائى غير يبيع نفسه لله ويشترى جنّة عرضها السموات والارض . قال تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (١) .

ومن عثمان بن عفان رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «رباط يوم في سبيل الله خير من الف يوم فيما سواه من المنازل» (٢) .

(١) العروة/١١١ .

(٢) المدخل لابن الحاج ١١٥/٢ ، وفيه قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

حكم الرباط في سبيل الله

الرباط فرض كفاية في الاحوال العادية ، واذا فعله البعض بصورة كافية ، سقط عن بقية المسلمين ، واذا لم يفعله أحد اثم الجميع ، لأنه يتوقف عليه حماية وحراسة ارض المسلمين واموالهم واعراضهم ومصالحهم ، أما في غير الاحوال العادية فهو فرض عين على القادر ، وهؤلاء المرابطون هم المقاتلون في المعارك لأنهم مسلحون ومدربون ومستعدون .

أجر من مات مرابطا في سبيل الله

المرابط مجاهد في اخطر الاماكن وامسها بسلامة الامة وامنها ، فهو في عبادة وثواب كبير واذا مات في الرباط استمر ثوابه واجره الى يوم القيامة ، وامنه الله من الفزع يوم البعث والحشر وحرم النار عليه وأوجب له الجنة . قال صلى الله عليه وسلم : « كل ميت يختم على عمله الا المرابط في سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر » (١) . وقال (ص) « حرمت النار على عين دمعت أو بكت من خشية الله ، وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله » (٢) .

الشهداء

الشهيد هو من قتل في معركة بيننا وبين اعداء الدين ، أو جرح وبقي في موضع المعركة حتى مات ، ولم يتمتع بعد اصابته بشيء من ملذات الحياة ، وكان يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وكذلك من قتله قطاع الطريق ، والخارجون على الامام أو قتل دون ماله أو عرضه .

ومن الشهداء شهداؤنا في معارك التحرير في حرب رمضان وما قبلها وما بعدها ، لقد ادوا واجبهم واستعدبوا الموت في سبيل الله ولفظوا ارواحهم وجادوا بحياتهم دفاعا عن اوطانهم وامتهم فلهم جزاء الله في الجنة وثوابه في الآخرة .

حكم الشهداء :

لا يغسل الشهداء ولا يكفنون بل تترك عليهم ثيابهم وينزع عنهم الاشياء التي لا تصلح للكفن كالقرو أو الدرع ، كما ينزع عنهم أدوات الحرب لينتفع بها

(١) رواه أبو داود والترمذي - الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٣٦٦ .

(٢) رواه أحمد وغيره - الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٣٧٣ .

غيرهم ، وفي الحديث الشريف : «كفنوهم بكلومهم (١) ودمائهم فانهم يبعثون يوم القيامة وأوداجهم تشخب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك » .
ولا يصلى على الشهداء اكتفاء بشرف الشهادة عند جميع الأئمة عدا الحنفية فانهم قالوا يصلى على الشهيد .

شهداء الآخرة :

وهم كل من جرح في المعركة ونقل من مكانها وتناول شيئا من متاع الدنيا كالأكل والشراب والنوم . وهؤلاء شهداء في الآخرة دون الدنيا ، فلهم ثواب الشهادة في الآخرة ، لكنهم في الدنيا يعاملون معاملة سائر الموتى فيفسلون ويكفنون ويصلى عليهم كسائر الناس .

في حكم الشهداء :

عد عليه الصلاة والسلام اقواما واخبر إنهم من الشهداء ، ومن هؤلاء: الدين ماتوا بالطاعون من غير فرار منه ، ومنهم الذين ماتوا غرقى أو حرقى أو ماتوا بمرض البطن والصدر ، ومنهم من مات غريبا عن وطنه وأهله ، ومنهم المرابطون في سبيل الله . فهؤلاء لهم ثواب الشهداء في الآخرة ولا تطبق عليهم أحكام الشهداء في الدنيا .

وشهادة هؤلاء تسمى الشهادة الصغرى أما من مات في المعركة فهو شهيد شهادة كبرى .

ثواب الشهداء

الشهداء عادة أكرم الناس نفوسا وأخلصهم قلوبا ، انهم يحملون ارواحهم على أكفهم ويوجدون بها في سبيل الله رخيصة عليهم غالية في موازين الحق ، ولذلك يهبهم الله الخلود في حياة برزخية أبدية قال تعالى (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون) (٢) .

ومن ثواب الشهداء ما يأتى :

١ - الشهيد في الفردوس الأعلى من الجنة تسبح روحه حول العرش وتاوى الى قناديل من نور ، ولها أعظم المنازل عند الله وفي جواره وقضله ، قال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من

(١) الكلوم جمع كلم وهو الجرح .

(٢) البقرة/١٥٤ .

**النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا . ذلك
الفضل من الله وكفى بالله عليما (١) .**

٢ - جراح الشهيد تانى يوم القيامة وهى وسام على صدره تطفح دما ،
لونها لو الزعفران وريحها ريح المسك .

٣ - الشهداء احياء عند الله ، يتمتعون بنعيم الجنة ، ويكافون بارتفاع
المنازل فى جنات عدن عند ملك مقتدر ، وقد تكفل الله ان ينقل اخبار
الشهداء الى المؤمنين بيانا لفضل الشهادة وترغيبا للعمل من اجلها ،
عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما اصيب اخوانكم
بأحد جعل الله ارواحهم فى جوف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من
ثمارها ثم تاوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش ، فلما
وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ اخواننا عنا انا
احياء فى الجنة نرزق لثلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا ينكلوا (٢) عند الحرب ،
فقال الله انا ابلغهم فانزل الله قوله : (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل
الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون) (٣) .

٤ - لشهيد الجوى وشهيد البحر من الثواب اضعاف ما لشهيد البر لما فى
ركوب الطائرة والبارجة من المخاطرة واقتحام الاهوال ، والاستعداد
للبلد والفداء والتضحية ، قال صلى الله عليه وسلم : « غزوة فى البحر
خير من عشر غزوات فى البر » (٤) .

٥ - الشهادة فى سبيل الله سنام العمل الصالح وذروة الاعمال الكريمة
وأفضل المآثر والامجاد وهى أحسن مايلقى به العبد ربه واكرم تاج
يحمل صاحبه . وأبقى ذكرى وأخلد عمل .

منزلة الجهاد فى الاسلام

الجهاد فريضة محكمة ، وشريعة ماضية الى يوم القيامة ، وقد تأيدت
فرضيته بالكتاب والسنة والاجماع .

قال تعالى : (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا
وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لاتعلمون) (٥)

(١) النساء/٦٩ ، ٧٠ .

(٢) تكل عن المدو وعن اليمين من باب دخل اى جين .

(٣) آل عمران/١٦٩ .

(٤) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط البخارى .

(٥) البقرة/٢١٦ .

وقال صلى الله عليه وسلم « الجهاد ماض الى يوم القيامة » اي فرضا
ياقيا لامراز الدين ودفح الشر من العباد . واجمعت الأمة على فرضية الجهاد .
الا انه احيانا يكون فرض كفاية واحيانا يكون فرض عين .

حكم الجهاد

الاصل في الجهاد انه فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط الاثم
من الباقين (١) . وفي عصرنا الحاضر نجد ان القتال أصبح فنا ودراسة ،
ويحتاج لياقة ومهارة وتمرينا ، بل وتفرفا لاحكامه ، ونجد ان الجندي في
الميدان محتاج الى جبهة متكاملة تؤدي واجبها من خلفه ، فالزراعة والصناعة
والتعليم وكل وسائل البناء والعمران أدوات لازمة لرقى الأمة وامداد
المجاهدين بما يحتاجون اليه .

فلا يمكن أن يكون الجهاد فرض عين ابتداء ، لأن الناس لو خرجت جميعا
للجهاد فلن يكون هناك زراع يزرعون الأرض ، ولن يكون هناك صناع يمدون
الجيش بالقوة المطلوبة ، وبذلك تفقد الأمة قوة الانتاج ولا تجد من يقدم للجنود
حاجاتهم .

والجهاد عمل من اشق الاعمال ، ومن يسر الاسلام الا يكون التكاليف
الشاق مستمرا والا يكون على جميع الناس . قال تعالى (يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر) (٢) . فلا يكون الجهاد واجبا الا على القادر عليه ويكون
من وراه من سائر الافراد في جهاد آخر ، فالزراع يؤدي واجبا كفايا والصانع
سواء اكان نساجا او حدادا او غير ذلك يؤدي واجبا كفايا وهكذا . فالناس
مختلفون قوى ومواهب وكل ميسر لما خلق له . وكل يقوم بفرض كفاية
لاستغنى عنه الأمة في عمله والنبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى الجهاد
ولا يخرج جميع اهل المدينة (٣) .

متى يكون الجهاد فرض عين :

يصير الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة اذا هاجم العدو ارض
الاسلام فعلى كل قادر حينئذ ان يقوم بالدور الذي يسند اليه ، فالعلماء
والصمال والتجار وغيرهم كل منهم يصير مجاهدا اثناء المعركة اذا كلفهم الامام
بالبقاء في مواقعهم واخلص كل منهم في عمله وابتغى به وجه الله وكان في نيته
ان يساعد المجاهدين .

(١) فتح القدير : ٢٨١/٤ .

(٢) البقرة/١٨٥ .

(٣) الاختيار كتاب السير ٧٣/٣ .

قال صاحب الاختيار : الجهاد فرض عند النفي العام وكفاية عند عدمه
قال تعالى (انفروا خفاها وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله) (١)
والنفي العام : ان يحتاج الى جميع المسلمين فلا يحصل المقصود وهو
امراز الدين وفهر المشتركين الا بالجميع فيصير عليهم فرض عين كالصلاة (٢) .

الاقرب فالاقرب :

اتفق الفقهاء على انه يجب على اهل كل ثغر ان يقاتلوا من بين ايديهم ،
من الاعداء ، وأن مجزوا ساعدتهم من يليهم الاقرب فالاقرب قال تعالى (ياايها
الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله
مع المتقين) (٣) .

واذا التقى الزحفان وتلاقت الجيوش وجب على المسلمين الحاضرين
الثبات وحرم عليهم الفرار الا ان يكونوا متحرفين لقتال او متحيزين الى فئة
او يكون الواحد امام ثلاثة من الاعداء او المائة امام ثلاثمائة فيباح الفرار . ولهم
الثبات مع ذلك لاسيما مع غلبة ظنهم بالظهور عليهم . (٤)

وعيد المتخلفين عن الجهاد :

توعد الله المتخلفين عن الجهاد بالعذاب والنكال ، فما ترك قوم الجهاد
الا سلب الله عليهم ذلا لا ينزعه حتى يعودوا الى امر الله ، قال تعالى (فرح
المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم في
سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا
يفقهون) (٥) .

كما ورد في السنة المطهرة تحذير شديد من ترك الجهاد والتخلف عن
المجاهدين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات ولم يفر ولم
يحدث نفسه بالغزوات على شعبة من النفاق » . - رواه مسلم .

واجب الأمة نحو المجاهدين :

المجاهد رمز للتضحية والفداء ، انه خط الدفاع الاول ، وهو يتعرض
للموت فداء لوطنه وأمتة فواجبنا نحو المجاهدين ان نرمي أسرهم وان نحافظ

(١) العروة/٤١ .

(٢) الاختيار شرح المغتار كتاب السير ٧٣/٣ .

(٣) العروة/١٢٣ .

(٤) الميزان الكبرى للشعراني ١٧٠/٢ .

(٥) العروة ٨١ .

على حرمانهم وأن تبدل المال لمساعدتهم على القيام بواجبهم ، والا نبخل عليهم
بجهد أو نفع أو جاه ، وأن تكرم المجاهدين عند عودتهم وأن تدعو لهم بالنصر
والتوفيق .

روى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من
جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا فى سبيل الله فى أهله بخير
فقد غزا » . (١)

(١) الترهيب والترهيب ، ج ٢ ص ٣٧٧ .

غزوة بدر الكبرى

هاجر المسلمون من مكة الى المدينة وتركوا اموالهم وأوطانهم حفاظا على دينهم ودفاعا عن عقيدتهم ، قال تعالى (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد) ٢٠٧ - البقرة

وكانت لقريش تجارة على طريق المدينة فقال النبي لاصحابه هذه غير لقريش ، أخرجوا اليها عل الله أن ينفلكموها فخف بعض الناس وبخلف اكثرهم ثقة منهم بأن النبي لن يلقى حربا .

ولما علمت قريش بالامر سارعت بالخروج الى حرب المسلمين وفي الطريق علموا أن تجارتهم قد نجا بها ابو سفيان ، وارسل اليهم ابو سفيان يطلب منهم العودة الى مكة .

فقال ابو جهل لا نرجع حتى نحضر بسدرا فنقيم فيه ثلاثا ننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون بها بهاوننا .

وسار جيش المشركين حتى وصل وادى بدر فنزل في عدونه الفصوى عن المدينة في ارض سهلة كينة .

اما جيش المسلمين فانه نزل بعدوة الوادى الدنيا من المدينة في ارض سبخة - فاصبح المسلمون عطاشا وبعضهم محدث في حاجة الى الطهارة .

فارسل الله لهم الغيث حتى سال الوادى فشربوا واتخذوا الحياض ، واغتسلوا ، وملاوا الاسفية ، ولبدت الارض حتى ثبتت عليها الاقدام . .

على حين كان هذا المطر مصيبة على المشركين فانه وحل الارض حتى لم يعودوا يقدرون على الارتحال ، ومصداق هذا قوله تعالى في سورة الانفال .

(اذ يفشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام) .

وقبيل المعركة اخذ عليه الصلاة والسلام يعدل صفوف المسلمين ويأمر بالصبر والثبات ثم قال (والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل مقبل غير مدير الا وجبت له الجنة)

والتفت النبي الى جيش المشركين فقال (اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب لبيك اللهم فنصرك الذي وعدتني)

ثم ابتدا القتال بالمبارزة فخرج من صفوف المشركين ثلاثة نفر عتبة بن ربيعة بين اخيه شبيعة وابنه الوليد فطلبوا اكفاهن فخرج اليهم ثلاثة من الانصار فقالوا لا حاجة لنا بكم انما نريد اكفاهنا من بنى عمنا .

فاخرج لهم عليه الصلاة والسلام عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن ابي طالب .

فقتل حمزة شبيعة وعلى الوليد وكرا على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة جريعا .

وبعد انقضاء هذه المبارزة بدأ الهجوم بالصفوف والتحم الجيشان وحمى الوطيس وارسل الله ملائكة السماء تؤيد المؤمنين وتشتتهم قال تعالى (اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فتبينوا الذين آمنوا سألنى فى قلوب الذين كفروا الرهب فاضربوا فوق الامناقى واضربوا منهم كل بنان . ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) ١٣ - الانفال .

واخذ النبي حفنة من التراب ورمى بها فى وجوه الكافرين وقال شامت الوجوه لا يرفم الله الا هذه المفاطس . . اللهم اشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد . . سيهزم الجمع ويولون الدبر ولم تكن الا ساعة حتى هزم المشركون وولوا الادبار وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقتل من المشركين نحو السبعين واصر منهم نحو السبعين .

وقد امر عليه الصلاة والسلام بالقتلى فجمعوا فى قبر واحد ثم وقف عليهم وجعل يناديهم باسمائهم واسماء ابائهم فيقول

يا ابا جهل بن هشام يا ابي بن خلف ، يا فلان بن فلان ،

ايسركم انكم اطعتم الله ورسوله ، فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟

فقال عمر يارسول الله ما تكلم من اجساد لا ارواح فيها فقال النبي والذي نفس محمد بيده ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكنهم لا يجيبون .

. . وهكذا اتم الله النصر للمؤمنين على قلة عددهم وعدتهم وادال لهم من الكافرين على كثرة عددهم وعدتهم ليكون ذلك درسا بليغا فى اثر الايمان

الصادق والعقيدة السليمة (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) (وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر) ٣١ المذثر .

فمن جنوده الملائكة ومن جنوده سلاح الرعب والخوف ومن جنوده ارسال الرياح عاتية شديدة ومن جنوده ارسال طير ابابيل . وبكل ذلك ورد القرآن الكريم (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) ١٢٦ - آل عمران ، (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبسلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم . ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين) الأنفال ١٧ ، ١٨ .

أسرى بدر

انتهت غزوة بدر بنصر مؤزر للمسلمين فقتلوا من المشركين سبعين قتيلًا واسروا سبعين أسيرًا وفر الباقون .

وعاد المسلمون الى المدينة ومعهم الاسرى يسرون في القيود والافلال في ذلة وانكسار وخاف الاسرى على انفسهم من القتل فبعثوا الى ابي بكر الصديق فقالوا له يا ابا بكر ان فينا الاءاء والاءخوان والعمومة وبنى العم واءعدنا قريب كلم صاحبك يمن علينا بالعمو او يقبل فينا الفداء فوعدهم ابو بكر خيرا .

وخافوا ان يفسد عمر بن الخطاب عليهم امرهم فأرسلوا اليه فاءهم فقالوا له مثل قولهم لأبي بكر ، فنظر اليهم شنرا وذهب وزيرا محمد اليه فجعل ابو بكر يحثه على الرفق بالاسرى وقبول الفداء منهم ويقول : يا رسول الله بأبي انت وأمي ! قومك فيهم الاءاء والاءبناء والعمومة وبنو العم والاءخوان واءبعدهم منك قريب فامنن عليهم من الله عليك ، او فاءهم (اى اقبل منهم الفداء) يستنقدهم الله بك من النار ، ويكون ماخذت منهم قوة للمسلمين ، فلعل الله ان يقبل قلوبهم .

وسكت الرسول فلم يجبه فقام ابو بكر وتنحى جانبا .

وءاء عمر فجلس مكان ابي بكر وقال يا رسول الله ، هؤلاء الاسرى هم اعداء الله ، كذبوك وقاتلوك واءخرجوك ، اضرب رقابهم ، هم رؤوس الكفر وائمة الضلال يعز الله بقتلهم الاسلام ويدل اهل الشرك ، ولم يجب النبى الامين .

فعاد ابو بكر الى معنده الاول وجعل يتلطف ويستعطف ويدكر القرابة والرحم ، ويرجوا لهؤلاء الاسرى الهدى ان هو ابقى على حياتهم ، وعاد عمر

مثال العدل الصارم لاتأخذه فيه هوادة ولا رحمة ولما فرغ أبو بكر وعمر من كلامهما ، قام محمد فدخل قبته فمكث فيها ساعة ثم خرج والناس يخوضون في شأنهم ، يقف بعضهم في صف أبي بكر ، ويقف آخرون في صف عمر فشاورهم فيما يصنع وضرب لهم في أبي بكر وعمر مثلا فأما أبو بكر فمثله كمثل ميكال ينزل برضا الله وعفوه عن عباده ، وأما عمر فمثله كمثل جبريل ينزل بالسخط من الله والنقمة على أعداء الله ، ثم أخذ النبي برأى أبي بكر وقبل الفداء من الأسرى .

وقد نزل الوحي من السماء يؤيد رأى عمر ويوضح أن قبول الفداء إنما يكون بعد الانتصار المتكرر والسيطرة على الأعداء .

فأما في مثل غزوة بدر فقد كان الأولى أن يقتل هؤلاء الأسرى من المشركين لتقطع شوكة الكفار ولتزول الحواجز والسدود من طريق الدعوة الى الله .

قال تعالى : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم » . الانفال ٦٧ .

الشورى في غزوة بدر

عندما خرج الرسول صلى الله عليه وسلم الى غزوة بدر فوجيء بجموع صغيرة من المشركين تفوق على المسلمين في العدة والعدد ، وقد استشار النبي أصحابه في قتال المشركين .

فقام المقداد بن عمرو فقال : يارسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، ولكن نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له النبي خيرا ، ودعا له بخير .

ثم قال : أشيروا على أيها الناس - وإنما يريد رأى الانصار - فقال سعد ابن معاذ زعيم الانصار : والله لكأنك تريدنا يارسول الله قال نعم ، قال سعد يارسول الله آمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا وموائيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا في الحرب ، انا لسبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، ولعل الله أن يرريك منا ما تقر به عينك فسر بنا ، واستمد العون والتوفيق من الله .

وما أن أتم سعد كلامه وانتهى من حديثه حتى أشرق وجه الرسول وشاع السرور في نفسه ثم قال سيروا وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم وأرتحلوا حتى نزلوا قريبا من ماء بدر .

ويتضح من ذلك اثر الشورى في الاسلام فالاسلام دين الشورى والديمقراطية ومشاركة الجندي للقائد وبذلك يتماسك المسلمون ويتعاونون ، وصدق الله العظيم :

« فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » .

« انا فتحنا لك فتحا مبينا »

يقول الله تعالى في كتابه الكريم

(انا فتحنا لك فتحا مبينا، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا)

ضيق كفار مكة الخناق على المسلمين فاضطروهم ذلك الى الهجرة الى المدينة وهم المشركون بقتل رسول الله او حبسه او نفيه ، فأمره الله بالهجرة (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) اى دبروا أمرا في الخفاء ، ودبر الله نصر نبيه في السماء ، وكانت هناك غزوات بين المسلمين والمشركين أهمها غزوة بدر وغزوة أحد وغزوة الأحزاب .

واعقب ذلك هدنة وصلاح بين الطرفين . وعهد على وضع الحرب عشر سنين ، بيد أن قريشا نقضت العهد بمساعدتها قبيلة بكر حليفها على قبيلة خزاعة حليفة رسول الله ، وأعملت السلاح في خزاعة حتى الجأها الى البيت الحرام تستجير به ولا مجير .

وخرج عمرو بن سالم الخزاعي طريدا شريدا من مكة الى المدينة يستجير برسول الله ويطلب منه النصر والمعونة على قريش وأنشد بين يديه

يارب انى ناصد محمدا حلف ابينا وابيك الا تلدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالوتير هجدا وقتلونا ركصسا وسجدا
فانصر همداك الله نصرا ابدا

فقال النبي نصرت يا عمرو بن سالم ، وسار في عشرة آلاف مجاهد الى مكة ودعا الله فائلا (اللهم خذ العيون والابصار عن قريش حتى نبغتها في بلادها) ولما وصل النبي مر الظهران امر بايقاد عشرة آلاف نار حتى اذا رأت قريش كثرة جيش المسلمين وعظيم عدده وعدته خضعت تحت اقدام النبي العظيم .

ودخل عليه الصلاة والسلام مكة فاتحا منتصرا يقرأ سورة الفتح انا فتحنا لك فتحا مبينا ، ولم يأخذه الزهو ولا الخيلاء ولا الغرور ، وحين رأى البيت الحرام انحنى على واحلته شكرا لله تعالى حتى اوشك أن يسجد عليها وهو يقول (تايبون آييون حامدون لرَبنا شاكرون) ثم دخل بيت الله الحرام فطاف وسعى ، وكان حول الكعبة اذ ذاك ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنهما بقضيب في يده ويقول (جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) ثم دخل النبي الكعبة وكبر في نواحيها وخرج الى مقام ابراهيم وصلى فيه وشرب من ماء زمزم ثم جلس في المسجد والعيون شاخصة اليه ينتظرون ماهو فامل بمشركي قريش الذين آذوه واخرجوه من بلادهم وقتلوه . ولكن هنا تظهر مكارم الاخلاق وشمال النبوة وسماحة المنتصرين وعفو القادرين .

قال عليه السلام : يا معشر قريش ما تظنون انى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم ، فقال كلمته الخالدة (اذهبوا فانتم الطلقاء)

(لا تشرب عليكم اليوم يفر الله لكم وهو ارحم الراحمين) .

وتوافد الناس للدخول في الاسلام رجالا ونساء ، افرادا وجماعات ثم خطب عليه السلام خطبة ابان فيها كثيرا من الاحكام الاسلامية منها الا يقتل مسلم بكافر ، ولا بتوارث اهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها او خالتها ، والبيينة على من ادعى واليمين على من انكر ، ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة ايام الا مع ذي محرم . ولا صلاة بعد الصبح والعصر ، ولا يصام يوم الاضحى ويوم الفطر ثم قال يامعشر قريش ان الله اذهب عنكم نجوة الجاهلية ومعظمها بالآباء ، الناس من آدم وادم من تراب وقرأ قوله تعالى

(يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) .

ولما شرع الناس يبايعون رسول الله جاء رجل يرتعد خوفا فقال له عليه السلام (هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد) .

أيها المسلمون - بهذه المعاني انتصر المسلمون وعز الموحدون ، لقد جاهدوا من اجل الحق ، ومن اجل ان تكون كلمة الله هي العليا ، وصدق

مارية القبطية حيث كتبت الى المقوقس حاكم مصر تصف له المسلمين فقالت :
(ان هؤلاء المسلمين هم العقل الجديد وهم النور الجديد وهم الروح
الجديد ونبههم اظهر من السحابة البيضاء في اليوم الصائف واذا رفعوا السيف
رفعوه بقانون واذا وضعوا السيف وضعوه بقانون يفتحون البلاد باخلاقهم
قبل ان يفتحوها بسيوفهم) .

مؤالة الأعداء

كان المسلمون يتجهزون لفتح مكة في سرية تامة ، وكان حاطب بن ابي
بلتعة من السابقين للاسلام ولكن الضعف استولى عليه وخاف على أسرته
بمكة فارسل خطابا يقول فيه : (من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلموا
ان محمدا يريدكم فخذوا حذرکم) .

واعطى الخطاب لامرأة من اهل مكة تسمى سارة ، وهي مؤالة لبعض بنى
عبد المطلب وجعل لها اجرا معلوما اذا وصلت الخطاب لقريش بمكة ومالبت
رسول الله ان احيط بالامر خبرا فسارع فبعث على بن ابي طالب والزبير بن
العوام فادركا ساره فاستنزلاها وبحثا عن الرسالة في رحلها فلم يجدا شيئا
فقال لها على والله ما كذب رسول الله ولا كذبنا لتعطينا الخطاب او لتزعين
التياب فلما رأت المرأة الجد قالت امرض فأعرض فحلت ذوائب شمرها
فأخرجت الكتاب منها فرداها الى المدينة ، ودعا النبي حاطبا فسأله ما حمله
على ذلك ؟ فقال حاطب يارسول الله ، أما والله انى لمؤمن بالله وبرسوله
وما غيرت وما بدلت ولكنى كنت امرءا ليس له فى القوم من اهل ولا عشيرة ، وكان
لى بين اظهرهم ولد وأهل فصانعتهم من أجل ولدى . قال عمر بن الخطاب
دعنى يارسول الله أضرب عنقه فان الرجل قد صار منافقا ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع الى اصحاب بدر يوم
بدر فقال اعلموا ماشئتم فقد ففرت لكم . وكان حاطب من اصحاب بدر واذا
ذاك نزل القرآن الكريم يحذر المسلمين من خيانة الامانة ومن مؤالة الكفار
ومن مصادقة الأعداء .

قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون
اليهم بالمودة » المتحنة : ١ .

« نغم الحرب فى الاسلام »

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم

(وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين)
اذن الله للمسلمين بالقتال دفاعا عن انفسهم وردا لعدوان المعتدين

وحماية للضعفاء من الفتنة والاكراه في الدين قال تعالى (اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله) الحج ٣٩ ، ٤٠ .

والغاية الايجابية من القتال بعد ذلك هي حماية الاديان كلها من الاضطهاد او الاكراه عليها وتمكين المسلمين من عبادة الله وحده واعلاء كلمته وتامين دعوته وتنفيذ شريعته وذلك امر في مصلحة البشر كلهم قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقل الامور) الحج . ٤٠ ، ٤١ .

لقد كان المشركون في مكة يضطهدون المسلمين بكل ماقدروا عليه من الابداء والتعذيب لاجل ردهم من دينهم وكان القرآن - ينزل آنذاك - فيامر المسلمين بالصبر والاحتمال وتبليغ الدعوة الى المشركين بالحكمة والموعظة الحسنة وجبالهم بالتى هي احسن .

ولكن المشركين اصموا اذانهم من دعوة الحق واصروا واستكبروا في تعذيب المسلمين - واضطهاد المستضعفين وحاولوا قتل النبي او حبسه او نفيه وفي ذلك يقول القرآن الكريم واذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) ٣٠ الانفال .

ثم اذن الله لرسوله بالهجرة من مكة الى المدينة وهاجر المسلمون فرارا بدينهم وتخلصا من عنق قومهم وقد مات بعضهم في الصحراء قبل ان يصل الى المدينة وفي شانهم قال الله تعالى (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيمًا) النساء ١٠٠ .

وكان بعض المسلمين يتردد في الاقدام على قتال المشركين ويرى ان يلتزم بوفاء اليهود مع كفار مكة رغم خيانتهم وغدرهم وعدوانهم ولذلك نزل القرآن الكريم يدعو المسلمين الى الانتصاف لانفسهم وقطع شوكة اعدائهم حتى يأخذ الدين سبيله الى قلوب الناس جميعا في غير خوف ولا فتنة قال تعالى (الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهم باخراج الرسول وهم بدعوكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين ، قاتلوهم يطلبهم الله بايديكم ويغزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويلهب قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) ١٣ ، ١٤ ، ١٥ التوبة .

وتوات آيات القرآن الكريم تدعو المسلمين الى اليقظة والحذر واعداد العدة واتخاذ الاهبة حتى تكون القوة ذاتها مصدر امن للامة ومصدر ارباب وردع للاعداء قال تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل

ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتهمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لاتظلمون (٦٠ - الانفال) .

ايها المؤمن

لقد تميزت نظم الحرب في الاسلام باسسى سليمة ومبادئ سامية فالقتال دائما قتال في سبيل الله ليس لغرض دنيوى ولا للأرب شخصى وانما لاسلاء الدين وقطع دابر الكافرين واذا تم النصر وجاء الفوز فلا يصح ان يكون هناك فرور وخيلاء ولا بطر وكبرياء ، فالنصر من عند الله والفوز بيد الله واذا كان جند المسلمين اقل من جند اعدائهم فليس ذلك داعيا الى الخوف والهزيمة بل ثقة المؤمن بربه لا حد لها فله جنود السموات والارض (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) ٢٤٩ - البقرة .

وواجب المؤمن ان يجيد اساليب القتال وان يتمرس باحدث فنون الحرب واقتوى اسلحته حتى يتم له التفوق على عدوه قال تعالى (ياايها النبى حرض المؤمنى على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا باتهم قوم لا يفقهون، الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين) ٦٥ - ٦٦ - الانفال .

وحرم القرآن الفرار من المعركة ونهى عن التولى عند الزحف وجعل ذلك من الكبائر فالؤمن عزيز لا يدل شجاع لا يجبن قوى لا يضعف واثق بربه حريص على الشهادة في سبيله يستروح رائحة الجنة في جهاده الصادق وبلائه الحسن قال تعالى (ياايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او منحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير ، فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنى منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم) ١٥ و ١٦ و ١٧ الانفال .

وقد اوجب الاسلام الوفاء بالمهود في الحرب والسلم وحرم الخيانة فيهما ومدح الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق قال تعالى : (واولوا بعهد الله اذا عاهدتم ولاتنقضوا الايمان بعد توكيدها) ٩١ - النحل .

وقد شنع القرآن على فعل اليهود ونقضهم المهود والمواثيق وغدرهم بالمسلمين كلما واتتهم الفرصة قال تعالى (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ، الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون ، فاما تثقفنهم فى الحرب فشرذ بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ٥٥ ، ٥٦ - الانفال .

أيها المؤمنون

هذه هي تعاليم دينكم وهذا هو نداء قرآنكم يدعوكم إلى القوة والبأس ويستنفركم للدفاع عن أوطانكم والذود عن حرمانكم وتطهير المسجد الأقصى وحمل راية الجهاد طلباً للشهادة في سبيل الله ورغبة فيما أعد الله للشهداء الإبرار من حياة أبدية وجنة عرضها السموات والأرض قال تعالى (والذين قتلوا في سبيل الله فإن يفضل أعمالهم ، سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) ٤ ، ٥ ، ٦ ، محمد .

المتخلفون عن الجهاد

فرض الله الجهاد دفاعاً عن حوزة الوطن وأملاء لكلمة الله وإقراراً للحق والعدل وقضاء على الفساد والبغى ، والجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة وسبيل إلى مغفرة الله ورضوانه وشرف الدنيا وسعادة الآخرة قال تعالى .

(وفصل الله المجاهدين على القاعدین اجرا عظيماً) .

والقاعدون فؤم آمنوا كما آمن الناس وأسلموا كما أسلم الناس ولكنهم لم يفقهوا الإسلام ولم يتذوقوا حلاوة الإيمان ولم يدركوا قيمة الوعد الذي وعد الله به المجاهدين قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أنفقتم إلى الأرض أرضيتكم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة العنيا في الآخرة الا قليل) ٣٨ - التوبة .

والمتخلفون هم الذين يبطئون عن قافلة الجهاد ويتخلفون عن ركب القتال مع إيمانهم بلزومهم ولكن غلبت عليهم أهواؤهم واستحكمت فيهم نزواتهم .

(ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدین) ٤٦ - التوبة .

والمتباطئون أقوام لم يرفعوا إلى الإيمان بالجماعة والدخول في الطاعة لله ولرسوله ، فلا يتسابقون إلى الخير العام بل يفلب الطمع والآثرة على نفوسهم وليس عندهم إشار أو تضحية - يحزنون إذا انتصر المجاهدون وارتفعت أعلامهم ويشمتون في ابتلاء المجاهدين وهزيمتهم وهم الذين عناهم الله بقوله سبحانه (وان منكم من ليبطئن فان أصابكم مصيبة قال قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيداً ، ولن أصابكم فضل من الله ليخولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة باليتنى كنت معهم فافوز فوزاً عظيماً) ٧٢ ، ٧٣ - النساء

والترفون من الاغنياء شغلتهم اموالهم واولادهم عن ربهم وتعلقوا بالحياة الدنيا وتناسوا الخير الذي وعد الله به عباده المخلصين ورضوا بالعود من الواجب وانصرفت نفوسهم عن الخير فاذا دعوا الى الجهاد استاذنوا في التخلف وقد موا اعدارا باطلة - (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين) ٤٩ . . . - التوبة .

(فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهدى انفسهم وهم كافرين) . ٥٥ - التوبة .

والمرجعون فى المدينة هم اخطر هذه الفئات فهم عين العدو ولسانه بين المسلمين وفى صفوفهم ينشرون الاخبار الكاذبة والشائعات المفرضة والوقائع الباطلة والتقصص المزيف وهم يباشرون اعمالهم فى الخفاء فيظهرون غير ما يبطنون ، يكيّدون للمسلمين فى السر ويتظاهرون بمودتهم والولاء لهم فى العلن ، وقد حذرنا الله منهم بقوله سبحانه (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خيالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى صدورهم اكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون) ١١٨ آل عمران .

والمنافقون اقوام يثلونون تلون الحرياء لا مبدأ لهم ولا عقيدة تحكمهم ، ياكلون على كل مائدة ويتبعون كل ناعق ، آمنت السننهم وكفرت قلوبهم وتلطخت ايديهم يمشون بالوقعية والنجيمة ويتوقعون للمؤمنين الفشل والهزيمة (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون ، الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون) البقرة / ١٤ ، ١٥ .

فاذا ظهرت عيوبهم وانكشفت آثامهم تبرأوا منها كدبا وزورا ، واقسموا الايمان انما وبهتاننا قال تعالى فى شأنهم (ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون ، لو يجدون ملجأ او مفارقات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمعون ، ومنهم من يلزمك فى الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يستخطون ، ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راجعون) ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، التوبة .

هؤلاء هم المخلدون والمنافقون ، والترفون والمتخلفون عن الجهاد ، ذكرهم القرآن الكريم ليفضح اعمالهم ويكشف سوء فعالهم وليحذر الامة الاسلامية من دهاء السوء والسنة الفساد واصابع الكيد والفتنة .

ولتجد الاجيال الاسلامية فى كتاب الله درسا واضحا فى التحذير من هذه الفئات الضالة المضلة التى تكيد للعروبة والاسلام .

(لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة
لنفرنك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ، ملعونين اينما ثقفوا ، اختوا
وقتلوا تقتيلا ، سنة الله في الذين خلو من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)
٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، الاحزاب .

وبعد ايها الشباب العربى المسلم اما ان لنا ان نعرف طريقنا ونوحد
هدفنا ونحمل السلاح ذودا عن ديننا ووطننا واعلاء لكلمة الله وتلبية لنداء
الحق والواجب وصوت الضمير والكرامة .

(ياايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ،
تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلك خير لكم
ان كنتم تعلمون ، يففر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، واخرى تحبونها نصر من الله
وفتح قريب وبشر المؤمنين) ١١ ، ١٢ ، ١٣ سورة الصف .

الثبات على الحق

ايها المؤمنون :

سطعت الدعوة الاسلامية وتألقت في آفاق الدنيا ، وقد سارت معها
فضائلها وذاعت محامدها ، فأيما وقع شعاع منها فقد سطعت معه الفضيلة
الاسلامية ، وانبلجت لديه الشمائل المحمدية ، فمن شاء أن يعرف كيف بسط
الاسلام جناحيه على المعمور من الكون - وكيف استطاع الخليفة العباس ان
ينظر الى السحابة فوق سماء بغداد فيقول لها (امطري حيث شئت فان
خراجك سيحمل الينا) .

من شاء أن يعرف ، كيف كان ذلك كله ؟ فليوقن ، انها الفضائل
والسجايا ، والاخلاق الاسلامية ، ولا شيء سواها ..

فما الجيوش المتكاثفة ، ولا العدة المدخورة ، ولا السيوف الملتمة ، ولا
السهام ولا القسى ولا الرماح ، ماكل ذلك بكاف في غزو ، ولا في انشاء دولة
اذا لم تسعده الفضائل وتمده المحامد ، ويشيع فيه الخلق العظيم وكذلك كان
الاسلام ، وكذلك كان المسلمون الأولون .

كانوا يغزون بفضائلهم نقائص أعدائهم ، وكانوا يخالبون بأخلاقهم مالا
يفعل الحديد والنار ، فمن أول الفضائل التي ارتكزت عليها الدعوة الاسلامية
ثم ظالت وسمقت - فضيلة الثبات على الحق ثبات اعياء القوى وفكك العرى ،
وترك الاعداء حيارى يتخبطون .

أذوا صاحب الدعوة (عليه الصلاة والسلام حتى كاد يستنفذ الأيداء
فما أجدى عليهم فرجعوا الى انفسهم ، واستلهموها ؟ الام يرمى صاحب دعوة
بدعوته ؟؟

فالممنهم شهواتهم ، ان الدعاء انما يطلبون بدعوتهم جاه الملك أو كنوز
المال ، أو سؤدد الجاه ، ولاشئ غير هذا ، الا ان يكون بهم مس من الجن
فيعالجون من مسهم .

هكذا الهتهم نوازعهم الهابطة فارادوا ان يجربوا ذلك مع صاحب الدعوة
(عليه الصلاة والسلام)

واجتمع المشركون بعد ان سئموا من كثرة ايداء النبي وضججروا من
صنوف اعنائه ؟ - اجتمعوا - فقال سيدهم المطاع فيهم وهو عتبة بن ربيعة
يامعشر قريش - الا اقوم لمحمد فاكلمه وأعرض عليه امورا ، عله يقبل بعضها،
فنعطيه اياها ويكف عنا ؟؟

فقالوا يا ابا الوليد فم اليه فكلمه فذهب الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يصلى في المسجد وقال ياابن اخي انك منا حيث قد علمت من خيارنا
حسبا ونسبا انك قد اتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفقت
احلامهم ، وعبت آلهتهم ودينهم ، وكفرت من مضى من آبائهم فاستمع منى
اعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال عليه السلام (قل
ياابا الوليد) اسمع .

فقال ياابن اخي ان كنت تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك
من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا ، وان كنت تريد شرفا سودناك علينا ، حتى
لانقطع امرا دونك . وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي
ياتيك رثيا من الجن لاتسطيع رده عن نفسك ؟؟ طلبنا لك الطب ، وبدلنا فيه
اموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى ، فقال
عليه الصلاة والسلام (لقد فرغت يا ابا الوليد ؟ فقال نعم قال فاسمع منى
فقرأ صدرا من سورة فصلت بسم الله الرحمن الرحيم (حم تنزيل من الرحمن
الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا فاعرض
اكثرهم فهم لا يسمعون) ومازال - عليه السلام - مسترسلا في قراءة كلام الله
حتى غلب التائر والخوف على عتبة وقال للنبي (ص) ناشدتك الله والرحم ان
تكف ، فلنقف هنا ! لننظر كيف يكون - الثبات على الحق - امام فتنة الدنيا
وزهرة الحياة ، اليس ما ذكره عتبة هو كل ما تشتت به نفوس وتهوى اليه
قلوب ، وتتطلع نحوه عيون ؟؟ الست ترى عنده مصارع عزمات ، ومزالق
همات ، وفناء مبقريات ؟ نعم ان ما ذكره عتبة ، هو حمز للثبات وامتحان قاس
للبطولات ، وماكان من جواب عند الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم الا ان
يكون بلسان الوحي فيتولى افهامهم ويقوم على اذماجهم ويكسب ماكانوا
يظنون .

الا فلتعلم هذه السيرة النبوية من ساء أن يتعلم الثبات على الحق
والا فلا وسعه علم ولا تعليم .

لقد عرض على النبي الغنى والجاه وساومه الكفار ووسطوا له عمه
أبا طالب ليكفه عن دعوته فرد على عمه قائلا :

(والله يا عمي : لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن
أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أتنفرد مني هذه السالفة) .

وظن النبي أن عمه يريد أن يخلده فتركه وأنصرف فناداه عمه قائلا :
يا ابن أخي امض لما تشاء فوالله لن يصلوا اليك مادمت حيا ، ثم أنشد
يقول :

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديننا
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذلك مبينا
والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيننا

ان هذا الايمان الراسخ وحرارة العقيدة وصدق الجهاد والتضحية ، كان
مبعث النصر والظفر حتى أتم الله نعمته على رسوله فعاد الى مكة فاتحا منتصرا
وجاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا .

حروب الردة

ظهر الاسلام في بلاد العرب ففضى على آثار الوثنية والجاهلية ، ولما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى ، ارتد كثير من الناس ولم يثبت على اسلامه من القبائل الا قريشا بمكة وثقيفا بالطائف والمهاجرين والانصار بالمدينة . واراد كثير من الاعراب وأهل البادية وصدق فيهم قول القرآن الكريم (الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر الا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم) التوبة/ ٩٧ .

وقد ظن العرب أن المسلمين ضعفوا ، وانتكس أمرهم بعد وفاة محمد عليه الصلاة والسلام . فشرعوا يشقون عصا الطاعة ويتمردون في مظاهر شتى ، فمنهم من منع الزكاة وقال هي ضريبة لا تطيب اليها النفوس ، ومنهم من راح يشايح مسيلمة الكذاب في ادعاء النبوة ، ثم تتابع الخسارجون ، واندلعت السنة الشر ، فرأى أبو بكر الصديق أن الامر جد وما هو بالهزل ، وجمع أبو بكر الصحابة واستشارهم في أن يوجه الجيوش ، ويبعث البعث في غير هواده ولا تريت . وطلب منه بعض الصحابة الصبر والتريث وتآلف الناس ، فقال كلمته الخالدة : « والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ما استمسك السيف بيدي ، ولو سرت الى القتال وحدي » .

وقد توفي النبي صلى الله عليه وسلم وجيش أسامة بن زيد خارج المدينة يستعد للجهاد فأشار بعض الناس على الخليفة أن يؤخر مسيرة الجيش وأن يستبقه بالمدينة لحراستها فقال أبو بكر : « والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ، ولو أن الطير تخطفتنا لأجهز جيش أسامة » .

ثم جهز الجيش وأرسله فذهب وعاد منتصرا بعد أربعين يوما . وتجمعت

بعض الأعراب بالقرب من المدينة استعدادا للهجوم عليها ، فخرج إليها أبو بكر الصديق في ظلام الليل على تعبئة كاملة وهبط عليهم عند طلوع الفجر فانهزم المرتدون ولم تقم لهم قائمة .

وكان الصديق يرسل رسله وجنوده لتأديب المرتدين وفتالهم ويوصى المجاهدين بالصدق والاخلاص لله ، فيأتيهم النصر المبين .

ومن أشهر القواد في حروب الردة خالد بن الوليد ، فقد كان مثالا لصدق العزيمة وسداد الرأي والجرأة في القتال واستهانة بالموت والرفقة في الشهادة . وقد وصاه أبو بكر الصديق عند سفره لحرب المرتدين بقوله : « عليك بتقوى الله ، وإيثاره على سواه ، والجهاد في سبيله والرفق بمن معك من رعيتك فان معك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل السابقة من المهاجرين والانصار فشاورهم فيما نزل بك ثم لا تخالفهم » .

وسار خالد الى طليحة بن خويلد الذي ادعى النبوة فقاتله خالد حتى هزمه وركب طليحة فرسه وفر هاربا الى الشام وتعقب خالد فلول المنهزمين فعاقبهم وانتقم منهم جزاء ماؤدروا ومافعلوا بالمسلمين .

وتقدم خالد الى مسيلمة الكذاب وكان رجلا ذكيا ماهرا قد جمع قومه من بني حنيفة وفيهم آلاف المقاتلين الشجعان فعول خالد على الموت فوهبت له الحياة ، ونادى خالد مع المسلمين يا محمداه يا أصحاب سورة البقرة يا انصار الله فتجمع المسلمون وحملوا على مسيلمة الكذاب فقتلوه وتفرق أتباعه واستسلم الباقيون ودخلوا في الاسلام الحنيف .

بطولات اسلامية

الجهاد في سبيل الله باب من ابواب الجنة وطريق من طرق الخير والسداد . وقد حث القرآن على الجهاد وذكر فضله وثوابه ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم مثالا يحتذى في سلوكه وهدية وجهاده وجلاده .

وقد حفل شهر رمضان بأروع الامثلة في الجهاد والنضال .

ففيه وقعت غزوة بدر الكبرى سنة ٢ هجرية ، وفيه فتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا سنة ٨ هجرية ، وفيه وقعت غزوة تبوك بين المسلمين والروم سنة ٩ هجرية .

وفي رمضان خاض المسلمون العديد من المعارك وأحرزوا الانتصارات الباهرة ومن أشهر هذه المعارك معركة عين جالوت التي هزم فيها التتار وانتصر فيها المسلمون .

وفي العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ قامت مصر ، تؤازرها الامنة العربية بمعركة مجيدة اقتحمت فيها خط بارليف ودكت حصون الاعداء وتقدمت في سيناء وكبير الجنود وهللوا ، وصاموا وصلوا ، واستشهد الشهداء الاوفياء ، في ايام مجيدة ، وفي ليلة القدر ، والعبادة فيها خير من الف شهر .

وكلما جاء رمضان نذكر المسلمون امجاد الجهاد ، وآيات البطولة . لان الصوم والجهاد متحدان في الصورة متطابقان في الاصل ، فالصوم جهاد النفس وهو الجهاد الاكبر ، والجهاد قتال للاعداء ورفع لراية الحق وبناء لصرح العدالة والايمان .

ولقد قام الاسلام بما يشبه المعجزة حيث امتد نوره في بلاد العرب وتقدم المسلمون يحملون راية الاسلام الى بلاد الفرس والروم . وظهرت بطولات رائعة لمعت فيها أسماء الفاتحين المسلمين مثل سعد بن ابي وقاص فاتح القادسية وقاهر الفرس الذين تجمعوا بقيادة رستم وكان الفرس يقرنون الجنود في السلاسل والاصفاد حتى لا يفروا .

أما المسلمون فكان معهم الى جوار اسلحتهم سلاحان من عقيدة وخلق موافقهم النصر ، وثلوا عروش الاكاسرة ومزق الله ملكهم شر ممزق .

ومن ابطال المسلمين خالد بن الوليد الذي قاد الجيوش وحارب المرتدين وتقدم الى بلاد الفرس والروم يفاجيء الاعداء ويحصر على الموت ويزرع الرعب في قلوب المتركين ، وعندما توفي خالد قال على سرير الموت : « لقد شهدت مائة معركة في سبيل الله وليس في جسمي قيد شبر الا وفيه ضربة بسيف او طعنة برمح او رمية بسهم وهاندا اموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء » .

ومن ابطال الاسلام ابو عبيدة بن الجراح امين الامة الاسلامية الذي انطلق سهما من سهام الاسلام ، وسيفا من سيوفه المسلولة ، يدوخ الجيوش ويحاصر المدن ويلقى الرعب في قلوب الروم ، ففتح دمشق والاردن وحمص وبعلبك ثم سار الى حماه والى حلب ثم سار الى انطاكية ، ثم جعلت جيوشه تضرب في الشمال والشرف حتى اتمت فتح سورية وبلغت الفرات شرقا .

وكان ابو عبيدة يوزع العدالة بين الامم المغلوبة ويبشر بالاسلام ويدعو الى الاخلاق والقيم . وظل ابو عبيدة يغالب الابطال ويتوسط القتال ويلقى بنفسه وسط المعامع حتى حضرته الوفاة اثر وبناء منتشر فقال عند وفاته : « اقرئوا امير المؤمنين السلام واعلموه انه لم يبق من امانتى شيء الا وقد قمت به وأديته » .

ثم التفت الى من حوله وقال : « اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا » .

رمضان ونصدقوا وحجوا واعتمروا وانصحوا لامرائكم ولا تفشوهم ، ولا تلهتكم الدنيا فان امرا لو عمر الف سنة ماكان له بد من ان يصير الى مصرعى هذا الذى نرون فان الله قد كتب الموت على بنى آدم » .

هؤلاء نماذج اسلامية خضعت لقانون الاسلام ، فرادهم الله به عزا ومجدا .

الحرب النفسية

ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا ونديرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وقد جمع الله به العرب بعد تفرق ووحيد به المسلمين بعد شتات وامتن الله على المسلمين بهذه الوحدة وتلك الالفة . فقال سبحانه (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالق بين قلوبكم فاصبغتم بنعمته اخوانا) آل عمران / ١٠٣ . وقد حاول اليهود من الأزل وضع اصابع الفتنة بين المسلمين محاولين بذلك تفريق صفوف المسلمين وتوهين وحدتهم وحتى يضرب العرب بعضهم بعضا ، وبذلك تضعف دولتهم ويتمكن اعداؤهم منهم . وقد حذرنا الله من دسائس اليهود وكيدهم فقال سبحانه : (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) آل عمران / ١٠٠ .

فالله جعل الوحدة والالفة دلالة على عمق الايمان وفهم الاسلام وجعل الفرقة والخلاف والاستماع الى دسائس الاعداء مما يؤدي الى الهزيمة والردة والكفر بآيات الله واحكامه .

ثم نهى سبحانه عن الخلاف وبين ان القرآن يأمر بجمع الصف ووحده التامة وهو حبل الله المتين من تمسك به فقد هدى الى الطريق القويم . قال تعالى : (وكيف تكفرون وانتم تنلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) آل عمران / ١٠١ .

وقد احكم عليه الصلاة والسلام بنيان المسلمين واحسن تربيتهم فأمرهم بالتواصل والتراحم ونهاهم عن التدابر والتقاطع ، ففي الحديث الصحيح : «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » .

وكان عليه الصلاة والسلام ينهى المسلمين عن الفرقة والخصام والتنازع لانها معاول هادمة تهدم قوة الصف ووحدة الامة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا ، المسلم اخو المسلم لا يظلمه

ولا يحقره ولا يخذله . التقوى ها هنا ، ويشير الى صدره ثلاث مرات . يحسب امرىء من الشر ان يحقر اخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) . رواه مسلم .

وقد حاول اعداء الاسلام توهين صفوف المسلمين اثر غزوة احسد ، واستأجر أبو سفيان ركباً من عبد قيس كانوا في طريقهم الى المدينة ، وقال لهم أبو سفيان هل أنتم مبلغون عنى محمدا رسالة أرسلكم بها اليه واحمل لكم زيبيا بعكاظ اذا وفيتموها . قالوا نعم . قال فاذا وافيتموه فأخبروه انا قد اجمعنا السر اليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم . فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد وأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه . فقال عليه الصلاة والسلام (حسبنا الله ونعم الوكيل) أى كافينا الله هو ولينا ونصيرنا ، لقد خرجنا لنصرة دينه معتمدين عليه لانخاف غيره ولانرهب سواه . وازداد المؤمنون ايمانا وتماسكا وتقدموا الى عدوهم ففر اعداؤهم طلبا للنجاة ، قال تعالى : (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرع للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم ، الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ، انما ذلكم الشيطان يخوف اوليائه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) آل عمران/ ١٧٢ - ١٧٥ .

قائد منتصر

كان عبادة بن الصامت سفيرا لجيوش المسلمين عند المقوقس حاكم مصر .

وكان عبادة قد اوتى بسطة فى الجسم ولكنه كان حالك السواد وكان جلال الاسلام قد خلع عليه هيبة ورهبة فكان الناظر اليه يرتعد من صورته .

ولما رآه المقوقس اشتد خوفه وقال : نحوا عنى هذا الاسود وقدموا غيره فقال رفاقه المسلمون :

انه افضلنا رأيا وعلما وهو سيدنا وخيرنا
فقتل له المقوقس : تقدم وكلمنى برفق .
فقال عباده :

لقد سمعت مقالتك ، وان فيمن خلفت من اصحابى ألف رجل كلهم مثلى ، واشد سوادا منى وانقطع منظرا ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منى وانا

قد وليت وأدبر شبابي واني مع ذلك بحمد الله ما هاب مائة رجل من عدوى لو استقبلوني جميعا وكذلك أصحابي ذلك بأن رغبنا وهمتنا الجهاد في سبيل الله وابتغاء رضوانه ، وليس غزونا عدونا ممن نحارب لرغبة في الدنيا ولا حاجة الى الاستزادة منها ولكن الله عز وجل قد أحل لنا ذلك ، وان كان لاحدنا قناطر الذهب انفقناها في طاعة الله .

فلما سمع المقوقس ذلك قال لمن حوله : هل سمعتم مثل هذا الكلام قط ؟ لقد هبت منظره وان قوله لأهيب عندي من منظره ما أحسب الا أنهم سيملكون الأرض كلها .

ثم اقبل على عبادة فقال أيها الرجل الصالح قد سمعت مقاتلتك وما ذكرت عنك وعن أصحابك ، ولعمري ما بلغتكم ذلك الا بما ذكرتم وما ظهرتم على أعدائكم الا لتحبهم الدنيا ورغبتهم فيها ، ولكني أخشى عليكم ، من توجه لقتالكم من جمع الروم فهم لا يحصون عددا وهم معروفون بالنجدة والشدة وانا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم ، ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم ، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل دينارين ، ولخليفتكم ألف دينار (ا فتقبضوها قبل ان يفشاكم مالا قوة لكم به .

فقال عبادة للمقوقس : يا هذا لا نفرن نفسك ولا أصحابك ان الله عز وجل قال لنا في كتابه :

(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين)

وما منا رجل الا وهو يدعو ربه - صباحا - ومساء - أن يرزقه الشهادة والا يرده الى بلده ولا الى أرضه ولا الى أهله وولده .

وأما ظنك أنا في ضيق وشدة من معاشنا فنحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لانفسنا أكثر مما نحن فيه فلا تطمع نفسك في الباطل .

وأخيرا تم لعبادة بن الصامت ما أراد ، وفتحت مصر على يد العرب ، ودخلها الاسلام فكان نورا وسلاما ، وبركة وامانا .

تجارة الجهاد

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبسونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » (الصف ١٠ - ١٣) .

هذه صفقة رابحة يعرضها الله للمؤمنين وقد حدد الله فيها رأس مال الصفقة وربح هذه الصفقة ، ثم الزيادة التي تجنيها بعد الربح .
أما رأس مال هذه التجارة فهو ما يأتي :

١ - الإيمان بالله ورسوله .

٢ - الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس .

أما ربح هذه التجارة فهو ما يأتي :

١ - مغفرة الذنوب .

٢ - دخول جنات تجري من تحتها الأنهار والتمتع بمساكن طيبة في جنات خالدة .

أما الزيادة التي تجنيها بعد الربح فهي نصر من الله وفتح قريب على المجاهدين في هذه الدنيا وبشرى للمؤمنين بالنصر في العاجلة ، والثواب العظيم في الدار الآخرة .

أيها المؤمن

تلك طريقة القرآن في الحث على الجهاد والدعوة إليه ، فهو يوضح أن هناك بيعا وشراء وربحا وزيادة على الربح . البائع هو المجاهد يبيع نفسه وينفق ماله في سبيل الله . والمشتري هو الله جل جلاله ، اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وفي ذلك يقول ابن عباس « أنفس هو خالقها وأموال هو رازقها يأخذها ثم يعطينا عليها الجنة ، أن هذا لربح عظيم » وأما ربح هذه التجارة فهو : مغفرة من الله ورضوان منه في جنة عرضها السموات والأرض .

وأما ما فوق الربح فهو البشارة بالنصر للمجاهدين ، قال تعالى
« **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله مع المحسنين** » (العنكبوت ٦٩ : .

أيها المؤمنون

الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة ينجي الله تبارك وتعالى به من الهم والغم وهو طريق المؤمنين الصادقين سلكه المسلمون الأولون فرفعوا شعار الإسلام وفتحوا البلاد وسادوا بالعباد ، وهو واجب المسلمين في هذه الأيام ، فعليهم أن يتكاتفوا وأن يتعاونوا وأن يجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم حتى يستردوا أرضهم ويستعيدوا ما سلب منهم فما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة .

وقد حفلت نصوص القرآن ببيان أجر المجاهدين وما أعد الله من الثواب لمن أنفق ماله في سبيل الله ، فمن جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا ، وصدق الله العظيم « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » (البقرة ٢٦١) .

وفي تاريخ الاسلام نماذج رفيعة لهذا التعاون والتساند ، أنفق المسلمون فيها من سخاء وسعة كما حدث في جيش العسرة حيث قدم عمر نصف ماله وقدم أبو بكر جميع ماله وقدم عثمان مائة حلة ومائة فرس ومائة سيف ولم يفتخر عثمان بشيء من ذلك بل افتخر بدعاء النبي له :

اللهم ارض من عثمان فاني عنه راض ، وقد بارك القرآن هذا المتنافس في الخير فقال سبحانه : « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (البقرة ٢٧٤) :

سوس من غزوة أحد

وقعت غزوة أحد في شهر شوال في العام الثالث من الهجرة النبوية . وقد وقعت غزوة بدر في رمضان سنة ٢ هـ ، وفيها انتصر المؤمنون انتصارا عزيزا وانحدر المشركون وقتل منهم سبعون قتيلًا وأسر سبعون . وحرصت قريش على الثأر لقتلها فسارت بعد عام الى جبل أحد وكانوا ثلاثة آلاف مقاتل .

وخرج المسلمون في سبعمائة مقاتل وساروا الى جبل أحد ، وصف النبي الجيش وجعل الرماة على ظهر الجبل وأمرهم ألا يبرحوا أماكنهم سواء انتصر المسلمون أو انهزموا .

وبدا القتال ، وقتل المسلمون حملة لواء المشركين فولى المشركون الأدبار ، وولدت النسوة وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ويجمعون الشنائم .

ورأى ذلك الرماة من على ظهر الجبل فترك أكثرهم مكانه ورغبة في الغنيمة ، وظنوا أن الانتصار في المعركة قد أقبل .

ورأى خالد بن الوليد ذلك وكان على خيل المشركين فأقبل وقتل بقية الرماة وأعمل السيف في ظهور المسلمين فاختلفت صفوفهم وصار يضرب بعضهم بعضا .

وانتهت غزوة أحد بانتصار المشركين وهزيمة المؤمنين . وقد نزل

القرآن الكريم ياسو الجراح ، ويبين للمؤمنين ان الايام دول يوم لك ويوم عليك .

وقد استفاد المسلمون من هذه المعركة دروسا عملية اصليه .

ومن هذه الدروس ماياتى :

١ - طاعة القائد والتزام اوامره .

٢ - الحرص على الوصول الى الهدف وعدم الانشغال بالافراض الجانبية .

٣ - الاخلاص لله في الجهاد وانتظار ثبوبة الآخرة وعدم الانشغال بامور الدنيا .

٤ - الحرب سجل يوم لك ويوم عليك فينبغى الا يسرك النصر ، كما ينبغى ان تتجلد للهزيمة .

٥ - الايمان بالله والثقة بما عنده والاعتماد عليه وتذكر نعمه ، كل ذلك من اسباب النصر .

وقد نزلت آيات كثيرة من سورة آل عمران تصف خروج المسلمين الى الفزوة وتأسوا جراحهم ، وتلومهم على التسفالههم بالغنيمه ومخالفة امر الرسول الكريم .

قال تعالى (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحصونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتهم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد النيسا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) آل عمران/ ١٥٢ .

ويقول سبحانه : (ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ، ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) آل عمران ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ .

(٥)

الأخلاق

أثر العقائد في اصلاح الفرد والمجتمع

للايمان الصادق والعقيدة السليمة حلاوة وسعادة يهون معها البذل والتضحية ويرخص في سبيلهما كل غال وثمين .

وقد حفل تاريخ الاديان بسلسلة ذهبية ، من البذل والتضحية في مرضاة الله رب العالمين فالقى في النار ابراهيم ، واضجع للذبح اسماعيل ، وناح نوح على قومه مئات السنين ، وتحمل يوسف السجن حفاظا على الشرف والفضيلة ، وهاجر موسى من مصر خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين وحاول اليهود قتل عيسى وصلبه فرفعه الله اليه والقى صورته على الخائن الذي دل عليه . . . وهو الذي شبه لهم (وماقتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما) .

ولما ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم وآمن به من آمن تعرض المسلمون لأشد الوان العنت والايلاء فضحوا بكل شوه في سبيل عقيدتهم ودينهم .

ولما جاء دور التبشير بالدعوة والجهاد في سبيلها حمل المسلمون اموالهم الى رسول الله ، وجسدوا انفسهم تحقيقا لقول الله (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة)

ومن أشرف السخاء ماكان من استجابة المسلمين ، يوم عز المال واشتد القحط وكان زمن عسرة ودعا رسول الله المسلمين الى الجهاد في (غزوة تبوك التي أريد بها القاء الرعب في قلوب (الروم فماذا حملت الدعوة الاسلامية معها الى تلك الاطراف ؟ حملت آيات السخاء واحاديث البذل ، ترويبها وتنفيها ظلالها ، وتستعين بها في سبيل الله .

فلقد تقدم (عثمان بن عفان) طيبة نفسه ، وأخرج من حرمه عشرة آلاف دينار وثلاثمائة بعير بأحمالها ، وخمسين فرسا بعدتها ، ثم لم ير في كل ذلك ما يستحق أن يفاخر به ، اللهم الا شيئا واحدا ، هو (دعوة) دعا له بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال (اللهم ارض عن عثمان فاني راض عنه ..) فكانت تلك الدعوة لعثمان مناط فخره الا يفخر الا برضاء الله ، ورضاء رسول الله ولقد أرسلت النساء يومها كل ما يقدرن عليه من حلين ، وهذا هو البذل بأمر المدخور ...

أيها المؤمنون

على اكف هؤلاء كانت تتمجد الدعوة الاسلامية وانظروا كيف كان تدافع الصحابة (رضوان الله عليهم) الى ساحات الجهاد وكيف كان يبلغ منهم الحزن ، اذا تعد بهم الفقر عن نفقات الجهاد ، لقد جاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في تلك الساعة الرهيبة ساعة العسرة وهو يجهز الجيش وجاءه سبعة رجال من فقهاء الصحابة الفقراء ، يطلبون ان يحملوا الى موطن الجهاد ، فقال لهم محمد عليه السلام (لا أجد لكم ما أحملكم عليه) وكان حسبهم ما فعلوا وفاء لعقيدتهم ، لكنها نفوس لا تسكن الى هذا القعود ، وهناك اليوم المشهود فماذا فعلوا بعد ما رأوا وسمعوا ؟ لقد (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون) .

ووالله ، ان النفس لتهتز هنا اهتزازا ، وتنفل اكبارا وامظاما لذلك الخلق الاسلامي القويم ، فواها لنفس لا يطيب لها القعود في ظل السلم قدر ما يسعدها الجهد والجهاد في سبيل الله .

ولقد شاء الله الا يطول حزن هؤلاء الأبطال فقد كان السخاء الاسلامي لا يزال يهب نفس (عثمان بن عفان ، والعباس بن عبد المطلب) فجهز الاول بعضهم وأذهب حزنهم وجهز الثاني بعضهم ورقا دمعهم ..

بتلك الاخلاق ، وهاتيك الفضائل اتم الله نعمته على رسوله ، وعلى المؤمنين وأظفرهم بأعدائهم وأدال دينا هو الشرك ، ويمكن لدين التوحيد فلما تكامل نصر الله ، ورجع المسلمون الى ديارهم سادة حاكمين بعد ان غادروها خائفين متسللين ، لم يزهوا بالظفر ، ولا اختالوا بالفتح ولا أعمالوا سيوف الانتقام في أعدائهم لأن الانتقام سليل الحق وحاشا لصدور المسلمين أن تنطوى على الاحقاد فما كاد المسلمون يستقرون بعد الفتح الاعظم ، حتى كان أعداؤهم يرتعدون من الخوف والوجل ، عيون شاخصة وأفئدة هواء تنتظر ماصي أن يحل بها من التنكيل ، بعد المداء الطويل ، هنا كانت الدعوة الاسلامية تحمل معها : (العفو عند المقدرة) والصفح ساعة النصر ، وكانت تجعل الرضا والغضب (الحق والفضيلة) فاذا ماسطع الحق وسادت الفضيلة فما وراء ذلك غير السلام والامن والمغفرة والسماحة ، ولقد قالها عليه السلام

كلمة خالدة على الاجيال قال لامدائه ماتظنون انى فاعل بكم ؟ فوقفوا فى رجاء الخائف وأمل المعتذر وقالوا :

خيرا ، اخ كريم ، وابن اخ كريم ، قال لهم (اذهبوا فانتم الطلقاء)
ولله مايقول البوصيرى

واذا القطع والوصل كان لله تساوى التقريب والاقصاء
ولو ان انتقامه لهوى النفس للامت قطيعة وجفاء
فعله كله جميل وهل ينضح الا بما حواه الاناء

ايها المؤمن

تلك فضائلهم وأخلاقهم ، ومعها ايامهم - ايام الله ، وهانحن ، وهاهو
حاضرنا فنرجو ان تكون خير خلف لخير سلف ...

من اخلاق الاسلام

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم : (واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا) مريم / ٥٤ .

ارسل الله الرسل وانزل عليهم الكتب لهداية الناس وارشادهم الى معالم الفضيلة ومسالك الحق والصدق . وقد مدح القرآن الصدق بامتباره واس الفضائل ودليل الامانة . وجعل الصادقين فى منزلة عليا ترعاهم عناية الله وفضله . قال تعالى : (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) الاحزاب / ٢٤ .

وقال سبحانه : (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والسائمين والسائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) الاحزاب / ٣٥ .

ايها المؤمن :

لقد حث الاسلام على مكارم الاخلاق ودعا الناس الى الفضيلة والخير ، بل ان الاديان السماوية كلها كانت دعوة هادفة الى تحرير الانسان من العقائد وارشاده الى الفضائل . قال صلى الله عليه وسلم : «انما بعثت لائم مكارم الاخلاق » .

فالخلق الكريم والاستقامة والفضيلة اساس من اساس السعادة ، وهدف من اهداف الرسالات السماوية .

قال صلى الله عليه وسلم : «ان احبكم الى واقربكم منى منازل يوم القيامة احاسنكم اخلاقا المواطن اكنافا الذين يالفون ويؤلفون ، وان ابغضكم الى وابعدكم منى منازل يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون» . قيل يارسول الله هؤلاء الثرثارون المتشدقون فمن هم المتفيهقون ؟ قال : المتكبرون .

لقد تربى المؤمنون الاولون على اخلاق الاسلام فكانت قلوبهم نظيفة وايديهم طاهرة ووجوههم مشرقة بنور الايمان فلما فتحت لهم البلاد وخضعت لهم العباد لم يأخذهم الغرور ولم تلههم الدنيا عن الآخرة ولم يخرجوا عن الله بل حفظوا الأمانة واحسنوا القيادة وسهروا لمصلحة الرعية وكانوا نجوما ساطعة في تاريخ البشرية .

دخلت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان على زوجها أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فوجدته يبكي ، فقالت ما يبكيك يا أمير المؤمنين . قال عمر : تذكرت الفقير الجائع والمريض الضائع والعماري المحزون وذا العيال الكثير والمال القليل واشباههم في بقاع الارض واقطار البلاد ، وعلمت ان خصيمي دونهم محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فخشيت الا تثبت لى حجتي فرحمت نفسى فبكيت .

سلاما وتحية لهذه النفوس الكريمة وهؤلاء الرجال الابرار الذين تحملوا مسئولية القيادة والسيادة فحملوا الأمانة وتركوا الخيانة وانطلقوا الى ربهم ومن ورائهم سيرة عطرة ومآثر جمة تنادى الاجيال الحاضرة ان يقتدوا بأسلافهم السابقين ، بالخلفاء الراشدين ، بالأمراء المهتدين ، الذين أعزهم الله بالاسلام فاعتزوا بطاعة الرحمن .

(اولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده) الانعام / ١٠

وفي الحديث الشريف : «انه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم سنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ» .

حقيقة الايمان

المؤمن حقا صادق الحديث لا يكذب ولا يخدع ولا يخون الامانه ، قال صلى الله عليه وسلم (بمعشر الناس اضمنوا لى ستا اضمن لكم الجنة ، اصدقوا اذا احدثتم واطفوا اذا عاهدتم وادوا الامانة اذا اؤتمنتم وفضوا ابصاركم واحفظوا قرواحكم وكفوا ايديكم)

تلك صفات المؤمن وهى صفات تحمل معنى الاستقامة والنزاهة وسلامة

الضمير قال تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون)

وفي الحديث الشريف ان رجلا قال يارسول الله قل لى فى الاسلام قولا واقل فيه لى اعىه ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم (قل آمنت بالله ثم استقم) . المؤمن حقا يراقب الله فى السر والعلن ويخلص له فى العمل ويخشع قلبه لذكر الله قال تعالى (الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثنى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) .

المؤمن حقا يحافظ على الصلاة مؤد للزكاة يفض بصره عن المحرمات ويحفظ فرجه عن الاثم والفواحش وهو ابر الناس باهله واسرته واحق الناس برضى الله واسع رحمته قال تعالى (قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايماهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)

المؤمن حقا صادق اليقين قد آمن بالله ربا ، وبالاسلام ديننا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ، قال تعالى (ياايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله)

المؤمن حقا عادل فى رضاه وقضبه ، معتدل فى نفقته ليس من البخلاء الاشحاء ، ولا من المسرفين المبذرين قال تعالى (والذين اذا اتفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)

المؤمن حقا يصدق برسالات الله وبملائكته وكتبه واليوم الآخر قال تعالى (امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لانفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير)

حسن الخلق

جاء الاسلام رسالة سمحة تدموا الى مكارم الاخلاق وتحث على الفضيلة والخير وتنهى عن الاثم والشر قال تعالى (ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يظلمكم لعنكم تذكرون)

لقد اتم الاسلام رسالات السماء ودعم القيم وحث على التحلى بمكارم الاخلاق قال صلى الله عليه وسلم (ان احبكم الى واقربكم منى يوم القيامة احاسنكم اخلاقا المواطنون اكنانا الذين يالفون ويؤلفون وان ابغضكم الى

وأبعدكم منى منازل يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قلنا يارسول الله هؤلاء الثرثارون المتشدقون فما المتفيهقون ؟ قال المتكبرون) .

وتميز القرآن بأنه روح وحياء احيا العرب من موات الجاهلية وأخرجهم من الظلمات الى النور وجمع شملهم ووحد كلمتهم فصاروا خير امة اخرجت للناس قال تعالى (ياايها الناس قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة والمصلح الربانى الذى بلغ الرسالة وادى الامانة وربى المؤمنين تربية ربانية فكانوا نماذج انسانية مضيئة قال تعالى : (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من الر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شسطاه فآذرة فاستغلت فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما) .

وكان الصحابة رضوان الله عليهم نجوما هادية واقمارا مضيئة ، لقد حققوا معجزة الهداية حتى قالت مارية القبطية فى رسالتها الى المقوقس (ان هؤلاء المسلمين هم العقل الجديد وهم النور الجديد ونبيهم اطهر من السحابة البيضاء فى اليوم الصائف واذا رفعوا السيف رفعوه بقانون واذا وضعوا السيف وضعوه بقانون يفتحون البلاد باخلاصهم قبل ان يفتحوها بسيفوفهم واذا جاء وقت الصلاة غسلوا اطرافهم واصطفوا فى محرابهم يناجون الها سميما بصرا مجيبا) .

النبي العظيم

ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا ونديرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وقد اتم الله به الرسالات وجعله المثل الاعلى فى هذه الحياة ومدحه الله قائلا (وانك لعلى خلق عظيم) وقد تادب النبي بادب الله حتى سألته ابو بكر الصديق قائلا يارسول الله لقد خالطت العرب والعجم فلم ار احدا اكثر ادبا منك فمن ادبك ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم ادبى ربي فاحسن تاديبى وكان عليه الصلاة والسلام وهاء النور ومهبط الوحي يتلقى عن ربه تعاليم السماء ودستور الهدى ثم يبلغ للناس ما انزل اليهم وقد صاغ عليه السلام هذه الهداية سلوكا وعملا وقولا قال عليه الصلاة والسلام (اوصانى ربي بتسع ، الاخلاص لله فى السر والعلن والعدل فى الرضا والغضب والقصد فى الفنى والفقر ، وان اعفو عن ظلمنى واصل من قطعنى واعطى من

حرمتمى ، وأن تكون صمتى فكرا ونطقى ذكرا ونظرى عبرة) أى ادب اسسمى من هذا الادب ؟ وأى قيم أعلى من هذه القيم ؟ حقا لو لم يكن ماجاه به الاسلام ديننا لكان فى دنيا الاخلاق شيئا عظيما لقد تحدث بعض الاجانب عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم فذكر ان الانسان لا يستطيع أن ينكر فضل هذا النبى على الانسانية فقد جاء بدين يحث على مكارم الاخلاق وقد آمن به ملايين الناس وهذا النبى من اكثر الانبياء اتباعا ، وله فضل لا ينكر فى اخراج العرب من ظلمات الجاهلية وشقاق الفرقة الى نور الاسلام ووحدة الكلمة .

صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله فى الأولين ، وصلوات الله وسلامه عليك فى الآخريين ، وصلوات الله وسلامه عليك فى الملائكة الى يوم الدين .

روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لى الفنائم وجعلت لى الأرض مسجدا وترابها طهورا وأعطيت الشفاعة وأرسل كل نبى الى قومه خاصة وبعثت للناس عامة) .

دعائم الايمان

قرن الله الايمان بالعمل الصالح فى آيات القرآن وفى ذلك توجيه الهى الى ان الايمان عقيدة وعمل ويقين وسلوك وفى الحديث الشريف (ليس الايمان بالتمنى ولكن ماوثر فى القلب وصدقه العمل الا وان اقواما غرتهم الامانى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا على الله ولو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل) .

وأحيانا يطلق الايمان على اليقين الباطنى ويطلق الاسلام على السلوك الظاهرى وفى القرآن الكريم يقول سبحانه (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) .

وقد ورد فى البخارى حديث شريف يضع اصول العقيدة ويشرح معنى الاسلام والايمان والاحسان فيبين ان الاسلام سلوك واقامة لأركان الاسلام الخمسة وأن الايمان عقيدة ويقين بوجود الله وايمان به وأن الاحسان اتقان العمل والاخلاص فيه لله .

روى البخارى ومسلم ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أتى أسألك عن الاسلام فقال الرسول الاسلام أن تشهد الا لله الا الله وأن محمد رسول الله وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا ثم سألته عن الايمان فقال الرسول الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره .

تم سآله عن الاحسان فقال الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك ثم قال الرجل أنى اسألك عن الساعة متى الساعة ؟

نقال النبي صلى الله عليه وسلم ما المسأؤل عنها بأعلم من السائل وسأئبئك عن علاماتها أن تلد الأمة ربئتها وأن يتطاول رعاة الإبل اليهم فى البنيان وأن يصبح الحفاة العراة سادة الأمم ثم انصرف السائل . فقال النبي صلى الله عليه وسلم ردوا الرجل فخرجوا وراه فلم يجدوا شيئاً فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم ، ويقول الله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنا لانضيق اجر من احسن عملا) .

(٦)

الذكريات الإسلامية

عيد الهجرة

يستقبل المسلمون عام الف وثلاثمائة وخمسة وثمانين (١) للهجرة واننا اذ نتحدث عن الهجرة النبوية ونمجدها ذكرها ، ونحفل بها انما نقدر في اثناء ذلك عظمة الثبات على المبدأ - نفوس الابرار والمجادلة والمرابطة في سبيله - نشيد بفوز الحق على عسف الجبروت .

الحق الممثل في محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم (اذ اخرجته الدين كفروا ثانی اثنين اذ هما في الفار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا . فانزل الله سكينته عليه ، وايدته بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم)

منذ اربعة عشر قرنا ، كانت المعركة بين الحق والباطل حامية الوطيس متشعبة الميادين ، فقد ضل الناس سبيل الحكمة ، وتمكنت فيما بينهم عوامل الفساد ، وهضم الاقوياء منهم حقوق الضعفاء واعتسف ارباب الحكم والسلطان ، وكان السادة وكان العبيد .

في هذا الضلال ، فسد على الانسان تصوره لخالقه ، فعبد ما لا ينفذ ولا يضر عبد ما لا يسمع ولا يبصر ، وتحكم رؤساء الاديان في العقائد والاخلاق ، وفسد تصور الانسان للحياة ، يظن انها ليست الا المادة عليها يتهالك وبها يتكاثر .

في هذا الضلال الذي اظلم الجو فيه على الانسان ، بعث الله رسوله

(١) اذيت من اذاعة الجمهورية العراقية في بغداد سنة ١٣٨٥ هجرية .

محمدًا صلى الله عليه وسلم إلى الناس ، يدعوهم إلى التوحيد ، وإلى الإيمان بالبعث والجزاء وإلى العدل والاحسان وسائر العمل الصالح ، بعثه لتطهير العالم وتحرير القلوب من هذه العبادة الشركية الضالة التي كانت تحمل في حقيقتها ومعناها ، أقبح نظام اجتماعي عرفه البشر إلى يومنا هذا ، وحسب الشرك وما يحمل من نظام قول الله تعالى (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) الحج - ٣١ .

أرسل الله محمدًا هاديًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بأذنه وسراجًا منيرًا ورسم له طريق دعوته .

(يا أيها المدثر قم فاتذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر)

حرر قلبك من تعظيم غير الله ليضعف أمامك الجبارون ، حرر خلقك فتملك على الناس قلوبهم ، حرر جوارحك لتكون مثلاً واقعياً وحرر نفسك من الملل والجزع واليأس واصبر وما صبرك إلا بالله .

بهذه العدة القوية أرسل محمد كلمته في قوم عرفوا بشسدة البأس والأيذاء ، والتعصب لما ورثوه عن الآباء والأجداد ، وكبر عليهم أن يدعوهم هذه الدعوة رجل ليس بالعظيم فيهم ، فقابلوه بالسخرية والاستهزاء .

(وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) الزخرف -

٣١ -

(وقالوا مآل هذا الرسول ياكل الطعام ويمشى في الأسواق لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة ياكل منها) الفرقان ٧ - ٨ .

١ - ساوموه على ترك الدعوة بكل ما يطيب له من ملك وجاه وسلطان فكانت كلمته المأثورة (والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه)

٢ - اشتدوا في أيذائه صلى الله عليه وسلم وأسرفوا ، حتى أجمعوا أمرهم على منابذة بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، وأخرجهم من مكة والتضييق عليهم ومقاطعتهم وكتبوا بذلك صحيفة تماقدوا عليها فاحتمل فيها النبي ومن معه الجهد البالغ والبلاء الذي لا حد له .

٣ - ونشروا الأكاذيب والأراجيف عن النبي وصحبه ، بقصد تشويهه عند غير المكيين فقالوا ساحر ، كذاب ، معلم مجنون وأخيراً استقر رأيهم على أن يقتلوه قتلة تفرق دمه في القبائل ، وكانت الليلة التي أتم الله فيها لرسوله وسائل الهجرة ف ضرب القوم حول بيته نطاقاً من الحديد والنار .

وهنا ندع أرباب الايمان يفكرون في مبلغ التضحية التي بذلتها تلك الثلاثة
الفدائية التي لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة .

أبو بكر ، معد الرحلة وصاحبه في الغار ، وباذل ماله ونفسه .

وعلى الفدائي الأول الذي تسجى ببودة الرسول مفترشا سريره .

وعبد الله بن ابي بكر صاحب المخابرات المكية واخته ذات النطاقين
صاحبة التموين ، وعامر بن فهيرة ، مطعم اللحم واللبن في الغار ومخفى الاثر
بالغمم التي كان يراها لابي بكر .

هذه التضحية التي قامت بها ثلثة فيها الرجل والصبي ، وفيها الرجل
والمرأة وفيها قريب النسب وبعيده ، لنعلم أن الجهاد والتضحية شأن
المسلمين عامة يسقط في حسابها القرب والبعد .

تمت الهجرة ولم تكن هجرة الفارين الهاربين ، بل كانت هجرة الابطال
المجاهدين .

تمت الهجرة وكانت نصرا من الله لرسوله ونعمة امتن بها عليه فقال
سبحانه (واذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون
ويمكر الله والله خير الماكرين)

تمت الهجرة واستقر محمد في المدينة وآخى بين المهاجرين والانصار
حتى جرت بينهم انهار السخاء والايثار وسمت بينهم معاني الاخوة والمودة
ووضع الاساس للامة العربية الاسلامية على العدل الذي لا يعرف الظلم على
الايمان الذي لا يعرف التردد على الشجاعة التي لا تعرف الجبن ، على الوحدة
التي لا تعرف التفرق ، على الشورى التي لا تعرف الاستبداد ، على الرحمة
التي لا تعرف الغلظة ، على التضامن الذي لا يعرف الاثرة ، وصدق الله
العظيم .

(والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجنون
في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن
يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)

الهجرة النبوية

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة ثم أمر بالهجرة وانزل عليه قوله تعالى : (وقل رب ادخلني مدخل صدق
واخرجني مخرج صدق واجعل لى من لئلك سلطانا نصيرا) .

ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا وتذيرا وداعيا الى
الله باذنه وسراجا منيرا .

وقد دعا قومه الى دين الله سرا ثلاث سنين ثم امره الله أن يجهر بدعوته فقال تعالى : (يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) .

وقد تعرض المسلمون لصنوف الاذى والوان الاضطهاد من اهل مكة فصابروا وصابروا وهاجروا الى الحبشة مرتين .

وجاءت بوادر الخير من اهل يثرب ، فقد كانوا يختلطون باليهود ويسمعون منهم أن نبيا سيظهر في هذا الزمن ، فلما قدمت وفود من اهل المدينة الى الحج مرض عليهم النبي الاسلام وقرأوا القرآن فقالوا هذا هو النبي الذي كانت تستفتح به اليهود عليكم تبشركم بقدمه . فبايعوا النبي على الاسلام وكانوا ١٢ رجلا ، وهذه هي بيعة العقبة الاولى .

وفي العام التالي اقبل جمع من اهل المدينة راغبين في الاسلام ومبايعة النبي فواعدهم النبي على اللقاء سرا بعد ثلث الليل ، وقال لهم لا توقظوا نائما ولا تنتظروا غائبا . وفي الميعاد المحدد تسلل الى العقبة ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان يتسترون في ظلام الليل لمبايعة النبي ومعاهده على الاسلام .

وهناك قرأ الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاهم الى الله ورغبهم في الاسلام ثم قال : « ابايكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم ، ونساءكم ، وابناءكم ، واموالكم » .

فأخذ «البراء» بيده ثم قال : نعم والذي بمثك بالحق لنمنعنك فنحن والله ابناء الحروب ورثناها كابرا عن كابر .

بهذه البيعة القوية ظهرت حماسة الانصار وتجلى اخلاصهم للدعوة ، ووجد المسلمون طريق الهجرة الى المدينة مفتوحا امامهم وذهب مصعب بن عمير الى المدينة يقرأ القرآن ويلبى الى الايمان . فلم يبق بيت من بيوت المدينة الا بدأ يتحدث عن القرآن والاسلام .

اجتمع كفار مكة وتشاوروا فيما بينهم للقضاء على محمد ودعوته ، فقال احدهم ننفيه من بلادنا ثم لانباي اين ذهب ولا حيث سار . وقال آخر نحبسهم حتى تموت دعوته . ثم استقر رأيهم على أن يختاروا من كل قبيلة شابا جلدا وسطا قويا متينا ، ويعطى كل شاب سيفا صارما بتارا ، ثم يقف الجميع على باب محمد ينتظرون خروجه لصلاة الفجر ، ثم يضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يستطيع بنو هبذ مناف على حرب جميعهم فيقبلون الدية ويذهب دمه هدرا .

وقد اخبر الله نبيه بامرهم وتدبيرهم ، وامره بالهجرة الى المدينة ، قال تعالى (واذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

خرج عليه الصلاة والسلام من مكة يرتل قول الحق سبحانه (وقل رب
ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا) الاسراء / ٨٠ .

أى ادخلني المدينة (مدخل صدق) يعنى آمننا على رغم انف اليهود
(وأخرجني) من المدينة الى مكة (مخرج صدق) يعنى آمننا على رغم انف كفار
مكة ظاهرا عليهم (واجعل لي من لدنك) يعنى من عندك (سلطانا نصيرا) يعنى
النصر على أهل مكة . ففعل الله تعالى ذلك به فافتتحها فلما افتتحها رأى
ثلاثمائة وستين صنما حول الكعبة ورأى أساف ونائلة أحدهما عند الركن
والآخر عند الحجر الأسود ، وفى يدي النبي صلى الله عليه وسلم قضيب ،
فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعطن الأصنام ويقول : (جاء الحق) يعنى
الاسلام (وزهد الباطل) يعنى وذهبت عبادة الشيطان والأوثان (ان الباطل)
يعنى أن عبادة الشيطان والأصنام (كان زهوقا) يعنى ذاهبا .

سار صلى الله عليه وسلم (ظلام الليل مع الصديق أبى بكر الى غار ثور
فدخلاه وقد أحاطهما الله بعنايته ورعايته وأيدهما بنصره وتوفيقه .

قال تعالى (الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانيا
اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته
عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى
العليا والله عزيز حكيم) .

مكث النبي والصديق فى الغار ثلاثة ايام ، وكانت الفتاة الصغيرة أسماء
بنت أبى بكر ، تروح عليهما كل مساء فى خفاء وتقطع فى جوف الليل الطريق
الوعر المضى ، تحمل اليهما الزاد والماء .

ولما سكن الطلب عن الرسول الأمين وصاحبه ، جاءهما الدليل ، فسارا
فى وهج القيقظ وتلظى الهجير ، سارا يطويان الظلام ويصلان الصبح بالمساء
حتى وصلا الى المدينة المنورة فخرج أهلها لاستقبالهما فى عيد بهيج ينشدون
الأهازيج .

طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	مادعا لله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة	مرحبا يا خير داع

الاسراء بين القرآن والعلم

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

(سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) .

١ - ضوء على الآية :

(سبحان) اسم علم لتسبيح الله وتنزيهه ، فمعنى سبحان الله : اسبح
الله سبحانه والمقصود التقديس والتنزيه عن السوء في الذات والصفات
والافعال والاسماء والاحكام اى ما بعد الذى له هذه الصفات من جميع
النقائص . (اسرى) سار في الليل ، ومعنى اسرى به صيره ساريا (ليلا) اى في
جزء من الليل او في ساعات منه . (من المسجد الحرام) اى ابتداء الاسراء المسجد
الحرام وسمى حراما لتحريم القتل والعدوان فيه حتى لو وجد فيه قاتل ابيه
حرام عليه قتله داخل المسجد لقوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) .

(الى المسجد الاقصى) هو بيت المقدس وسمى الاقصى لبعده المسافة بينه
وبين المسجد الحرام .

(الذى باركنا حوله) بارك الله حوله بركات مادية ومعنوية واحاطه
ببركات الدنيا والدين ، فجعل حوله الاشجار والثمار وجعله متعبدا الانبياء من
وقت موسى ومهبط الوحي ومسرى محمد صلى الله عليه وسلم .

(لنريه من آياتنا) فيها بيان لحكمة الاسراء ، وقد رأى النبي من آيات
الله ودلائل قدرته الكثير ، ورأى صورا واشكالا جسست فيها المعانى بصورة
ملموسة محسوسة .

كما رأى الملائكة تعبد الله على اشكال شتى منها القائم والرايع والساجد
والعابد ، ورأى الانبياء والمرسلين ورأى الجنة والنار .

وكان لدى النبي من الصفاء والنقاء والطهر ماجمله أهلا لأن يرى آيات
الله في هذا الكون وأن يتفتح قلبه الشريف ليحيط بأسرار الكون ونظمه وليرى
العالم العلوي وملائكة السماء ، وهناك فرض الله عليه الصلاة تحية خالدة
لهذا اللقاء الكريم .

(انه هو السميع البصير) السميع بدعاء محمد البصير بما أصابه من

أذى المشركين وهو يسمع ويرى مالم يلف ودق وخفى عن الاسماع والابصار من اللطائف والاسرار ،

وهكذا تحدثت الآية من الاسراء في اعجاز وبيان يملكهما مالك القدرة الخارقة التي شملت هذا الكون بما فيه ، فاشتملت الآية على تنزيه الله ان يكون له صاحبة أو ولد وبينت ان الاسراء بعبد من عبيد الله اختاره واصطفاه ، وان العبودية كلما تحققت مضمونها من الخضوع والخشوع والاخلاص لله كلما سما صاحبها وزاد قدره وكان الاسراء من اول بيت وضع للناس ، من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى حيث كانت الرسل تتعبد وحيث اعترفت له الانبياء بالرسالة وحيث صعد من هذا المكان الطاهر الى السموات العلا الى سدة المنتهى الى جنة المأوى ، ولم يتحول بصره يمينا ولا شمالا ولا يتجاوز الطريق المرسوم بل كان في سمت النبيين وامانة الصديقين وسمو المرسلين .

٢ - المعراج :

المعراج والمصعد والمرقى كلها بمعنى واحد تدل على الصعود والارتقاء ومعراج الرسول هو صعوده الى السموات العلا حيث لقي من فضل الله الكثير ورأى من آيات ربه الكبرى .

وكان الاسراء والمعراج في ليلة واحدة ، الاسراء رحلة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، والمعراج رحلة سماوية الى الملا الاعلى . وقد تحدثت سورة النجم عن المعراج في قوله تعالى : «والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما قوى . وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى . وهو بالافق الاعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين او أدنى ، فاوحى الى عبده ما ووحى ، ما كتب الفؤاد ما رأى ، افتتارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة اخرى ، عند سدة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، اذ يغشى السدرة ما يغشى ، مازاغ البصر وماطى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى» النجم ١ - ١٨ .

٣ - تاريخ الاسراء :

وقع الاسراء في السنة الحادية عشرة للبعثة ، قبل الهجرة بسنة ، او قبلها بسنة وشهرين . وكان المشركون قد امعنوا في ايداء النبي وبالغوا في تعذيب المسلمين حتى اضطروهم للهجرة الى الحبشة مرتين ، ولما يئس النبي من اهل مكة ذهب الى الطائف وبها قبائل ثقيف فدعاهم للاسلام ورغبهم في الايمان ، وكان يأمل ان يجيبوه الى دعوته ، ولكنهم ردوه اسوأ رد وارصدوا له الغلمان يرحمونه بالحجارة حتى دميت قدماه الشريفتان ، وقد اغشى على النبي من شدة الايداء . فلما افاق وجد نفسه مكذبا في قومه مضطهدا في مكة معذبا في الطائف وحيدا غريبا ، فمد يده الى الله سبحانه قائلا :

« اللهم اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا رب العالمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني ، إلى عدو يتجهمني أو يعيد ملكته امرى ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي سخطك أو يحل علي غضبك ، لك العتبى حتى ترضى . عافيتك هي أوسع لى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى » .

وقد جاءه جبريل وقال يا محمد هذا ملك الجبال وان الله امره ان يطيعك فى قومك بسبب ما فعلوه بك فان شئت ان يطبق عليهم الاخشبين (جبلان بمكة) فعل . فقال له النبى لاتعمل انى لأرجو أن يخرج من ظهورهم من يعبد الله . اللهم اهد قومي فهم لا يعلمون .

فقال جبريل للنبى صدق من سماك الرؤوف الرحيم .
وعاد النبى الى مكة حزينا كئيبا ولم يستطع دخولها الا فى جوار المطعم ابن عدى .

٤ - ما قبل الاسراء :

كانت الفترة التى سبقت الاسراء من اقصى الفترات على النبى والمؤمنين وكان الامتحان قاسيا ، يواجه المؤمن كل يوم بفتنة ومحنة ، ويستنصر المؤمنون الله قائلين : الا تدع الله لنا ، الا تنزل غضبه على عدونا ، فيجيبهم بان طريق الدعوة طريق وعر وصعب ، وان على المؤمن ان يتحمل البلاد فى ذات الله . ويصحح فيهم : « والله لقد كان يؤتى بالرجل فيمن قبلكم فيشق بالمنشار من مفرق رأسه الى قدميه فما يصدده ذلك عن دينه ، والذي نفس محمد بيده ليتمن الله ذلك الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله او اللئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » .

كان من فضل الله على المؤمنين فى هذه الفترة المؤلمة ان اعطى نبىه معجزة الهية كبرى ليرى عوالم اخرى وليصعد الى السماء ويرى من فضل الله ونعمه الكثير ثم يعود بالصلاة صلة بين المؤمنين وربهم ، فهى العون للمؤمن فى رحلة الحياة وهى الملجأ والملاذ الى الله وهى فترة المناجاة والمناداة فيها تسمو الروح وتطهر النفس ويناجى العبد الها سميما بصيرا مجيبا .

٥ - الاسراء فى ضوء العلم :

وردت قصة الاسراء والمعراج فى كتب السنة الصحاح وسرت بين الامة سريانا مستفيضا ووعتها بطون الكتب وتحدث بها الرواة حتى نقلها من اعظم الرجال خمسة واربعون صحابيا بطرق شتى واخذها جيل عن جيل فى تواتر واجماع .

والامر فى جملة خاضع لقدرة الله التى لاتقف امامها حدود ، وهو معجزة لرسول الله . والمعجزة امر خارق للعادة يظهره الله على يد مسمى الرسالة

تصديقا له في دعواه ، وليس فيما كشفه العلم من قوانين الجذب العام ونظام
الافلاك ومسايح النجوم وعناصر الكواكب ونواميس الحركة وطبقات الهواء
وتحديد الحركات ومعايير السرعة - ليس في ذلك كله ومايتصل به - مايقف
امام الاسراء والمعراج .

فقد ثبت ان نجم المشتري يجرى بسرعة ثلاثين الف ميل في الساعة
فيجرى تسعة اميال كلما تنفس الانسان . والمشتري اكبر من ارضنا بالف
واربعمائة مرة . وان الله الذي جعل هذا الجسم الكثيف الهائل يقطع الابعاد
الشاسعة في لحظات لايبعد عليه ان يسرى بنبيه من مكة الى بيت المقدس على
مفتضى ناموس لانعرفه . وان كان الوجود يشتمل عليه ، مادام العلم قد اثبت
سرعة عجيبة لأجرام كثيفة .

واننا نشهد كل يوم كشفا عن ناموس ، وابطالا لناموس حتى لقد صرح
بعض علماء الغرب ، بأن أخوف مانخافه ان مانفاخر به اليوم من العلوم يصبح
بعد مائة سنة باطلا منسوخا .

ويؤثر لرئيس مجمع ترقى العلوم بجامعة كمبردج سنة ١٨٥٤ م ان كنه
المادة غير معروف وان منتهى علمها مبتدا جهلها .

ونحن اذا طويينا القرون القهقرى فرجعنا الى ما قبل اليوم منذ قرنين
اثنين ، افكنا نحسب ان موجات الاثير وعدسات التليفزيون والتلستار تنقل
صوت الانسان وصورته الى الابعاد الشاسعة والاقطار النائية .

ان الانسان قد أخذ العجب العجيب عند اختراع الطائرة العادية ثم
الطائرة النفاثة والاطباق الطائرة ، والاقمار الصناعية .

وكان وصول الانسان الى القمر أخيرا خيرا مذهلا اخذ على الناس في كل
اصقاع الدنيا لبهم واستولى على اهتمامهم ، وذلك كله مما يقرب في ذهن
الانسان سهولة الاسراء والمعراج خاصة وانهما يقعان في دائرة القدرة الالهية
التي يخضع لها كل شيء في عالم السموات والارض والهواء والفضاء . قال
تعالى : (وماقبروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون) . الزمر ٦٧ .

٦ - الشعر والاسراء :

قال شوقي :

بالروح أم بالهكل الاسراء	تسألون وانت اظهر هيكل
نور وروحانية وبهاء	بهما سموت مطهرا وكلاهما
والله يفعل مايرى ويشاء	فضل عليك لدى الجلال ومنة
طويت سماء قلدتك سماء	تغشى الفيوب من العوالم كلما

في كل منطقة حواشي نورها أنت الجمال بها وأنت المجتلى
الله هيا من حظيرة قدسه العرش تحتك سدة وقوائم
والرسل دون العرش لم يؤذن لهم نون وانت النقطة الزهراء
والكف والمرآة والحسنة نزلا لداك لم يجزه علاء
ومناكب الروح الأمين وطاء حاشا لغيرك موعد ولقاء

٧ - آراء العلماء في الاسراء :

لعله اصبح واضحا ان الاسراء هو الانتقال بالنبي من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى .

وأن المعراج هو العروج به الى السموات العلا .

ولعل سائلا يسأل ، هل كان الاسراء بالروح والجسد ام بالروح وحدها ويمكن أن نوضح الجواب بما يأتي :

(١) اكثر العلماء على ان الاسراء كان بالروح والبدن يقظة لا مناما ، ولهم على ذلك أدلة :

١ - أنه لو كان مناما ماكانت قريش تبادر الى تكذيبه ولما قالت ام هانيء
لاحدث الناس فيكذبوك ، ولما فضل أبو بكر بالتصديق ، وجاء في
الحديث عن ابي هريرة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن سراي ، فسألني عن أشياء
من بيت المقدس لم اثبتها (لم اعرفها حق المعرفة) . فكربت كريبا
ماكربت مثله قط ، فرفعه الله لي انظر اليه ، فما سألوني من شيء الا
انباتهم به (الحديث) .

٢ - أن التسبيح والتعجب في قوله : سبحان الذي أسرى بعبده - انما
يكون في الأمور العظام - ولو كان مناما لم يكن فيه كبير شأن ولم يكن
مستعظما .

٣ - أن قوله (بعبده) يدل على مجموع الروح والجسد .

٤ - أن ابن عباس قال في قوله : « وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة
للناس » هي رؤيا اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به
ويؤيده أن العرب تستعمل الرؤيا في المشاهدة الحسية ، الا ترى
الى قول الراعي يصف صائدا :

وكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر قلبا كان جما بلا به

٥ - ان الحركة بهذه السرعة ممكنة في نفسها ، فقد جاء في القرآن ان الرياح
كانت تسير بسليمان عليه السلام الى المواضع البعيدة في الاوقات
القليلة ، قال تعالى : (فتوهها شهر ورواحها شهر) وجاء فيه أن الذي

عنده علم من الكتاب احضر مرش بلقيس من اقصى الارض في مقدار لمح
البصر كما قال تعالى : (قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل
ان يرتد اليك طرفك) واذا جاز هذا لدى طائفة من الناس جاز لدى
النبي بالاولى .

(ب) ويرى آخرون أن الاسراء كان بالروح فحسب ، ولهم على
ذلك حجج :

- ١ - أن معاوية بن ابي سفيان كان اذا سئل عن سرى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول :. كان رؤيا من الله صادقة . وقد ضعف هذا بأن معاوية يومئذ كان من المشركين فلا يقبل خبره في مثل هذا .
- ٢ - ان بعض آل ابي بكر قال : كانت عائشة تقول ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن اسرى بروحه ، ونقدوا هذا بأن عائشة يومئذ كانت صغيرة ولم تكن زوجا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
- ٣ - أن الحسن قال في قوله (وما جعلنا الرؤيا) الآية . انها رؤيا منام وآها - والرؤيا تختص بالنوم .

قال ابو جعفر الطبرى : الصواب من القول في ذلك عندنا ان يقال : ان الله اسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى كما اخبر الله عباده وكما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حملة على البراق حتى اتاه به وصلى هناك بمن صلى من الانبياء والرسل فاراه ما اراه من الآيات ، ولا معنى لقول من قال اسرى بروحه دون جسده لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون دليلا على نبوته ولا حجة له على رسالته ، ولا كان الذى أنكروا حقيقة ذلك من اهل الشرك كانوا يدفعون به عن صدقه فيه ، اذ لم يكن منكرا عندهم ولا عند أحد من ذوى الفطرة الصحيحة من بنى آدم أن يرى الرائي منهم فى المنام ما على مسيرة سنة ، فكيف ما هو مسيرة شهر أو اقل - وبعد فان الله انما اخبر فى كتابه انه اسرى بعبده ولم يخبرنا بأنه اسرى بروح عبده ، وليس جائزا لأحد أن يتعدى ما قال الله الى غيره ، الى أن الادلة الواضحة والاخبار المتتابعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله اسرى به على دابة يقال لها البراق ، ولو كان الاسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق ، اذ كانت الدواب لاتحمل الا الاجساد . اهـ .

والخلاصة :

ان الذى عليه المعول عند جمهرة المسلمين انه اسرى به عليه السلام يقفلة لا مناما من مكة الى بيت المقدس راكبا البراق ، فلما انتهى الى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله يصلى فى قبلته تحية المسجد ركعتين وخرج به الى السماء وعاد منها ثم ركب البراق وعاد الى مكة قبل الفجر .

شهر شعبان

فضل الله بعض الأماكن على بعض ، وفضل الله بعض الأزمنة على بعض ،
وفضل الله بعض الرسل على بعض . قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) .

وفي الحديث الشريف (ان لربكم في أيام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها) .
ومن نفحات الله ما خص به بعض الأيام والليالي بمضاعفة الثواب وقبول
المتاب واغداق الرحمة على عباده المؤمنين .

ونحن نعيش في وسط ثلاثة اشهر يبض باركها الله بجلائل الاعمال :
فرجب شهر الله الحرام ، فيه وقع الاسراء والمعراج وهما الحادثتان الالهيتان ،
وقد تم فيهما تكريم النبي صلى الله عليه وسلم ، والانتقال به ليلا من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصى ، وهناك صلى اماما بالانبياء وصعد به الى
السموات العلا حيث استقبله من كل سماء مقربوها . وفي اشرف مكان واسمى
بقعة حفته الأنوار وغشيته الاسرار ، وصار في ضيافة الجبار ، وراى من
مجانب الكون ماراى ، (ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة
الاولى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رآى من آيات ربه
الكبرى) .

وفي شهر شعبان وقعت غزوة بدر الآخرة وغزوة بنى المصطلق وفيهما
ظهرت حكمة الرسول وبعد نظره وقدرته على تسيير دفة الأمور بإحكام
ونجاح في احلك الأوقات . قال تعالى (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) ويقول
سبحانه (يهدى الله لنوره من يشاء) .

وفي شهر شعبان تم تحويل القبلة في الصلاة الى جهة الكعبة ، وذلك ان
المسلمين هاجروا الى المدينة فمكثوا بها سبعة عشر شهرا يصلون جهة بيت
المقدس بالشام ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرنو ببصره الى السماء
دائما راجيا ان تتحول قبلة الصلاة الى الكعبة ، فانزل الله عز وجل قوله (قد
فرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد
الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) فتحولت قبلة الصلاة الى الكعبة .

وانجاه القبلة الى بيت الله الحرام فيه تعظيم للبيت الحرام ، وهو اول
بيت وضع للناس ، وفيه رمز الى وحدة الأمة الاسلامية حول البيت الحرام

فهدفهم واحد وانجاهم واحد وربهم واحد وقبلتهم واحده وأمتهم واحدة
قال تعالى (ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) . الأنبياء ٩٢

وفي تحويل القبلة بيان عملي ان الله المشرق والمغرب وانه المقصود بجميع
العبادات (فإينما تولوا فثم وجه الله) . ونحن المسلمين نعظم المساجد لأنها
بيوت العبادة ونخص بالتعظيم المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد
الأقصى ، ونعلم ان أفضل المساجد هو المسجد الحرام ثم المسجد النبوي ثم
المسجد الأقصى . والمسلمون يرحلون الى هذه المساجد لأقامة الصلاة وأداء
المناسك وطلباً لمضاعفة الثواب ورؤية الأماكن المقدسة التي أنزل الله عليها
بركاته وضامف فيها الثواب وتجلي على عباده فيها بالفضل والمغفرة .
قال تعالى (ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه
آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً . والله على الناس حج البيت
من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) .

وفي الحديث الصحيح (لا تشد الرحال الا لثلاثة مساجد، مسجدي هذا
والمسجد الحرام والمسجد الأقصى) . أى أن المسلم لايسافر قاصداً السفر الى
مسجد معين لان المساجد كلها لله فأى مسجد صالح للصلاة ، لكن يباح السفر
الى ثلاثة مساجد تعظيماً لقدرها وطلباً لمضاعفة الثواب بالصلاة فيها ، وهى
المسجد الحرام بمكة وهو أول بيت وضع لله فى الارض ، ويليه المسجد النبوي
بالمدينة وفيه مثوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمسجد الأقصى بالشام
وفيه مثوى الأنبياء وحوله البركات ومضاعفة الحسنات ، والى ذلك المسجد
مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال تعالى (سبحان الذى أسرى
بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله فنريه
من آياتنا انه هو السميع البصير) .

فيا أمة الاسلام أين المسجد الأقصى ؟ ، انه فى يد عصاة اليهود يستغيث
بالمسلمين ان هبوا من سباتكم واجمعوا أمركم وأعلنوا جهادكم فى سبيل الله
وفى سبيل تخليص المستضعفين . وما أحرانا فى ليلة النصف من شعبان المكرم
وفبها يفتح الباب وبضاعف الثواب ونقرب الأحباب ان بلجأ الى الله داعين
متبتلين فى هذه الليلة المباركة ، فهى موسم للتوبة النصوح والالتجاء الى الله
والاستقامة على طريقه . قال تعالى (وأن أو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم
ماء غدقاً) .

وروى البيهقى عن عائشة رضى الله عنها قالت « قام رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض ، فلما
رأبت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك فرجعت فسمعته يقول فى سجوده
أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك، الهى لا أحصى
ثناء عليك أنت كما أثنت على نفسك . فلما رفع رأسه من السجود وفرغ
من صلاته قال يا عائشة أتدرين أى ليلة هذه قلت الله ورسوله أعلم . قال هذه

ليلة النصف من شعبان ان الله عز وجل يطلع على عباده (ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم .
فهذه أيام الطاعة والانابة والجهاد والجلاد وجهاد النفس والهوى ، قال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) .

ليلة مباركة

بسم الله الرحمن الرحيم :

(حم والكتاب المبين ، انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم ، أمرا من عندنا انا كنا مرسلين ، رحمة من ربك انه هو السميع العليم . رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين ، لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين) الدخان ١ - ٨ .

بدأ الله بعض السور بحروف مقطعة مثل الم الر حم .

وللعلماء فيها رايان :

الراى الاول : انها مما استأثر الله تعالى بعلمه ،

والراى الثانى : ان لها معان معروفة ولكنهم اختلفوا في تحديد هذه المعانى فقيل هى أسماء للسورة ، وقيل هى اشارة الى أسماء الله تعالى أو صفاته ، وقيل هى أدوات للتنبيه ، وقيل هى حروف للتحدى والاعجاز .

واختار ابن جرير الطبرى ان وجه الاعجاز فى هذه الحروف هو اشتمالها على جميع المعانى التى ذكرها العلماء فى تفسيرها .

فهى مما استأثر الله تعالى بعلمه ، وهى أسماء للسورة ، وهى حروف للتنبيه وهى اشارة الى أسماء الله تعالى وصفاته وهى لبيان التحدى والاعجاز .

وقد اقسام الله بالكتاب المبين الواضح ، الذى انزل بلسان عربى بين يفهمه العامة والخاصة ويتجاوب معه الكبير والصغير والامى والمتعلم .

روى الترمذى عن الحارث الاعور عن على بن ابي طالب قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (الا انها ستكون فتنة ، فقلت ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبا ما كان قبلكم ، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس

به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا : (انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشيد) ، من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم) .

(انا انزلناه فى ليلة مباركة) اى انزلنا القرآن فى ليلة كثيرة البركات - واكثر المفسرين انها ليلة القدر وهى احدى ليالى شهر رمضان قال تعالى (شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن) وقال سبحانه (انا انزلناه فى ليلة القدر)

وقال عكرمة وجماعة : الليلة المباركة هى ليلة النصف من شعبان وتسمى ليلة الرحمة والليلة المباركة وليلة الصك وليلة البراءة .

(فيها يفرق كل امر حكيم) اى يفصل ويبين كل امر صادر منا على مقتضى حكمتنا . فان من عادتنا ارسال الرسل للعباد رحمة منا .

وقد ذكروا فى ليلة النصف من شعبان اخبارا كثيرة منها ما اخرج ابن ماجه عن على كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس الى السماء الدنيا فيقول الا مستغفر فافغر له الا مسترزق فارزقه ، الا مبتلى فاعافيه الا كذا الا كذا حتى يطلع الفجر) .

واخرج الامام احمد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (يطلع الله الى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده الا اثنين مشاحن وقاتل نفس) .

وفى الدر المختار وحاشيته : (ومن المندوب احياء ليلتى العيدين والنصف من شعبان والعشر الاخيرة من رمضان وليالى العشر الأول من ذى الحجة)

واحياء هذه الليالى يكون بذكر الله وقراءة القرآن فى جزء من الليل . او بصلاة العشاء فى جماعة والفجر فى جماعة . روى مسلم فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من صلى العشاء فى جماعة فكانما قام نصف الليل ومن صلى الصبح فى جماعة فكانما قام الليل كله) .

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : (ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من شهر أكثر من صيامه من شعبان ، كان يصومه كله) .

امجاد الاسلام فى شهر رمضان

أيها المسلمون - جدير بنا ونحن نستقبل شهر رمضان أن نتذكر الاحداث الخالده التى وقعت فيه وماكان لها من الآثار الباقية التى غيرت وجه التاريخ الانسانى وانتقلت بالبشرية من عهود الظلم والاستبداد الى عهد العدل والحرية والاخاء .

لقد كان رمضان الوعاء الزمنى لقيام دين الاسلام وتكوين المجتمع الاسلامى .

فقيام دين الاسلام كان بنزول القرآن الكريم فى هذا الشهر العظيم والقرآن الكريم هو أساس هذا الدين وكتابه الخالد .

يقول الله تعالى (ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوام ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا) ويقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان هذا القرآن حبل الله المتين والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه) .

ومن أجل ذلك كان رمضان شهر القرآن وكان شهر الاسلام فيه انطلقت أول صيحة تبشر بهذا الدين وفى ليلة مباركة من لياليه نزلت أول آية على الرسول الكريم ، (اننا انزلناه فى ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر)

هذه صلة رمضان بالاسلام وهذا هو ارتباطه بالقرآن وهى صلة باقية على مدى الازمان (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

اما علاقة رمضان بتكوين المجتمع الاسلامى فذلك يتمثل فى حادنتين عظيمين وفعنا فيه لو لم يحدث فيهما ماحدث فعلا لتغير وجه التاريخ ولتوقفت خطاه قلبلا أو كثيرا قبل أن يدخل بالبشرية فى دور جديد ، هاتان الحادثتان هما غزوة بدر الكبرى وفتح مكة .

فغزوة بدر وقد وقعت فى السابع عشر من رمضان فى السنة الثانية من الهجرة ، كانت أول لقاء مسلح بين الحق والباطل ، بين قوى الشر والضلال وبين قوى الخير والرشاد ، وبالرغم من تفوق المشركين فى العدد والعدد فقد صدق الله وعده ونصر جنده وأعز الحق وأهله (انا لننصر رسلانا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) ، (بل نقذف بالحق على الباطل قيده فاذا هو زاهاق) .

وهكذا كان انتصار المسلمين فى يوم بدر أول لبنة فى قيام المجتمع الاسلامى وظهور خصائصه الفاضلة وملامحه التى رسمها الاسلام وامتزت بها جماعة

المسلمين ، وما نزل في شأن هذه الغزوة من آيات بين ان نصر الله دائما مع المؤمنين وان تاييده للعاملين المخلصين ومد الله لا يخلف الله الميعاد قال تعالى :

(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم) (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) البقرة ٢٤٩ .

واما فتح مكة فقد كان في السنة الثامنة للهجرة في عشرين من رمضان تقدم النبي صلى الله عليه وسلم اليها وقال ؛ اللهم خذ العيون والابصار من قريش حتى نبقتها في بلادها .

ثم دخل مكة متواضعا لله منحنيا على راحلته حتى اوشك ان يسجد عليها شكرا لله وهو يقول تائبون آيبون حامدون لربنا شاكرون ، ثم دخل البيت الحرام فصلى ركعتين ثم حطم الاصنام بقضيب في يده وهو يقول (وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)

ثم وقف على باب الكعبة واعلن سماحة الاسلام وعفا عن اعدائه وقال كلمته الخالدة :

اذهبوا فانتم الطلقاء لا تثرىب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ، فدخل الناس في دين الله افواجا وجماعات وصدق الله العظيم (اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) .

ليلة القدر

فضل الله بعض الامكنة على بعض فضائل البيت الحرام والمسجد النبوي والمسجد الاقصى وفضل الله بعض الازمنة على بعض ففضل يوم الجمعة وليلة الاسراء والمعراج وليلة النصف من شعبان وشهر رمضان وليلة القدر .

وليلة القدر ليلة مباركة يضاعف فيها الثواب ويفتح الباب ويقبل المتاب وينال العاملون فيها عظيم الاجر قال تعالى : (انا انزلناه في ليلة القدر ، وما ادراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من الف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر ، سلام هي حتى مطلع الفجر) .

هي ليلة نزل فيها القرآن من اللوح المحفوظ الى بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك منجما مجزءا حسب الوقائع والحوادث .

قال تعالى : (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على

سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما ههناكم ولعلكم تشكرون (البقرة ١٨٥) .

وفي ليلة القدر يفتح الباب ويقبل المتاب، ولأمر ما قال الله عز وجل عتب آيات الصيام : (واذا سالك عبادي عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) البقرة ١٨٦ .

وفي ليلة القدر يضاعف الله ثواب العمل الصالح ، والعمل الصالح هو كل فربى أو عمل يقصد به وجه الله كتلاوة القرآن والتسبيح والذكر والصدقة والاعمال النافعة للأمة كبناء مدرسة أو مسجد أو معمل أو مصنع أو ملجأ .

قال تعالى : (ليلة القدر خير من الف شهر) اى العبادة والعمل الصالح فيها افضل من العمل الصالح فى الف شهر ليس بينها ليلة القدر .

وقال سبحانه : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانصيغ اجر من احسن عملا) وقد بارك الله العمل وحث عليه وقرنه بالايمان فى كثير من الآيات، قال تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) وقال سبحانه : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبؤكم بما كنتم تعملون » .

وفي ليلة القدر تنزل الملائكة من السماء بالسلام والامان فتنتشر فى الارض ومعها جبريل الامين وهذا باذن الله وامره بركة لهذه الامة وتكريما للذكرى نزول القرآن وهى سلام وامان من اذان المغرب الى طلوع الفجر .

وينبغى ان يكثر المسلم فيها الدعاء النافع لدينه ودنياه وآخريه .

قالت عائشة رضى الله عنها يارسول الله ان رايت ليلة القدر ماذا اقول لا قال قولى : اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى .

اللهم انى اسالك العفو والعافية فى الدين والدنيا والاخرة وفى صحيح البخارى ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول يا عبادى هل من داع فاستجيب له هل من مستغفر فاغفر له هل من مسترزق فارزقه هل من تائب فاتوب عليه هل من طالب حاجة فاقضها له حتى يطلع الفجر .

وليست ليلة القدر عبارة عن نور فى السماء أو طاقة من النور مستديرة أو مستطيلة ليس لهذه الليلة نور خاص أو مشهد حسى معين .

ولكنها ليلة تتميز بكثرة نزول الملائكة الى الارض وانتشار الرحمة والمغفرة والامان وفتح الباب أمام الداعين فيجس الانسان احساسا روحيا بصفاة نفسه وسمو روحه ورقيته فى الابتهاى الى الله ، والثناء عليه والدعاء وقراءة القرآن والصلاة والسلام على النبي محمد عليه الصلاة والسلام .

وليلة القدر هي ليلة القرآن وسميت ليلة القدر بمعنى الشرف والذكر
أي القدر الرفيع والشرف العظيم ، لأنه نزل فيها قرآن ذو قدر على نبي ذي
قدر لأمة ذات قدر .

وأحرى بامتنا أن تدرك شأن القرآن في حفظ اللسان ونفويم الخلق
وتماسك الأمة وترابط المؤمنين فتقبل على القرآن قراءه وفهما ودراسة وحفظا
وأن تلتزم بهديه وتتمسك بأحكامه وتعود الى منهجه وروحه فالقرآن روح
وحياة ومنهج وطريقة قال تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت
تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذي ما في السموات وما في
الأرض إلا الله تصير الأمور) .

لقد بدأ نزول القرآن في غار حراء واستمر نزوله في مكة والمدينة فكان
روحا وهديا ونموذجا وسلوكا واجتمع المؤمنون حول القرآن يقرءونه ويعملون
بأوامره ويجتنبون نواهيه فصاغهم القرآن صياغة اسلامية ربانية وصار العرب
بالقرآن خير أمة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون
بالله . لقد عز المسلمون يوم أن أعزوا القرآن وذل المسلموا يوم أن هجروا
القرآن : «وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا» وطريق
العزة والنصر هو طريق القرآن وامثال امر الرحمن ، قال تعالى : «وما النصر
إلا من عند الله العزيز الحكيم» .

عيد الاضحى

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد أهلها يلعبون فسألهم
عن سبب ذلك فقالوا هذان يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال (ان الله
قد أبدلكم بهما خيرا منهما يوم الاضحى ويوم الفطر) .

تمر بالمسلمين أيام العيد الاكبر وهو عيد التضحية والفداء عيد امتحن
الله فيه الخليل ابراهيم بديح ولده اسماعيل فقام الخليل من نومه وأقبل على
ابنه وقال :

(يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى)

ووقف الشاب موقفا مجيدا ضحى فيه بنفسه وحياته وأجاب قائلا
(يا ابي افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) .

ولما صحت عزيمة الخليل وامثال الدبيح اسماعيل ، سماع ابراهيم
النداء (يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ، ان هذا لهو
البلاء المبين ، وفقيناه بديح عظيم وتركنا عليه فى الآخريين سلام على ابراهيم)

أيها المؤمنون

نمر بالأمم كما نمر بالأفراد، مواقف حاسمة ومحن وازمات فاذا صبرت الأمة في محنتها ولم تركع على قدميها ، وضحت بالترف والمتعة العاجلة في سبيل الغاية والمبدأ انتصرت في رسالتها ونجحت في مهمتها ، واستوت على عرش مجدها وعزها ، وكان لها ثواب المجاهدين ، وأجر الصابرين ، وصدق الله العظيم (**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين**) .

ولقد كان حادث الفداء درسا عمليا تلفاه الخليل ، حين امر بلذبح ولده الوحيد وأحب الناس اليه ، اختبارا لايمانه ، وامتحانا لارادته فكان إبراهيم صادق الايمان وفيا للرحمن وضحي بولده في سبيل ربه ودينه وخالقه ، فجزاه الله الجزاء الأوفى ، وسجل وفاءه في القرآن الكريم .

ثم كلل نجاحه بالفداء تمجيدا لانتصار الارادة البشرية والنفس القوية واليقين الصادق .

وامر المسلمون بلذبح الضحايا في هذا العيد الاكبر لأن الله يحب اراقة الدماء في ذلك اليوم وليذكر المسلمون امجادهم الماضية وتاريخهم الحافل واباهم الاكبر ابا الملة الحنيفية ، وليتخذوا العظة والعبرة من اخبار السابقين وسيرة الاولين .

(**ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ، فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير**) .

ان للاعياد في الاسلام معان سامية وحكم بالغة فهي ايام النصر وذكرات تشعر فيها النفس بالراحة والاطمئنان والفرح والامتنان .

في عيد الفطر يشعر المؤمن بالفرح والارتياح لصيام شهر رمضان ثم يخرج زكاة الفطر مشاركة للاخرين في صيامهم وفطرتهم .

وفي عيد الاضحى يغمر المؤمن سرور الفرح بايام الله ايام الحج الاكبر وتوافد المسلمين افرادا وجماعات الى بيت الله

(**ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معدودات**)

يتلاقى المسلمون في الحج لتبادل المعرفة والرأى فهو انجح مؤتمر عالمي للشعوب والافراد يتدارس فيه المسلمون حالهم ووضعهم والامهم وآمالهم - ويعملون سويا عملا منظما لخير الاسلام والمسلمين .

في هذا العيد الاكبر يذكر المسلمون نعمة الله عليهم ومنته الكبرى في يوم عرفات فعند اصيل يوم الجمعة التاسع من ذى الحجة سنة عشر من الهجرة

وقف عليه الصلاة والسلام وفعته الخالدة وخطب خطبته الجامعة في حجة الوداع وضح فيها المبادئ الأساسية لرقى المجتمع وحفظ الحقوق وأداء الواجبات فقرر حرمة الدماء وحرمة الأموال ونهى عن طاعة الشيطان وارتكاب المخالفات ووصى بالمراه لأنها شطر المجتمع وشريكة الرجل فحدد حقوقها وواجباتها وأمر برعايتها وكفالتها وصى بتحمل ضعفها والقيام بحقها في عدل ورحمة ، وقرر مبدأ المساواة بين الناس جميعا على اختلاف أجناسهم والوانهم وجمع في خطبته أسمى المبادئ في تاريخ الاجتماع البشرى فقال صلى الله عليه وسلم :

(أيها الناس ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الاهل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

أيها الناس ان الشيطان قد بئس ان يعبد في ارضكم هذه ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم ..

أيها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لآدم وادم من تراب ، اكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى ، الاهل بلغت اللهم فاشهد)

تلك هي مبادئ الفطرة وقوانين العدالة السامية والتكافل والتواصل والتراحم والتآلف ، وترك الشحناء والبغضاء وعوامل الفرقة والاختلاف ، قال تعالى

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) .

وقفه بين عامين

الايمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر هدف سام من أهداف الرسالات السماوية وله اثره في حياة الفرد والجماعة .

فالإيمان عنصر من عناصر الثقة بالنفس ، والاطمئنان في الحياة لأن المؤمن بقدره الله ، معتمد على خالقه ، له يقين بأن الأجل بيد الله ، وأن الرزق بيد الله ، وأن الله لا يضيع عبدا اخلص له ، وأطاع أوامره ، واجتنب نواهيه قال تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل لكل شئ قدرا)
الطلاق ٢ ، ٣

الايمان بالله مصدر للسعادة النفسية ودليل عملي لهدوء الأعصاب وراحة النفس ، لأن المؤمن يشكر على النعماء ، ويصبر على البأساء ، ويرضى بأسباب القضاء .

فالمؤمن يرى ان النعم كلها من عند الله ، وان فضل الله على العباد كبير ،
المؤمن يرى نعم الله في الشمس الساطعة ، والقمر الباهر والكوكب الزاهر ،
وفي انفلاق الصبح ، ووقود الظلام ، وحفيف الاشجار ، وجريان البحار ،
وصدق الله العظيم (وسخر لكم الفلك لتجروا في البحر بأمره وسخر لكم
الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم
من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظالم كفار)
ابراهيم ٣٢ ، ٣٤ .

الايمن بالله يعصم صاحبه من التردى في الرذيلة ، والانغماس في
الشهوات ، ويحمه على الاستقامة والتقوى ، ويبعده عن الفحشاء والمنكر ،
فلو لم يكن ما جاء به الاسلام دينا لكان في دنيا الناس شيئا عظيما ، لان الايمان
يحمل صاحبه على الطهارة ، الطهارة الحسية والمعنوية ، ويبعده عن الفس
والسرقة والمال الحرام ، ويجعله يراقب مولاه ، ويجد سعادة في طاعته .

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال : كنت رديف النبي صلى الله
عليه وسلم على بغلته فقال لى ياغلام : (هل اعلمك كلمات ينفعك الله بهن في
الدنيا والآخرة) قلت بلى يا رسول الله علمنى فقال لى : (ياغلام احفظ الله
يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت
فاستعن بالله ، واعلم ان الأمة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء ، ما نفعوك
الا بشيء قد كتبه الله لك ، واعلم ان الأمة لو اجتمعت على ان يضروك بشيء
ماضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، جفت الأقلام وطويت الصحف) .

لقد كان الايمان الصادق دليلا ناجحا للمؤمنين في حياتهم ، فاستعلوا
على رغبات الدنيا وشهواتها ، واخلصوا لله في هدفهم فأمدتهم السماء بمددها ،
فعادوا يفتحون الأرض ، وينشرون العدل ، ويطبقون الحق ، ويحاربون البنى
والظلم ، وصدق الله العظيم : (كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران ١١٠ .

ان القرآن هو النور والهدى ، ودليل الخير والفلاح ، وفيه رصيذ وافر
من التشريع والهداية والارشاد وبيان الأخلاق والصفات التى ترفع شأن الأمم
والجماعات اذا تمسكت بها وسارت على هداها . واهرى بنا أن نجد في القرآن
دواء لأدوائنا وعلاجا لأمراضنا الاجتماعية لأن التمسك بهدى القرآن هو الذى
يخلق الضمير الحسن ، والقلب النظيف ، والنفس الطاهرة ، قال تعالى :
(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل
السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)
المائدة ١٥ ، ١٦ .

وفي نهاية كل عام يقف المؤمن وقفة يحاسب فيها نفسه على ما قدم خلال
العام فان وجد خيرا فليحمد الله ، وان وجد غير ذلك فليستغفر وليتب الى

الله توبة نصوحا ، وليسأل الله أن يلهمه الرشد والتوفيق وأن يصيء له طريق حياته بنور الله وفضله .

فالتوبة النصوح طهارة من المعاصي ، وسعادة للنفس ، ونجاة من عذاب الضمير ، وهى الباب الوحيد الذى نلج منه لمغفرة الذنوب والانابة الى علام الغيوب ، ومهما عظم الذنب أو كبرت المعصية ، فلا ينبغي أن يياس المؤمن من فضل الله ورحمته ، لان الله هو الذى خلق الانسان ، وأودع فيه خصال الخير والشر ، وأمره بالجهاد والصبر والكفاح ، حتى ينتصر داعى الايمان على وسوسة الشيطان قال تعالى (قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ، وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لاتنصرون ، واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب بفتنة وانتم لاتشعرون) الزمر ٥٣ - ٥٥ .

وفى الحديث القدسى يقول الله عز وجل (ياعبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ، ياعبادى كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعمونى اطعمكم ، ياعبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى اكسكم ، ياعبادى انكم تضلون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى اغفر لكم) .

وفى الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، بقول الله عز وجل (ماتقرب عبدي الى بشيء احب الى من اداء ما افترضته عليه ولايزال عبدي يتقرب بالنوافل حتى احبه فاذا احبته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها ولئن دهانى لأجيبنه ، ولئن سألنى لأعطينه) .

من تاريخ مصر

امتى العزيزة بلادى الغالية

فذاك المهج والأرواح ، فذاك النفس والمال

مصر يا بلادى ، حباك الله جمال الموقع والتاريخ والحضارة

مصر حضر اليك ابراهيم الخليل أبو الانبياء ، وتزوج مصرية صارت اما

لبعض الأنبياء والمرسلين .

حضر اليك يا مصر يوسف الصديق ، ثم تبوا الوزارة وجمع فى يديه بين

وزارة الماهية والتموين ، وأحسن بقدوم المجاعة فأمر بتخزين الغلال ، وانقذ

مصر والبلاد المحاورة حولها من مجاعة استمرت سبع سنين ، ثم زاد ماء

النيل وانتشر الخير والبركة ، وقدم قوم يوسف من بلاد كنعان وقال لهم يوسف : (ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) .

مصر العزيزة جاء اليك موسى ، وجهر بدعوته ورسالته وايده الله بالمعجزات الباهرات ، وكان جواب فرعون على موسى : (أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتى) .

مصر العزيزة : قدم اليك المسيح عليه السلام ، مع مريم البتول ، وآاهم الله اليك وانتشرت المسيحية فيك وكنت منارا للهدى والمعرفة والايمن ، وعند شجرة مريم بالمطرية استراح المسيح مع امه على ربوة عالية بجوارها ماء يسيل قال تعالى (وجعلنا ابن مريم وامه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين) .

مصر العزيزة : ارسل اليك محمد صلى الله عليه وسلم كتابا ، وبشر اتباعه بوصول الاسلام اليك ، ووصاهم بأهلك خيرا ، لان لهم ذمة ورحما فلهم ذمة الدين ، ولهم رحم القرابة ، فان المقوفس عظيم القبط بمصر عندما وصله كتاب النبي الامين ، رد عليه ردا جميلا ، وبعث الى النبي هدايا منها بغلة وچاريتان وشيء من عسل بنها ، وتقول المصادر العربية ان النبي دعا لهلدا العسل بالبركة ، وتسرى بمارية القبطية ، وهى فتاة من حمص احدى قرى الصعيد ، وأنجب منها ولده ابراهيم ، فهناك قرابة ورحم بين المصريين ورسول الاسلام ، قال عليه الصلاة والسلام (ستفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم ذمة ورحما) .

وقد ذكرت السنة النبوية رجال مصر ووصفتهم بالشدة والقوة والاحتمال ، وأنهم يكونون عونا وبلاغا للدعوة الى غيرهم ، وانهم خير الأجناد وأفضلهم فى قتال الأعداء .

اخرج ابن عبد الحكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا ، فذلك خير اجناد الأرض ، فقال ولم يارسول الله قال لانهم وأزواجهم فى رباط الى يوم القيامة) .

ايه يا مصر :

ظلت قوة الايمان ، وقوة الدفاع والكفاح فى رجالك وجنودك، فكانوا هم الصخرة التى تحطمت عليها أمواج التتر ، وجحافل المغول ، فى عين جالوت . حين تدافع المغول كالسيل العرم على العراق يدمرون ويخربون حتى «احمرت الأرض من دم العباد واسود ماء دجله من المداد» فكان المصريون هم القوة التى انقذت حضارة الاسلام من جند هولاء ثم جند غازان .

وكذلك خاضت مصر معاركها ضد جحافل الصليبيين ، فذهب اليهم صلاح الدين واراها كيف تكون الهزيمة في حطين .

ولمصر ايام مشهورة في ارسوف وفي المنصورة وفارسكور ثم في عكا وارواد وللمصريين صفات طبعوا عليها منها الثبات في الحرب والقوة في البأس ، فهم خير اجناد الارض منذ عصور الفراعين حتى هذا الجيل من ابنائها المحدثين . ولقد اثبتوا للبطالة في موقعة رفح بعد طول حرمان من الجندية انهم جنود محاربون ، واثبتوا تحت حكم محمد على كيف يفلبون الترك ويبهرون الاوربيين ويروعون .

ومع ذلك فقد لا تبدو شجاعة الشجاع ولا صلابة في معارك الظفر والانتصار ، بقدر ظهورها في محن الهزيمة والانكسار ، ولسوف يعلن التاريخ كيف قاتل القلة من ابائنا في بعض بقاع سيناء عام ١٩٥٦ ، وكيف قاتلوا بصبر وعناد في نكسة ١٩٦٧ ، فالصريون قوة بما جبلوا عليه من الصمود والصبر والاحتمال . لقد اقبل عليهم الهكسوس فاقاموا فيهم نيفا وقرنا من الزمان متسلطين فاتحين ، واقام المصريون ينتهزون الفرصة ايقاظا ساهرين فلما آن الاوان خرجوا عليهم خروج العازم المنتقم الذي لا يرضى بغير الحربة او الحمام ، ووقف الشعب من وراء حماته واجناده يبذل عن طواعية وسخاء ، ولا يبالي بغير فايته ومبتغاه ، ولم يخدمهم البطالة عن انفسهم ولا دينهم فاقاموا على المقاومة والثورات ولم يطمثوا الى دين خرجوا به وابتدعوه ، بل ظلوا بتراثهم متمسكين وعلى عاداتهم عاكفين ، واقبلوا على انشاء المعابد ورعاية الهياكل والمحاريب ، بل لقد شكوا هيرودوت من المصري اشمئزازه من الاغريقي ان يقبله او يصطنع ادواته او يشرب من انائه ، وفي ذلك مظهر من اشد مظاهر المقاطعة للطاريء والترفع على الدخيل ، ومع ذلك فقد اخذت حضارة الغالب عن المغلوب ، واعترف فلاسفة الاغريق بحكمة المصريين ، وغزا دين المصريين قلوب اليونان والرومان اجمعين .

ولقد شاء نابليون ان يوطيء لاحلامه في مصر بما شاء ان يرسم ويدعى من المزامم والدعايات ، فما كان جواب قومها الا ثورة القاهرة الاولى ، وثورتها الثانية ، ثم مقتل كليبر خليفته فيها وضابطه الكبير ،

ولقد احتل الانجليز مصر كما احتلوا غيرها من امصار العرب سنين ، ثم الحسر حكم الاجنبي وارغم الاستعمار على ان يحمل عصاه ويرحل ، واذا بمصر على ديدنها وعهدا تحمل لواء الثقافة العربية والنهضة العربية في ارض العرب من الخليج الى المحيط ، واذا بها من قوة الروح تتعقب آثار التسلط الاجنبي فلا تبقى عليها ولا تدر ، وتعود اللغة العربية والنفس العربية فيها خالصة صافية .

وجاءت نكسة ١٩٦٧ وظن الناس أن الهزيمة قد أصابت نفوس المصريين ،
وأن الحرارة قد ساغت لحلو قهم ولكن المصرى هو المصرى معدن نفيس وقوة
ورباط، وشدة فى البأساء ونكاية فى الأعداء ، وبطولة وتضحية وفدائية رائعة
فما أن صدرت الأوامر بصور الفناة فى السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ حتى
عبر الرجال فى سرعة البرق وتحطمت أسطورة الطغاه البغاه ، وتقدم المصريون
يرفعون أعلام النصر ويقاتلون فى سبيل الحق ويضربون أروع الأمثال فى الجهاد
والنضال حتى يحق لهم النصر المبين بعون الله رب العالمين .

(٧)

هذا هو الإسلام

الإسلام دين الحق والعدل والسلام

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

(يا أيها الناس قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بانته ويهديهم الى صراط مستقيم) .

انتشر الإسلام بين اتباعه ففضى على معالم الفوضى والاضطراب واخرج الناس من الظلمات الى النور ومن الكفر الى الايمان .

وقد اشتمل الإسلام على مبادئ عادلة واهداف سامية كانت سر قوته وانتصاره فدعى الناس الى الترابط والاخاء والمساواة بين البشر كافة (فلا فضل لعربي على عجمي ولا لمعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لاسود على أبيض الا بالتقوى كلکم لآدم وآدم من تراب) .

ولقد كان سلمان الفارسي عبدا اخلص للمسلمين في التضحية والجهاد وأشار عليهم بحفر الخندق في غزوة الاحزاب فأصبح ينادى سلمان القرشي بدل سلمان الفارسي وقال عنه الشاعر

لممرك ما الانسان الا ابن دينه فلا نترك التقوى اتكالا على النسب
لقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الشرك الحبيب ابا لهب

لم يعرف الإسلام عصبية الجنس ولا عصبية اللون ولا عصبية الدم قال صلى الله عليه وسلم (ليس منا من مات على عصبية وليس منا من قاتل على عصبية) .

وأمر الإسلام بالمعطف والاحسان على الفقير والضعيف والخادم والأجير
قال صلى الله عليه وسلم (أخوانكم خولكم أطمعوه مما تأكلون والبسوه مما
تلبسون ولا تكلفوهم مالا يطيقون) .

وقد دخلت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان على زوجها أمير المؤمنين عمر
ابن عبد العزيز فوجدته يبكي حتى اخضلت لحيته ، فقالت ما يبكيك يا أمير
المؤمنين فقال عمر بن عبد العزيز :

تذكرت الفقير الجائع والمريض الضائع والعمى المحزون وذوى العيال
الكثير والمال القليل واشباههم في بقاع الارض وأقطار البلاد وعلمت أن خصيمنى
دونهم محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فخشيت ألا تثبت لى حجتى
فرحمت نفسى فبكيت .

دعا الإسلام أتباعه الى القوة العاقلة الحكيمة التى تجند نفسها دفاعا
عن دين الله وتشبيها لمبادئ الحق والعدل والانسانية (اذن للذين يقاتلون بأنهم
ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) .

ودعا الإسلام الى السلام حين يكف المعتدون عن العدوان فقال سبحانه
(وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم)

أيها المسلمون 1

هذه مبادئ دينكم وأهداف اسلامكم ، قوة لاعدوان فيها وسلام لضعف
فيه وهداية ورحمة للبشرية لامصبية فيها ولا عنصرية قال تعالى

(ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) .

وتاريخ الإسلام ناصع مشرق فقد حمى جميع الحقوق الانسانية حتى
لمن لا يدينون به فقال صلى الله عليه وسلم (من ظلم معاهدا كان الله خصيمه
دونى) .

ورأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رجلا مسنا من اهل الكتاب يسأل
الناس فأخذه الى بيت المال وقال لكاتب الخراج انظر هذا وامثاله فأجعل لهم
راتبا شهريا يكفيهم فانا نكون ظلمناه اذا اخذنا منه الجزية قويا وتركناه
ضعيفا .

وقال صلى الله عليه وسلم (من يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا
والآخرة ومن أطعم جائعا أطعمه الله من ثمار الجنة والله فى عون العبد مادام
العبد فى عون أخيه)

اخوة الاسلام

يقول الله تعالى في كتابه الكريم

(انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) .

الاخوة الاسلامية بين المسلمين بنيان ثابت الأساس وطيد الدعائم
واركان الاسلام كلها تؤكد وحدة المسلمين وتبارك اخوتهم .

فشهادة أن لا اله الا الله التقاء على الايمان بالله واحد خالق رازق .

والصلاة ايضا رباط وثيق تتلاقى عليه مشاعر المسلمين وقلوبهم اذ
يتجهون نحو قبلة واحدة ورب واحد وغاية واحدة ، وحسب شعور المسلم
انه لبنة في هذا البناء العظيم المكون من ملايين المسلمين الذين يبدأون الصلاة
بالتكبير ويختمونها بالتسليم .

والصيام ايضا اتفاق روحي في شهر كامل يصوم فيه المسلمون سويا
ويفطرون سويا تأكيدا لوحدهم ودليلا على اخوتهم .

والزكاة في الاسلام تؤكد وحدة المسلمين في عطف غنيهم على فقيرهم
وكاسبهم على عاجزهم ورحمة قويهم لضعيفهم .

وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم دعائم الوحدة بين المسلمين
حين آخى بين المهاجرين والانصار وبارك الله هذا الاخاء فقال سبحانه (والفرق
بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم
انه عزيز حكيم) .

وكان الاسلام هو النسب الجديد والمثل الأعلى الذى يلتف المسلمون
حوله ويهتفون باسمه ويفدون به بحياتهم ويفخرون بانسابهم اليه .

روى أن قوما جلسوا يتفاخرون بانسابهم وسلمان الفارسي بينهم فقال
أحدهم لسلمان ابن من أنت ؟ فقال سلمان فى صدق واعتزاز أنا ابن الاسلام
وبلغت الكلمة عمر بن الخطاب فبكى وجعل يردد لها والدمع يتساقط على لحيته
ويقول وأنا ابن الاسلام وأنا ابن الاسلام .

هذا الاسلام هو الذى حول العرب الى قوة متماسكة وعزة فائحة ونور
يبدد الظلام وصدق الله العظيم (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) .

هذا الاسلام كان بلسم الشفاء وسعادة الاشقياء وانقاذا للمموزين
ورحمة بالحيارى والضالين ، قال تعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)

لقد عز المسلمون يوم اتبعوا دينهم واطاعوا ربهم فكان لهم النصر المبين
والفتح العظيم .

ويوم ان فرط المسلمون في دينهم وكلهم الله الى انفسهم (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) .

وقد سجل التاريخ صحائف من نور تؤيد خلود هذا الدين ، وصلاحيته للبقاء وقوته أمام الاعداء حتى في احلك الظلمات واقسى الآونات .

حدث التاريخ ان الروم اغاروا على عمورية في عهد الخليفة المعتصم ووقعت امرأة مسلمة اسيرة في أيدي الروم فكانت المرأة تهتف بالليل وتقول - وا معتصماه - وبلغ ذلك الخليفة المعتصم فسار بجيشه واستولى على عمورية وانتقم من الروم وخلص المرأة وحينما اغار الصليبيون على بيت المقدس واقاموا به سبعين عاما ذهب اليهم صلاح الدين واراهم كيف تكون الهزيمة في حطين .

وحين تجمع الاستعمار بعدته وعدده واراد القضاء على بور سعيد وقف المسلمون جميعا يؤيدون مصر حتى تم لها النصر على المعتدين .

(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)

ان القرآن كتاب الله نزل بلسان عربي مبين وليست العربية عصبية جنسية ولكنها لغة كل من دخل في الاسلام .

قال عليه الصلاة والسلام (الا ان العربية اللسان الا ان العربية اللسان . اذا عز العرب عز الاسلام واذا ذل العرب ذل الاسلام) .

وفي الحديث الشريف يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

(المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه) .

عجائب المخلوقات وقدرة الخالق

يقول الله تعالى في كتابه الكريم

(اهلّم ينظروا الى السماء ، فوفهم كيف بنيناها ، وزيناها وما لها من فروج ، والارض مددناها والقيينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركا ، فانبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد ، واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) ق ٦ - ١١ .

ايها المؤمنون :

هذه الآيات ترشدنا الى قدرة الله بديع السموات والارض فهو سبحانه يلفت انظارنا الى خلق السموات ليعتبر الانسان ويتعظ ويتأمل كيف رفع الله السماء بغير عمد وكيف زينها بالنجوم وكيف اتم خلقها وابدع تكوينها ، واكمل تركيبها ، وقد مرت عليها الآلاف السنين والاجيال ، ولم يحدث فيها خلل ولا اضطراب ، ولا تصدع ولا انشقاق ، (فتبارك الله احسن الخالقين ، الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) .

فلن يجد الباحث في السماء عيبا ، ولن يجد بها خلا ولا اضطرابا انها خلقة الله وهو على كل شيء فدير ، قال تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان ، فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين . ، فقضاهن سبع سموات في يومين ، واوحى في كل سماء امرها وزينا السموات الدنيا بمصابيح وحفلا ، ذلك تقدير العزيز العليم) . فصلت ١١ - ١٢ .

وفي السماء ملائكة مقربون لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ، قال صلى الله عليه وسلم (اطت السماء وحق لها ان تثنى ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك راکع او ساجد يسبح الله تعالى) ثم استوى سبحانه الى الارض فسطها وقدر فيها اقواتها وارزاقها ، وارسى فيها الجبال ، وانبت فيها النبات واجرى فيها الانهار ، قال تعالى (قل انتم كنتم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ، ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين) . فصلت ٩ ، ١٠ .

وبركات الله في الارض لا تحصى ، ونعمائه فيها لا تستقصى ، فقد أنبت الله فيها الكروم والاعتاب والثمار ، والحب والحنطة ، لناكل من رزق الله ونشكره على نعمائه ، ونتذكر فضله ونتأمل بديع صنعه .

ومن بركات الله أن سخر السحاب وأرسل الرياح ، وأنزل المطر لينبت النبات وينضج الثمار والنخيل والاعناب ، وهو سبحانه يخرج الحي من الميت فيخرج الدجاجة من البيضة ويخرج النهار من الليل ، ويخرج المؤمن من الكافر ، ويخرج الوليد من بطن أمه حيا ، وربما ماتت أمه بعد ولادته ، وكذلك يخرج الميت من الحي والنليل من النهار والكافر من المؤمن والسقط ميتا من أمه حال حياتها .

(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير انك على كل شيء قدير ، تولج الليل في النهار ، وتولج النهار في الليل ، وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ، وترزق من تشاء بغير حساب) . آل عمران ٢٦ ، ٢٧ .

هذا خلق الله وتلك بعض آيات قدرته ، فهل يليق بالعقل البشري أن يجحد خالقه وموجده ، وهل يصح في الاذهان أن توجد الدنيا عبثا ؟ أو يخلق الكون بدون اله مبدع ؟ .

فهذه السماء من خلقها ؟ وهذه الارض من بسطها ؟ وهذه الجبال من أرساها ؟ وهذه البحار من أجراها وهذا الليل من أظلمه ؟ وهذا النهار من أضاءه ؟ وهذه الشمس من سخرها ؟ وهذا القمر من أناره ؟ وهذه المخلوقات من خلقها ؟

من جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا ؟ .

هذا الماء العذب ينساب في دجلة والفرات وغيرهما من الانهار من الذي أنزله رحمة للعالمين وحياة للارض بعد موتها .

(أفرايتم الماء الذي تشربون ، أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون) الواقعة ٦٨ . ٧٠ .

ثم أنت أيها الانسان من خلقك ؟ من صورك في أحسن تقويم ؟ وأبدع تركيب من شق لك للتظرف مئينين ؟ وللمسمع اذنين ؟ وللبطش يدين ؟ وللمشى رجلين ؟ وللسان وشفتين ؟ من هدالك النجدين ؟ وبين لك الطريقين ؟ من يعطيك إذا سألت ؟ من يشفيك إذا مرضت ؟ من يجيبك إذا دعوت ؟ .

(أم من يجيب المضطر إذا دعاه ؟ ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض الله مع الله قليلا ماتذكرون)

يقول الله تعالى في الحديث القدسي (أنا والجن والانس في نيا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر سواي خيري الى العباد نازل وشرهم الى صاعد) .

ومن ابي ذر رضى الله عنه قال ، قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا ابا ذر احسن العمل فان الناقد بصير وخفف ظهرك فان العقبة كؤود واستكثر الزاد فان السفر بعيد ، يا ابا ذر والذى نفس محمد بيده لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبين على ماتعملون ، ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا وانها لجنة ابدأ او لنار ابدأ .
هدانا الله واياكم الى الصراط المستقيم ووفقنا لمرضاة رب العالمين .

السلام في الاسلام

يقول الله تعالى في كتابه الكريم

(يا ايها الناس قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)

ارسل الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل ليديمو الناس الى دين الله ويخرجهم من الضلالة الى الهدى ومن الظلمات الى النور وقد جمع المسلمين على معاني الخير والفضيلة والبر ، والرحمة والاخاء، والمودة والاحسان ، وصلة الرحم واصلاح ذات البين قال تعالى : (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) وحرم الخلاف والشقاق والعداوة والبغضاء ، لانها تفسد القلوب وتفرق الصفوف ، وتوهن الجماعة .

قال تعالى :

(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين)
وقال صلى الله عليه وسلم : لا تبغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا .

الا وان الامة العربية اليوم في امس الحاجة الى توفير الوقت والجهد كي تصلح شأنها وتدعم قواها ، والحق ان المسلمين في سباق مع الزمن كي يدركوا مافاتهم من تقدم في شئون العمران ومظاهر الحضارة المادية والمعنوية ، واذا كان السلام نافلة بالنسبة لغيرهم فهو بالنسبة اليهم ضرورة واجبة ، حتى يستطيعوا ان يثمروا اموالهم ويحيوا موات ارضهم ويشيدوا المصانع الضخمة

التي ترفع مستواهم وتقضى على البطالة والتخلف وتتيح الفرص للعمل والانتاج .

أيها المسلمون

ان السلام روح دينكم ودموة الله لكم وهو آية في قرآنكم وسنة من هدى نبيكم فاحرصوا عليه فانه سبيل وحدنكم وآية عزكم وطريق مجدكم فيد الله مع الجماعة والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه .

عودوا الى الاسلام وادخلوا في السلم كافة واتركوا الشحناء والبغضاء فالاسلام دين السلام والوثام ، والله عز وجل اسمه السلام (هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام) والايمن بالله هو اخلاص القلب واسلام الوجه للخالق سبحانه والانقياد لله رب العالمين قال تعالى (فالاحكم اله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين) .

واسم الاسلام نفسه مشتق من صميم مادة السلام ، والمؤمنون بهذا الدين لم يجدوا لأنفسهم اسما افضل من ان يكونوا المسلمين (ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) .

وتحية اهل الاسلام فيما بينهم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وختام الصلاة عندهم سلام على اليمين وسلام على اليسار كأنهم يبدأون أهل الدنيا من كل نواحيها بالسلام بعد ان فارقوها بخواطرهم لحظات انصرفوا فيها لمناجاة الله الملك القدوس السلام ولقد نزل القرآن في ليلة كلها سلام تحف به ملائكة السلام قال تعالى (انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر)

وأول ما يلقي الله به عباده تحية السلام (تحيتهم يوم يلقونه سلام) والجنة نفسها اسمها دار السلام (لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) .

ولن يتأخر المسلم عن دعوة السلام ولن يردها ابدا (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم) ، (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة) .

وقد سلك الاسلام سبيل التدريب العملي في ترويض النفس على السلام عند الاحرام بالحج فمتى أهل المسلم به فقد حرم عليه منذ تلك اللحظة الا يفص ظفرا او يحلق شعرا او يقطع نباتا او يقتل حيوانا ، او يرمى صيدا او يؤذى أحدا بيد او لسان حتى لو وجد قاتل أبيه وجها لوجه لما استطاع ان يمسه بسوء ، قال تعالى (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج)

ان الدين يدمونا الى الصفح والعتو والمغفرة والتسامح قال تعالى

(**وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصبح فاجره على الله**) وفي

الحديث

(اذا كان يوم القيامة ينادى مناد من قبل الله تعالى من كان اجره على الله فليقم فلا يقوم الا من عفا) فذلك قوله تعالى (**فمن عفا واصبح فاجره على الله**) اى ثوابه عند الله ياخذه احوج مايكون اليه .

ان العفو عند المقدرة والتجاوز عن الهفوات والتسامي عن الزلات من شأن المؤمن الواثق بالله المتوكل عليه (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم (ثلاث أقسم عليهن ما نقص مال عبد من صدقة وما زاد الله عبدا يعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه) .

ولهذه صفات عباد الرحمن وهى السلام لمن اساء والغفران لمن اخطأ قال تعالى (**وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**) .

الايمان بالله

اهم اصل من اصول الاسلام ، الاعتقاد بالله ، والاعتقاد بالله يكاد يكون هاما بين الشعوب ، ولكن الاسلام وضع حقيقة الالهية . فليس الله اله قبيلة ولا اله امة العرب وحدهم ، ولا اله الناس وحدهم ، بل هو اله كل شىء ، ورب العالمين ، وكل شىء فى الوجود مخلوق له وخاضع لامره .

(**الله مافى السموات ومافى الارض**) (**هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا**) ، (**له مافى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى** ، **الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى**) وهو اله واحد فليس هناك اله للخير واله للشر ، وليس هناك اله للجمال ، واله للرياح ، وليس هناك من يشاركه فى الوهيته ، (**فاعلم انه لا اله الا الله**) ، (**وما من اله الا اله واحد**) (**وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد**) .

والايمان بالله يستتبع الايمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث والحشر والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب ويستتبع القيام بأركان الاسلام وهى الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا . وهى عقائد تؤدى فى مجموعها الى تهذيب النفس والتمسك بمكارم الاخلاق واخلاص القلب لله ودوام مراقبته والاعتماد عليه .

وعلى لسان ابراهيم الخليل ، يقول القرآن (**الذى خلقنى فهو يهدين**) **والذى هو يطعمنى ويسقنى واذا مرضت فهو يشفين** ، **والذى يميتنى ثم**

يحيين والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي حكما والحقنى
بالصالحين) الشعراء ٧٨ - ٨٣

ايها الانسان الضعيف من يشفيك اذا مرضت ؟ ومن يجيبك اذا دعوت ؟
ومن يعطيك اذا سالت ؟ (ام من جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل
لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا الله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون
ام من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض الله مع
الله قليلا ما تذكرون) ٦١ - ٦٢ - النمل .

هذه السماء من رفعها ؟ وهذه الارض من بسطها وهذه البحار من
اجراها وهذه الشمس من سخرها وهذه الافلاك من سيرها وهذا الليل من
اظلمه وهذا النهار من اضاءه وهذا النبات من انبته وهذا الانسان من كونه ؟ .
من جعل له عينين ولسانا وشفقتين وهداه التجدين وبين له الطريقين .

(ياايها الانسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى اى
صورة ماشاء ربك ، كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
يعلمون ما تفعلون) الانفطار ٦ - ١٣

يسال الملحدون عن الدليل على وجود الله ، وهل خفى وجوده حتى
يحتاج الى دليل ؟ دليل وجود الله هذه المخلوقات فانها حادثه وكل حادث لابد
له من محدث موجود وذلك المحدث الموجود هو الله سبحانه وتعالى .

دليل وجود الله هو الفطرة والالهام والوحى والشرائع ، والكتب المنزلة
والانبياء والرسول ، بل كل الموجودات وجميع المخلوقات تدل على وحدانيته
وكمال قدرته ،

وفى كل شىء له آية تدل على انه الواحد

سئل الامام الشافعى بم عرفت الله قال بالنبطة نصفها يلسع ونصفها
يعسل .

وسئلت رابعة العدوية بم عرفت الله ؟ قالت عرفت ربي بربي ولولا ربي
ماعرفت ربي ، اى هدانى الله الى معرفته ومحبته ولولا فضله وتوفيقه ماهديت
اليه ، وكان دعاء رابعة

الاهى غارت النجوم ونامت العيون وبقيت انت يا حى يا قيوم ، الاهى
اغلقت الملوك ابوابها وسكن كل حبيب الى حبيبه الاهى فانت حبيبى ، ولو
طرردتى عن بابك ما طردت لعلمى بعظيم فضلك وعميم جودك .

وسئل الحلاج بم عرفت الله قال بجمعه بين الضدين فهو اول بلا ابتداء
وهو آخر بلا انتهاء وهو ظاهر فى كل ماتراه العيون وهو باطن غير مرئى ، فليس
كما ولا كيفا ، ولا يحده مكان ولا يحويه زمان (لا تدركه الابصار وهو يدرك

الابصار) ليس جوهرًا وليس عرضًا وليس جسمًا ولا حالًا في جسم وليس
كمثله شيء وهو السميع البصير .

هو اول هو آخر هو ظاهر هو باطن

ليس العيون تراه

وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والارض يحيى ويميت وهو على كل
قدير هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) .

هدانا الله واياكم سواء السبيل فانه نعم المولى ونعم النصير ،

الاسلام عقيدة وعمل

اشتملت تعاليم الاسلام على عقائد واعمال

(رضيت بالله ربا وبالاسلام دينًا وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
نبيًا ورسولًا)

والايمان بالله يمد الفرد بثقة وطمأنينة بأن وراء هذا الكون الاله سميما
بصيرا مجيبا بيده الخلق والامر وهو على كل شيء قدير .

(كل يوم هو في شأن) وهي شئون يبدىها ولا يتبدىها يشفى مريضا
ويمرض سليما ويعافى مبتلى ويبتلى معافى ويدل عزيزا ويعز ذليلا ويفنى فقيرا
ويفقر غنيا . لا معقب لامره ولا راد لقضائه يسخر الشمس والقمر ويولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل يدبر الامر يفصل الايات لعلم بلقاء
ربكم توقنون .

(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز
من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير) ٢٦ آل عمران

ضل الجاحدون وخسر المنكرون ، كيف ينكرون وجوده وببده خلقهم
وبقدرته رزقهم وهو العليم بسرهم وعلانيتهم قال تعالى

(ألم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة
الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو
معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم)
٧ - المجادلة

ان هذا الكون البديع المنسق لا يمكن أن يوجد عبثا أو يترك سدى
قال تعالى :

(افحسبتتم انما خلقناكم عبثا وانكم اليينا لاترجعون فتعالى الله الملك
الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم)

بل ان تقدم العلم ووضوح نظرياته كان سبيلا الى تأكيد الايمان بالله
العلی القدير يقول (رسل تشارلز ارنست) استاذ الاحياء والنبات بجامعة
فرنكفورت بالمانيا :

(لقد وضعت نظريات عديدة لكي تفسر نشأة الحياة من عالم الجمادات
فذهب بعض الباحثين الى ان الحياة قد نشأت من البسروتوجين ، او من
الفيروس ، او من تجمع بعض الجزئيات البروتينية الكبيرة وقد يخيل الى
بعض الناس ان هذه النظريات قد سدت المعجزة التي تفصل بين عالم الاحياء
وعالم الجمادات، ولكن الواقع الذي ينبغي ان نسلم به ، هو ان جميع الجهود
التي بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية قد باءت بفشل وخذلان
ذريعين . ومع ذلك فان من ينكر وجود الله لا يستطيع ان يقيم الدليل المباشر
للعالم المتطلع على ان مجرد تجمع الذرات والجزئيات من طريق المصادفة يمكن
ان يؤدي الى ظهور الحياة وصيانتها وتوجيهها بالصورة التي شاهدناها في
الخلايا الحية وللشخص مطلق الحرية في ان يقبل هذا التفسير لنشأة الحياة،
فهذا شأنه وحده ولكنه اذ يفعل ذلك، فانما يسلم بأمر اشد اعجازا او صعوبة
على العقل من الاعتقاد بوجود الله الذي خلق الاشياء ودبرها الى ان يقول :
اننى اعتقد ان كل خلية من الخلايا الحية قد بلغت من التعقد درجة يصعب
علينا فهمها وان ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الارض
تشهد بقدرة الله شهادة تقوم على الفكر والمنطق فانى اؤمن بوجود الله ايمانا
راسخا) .

ايها المؤمن :

ان الاعتقاد بوجود الله يرشد اليه العقل السليم والنظر والنطق والبحث
والفكر والتأمل .

وقديما وقف قس بن ساعدة الايادى يخطب في سوق عكاظ فقال

نامعشر اياد اين الآباء والاجداد اين الفراعة الشداد من بنى وشيد
وزخرف ونجد طحنهم الثرى بكللكه وفناهم بتطاوله مالى ارى الناس يذهبون
فلا يرجعون ارضوا بالمقام هناك فأقاموا ام تركوا هناك فناموا .

يامعشر اياد ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا سماء ذات ابراج
وبحار ذات امواج وارض ذات فجاج الا يدل ذلك كله على اللطيف الخبير .

والادبان جميعا تكاد تتفق على الايمان بوجود الله . حتى عبدة الاصنام
كانوا يقولون (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) .

فبين الله انه غنى عن الوسطة والزلفى قريب لمن ناداه مجيب لمن دعاه
قال تعالى

(واذا سئلك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان
فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) ١٨٦ - البقرة

ايها المؤمنون

آمنوا بالله ورسله واصدقوا فى ايمانكم ويقىنكم بربكم يرزقكم الله الهدى
والسداد والتوفيق والرشاد والمحبة بين العباد .

اخرج مسلم والترمذى ان رسول الله (ص) قال (اذا احب الله عبدا
نادى جبريل ان الله احب فلانا فاحبوه فيوضع له الحب فى السماء والارض)
فذلك قوله تعالى :

(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) اى مودة
ومحبة فى قلوب العباد .

هدانا الله واياكم سواء السبيل انه نعم المولى ونعم النصير .

الايمان

الايمان بالله قوة دافعة ، و يقين صادق ، ونعمة في الرخاء ، وامل في
البأساء ، ونور في الظلمات ، ورجاء في الملمات ، ودليل الى النجاة ، وعاصم
من الردى قال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) .
يونس ٩

والايمان بالله سبحانه وتعالى حافز على الصدق والاخلاص ودافع الى
العدل - والاحسان لأن المؤمن يمثّل أمر الله ويرضى بحكمه ، والله تعالى يقول
(ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) النحل ٩٠

أمرنا الله بالخير وصلة الرحم وحثنا على مكارم الأخلاق ونهانا عن
الرديلة والمنكر وحدرنا من الظلم والبغى وكان صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة
ومثلاً أعلى في سلوكه وهديه وعمله ، وما ترك شيئاً يقربنا من الله الا أمرنا به
ولا ترك شيئاً يبعدنا عن الله الا نهانا عنه .

وفي الحديث الشريف يقول النبي صلى الله عليه وسلم .

(أمرنى ربي بتسع الاخلاص لله في السر والعلن ، والقصد في العنى
والفقر والعدل في الرضا والغضب ، وان اعفوا عن ظلمنى وأصل من قطعنى
وأعطى من حرمنى وأن يكون صمتى فكراً ونطقى ذكراً ونظرى عبرة) .

وبهذه المعانى الجليلة تطهرت نفوس المسلمين ، وكملت مكارم اخلاقهم
فكانوا روحاً جديداً ، ونوراً جديداً ، يشرق بالاسلام ويعمل بأداب القرآن ،
فوجهبهم الله العز والنصر وصاروا خير أمة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله وتلك حقيقة الايمان ، المؤمن حقاً صادق
الحديث لا يكذب ولا يخدع ولا يخون الامانة .

قال صلى الله عليه وسلم (يامعشر الناس اضمنوا لى ستا اضمن لكم
الجنة اصدقوا اذا حدثتم وأوفوا اذا عاهدتم وأدوا الامانة اذا اؤتمنتم وغضوا
أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم) .

تلك صفات المؤمن وهى صفات تحمل معنى الاستقامة والنزاهة وسلامة
الضمير قال تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة
الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون) فصلت ٣٠ .

وفي الحديث الشريف أن رجلا قال يارسول الله قل لى فى الاسلام قولا
واقبل فيه لعلى اعيه .

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : (قل آمنت بالله ثم استقم) .
للمؤمن حقا : يراقب الله فى السر والعلن ويخلص له العمل ويخضع قلبه
لذكر الله تعالى (الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها متانى تقشعر منه
جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) الزمر ٢٣
المؤمن حقا : محافظ على الصلاة مؤد للزكاة يفض بصره عن المحرمات
ويحفظ فرجه عن الاثم والفواحش، هو ابر الناس باهله واسرته واحق الناس
برضى الله وواسع رحمته قال تعالى : (قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم
خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم
لغروجهم حافظون الا ازواجهم او ماملكت ايماهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى
وراء ذلك فاولئك هم العادون ، والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين
هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون) المؤمنون ١- ١١

المؤمن حقا صادق اليقين قد آمن بالله وبا ، وبالاسلام ديننا ، وبمحمد
صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ، قال تعالى (ياايها الذين آمنوا آمنوا بالله
ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله) .

المؤمن حقا : عادل فى رضاه وغضبه ، معتدل فى نفقته ليس من البخلاء
الاشحاء ، ولا من المسرفين المبذرين ، قال تعالى (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) الفرقان ٦٧

المؤمن حقا : يصدق برسالات الله ، وبملائكته وكتبه واليوم الاخر قال
تعالى (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسوله لانفرق بين احد من رسلة وقالوا سمعنا واطعنا فغفرانك ربنا
واليك المصير) البقرة ٢٨٥ .

شهادة اتصاف للدعوة المحمدية

كانت رسالات الانبياء جميعا دعوات هادفة استهدفت شرف الانسان
وسعادته ، وكانت آخر الرسالات السماوية رسالة الاسلام ، فامتت مكارم
الاخلاق ، وارست دعائم الفضيلة والعدالة وحدثت من الرذيلة والاثم . قال
صلى الله عليه وسلم : «انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » .

وقد عبر العلامة «هيل» فى كتابه «حضارة العرب» عن اثر الدعوة
المحمدية بهذه الكلمة القوية فقال :

ان جميع الدعوات الدينية قد تركت اثرا فى تاريخ البشر ، وكل رجال
الدعوة والانبياء قد اثروا تأثيرا عميقا فى حضارة عصرهم واقوامهم ، ولكننا

لانعرف في تاريخ البشر أن دينا انتشر بهذه السرعة وغير العالم بأثره المباشر كما فعل الاسلام ، ولانعرف في التاريخ دعوة كان صاحبها سيدا مالكا لزمانه ولقومه كما كان محمد .

لقد أخرج أمة الى الوجود ومكن لعبادة الله في الارض ، وفتحها لرسالة الطهر والفضيلة ، ووضع أسس العدالة والمساواة الاجتماعية بين المؤمنين ، وأحل النظام والتناسق والطاعة والعزة في أقوام لانعرف غير الفوضى .

وليتبين لنا واضحا أثر الدعوة المحمدية في التهذيب والاصلاح نذكر موقف جعفر ابن أبي طالب أمام النجاشي ، فهو موقف يدل على امتلاك الدعوة المحمدية لنفوس المؤمنين كما يبين لنا موضوع الدعوة نفسها كما فهمها المهاجرون والمهاجرات .

خرج جعفر بن أبي طالب مع جمع من المسلمين الأولين مهاجرين من مكة الى الحبشة فرارا بدينهم ورغبة في عبادة الله بعيدا عن قومهم ، فأرسلت مكة أثرهم رجلين من دهاتها : هما عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة ، ومعهما هدايا قيمة للنجاشي ولكبار حاشيته ، ولما قدما الهدايا ، طلبا من النجاشي أن يسلم المهاجرين لهم ، ولكنه أبى أن يسلم المهاجرين لكفار مكة حتى يسمع قولهم . ثم دعا النجاشي المهاجرين وسألهم قائلا : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا دين أحد من هذه الملل ؟

فقام جعفر ، وكان اللاجئون قد اختاروه ، وانفقوا على أن يقولوا ما علموا ، وما أمر به النبي ، كائنا في ذلك ما هو كائن . فقال : أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأني الفواحش ، ونقطع الرحم ، ونسئ الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته ، وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به ، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا ، وضيقوا علينا الخناق ، فخرجنا الى بلادك ، ورجبنا في جوارك ، ورجونا الا نظلم عندك أيها الملك .

فقال النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ فقال جعفر : نعم ، قال النجاشي : فاقرأه ، فقرأ صدرا من «كهيعص» فبكى النجاشي ، ثم قال ان هذا والله والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة .

هذه هي دعوة الاسلام ، وهذا هو اثرها في هداية النفوس واصلاح
القلوب ، قال تعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)
الاسراء/ ٨٢ .

نعمة الاسلام

ارسل الله الرسل وانزل عليهم الكتب ليكونوا معالم هادية ، وامارات
مضيئة ودعاة للهدى والرشاد . قال تعالى : (لوسلا مبشرين ومنذرين لئلا
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما .

وقد ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل
فهدى به الناس من الضلالة الى الهدى وخرجهم من الظلمات الى النور .
قال تعالى : (ياايها الناس قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله
من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم
الى صراط مستقيم) .

لقد كان الاسلام دينا عاما للعرب والعجم والانس والجن ، قال تعالى :
(وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) .

وكان القرآن روحا وحياة وبعثا ، ونداء الهيا جمع المسلمين على الوفاء
والصفاء والاخاء والمحبة والرقى والتقدم ، ونادى القرآن جميع الناس ان
ربكم وان اباكم واحد .

قال تعالى : « ياايها الناس اتقوا ربكم السلى خلقكم من نفس واحدة وخلق
منها زوجها » .

دعا القرآن الى مكارم الاخلاق وامر الناس بالصدق والوفاء واداء
الامانة ، ونهاهم عن الكذب والرذيلة وذم الصفات . قال تعالى : « ان الله
يامر بالعدل والاحسان وايتناء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى)» .

قضى الاسلام على معالم الجاهلية البالية ونهى عن ترفع الكبراء
وتعظيمهم على الضعفاء وبين ان الناس جميعا امام الله سواء يتفاضلون عنده
بالتفوى ويدركون ثوابه بالعمل الصالح ، فلا فضل لعربى على عجمى ولا
لابيض على اسود ، ولا فخر لجنس او دم او عنصر على آخر ، فالانسان
هو الانسان ، خلقه الله بيده واسجد له ملائكته ونفخ فيه من روحه وميزه
على جميع الوجودات وسخر له كل ماخلق الله فى السماء والارض .

قال تعالى : « ولقد كرمتنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من
الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

وقد لفت القرآن انظار الناس الى الكون وما فيه وامرهم ان يتفكروا
فى ملكوت السموات والارض وان ينظروا الى السماء ومن رفعها ؟ والارض

من بسطها ؟ والجبال من أرساها ؟ والبحار من أجزاها - والنهار من أضاءه ؟
والليل من اظلمه ؟ والانسان من خلقه في أحسن تقويم ؟ قال تعالى : « أم من
جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين
حاجزا الله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون » . (سورة النمل الآية ٦١) .

بين الدين الاسلامي ان المؤمن قوى لا يضعف ، عزيز لا يدل ، شجاع
لا يجبن ، وان الاجل بيد الله ، وان الرزق بيد الله ، وان المؤمن يتحمل
المصائب في صبر ويقين ، وثقة بأن بعد العسر يسرا ، وان بعد الشدة فرجا .
وامر المؤمن الا يضعف عند المحنة ، ولا يتزعزع عند البلاء فالأيام دول يوم لك
ويوم عليك ، وبعد شدة الظلام يأتي نور النهار .

قال تعالى : (ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين) .

وضح القرآن ان الله قريب من المؤمن يسمع النداء ويجيب الدعاء
ويقبل التوبة ويجود بالمغفرة ، وهو اله رحيم عادل فينبغي ان تكون عبادتنا
له عن حب وولاء ، لا عن خوف ورهبة .

قال تعالى : (واذا سالك عبادي عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع
اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون) .

ومن رحمة الله بالانسان انه لم يكلفه بما لا يطيق ، وانه يسر عليه كثيرا
مع الفرائض وامر المريض والمسافر ان يؤجل صيام رمضان الى وقت آخر
فقال تعالى : (ومن كان مريضا او على سفر فعنة من ايام اخر) . وجعل
العبادات والفرائض متناسبة مع طبيعة الانسان فالوضوء والاعتسال
والطهارة كلها تجعل المسلم نظيفا سليما قويا والمؤمن القوى خير من المؤمن
الضعيف .

والصلاة رياضة روحية ومناجاة من المخلوق للخالق ، ودعاء من العبد
للاله سبحانه ، والزكاة ترابط وتماسك بين طبقات المجتمع ووسيلة من
من وسائل المشاركة والتقارب بين الاغنياء والفقراء ، والصوم صفاء للنفس
وراحة للمعدة المتعبة ، وتعود على امثال امر الله وطاعة الخالق سبحانه ،
والحج مؤتمر اسلامي عام يجتمع فيه المسلمون من كل بقاع الارض للتعارف
والتآلف والتشاور فيما ينفعهم ويعود عليهم بالخير . وشهادة ان لا اله الا الله
معناها ان الله هو الخالق الرازق الذى يستحق العبادة ، وتنحنى له الجباه .
وشهادة ان محمدا رسول الله اعتراف بأنه بلغ الرسالة وادى الامانة وكان
رسول الانسانية وخاتم الانبياء والمرسلين ، جمع الله به المسلمين فكانوا امة
واحدة مترابطة متماسكة ، تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر وترقع راية الحق
والعدل ، وتواكب ركب الحضارة وتساهم في تقدم البشرية وترسى دعائم
الاخلاق والقدوة الحسنة .

قال تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وتؤمنون بالله) .

حلاوة الايمان

تعددت نعم الله على الانسان ، فهو سبحانه فاطر السموات والارض
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ، هو رافع السماء بلا عمد وهو
الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وهو الذي يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
أحد ، بيده الخلق والامر ، امره بين الكاف والنون اذا اراد شيئا قال له كن
فيكون . هو الذي بسط الارض ، وارسى الجبال ، واجرى البحار ، وظلم
الليل وأضاء النهار ، هو الذي سخر الشمس ، وسير القمر ونجم النجوم ،
وأبدع الافلاك وسخر البحار والانهار ، قال تعالى (وان تعنوا نعمة الله
لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار) ابراهيم : ٣٤ .

سئل الامام الشافعي : بم عرفت الله ؟ قال : بالنحلة : نصفها يلسع
ونصفها يعسل .

وسئل الحلاج : بم عرفت الله ؟ قال بجمعه بين الضدين فهو اول وآخر
وظاهر وباطن .

وسئلت رابعة العدوية : بم عرفت الله ؟ قالت : عرفت ربي بربي ،
ولولا ربي ما عرفت ربي .

وكثر حنين العارفين والمؤمنين في مناجاة ربهم ودعائهم له وتبتلهم بذكره
وتغنيهم بحبه آناء الليل وأطراف النهار .

كان من دعاء رابعة العدوية : الهى ان كنت أعبدك شوقا الى الجنة
فاحرمنى منها . وان كنت أعبدك خوفا من النار فأحرقنى بها ، وان كنت
أعبدك لذاتك لأنك تستحق العبادة فلا تحرمنى من نور وجهك الكريم يارب
العالمين .

ويروى أن الحجاج كان في الصحراء ، وجاء وقت الغداء ، فقال لاتباعه
التمسوا لنا رجلا من أهل هذه البادية ليأكل معنا .

فبحث اتباع الحجاج عن رجل ، وبعد مشقة كبيرة عثروا عليه واحضروه
فقال الحجاج للرجل : أتدرى لماذا دعوتك الى هذا المكان ؟

قال الرجل لا .

قال الحجاج : دعوتك لتتناول معى طعام الغداء .

فقال الاعرابى : دعائى من هو خير منك فأجبت .

فعلم الحجاج أن الاعرابى صائم وقال له : اتصوم فى هذا اليوم الشديد الحر ؟

فقال الاعرابى : صمت ليوم اشد منه حرارة .

فقال الحجاج لاتباعه : قدموا الطعام حتى يراه فتشتاق اليه نفسه فيأكل معنا .

فلما رأى الاعرابى الطعام قال : ان فى الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

واخيرا قال الحجاج للاعرابى : كل معى هذا اليوم وصم غدا .

فقال الاعرابى للحجاج : ان ضمننت لى ان اميش الى غد ضمننت لك صيام غد .

وانصرف الاعرابى صائما صوم تطوع من غير ان ياكل على مائدة الحجاج .

رسالات السماء ثورة على الباطل

ارسل الله الرسل وانزل عليهم الكتب لهداية الناس واخراجهم من الظلمات الى النور (وسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) .

وكانت رسالات السماء دعوات هادفة ، وثورات اصلاحية ، استهدفت شرف الانسان وتحطيم الظلم ومقاومة الباطل ، وتربية الاجيال حتى تدافع عن نفسها ، وتسترد كرامتها وحقها (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ؛ ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين) .

وصف ابراهيم يصاول النمرود ويشرح له قدرة الله العالوية ، فهو الذى رفع السماء وبسط الارض وارصى الجبل وسخر الشمس والقمر والليل والنهار ووضع نظاما سليما يدور الفلك بمقتضاه (لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون) .

وقد جادل النمرود ابراهيم ، وحاول اثبات وجوده وقدرته على العقو عن محكوم عليه بالاعدام وقتل انسان من عامة الناس . وهى مغالطة مكشوفة لان خالق الروح وواهب الحياة هو الله وحده . ولكن ابراهيم رد عليه ردا محسوسا ملموسا مفعما فى نفس الوقت (ألم ترى الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان اتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذى يحيى ويميت قال انا احببى واميت قال ابراهيم فان الله ياتى بالشمس من الشرق فات بها من المغرب فهبت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين) .

وتكررت قصة الجهاد والكفاح مع كل انبياء الله ورسله وكان كل نبي يدعو الى توحيد الله والى الكف عن الفساد والافساد ويحارب ماشاع بين قومه من رذائل ، ويقوم العوج ويصوب الخطأ ويرشد الى العمل النافع والسلوك السوى ويحث على مكارم الاخلاق وحميد الصفات ، وبذلك اشتركت الانبياء والرسل في تطور البشرية وارساء معالم الفضيلة ووضع دعائم القيم النافعة .

قال صلى الله عليه وسلم : (انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) .

اى ان كل نبي كان يضع سلما ويبنى دعامة ويرسى اساسا لتكامل الفضيلة ، ونشر الاخلاق وكانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تتويجا لمبادئ الرسل وختامها لاهداف الرسالات واغراض النبوات .

روى البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انما مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فاتمها واكملها الا موضع لبنة فجعل الناس يقولون لو وضعت هذه اللبنة فانا هذه اللبنة وانا خاتم الرسل » .

ومن هذا الحديث يتضح ان بين الانبياء اخوة في الهدف والغاية فكلمهم دعاة للحق والعدل وكلهم هداة الى النور والايمن وكلهم مصابيح مضيئة وانوار ، تكشف زيف الباطل وتظهر قوة الحق .

« فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال » .

لقد كان الاسلام في حقيقته ثورة على ظلمات الجاهلية واثمها وكان دعوة الى العدل والاخاء والتسامح والترابط . وكان فكرة جديدة تستهدف شرف الانسان وسعادته وقد حمل القرآن على الشرك والالحاد وحارب الكفر والوثنية ونزلت آيات القرآن تلفت نظر الانسان الى انه لم يخلق عبثا ولن يترك سدى وأن للحياة هدفا ساميا ورسالة مقدسة هي نصرة المظلوم ومعاونة المحتاج ومساعدة الضعيف ومؤازرة الحق ومكافحة الباطل .

(ان الله يامر بالعدل والاحسان وابتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) .

الايمن سبيلنا الى النصر

ارسل الله الرسل وانزل عليهم الكتب ليكونوا معالم هادية . ومنارات مضيئة وسبلا للهدى والرشاد (رسلا مبشرين ومنذرين لتلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) .

وقد كان إيمان المؤمنين وجهادهم في سبيل العقيدة والمبدأ سجلا حافلا بالتضحية والفداء ، وحفل تاريخ البشرية بجهاد المصلحين وبطولات المؤمنين . وكفاح الانبياء والمرسلين لقد وضع في النار ابراهيم ، واضجع للديح اسماعيل .

وذهب فتية مؤمنون الى الكهف فرارا بدينهم واخلصا لربهم فأرسل الله عليهم النوم في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا .
ثم بعثهم الله من نومهم وايقظهم من رقادهم ليلمس الناس قدرة الله على البعث بعد الموت قال تعالى (ماخلفكم ولا بهتكم الا كنفس واحدة) وفي الحديث الشريف (والذي نفس محمد بيده لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون) .

أيها المؤمنون : لقد ورد في السنة أن من قرأ سورة الكهف كانت له نورا من الجمعة الى الجمعة ، لأنها حوت من القصص الهادف ثلاث قصص قصة أصحاب الكهف وقصة موسى والخضر وقصة ذى القرنين ، والقصص الثلاث تدور حول أهمية الايمان وجزاء المؤمنين .

فقصة اصحاب الكهف تصور بطولة رجال آمنوا بالله واعرضوا عن عبادة الاصنام وبلغ أمرهم الى الملك فتوعدهم بالعذاب وأمهلهم ثلاثة أيام حتى يعودوا الى دينهم او يقتلوا وقبيل انتهاء المهلة تسللوا في ظلام الليل الى الكهف وتبعهم كلب يحرسهم ويرعاهم واكلوا وشربوا وناموا وقد امتد نومهم مئات السنين ثم بعثهم الله من نومهم وقد طال شعرهم وامتدت أظفارهم واحسوا بالجوع فأرسلوا واحدا منهم يدعى يملیخا ليحضر لهم طعاما وأمروه أن يستخدم اللطف والكياسة حتى لا يطاردهم الملك الظالم ، واشترى يملیخا طعامهم وأعطى ثمن الطعام للبائع ففوجى البائع بأن النقود قد طبعت من مئات السنين وظن أن يملیخا قد عثر على كنز فسأل عن مكان النقود التي معه وسار وراءه الى الكهف وعثر الناس على الفتية السبعة وخرجوا من الكهف ذاهبين الى الملك واندعش أصحاب الكهف حين رأوا أن الجالس على عرش البلاد ملك مؤمن وأن الملك الكافر قد مات منذ زمن بعيد .

وقد اكرم الملك المؤمن وفادتهم وأنزلهم في قصره والبسهم أحسن الثياب وأظهر سروره البالغ بعودتهم للحياة في زمنه .

ولكن الفتية سألوا عن اهلهم وأقاربهم فوجدوا أنهم قد ماتوا من زمن بعيد فتألوا لوفاة أقاربهم وأندادهم وتمنوا من الله أن يقبض أرواحهم وأن يأخذهم الى جواره فقبل الله دعاءهم وعادوا الى كهفهم ثم قبض الله أرواحهم وبالحق الملك الصالح في اكرامهم فبشئ عليهم مسجدا يزوره الناس جيلا بعد جيل تقديرا للصالحين المجاهدين واقتداء بالشباب المؤمن الذي يرفض الهوان ويستجيب للايمان ويجاهد في سبيل العقيدة والمبدأ . وصدق الله

العظيم نحن نقص عليك نبأهم بالحق أنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه ألها لقد قلنا إذا شططا) .

أيها المؤمنون : تلك قصة أصحاب الكهف وهى رمز للتضحية والفداء فقد آمن الشباب بالله وامتصوا به ثم قاموا يدافعون عن الإيمان وينتقلون من بيوتهم وقصورهم الى كهف مظلم يمارسون فيه عبادتهم وصلاتهم ويتعرضون فيه لرضوان الله ورحمته وقد سجل القرآن أملهم فى رحمة الله بقوله على لسانهم (واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فآووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا) .

والقصة برهان لموسى على أن الله يحفظ المؤمنين ويسدد خطاهم ويربط على قلوبهم بالشجاعة والقوة وقد سجل القرآن نصر الله للمؤمنين الصادقين فى كل وقت وحين ، قال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع أجر من احسن عملا) .

أيها المؤمنون : ان الإيمان بالله والاخلاص له والعمل لمرضاته سبيل الى الفلاح والسداد قال تعالى (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

والترابط والتعاون والتساند قوة للصف وسبيل الى النصر .

(ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)

وليس لنا بديل عن الالتفاف حول ديننا وعقيدتنا والاهتداء بهدى الدين الحنيف والسنة المطهرة وأعمال السلف الصالح (اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) .

حقيقة المؤمن

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم :

(يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) محمد/٧ .

أيها المؤمنون ، المؤمن حقا من آمن بالله ربا وخالقا ورازقا وبالإسلام ديننا ومنهجنا ، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وقسوة وأسوة (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) الأحزاب/ ٢١ .

المؤمن حقا : يتبع تعاليم الدين ويحل الحلال ويحرم الحرام ويسير على الصراط المستقيم صراط الإسلام والقرآن وهدى محمد عليه الصلاة والسلام (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا واولئك هم المفلحون ، ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقنه فاولئك هم الفائزون) النور/ ٥١ ، ٥٢ .

المؤمن حقا صادق اليقين يراقب الله تعالى في سره وعلاتيته ويطيع الله ولا يعصاه ، ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجاهد في سبيل الله بنفسه وماله مخلصا في هدفه مضحيا بالعاجلة من أجل الآجلة ، مؤثرا طاعة الله ورضوانه على كل عرض من امراض الدنيا .

روى البخارى في صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ، ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواه ، وان يحب المرء لا يحبه الا الله ، وان يكره ان يعسود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار » .

المؤمن حقا لا يعرف الرياء ولا النفاق فهو طاهر السريرة نظيف القلب سليم الضمير يقيم الصلاة ويؤدى الزكاة ويدافع عن الحق ويحارب البغى والعدوان ، وليس الايمان دعوى باللسان بل هو تصديق بالجنان وعمل بالجوارح وسلوك فاضل وجهاد في سبيل الله وصدق ووفاء . قال تعالى : (قالت الأعراب آمننا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لايئتنكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم ، انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون) الحجرات / ١٤ ، ١٥

المؤمن حقا اذا ذكر الله وجل قلبه وذرف دمه وخشعت جوارحه وعلى يقينه هدى وايمانا . قال تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورضى كريم) الانفال / ٢ - ٤ .

المؤمن حقا خاشع في محرابه منيب الى ربه بعيد عن الفحشاء والمنكر واللغو واللغو محافظ على الحرمات سائر للمصوبات فامل للخيرات مؤد للزكوات قال تعالى (قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايماهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فالولئك هم المادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلاتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) المؤمنون / ١ - ١١ .

ايها المؤمنون :

لقد تمسك اسلافكم باهداف هذا الدين فكانوا يدا واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وكانوا العقول الجديد والفجر الجديد والنور الجديد ، وقد فتحوا البلاد باخلاقهم قبل ان يفتحوها بسيوفهم .

الم يؤن الأوان للأمة الإسلامية أن توحده صفوفها وتعرف طريقها وتجمع
قال تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من
الحق) الحديد/ ١٦ .

الم يأن للقلوب المؤمنة أن تتطهر ، وتبايع الله بيعا رابحا ، وتقدم لله
انفسا هو خالقها ، وأموالا هو رازقها ، لتشتري بذلك جنة عرضها السموات
والارض ومنفرة من الله اكبر (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة
والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهد من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به
وذلك هو الفوز العظيم ، التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون
الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر
المؤمنين) التوبة/ ١١١ ، ١١٢ .

الم يؤن الأوان للقلوب الشاردة وللشباب الفارغ أن يملأ قلبه بنور الايمان
كلمتها فان يد الله مع الجماعة وانما ياكل الذئب من الغنم القاصية ونحن امام
عدو شرس عنيد يضرب في كل مكان ويأخذ هذا ثم يأخذ ذلك فلو صرنا يدا
واحدة وقلبا واحدا لأخذنا على يد العدو العنيد ولرددنا له الصاع صاعين .
وقد امرنا الله بالتعاون والوحدة ونهانا عن الخلاف والفرقة ، قال تعالى :
(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) آل عمران/ ١٠٣ . وقال سبحانه
وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) .

الم يؤن الأوان للقلوب الشاردة وللشباب الفارغ أن يملأ قلبه بنور الايمان
وأن يرفع راية الجهاد والكفاح ، وأن نسير الكتائب وأن نجهز الجيوش لنصار
للمظلومين ونقتص للمستضعفين ، لقد حثنا الله على الجهاد وحرصنا عليه
وومدنا عليه الجراء الأوفى فقال سبحانه : (الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم
وهموا باخراج الرسول وهم بدموكم اول مرة اتخشونهم فالله احق أن تخشوه
ان كنتم مؤمنين فقاتلوهم يعذبهم الله يايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف
صدور قوم مؤمنين ويذهب فيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم
حكيم) التوبة / ١٣ - ١٥ .

أيها الشهداء الأبرار ، أيها المعتدى عليهم ظلما وعدوانا ، أيها المضروبون
في الجو زورا وبهتانا ، أيها الضحايا الأبرياء ، أيها السدماة الجارية أيها
الهوام الظامئة اصرخي الى الله باللعنات على بنى صهيون ، اصرخي في قومك
صادية حتى يثاروا لك .

كيف السكوت على لهيب النار ام كيف ينسى ناره ذو نار

يا ضمير الأمة الإسلامية ، يا رجال العروبة والاسلام ، يا شباب مصر
ويا رجالها بلادكم في خطر ، وطنكم يستصرخ بكم ان دافعوا عنه وحققوا له
النصر ، فاذا اطعمتم ربكم والتزمتم بحدوده ونفذتم احكامه صرتم خير أمة

أخرجت للناس ووافقكم نصر الله والفتح (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) آل عمران / ١٢٦ .

دعائم الايمان

قال تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) (البقرة ٢٨٥)

أيها المستمع الكريم :

تعتمد عقيدة الايمان على دعائم ثلاث :

الدعامة الاولى :

الايمان بالله ربا وخالقا ورازقا وبانه واحد لا شريك له ولا رب سواه (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن كفوًا أحد) .

الدعامة الثانية :

التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فقد أرسله ربه هاديا ومبشرا ونذيرا وأنزل عليه القرآن هدى ورحمة وجعله خاتم المرسلين وأمرنا ان تؤمن به وأن نصدق بأن الله أرسل رسلا وأنبياء كثيرين لهداية الناس (رسلا مبشرين ومنذرين لتلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) (النساء ١٦٥) .

الدعامة الثالثة :

الايمان بالبعث والحساب والجزاء حتى يثاب الطائع ويعاقب العاصي وهذا الايمان يتولد عنه اليقين بأن الدنيا ليست الا مزرعة للحياة الآخرة فمن أحسن في الاولى كان له الفوز في الثانية . قال تعالى : (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور) (الملك ١ ، ٢)

أيها المؤمن

ان ايمان المؤمن ليس قاصرا محدودا ولكنه اصيل هريق انه يمتد الى التصديق بجميع الرسالات والنبوات ويشمل الكتب التي أنزلها الله على انبيائه ورسله فالاسلام يوصي المؤمنين بأن يؤمنوا بالله وان يكون ايمانهم قائما على التصديق القلبي واليقين العقلي ، والحب الوجداني لله الخالق الرازق الذي أبدع الكون ورفع السماء وبسط الارض وأرسى الجبال وأظلم الليل

وأضاء النهار وسخر السحاب وأجرى البحار وأمسك بقدرته نظام الكون على نسق بديع وترتيب دقيق . قال تعالى : (أم من جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا الله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) (النمل ٦١) .

وليس الايمان كلاما يقال او الفاظا تردد ولكنه يقين صادق وعقيدة راسخة ينبعث عنها عمل سليم وسلوك فاضل . قال (ص) « ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل الا وان اقواما غرتهم الاماني خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله ، وكذبوا على الله لو احسنوا الظن لا حسنوا العمل » ،

ايها المؤمن :

ان الاسلام حلقة في سلسلة الرسالات الالهية وختام للدعوات الربانية والمسلم مأمور ان يصدق بانبياء الله ورسله جميعا فهم هداة للبشرية ودعاة للاصلاح ومصاييح تضيء للحيارى وتهدى الناس الى طريق الرشاد .

قال تعالى : (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون) . (البقرة ١٣٦) .

فكل الرسالات كانت من أجل تحرير الانسان وتصحيح العقيدة وارساء معالم الفضيلة والدعوة الى مكارم الاخلاق . قال (ص) : « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » .

وروى البخارى في صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « انما مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فآتمها وأكملها الا موضع لبنة فجعل الناس يقولون ما أحسن هذه الدار لو وضعت هذه اللبنة فانا هذه اللبنة وانا خاتم الرسل » .

تكريم الله للانسان

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

(ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .

خلق الله آدم بقدرته ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وميز الانسان وفضله على سائر الموجودات فاعطاه العقل والارادة وجعله كائنا مختارا في سلوكه وأفعاله . قال تعالى (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) .

فان اختار الانسان طريق الهداية وآثر الاستقامة فهو السعيد حقا ،
وان اختار الضلالة وآثر الهوى فهو المحروم حقا . قال تعالى (ونفسى
وما سواها فالهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاهها . وقد خاب من
دساها) .

اخى المؤمن :

لقد ميز الله الانسان وفضله على كثير من خلقه ، ولم يميزه بالاكل
والشرب ، ولا بالجماع والنسل ولا بالصورة والشكل . وانما يميزه بالعقل
والفكر ، وفضله بالارادة والعلم والمعرفة .

وفي الحديث الشريف : لما خلق الله النفس قال لها من انا ، قالت ومن
انا ؟ فعذبها بأشد انواع العذاب ثم قال لها من انا ؟ قالت ومن انا ؟ فأرسل
عليها الجوع فجاعت ثم قال لها من انا ؟ قالت انت الله رب العالمين .

ولما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال
له من انا ؟ قال انت الله رب العالمين . فقال الله تعالى وعزتى وجلالى ما خلقت
خلقا أمر على منك .

وقد مدح القرآن اولى الالباب وهم اصحاب العقول السليمة والضمائر
الحية الذين يتأملون في خلق الله ويتفكرون في ملكوت السموات والارض ثم
يقولون سبحانك ما خلقت هذا باطلا .

ايها الاخ المؤمن :

الله تعالى كتابان : احدهما كتاب مفتوح ظاهر يقرؤه العالم والامى ويشاهده
الاعمى والبصير ، وهو هذا انكون العجيب بما فيه من افلاك سائرة ، وسماء
مرفوعة ، وارض مبسوطة ، وبحار جارية ، وليل داج . قال تعالى : (اولم
ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء وان عسى ان يكون
قد اقترب اجلهم فباى حديث بعده يؤمنون) الامراف/ ١٨٥ .

والله عز وجل كتاب منزل وهو القرآن الكريم ذكر فيه قصص الاولين
واخبار السابقين ، ولفت الانظار الى آثار خلق الله وبديع صنعه كما مدح
القرآن المؤمنين العارفين الذين يتأملون في خلق الله ويتفكرون في ملكوت
السموات والارض ويرون في كل آية دليلا على وجسود الله وبرهانا على
وحدانيته .

وفي آخر سورة آل عمران يمدح الله هؤلاء العارفين بقوله سبحانه :
(ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب ،
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات
والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار . ربنا انك من

تدخل النار فقد أخزيتته وما للظالمين من انصار . ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى
للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ، ربنا فاعفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا
مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة أنك لا تخلف
الميعاد) .

أيها المؤمن :

ذاك منهج القرآن الكريم في تحريك القلوب الى الإيمان ، ودعوة العقول
الى الدليل والبرهان بتوجيهها الى المشاهد المحسوس والآيات الظاهرة ،
وأيضا مناجاتها بالوحى والقرآن . قال تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحا
من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من
نشاء من عبادنا وانك لنتهدي الى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى
السموات وما فى الارض ألا الى الله تصير الامور) .

وفقنا الله واياكم ، لما يحب ويرضى وهدانا واياكم سواء السبيل .

عظمة الخالق

يقول الله سبحانه فى كتابه الكريم : (الله نور السموات والارض) .

أيها المؤمن :

إذا رأيت نور الصباح يفمر الاكوان وينشر الضوء فى كل مكان ويمد
الحياة بالنور والبهاء ، والسعى والعمل ، فثق أن ذلك بنور الله وهو نور
السموات والارض . وإذا رأيت الوليد الصغير ينزل الى الحياة ضعيفا بريثا
فيشق الله له للنظر عينين وللسمع أذنين وللبطش يدين وللمشى رجلين
ويعطيه لسانا وشفتين ، ويجرى له فى ثدى أمه لبنا حارا فى الشتاء باردا فى
الصيف ، ويودع محبته فى قلب والديه ، ويرعاه برعايته ويتولاه بعنايته حتى
يقف على قدميه ويشتمد ساعده ويبلغ أشده ، فثق أن ذلك بفضل الله ، نور
السموات والارض .

وإذا رأيت الشمس تدور فى فلكتها ، والقمر يسير فى مداره والنجوم
ترهر فى مواقعها ، والليل الحالك يأتى راحة للناس ونوما فى الاجفان والنهار
المضى يأتى سعيا ومعاشا ، والكون كله يخضع لقدرة قادرة وإرادة كريمة
مدبرة . إذا رأيت ذلك التدبير ، فثق أنه بقدره الله العلى القدير ، نور
السموات والارض .

أيها الانسان :

ما اقرب مولاك منك وانت لا تشعر قربه ، وما أحبك اليه وانت لا تشعر
حبه . ان الله يمد يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويمد يده بالنهار ليتوب
مسيء الليل .

ما اسعد الطائعين وما اربح المتقين ، لقد سعدوا بربهم وأنسوا انفسهم بتقواه قال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا) الطلاق ٢ ، ٣ .

ايها المؤمن :

بادر بالتوبة النصوح واقبل على مولاك وخالك ، فالسعيد من طرق باب مولاة ولجا اليه في الغداة والعشي . وفي الاثر يقول الله عز وجل : ياداود او يعلم المعرضون عنى كيف انتظاري لهم ولطفى بهم وشسوتى الى تسرك معاصيهم ، لما توا شوقا الى وتقطعت اوصالهم من حبى . ياداود هذه ارادتى فى المدبرين عنى فكيف بحبى فى المقبلين على . ياداود احب ما يكون الى عبدى اذا رجع الى ، واجل ما يكون عندى عبدى اذا تاب الى . وارحم ماكون عبدى اذا عرض عنى .

وصدق الله العظيم اذ يقول فى كتابه الكريم : (والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين) آل عمران/ ١٣٥ ، ١٣٦ .

ايها المؤمن :

ان التوبة فى حقيقتها طهارة النفس من دنس المعصية ويطهارة الضمير ، ونظافة القلب واستقامة الجوارح .

واذا حلت الهداية قلبا نشطت فى العبادة الاعضاء

سئل الامام على رضى الله عنه عن التقوى فقال : هى ذوبان الحشا لما سبق من الخطا . وسئل احد العباد عن التقوى فقال : « الا يراك الله حيث نهاك ، والا يفقدك حيث امرك » .

والتائب حقا يعزف عن اماكن المعصية ، ويسمو بنفسه عن الشهوات والنزوات ، ويعلم ان طريق الجد والحق هو طريق السلامة فى الدنيا ، والنجاة فى الآخرة .

قال تعالى : (فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى الماوى . واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى الماوى) .

صدق اليقين

يقول الله تعالى في كتابه الكريم (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) . الحج ١١

والحرف معناه الطرف أى يعبد الله على طرف من الدين بعيد عن وسطه وهذا مثل لكونه مضطربا فى أمر الدين غير ثابت القدم .

قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وقتادة نزلت هذه الآية فى قوم من الأعراب قدموا المدينة المنورة فكان أحدهم إذا صح بدنه وأخصبت أرضه ونتجت فرسه وولدت أمراؤه غلاما وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت فى دينى هذا الا خيرا ، واطمان بالاسلام وثبت عليه فذلك قوله تعالى (فان أصابه خير اطمأن به)

أما إذا قدم الأعرابي المدينة ، فساءت صحته أو قل ماله وأجدبت أرضه ولم يصب خيرا ، قال ما أصابنى من دينى هذا الا شر وانقلب عن دينه الذى أظهره بلسانه فذلك قوله تعالى (وان أصابته فتنة) أى بلاء وامتحان (انقلب على وجهه) أى رجع من دينه (خسر الدنيا والآخرة) ، أما خسران الدنيا فقد خسر العزة والكرامة التى أعدها الله للمؤمنين ، وأما خسران الآخرة فقد حرم الثواب واستحق العقاب والجزاء والآخران أوضح من ذلك (ذلك هو الخسران المبين » .

أبها المؤمن :

الإيمان الصادق زاد للمؤمن وحياء لروحه بل هو نور عينيه وقوة سامعيه ونبضات قلبه فالإيمان للمؤمن كالهواء الطلق لا يستغنى عنه لحظة ولو فقد المؤمن كل ما يملك لتشبث بدينه وعقيدته .

ان العقيدة الصادقة هى الركيزة الثابتة فى حياة المؤمن ، تضطرب الدنيا من حوله فيثبت هو على هذه الركيزة ، وتتجاذبه الاحداث والدوافع فيتشبث هو بإيمانه الثابت الاصيل وليست العقيدة صفقة تجارية ينتظر الانسان من ورائها ربعا ماديا بل العقيدة هى الحمى الذى يلجأ اليه الانسان ، والسند الذى يستند عليه .

أجل هى فى ذاتها جزاء على تفتح القلب للنور وطلبه للهدى ، هى جزاء يدرك المؤمن قيمته حين يرى الحيارى الشاردين من حوله تتجاذبهم الرياح وتتقاذفهم الزوابع ويستبد بهم القلق هو بعقيدته مطمئن القلب ثابت القدم هادىء البالي موصول بالله مطمئن بهذا الاتصال .

وفى تاريخ البشرية الطويل نماذج حافلة بالثبات على الإيمان ، وتحمل البلاد فى سبيل العقيدة والمبدأ .

لقد وضع في النار ابراهيم ، واضجع للذبح اسماعيل واشتد البلاء على ايوب والتقم الحوت يونس ودخل السجن يوسف وخرج موسى من مصر خائفا يترقب وحاول الاعداء قتل المسيح وصلبه فرفعه الله اليه ، واشتد اذى الكفار بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحبه حتى هاجر من مكة الى المدينة ، ولكن العاقبة للمتقين ، ودولة الباطل سامة ودولة الحق الى قيام الساعة ، وصدق الله العظيم «فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل» . الاحقاف ٣٥
فهذا هو طريق الانبياء الثبات على المبدأ والتضحية والفداء من اجل الهدف والغاية «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع الحسنيين» . العنكبوت ٦٩ .

من هدى الاسلام

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)
آل عمران/ ١٠٣ .

جمع الاسلام العرب ووحده كلمتهم وآخى بينهم وعقد اواصر المحبة والوادة بينهم ، فتحول القوم من بداوة الجاهلية الى حضارة الاسلام ، ودراسة القرآن وطاعة الرحمن ، وعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم اصول الدين وتعاليم الشريعة . وبين لهم ان محبة المسلم لاخيه المسلم اساس من اسس الايمان وباب من ابواب الرضا والقبول .

قال صلى الله عليه وسلم : « سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في طاعة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجل ذكر الله تعالى خالبا ففاضت عيناه ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله رب العالمين» .

ايها المؤمن :

الحب في الله معناه ان تحب المؤمن الصادق محبة خالصة لله ، لانه مطيع لربه ومخلص لدينه . وهذه المحبة لله سر من اسرار النصر وباب من ابواب العزة في الدنيا والسعادة في الآخرة . قال تعالى : (والف بين قلوبهم لو انفقنا ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم) الانتقال / ٦٣ .

وقد بين الله صفة اهل الجنة ، فذكر ان بينهم الاخاء والصفاء ، وقد نزع من قلوبهم الغل والحقد . قال تعالى : (ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) الحجر / ٤٧ .

أيها المستمع الكريم

ان روح الاسلام تدعوك الى المحبة والألفة ، الى الصفاء والوفاء ، الى التعاون والتراحم ، الى التكافل والتآخي حتى يكون المسلم للمسلم قوة ومودة ، وعونا وسندا ، قال تعالى : (**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**) المائدة / ٢ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسر والحمى » .

أيها المؤمنون :

لقد بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، وغرابة الدين في بدايته ، ان الله هيا له النصر والظلبة ، فكانت اقرب ظاهرة اجتماعية في التاريخ انتصار الاسلام في اقل من قرن من الزمان على اوسع رقعة في العمورة ، وكان القرآن قد اعطى المسلمين مفاتيح الأرض فأداروها في اقفالها ففتحت لهم البلاد ودانت لهم العباد .

ومرت بالمسلمين فترات القوة وفترات الضعف ، وتلمح الآن بوادر النصر وسحائب الغوث فتتهيب بالمسلمين ان التفوا حول دينكم واستجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، فقد رضيتم بالله ربا وبالاسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا . وصدق الله العظيم : (**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما**) النساء / ٦٩ ، ٧٠ .

الاسلام والعلم

العلم نور القلب وثقافة الفكر ، وتوجيه للنفس ويقظة للضمير ، بالعلم تسعد الامم وترقى الأفراد والجماعات . وقد مدح القرآن العلم والعلماء . قال تعالى : (**انما يخشى الله من عباده العلماء**) فاطر / ٢٨ . وقال سبحانه : (**شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم**) آل عمران / ١٨ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « اذا طلعت على شمس يوم لم أزد فيه علما فلا بورك لي في ذلك اليوم » .

كيف لا ، والقرآن يدعونا الى المزيد من العلم والتعلم ، فأول آية من القرآن كانت دعوة الى القراءة والتعليم وهي قوله تعالى : (**اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم**) الملق / ١ - ٥ .

ويعلنا القرآن آداب الدماء حين يقول : (وقل رب زدني علما)
طه / ١١٤ .

ومن وصايا لقمان لابنه : يا بني اطلب العلم فان افتقرت كان لك مالا ،
وان استغنيت كان لك جمالا ، يا بني العلم خير من المال ، العلم حاكم والمال
محكوم عليه ، والعلم يزكو بالانفاق والمال ينقص بالانفاق .
ومما ينسب الى الامام علي رضي الله عنه :

الناس من جهة التمثال اكفاء	ابوهم آدم والام حواء
فان كان لهم في اصلهم شرف	يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر الا لاهل العلم اتهمو	على الهدى لمن استهدى ادلاء
فمن يعلم تعش حيا به ابدا	الناس موتى واهل العلم احياء

ايها الاخ المؤمن :

ان العلم مصدر قوة ، ومصدر عزة ومصدر سعادة وليس العلم مقصورا
على تعلم الامور الدينية بل العلم تتسع ابوابه لكل ضروب المعرفة فالواجب
على المسلم ان يكون بصيرا بزمانه خبيرا بتقدم العلوم والفنون والاداب ، ومن
الواجب ان تخصص طائفة من العلماء في كل فرع من فروع المعرفة حتى
تشبع في الامة جنبات الخير والازدهار . قال تعالى : (هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب) الزمر / ٩

ولقد قام الاسلام على نهضة علمية اساسها دراسة القرآن والسنة
المطهرة . وكانت روح الاسلام حافزا للمسلمين ان يتزودوا من العلوم النافعة،
وفي عصور الاسلام الزاهرة كانت بغداد وقرطبة والقاهرة وغيرها من المدن
عواصم للثقافة والعلم والطب والكيمياء والصيدلة والرياضة والبصريات
والفلك . وكانت جامعات قرطبة وطليطلة مصدرا من مصادر الثقافة لشباب
اوربا ، الذين كانوا يحضرون الى الجامعات العربية لينهلوا من علمها ، ومن
طريق جامعات الاندلس عبرت الثقافة الاسلامية الى فرنسا وكانت عاملا من
عوامل النهضة والحضارة الاوروبية بشهادة النصفين من علماء الغرب
انفسهم .

قال الاستاذ بريفولت الانجليزي في كتابه (تكوين الانسانية) : (في
القرن التاسع عشر تعلم كثيرون من المسيحيين عند علماء الاسلام) . وقال :
(ان رئيس دير كلوتى تأسف على ان رأى اثناء اقامته بالاندلس الطلبة من
فرنسا ومانيا وانكلترا يردون افواجا الى المراكز العلمية العربية) .

وقال : (فالعلم هبة عظيمة الشأن جادت بها الحضارة العربية على
العالم الحاضر) .

ان الاسلام كان مصدرا من مصادر النور والقوة والهداية والاخلاق
الكريمة . ولقد عز المسلمون يوم ان تمسكوا بأهداب الاسلام ، وحين تركوا
العمل بل وانحرفوا من تعاليمه (نسوا الله فنسيهم) التوبة/٦٧ .
ولن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها ، ايمان صادق ، وعمل
نافع ، واستقامة على طريق الرحمن : (ومن يعتصم بالله فقد هدى الى
صراط مستقيم) آل عمران/ ١٠١ .

هذا هو الاسلام

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » .
ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى
الله باذنه وسراجا منيرا ، وقد استجاب لدعوته المؤمنون ، ووقف في سبيله
الكافرون ، بيد ان الله نصر الحق وأهله وخذل الباطل وأهله ، وقد هاجر
المؤمنون فرارا بدينهم وحفاظا على عقيدتهم .

« وقاتلوا المشركين في غزوات متلاحقة كان النصر في معظمها حليفا
للمؤمنين ، وامتدت فتوحات الاسلام فطوت ممالك ودولا متعددة ودخل الناس
في دين الله افواجا وجماعات .

استولى المسلمون على شاطيء الفرات في سنة ٦٣٣ م ، وانتصروا على
الروم في اجنادين سنة ٦٣٤ م ودخلوا دمشق سنة ٦٣٥ م وحققوا نصر
اليرموك الرابع سنة ٦٣٦ . وانتصروا على الفرس والقاسية سنة ٦٣٧ ،
وخضعت لهم جميع سوريا سنة ٦٣٨ وجميع فارس سنة ٦٤٢ ومصر في سنة
٦٣٩ الى ٦٤٢ . واذربيجان في ٦٤٢ ، وأفغانستان في ٦٦١ وتونس في ٦٧٤
وبخارى في ٦٧٤ ايضا .

وفتحوا السند سنة ٧٠٨ ميلادية ومراكش في ٧٠٨ ايضا وأسبانيا سنة
٧١١ الى ٧١٢ وسمرقند في سنة ٧١٢ م ، واستولوا في خلال القرنين الثامن
والتاسع على معظم جزر البحر المتوسط وأصبحوا سادة الدنيا بلا منازع .

أيها المؤمن :

من حق الانسان أن يتساءل عن السر الكامن وراء انتصارات الاسلام
المتلاحقة وفتوحاته الرائعة ، والجواب يكمن في طبيعة الاسلام الذاتية ، فهو
دين هام للبشرية كلها لا فرق بين عربى وعجمى ولا بين ابيض وأسود ولا بين
سادة وعبيد ، فالناس كلهم امام الله سواء يتفاضلون عنده بالتقوى ويدركون
ثوابه بالعمل الصالح . قال تعالى :

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » (الحجرات ١٣)
ومن اسباب انتصار الاسلام ، يسره وسماحته ، فهو دين وسط لا تشدد فيه ولا تفريط وهو صالح لكل زمان ومكان مناسب للانسان في جميع العصور بما حوى من الاصول العامة وما اشتمل عليه من التيسير ودفع المشقة والحرص .

فمن قواعد الاسلام الاصولية انه : لا ضرر ولا ضرار وان المشقة تجلب التيسير وان الامر اذا ضاق اتسع وانه لا ينكر تفسير الاحكام بتغير الازمان ، وانه اينما توجد المصلحة فثم شرع الله .

قال تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (البقرة ١٨٥) .

وقال سبحانه : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج » (المائدة ٦) .
وقال صلى الله عليه وسلم : «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » .

ايها الاخ المؤمن :

ان الاسلام حوى مزايا متعددة ففيه الديمقراطية الحقنة والمساواة بين الناس على اختلاف اجناسهم والوانهم وفيه حرية العقيدة والدعوة الى استخدام العقل والفكر والبحث على البحث والاستنباط وهو دين العلم والمعرفة ، فاول آية نزلت من كتاب الله كانت دعوة الى القراءة باسم الله .

قال تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » (العلق ١ - ٥)

المساواة في الاسلام

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) .

سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بلالا بن ابي رباح ان يؤذن على ظهر الكعبة بعد فتح مكة ، فاستنكر ذلك سادة قريش وقالوا : اعبد حبش على ظهر الكعبة بحضورنا ؟

فأنزل الله هذه الآية لتوضح الموازين العادلة للأشخاص والقيم ، ولتهدم قواعد الكبرياء وتحطم فوارق الطبقات ، ولتصرح بان الله تعالى خلق الناس كل الناس ليتعارفوا ويتعايشوا بالسلم والامان ، وعلى هذا الأساس

جعل النبي صلى الله عليه وسلم الخادم اخا لسيده أو ابنا وجعل الخادمة أو الجارية اختا لسيدها أو ابنة وأوصى النبي وصيته المشهورة :

« اخواتكم خدمكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم ويلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم من الاعمال ما لا يطيقون فان كلفتموهم فاعينوهم ولا يقولن احدكم عبدي أو امتي ولكن ليقل فتاى وفتاى » .

وقد جادل عبد أسود اللون الصحابي الجليل ابا ذر ، فقال له ابو ذر : يا ابن السوداء ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « طف الصاع » اي طفع الكيل ، يا اباذر « ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى أو بعمل صالح » ، فوضع ابو ذر خده على الأرض وقال للعبد الأسود قم فضع رجلك على خدي ، وقد طبق المسلمون المساواة الحقيقية بين اشرافهم ومواليهم بمجرد قدوم النبي المدينة في أول الهجرة ، اذ كان حمزة عم النبي هو وزيد بن حارثة اخوين ، وكان خالد بن ربيعة الخثمي هو وبلال ابن رباح اخوين وكان ابو بكر الصديق وخارجة بن زيد اخوين .

وكان الحسن البصرى مولى من الموالى وقد ضرب الناس اليه اكباد الابل ، وجلس الاشراف بين يديه يفترون من علمه ويستفيدون من معرفته وفقهه ، ومما لا ريب فيه ان المسلمين بلغوا من تكريم العبيد والموالى ذروة شامخة لا تسمى لانهم تعلموا من النبي الكريم ان الناس سواسية كاستنسان المشط لا فضل لعربي على عجمي ولا لأحمر على اسود الا بالتقوى .

ايها المؤمنون :

لقد كان اضهاد الطبقات الغنية للفقيرة سائدا في العالم كله قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله نبيه رحمة للعالمين فهدى الناس من الضلالة الى الهدى ، وأخرجهم من الظلمات الى النور ، وحث الاغنياء على البر والصدقة والعطف والرحمة ، ثم أوجب الزكاة وحرم الربا وقضى على عوامل الحقد والتفرقة وألف بين المسلمين على اختلاف اجناسهم والوانهم وطبقاتهم وكون الاسلام خير امة اخرجت للناس وحطم الفوارق بين الطبقات وقضى على التمييز العنصرى ووضع الموازين القسط لأسس المساواة الحقيقية بين الناس اجمعين ، فالخلق ربهم عيال الله يتفاضلون عنده بالتقوى ويدركون ثوابه بالعمل الصالح .

وانسجاما مع هذه التعاليم التي تكرم الانسان ولا تفرق بين اجناسه وعناصره أقر الاسلام للمرأة باهليتها في الحقوق المدنية والمالية ، وجعلها مساوية للرجل في المجال الدينى والانسانى والاجتماعى ، وبلغ من تكريمها ما لم يبلغه تشريع اجتماعى في القديم ولا في الحديث .

ذلك بأن المرأة في نظر الاسلام شريكة الرجل في حياته ، وجزء متمم له
اذ يرتبط به ارتباطا مقدسا يقوم على المودة والرحمة والحنان كما قال
تعالى : (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل
بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون) الروم / ٢١ .

واوضح الرسول الكريم ذلك بقوله : « ما اكرم النساء الا كريم ، ولا
اهانهن الا لثيم » .

وقال ايضا : « انما النساء شقائق الرجال » .

ايها المؤمن ،

ان التدرج في التنظيم الاجتماعي هو الاسلوب الحكيم الذي اتبعه
النبي صلى الله عليه وسلم في كل اصلاح اتمه او امره الله باتمامه ، وبهذه
الطريقة استطاع ان يبدل عادات الجاهلية رغم استحكامها وتمكنها من
اصحابها . فقد تدرج الاسلام في تحريم الخمر لانه دين الحكمة والموعظة
الحسنة ، بين القرآن ان في الخمر بعض المنافع وان ضررها اكثر من نفعها
فقال سبحانه : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع
للناس واثمهما اكبر من نفعهما) .

ثم حرم على المسلمين الصلاة وهم سكارى ليضغ حدا لمعاركهم
القولية والفعلية فقال : (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون) .

وبعد ان ضيق عليهم فرص السكر ، وحرك منطقهم التشريعي
الفطري وبصرهم بمضار شرب الخمر حرم الخمر تحريما حاسما فقال
تعالى : (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من
عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم
العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل
انتم منتهون) .

وهكذا تدرج الاسلام في التنظيم الاجتماعي والاصلاح الخلقى والتربية
النفسية بما كفل لمجتمعه الاستقرار ودفعه في طريق المجد والازدهار ،
قال تعالى : (وان هنا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الاعراف / ١٥٣ .

المسئولية في الاسلام

خلق الله الانسان بيده ، ونفخ فيه من روحه ، واسجد له الملائكة ،
وكرمه وفضله على كثير من خلقه . وقد قرن الله المسئولية بالنعمة على
صاحبها فقال سبحانه : (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) . ومن ذلك

فان العاقل مسئول عن تصرفاته ، والغنى مسئول عن زكاة أمواله ،
والحاكم مسئول عن حسن اختيار الولاة ومن تحقيق العدالة والمساواة
والشورى ، والأمن والعمل والحماية للوطن والمواطنين .

قال صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الامير
فى امارته راع وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة فى بيت زوجها راع وهى
مسئولة عن رعيته ، والخدام فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته ،
وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) .

ان الانسان مسئول عن عمره ، وعن وقته ، وعن ماله ، وعن شبابه ،
وعن علمه ، فواجب الانسان استغلال طاقاته فى العمل النافع والخير العميم
وواجب الحاكم حماية الوطن والدفاع عنه وحماية العقيدة وتوضيح الشبهات
وتوفير الحياة الكريمة لافراد الامة ، وواجب الافراد القيام بواجباتهم نحو
الوطن كل فيما يخصه ، وبذلك تتكاتف الامة وتتعاون وتصبح بحق امة رائدة
تدمو الى الخير ، وتامر بالبر وتنهى عن الفساد والافساد ، قال تعالى :
(كنتم خير امة اخرجت للناس تعلمون بالعرف و تنهون عن المنكر وتؤمنون
بالله) .

ان المسئولية فى الاسلام ، اساسها انك مسئول عما اعطاك الله من نعمة
وما خولك من فضل ، وما من به عليك من خير فى علمك أو خلقك أو
معرفتك ، فيجب ان تشكر الله على هذه النعمة ، وشكر النعمة الحقيقى
هو استعمالها فيما خلقت له .

فشكر البصر النظر به للحق والخير والجمال ، وغض البصر عن
العورات ،

وشكر القوة استخدامها فى الطاعة والبعد بها عن المعصية ،

وشكر العلم تسخيرها للنفع والبعد به عن المراء والرباء ،

قال صلى الله عليه وسلم : « لا تزل قدم ابن آدم يوم القيامة حتى
يسال عن خمس : عن عمره فيما افناه ، وعن شبابه فيما ابلاه ، وعن وقته
فيم ضيعه ، وعن علمه ماذا عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم
انفقه » .

والمسئولية حق يقابله واجب ، فحق الحاكم السمع والطاعة على الامة
حتى يتفرغ لواجباته ، ويقوم بما امر الله به ، وواجبات الحاكم هى : العدل
والمساواة والشورى وعمل الصالح للامة ورعاية مصالح افرادها وجماعاتها .

دخلت فاطمة بنت عبد الملك على زوجها امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز
فوجدته يبكى . . قالت ما يبكيك يا امير المؤمنين ؟

قال : تذكرت الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعارى المحزون ،
وذا العيال الكثير والمال القليل ، وأشباههم فى بقاع الارض واقطار البلاد ،
وعلمت ان خصيمى دونهم محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فخشيت
الا تثبت لى حجتى فرحمت نفسى فبكيت .

الجن

قرر الاسلام حقيقة الجن ، وصحح التصورات العامة عنهم ، وحرر
القلوب من خوفها وخضوعها لسلطانهم الموهوم ، فالجن لهم حقيقة موجودة
فعلا ، ومنهم الصالحون ومنهم الضالون المضلون ، ومنهم السذج الابرياء
الذين ينخدعون ، وهم قابلون للهداية من الضلال ، مستعدون لادراك القرآن
سماوا وفهما وتأثرا .

وهم لا يعلمون الغيب ، ولم تعد لهم صلة بالسماء ، ولا صهر بينهم
وبين الله سبحانه ولا نسب .

وقد سخر الله طائفة من الجن لنبى الله سليمان ، فكان منهم من يغوص
فى البحر ليستخرج له اللؤلؤ والحلى ، ومنهم من يقوم ببناء المساكن والمحاريب
وسائر الابنية . ومن خرج عن طاعة سليمان من الجن كان يقيده فى
السلاسل والحديد ، ويعرضه لاشد انواع العقاب ، فلما مات سليمان
استمرت الجن فى خدمته ، ودل هذا على انهم لا يعلمون الغيب ، بل هم خلق
من خلق الله ، خلقهم الله من النار ، كما خلق الانسان من الطين وقد تعلقت
بالجن خرافات شتى ، واساطير كثيرة ، فقد كان العرب يعتقدون ان للجن
سلطانا فى الارض ، فكان الواحد منهم اذا امسى بواد او بات فى صحراء
لجأ الى الاستعاذة بمظيم الجن الحاكم لما نزل فيه من الارض فقال : اهوذ
بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه ، ثم بات آمنا .

كذلك كانوا يعتقدون ان الجن تعلم الغيب ، وتخبر به الكهان فيتنبأون
بما يتنبأون به ، ومن العرب من عبد الجن وجعل بينهم وبين الله نسبا ،
وادعى ان الله سبحانه وتعالى له زوجة منهم تلد له الملائكة - تعالى الله عن
ذلك علوا كبيرا .

والاعتقاد فى الجن على هذا النحو او شبهه كان فاشيا فى كل جاهلية ،
ولا تزال الاوهام والاساطير من هذا النوع تسود بيئات كثيرة الى يومنا
هذا .

وبينما كانت الاوهام والاساطير تغمر قلوب الناس ومشاعرهم
وتصوراتهم عن الجن فى القديم وما تزال ، نجد فى الصنف الاخر اليوم
منكرين لوجود الجن اصلا ، يصفون اى حديث عن هذا الخلق الغيب بأنه
حديث خرافة .

وقد رد الاسلام على الاغراق في الوهم ، أو الاغراق في الانتكار ، وفي مقالة
الجن ما يشهد بوحداية الله ، ونفى الصاحبة والولد ، واثبات الجزاء في
الآخرة ، وأن أحدا من خلق الله لا يعجزه في الأرض ، ولا يفلت من بين يديه ،
فهو سبحانه قد احاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا . وفي سورة
الجن حكى القرآن قولهم حين قالوا (وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض
ولن نعجزه هربا ، وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف
بعضا ولا رهقا ، وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا
رشدا) الجن ١٢ - ١٤

(٨)

من هدى القرآن

القرآن معجزة خالدة

—يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

**لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله
وتلك الامثال نصربها للناس لعلهم يتفكرون)**

القرآن الكريم معجزة البشرية الخالدة ، وكلام الله الحق انزله على
النبي الكريم في ثلاثة وعشرين عاما ، منجما حسب الوقائع والحوادث ،
مشتملا على توحيد الخالق ، وذكر الآلة وبيان نعمائه ، حاكيا قصص
الاولين ، وتاريخ الغابرين ، وما اصاب المكذبين بالانبياء والجاحدين بالحق
من عذاب ماحق وجزاء عسير ، كما تضمن القرآن الكريم تشريعات سامية
واوامر الهية ونواه ربانية ، ووصايا انسانية ، هي مكارم الاخلاق وفضائل
الاداب من تحلى بها سما خلقه وزاد يقينه ، واطمأنت نفسه ، ومن حاد
عنها عميت بصيرته وقسا قلبه ، قال تعالى (ومن اعرض عن ذكرى فلان له
مهيشة فبنكا ونحشره يوم القيامة اعمى . قال رب لم حشرتنى اعمى وقد
كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)

ولقد كان للقرآن الكريم فضل هداية المسلمين واستمالة افئدتهم بما
حواه من اسلوب رائع ومعان سامية وحكم بالغة وبيان الهى وقبس
ربانى .

كما ورد في الاثر : (فيه نيا من قبلكم وخير من بعدكم ، وحكم ما بينكم
وهو المجد ليس بالهزل لم تسمعه الجن حتى قالت انا سمعنا قرآنا عجبا
يهدى الى الرشده فآمننا به ولن نشرك بربنا احدا)

وقد اسنمل القرآن على انواع الاعجاز فأحد طريقه الى الفلوب واسنولى على النفوس فهدهد كبرياءها ، وازال جماحها ، ففتحت له فلوب العرب ، طوعا وكرها واذعن له اهل الفصاحة والبيان عرفانا وخضوعا ومدحه أحد كفار العرب وجبابرهم بقوله :

(لقد سمعت من محمد أنفا كلاما ، ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة وان اعلاه لثمر وان اسفله لفضق وان فرعة لجناه وما يقول هنا بشى)

لقد حاول العرب معارضة القرآن ، فأتوا بشيء من الوان الكلام ، واكن شتان بين كلام المخلوق وكلام الخالق شتان بين ثوب مهلهل غير متماسك وسيج محكم الصنعة بديع الهيئة رائع الجمال .

نوجه الكفار بالنقد والصياق التهم بمحمد وما انزل عليه فقالوا ان محمدا ساحر وان محمدا شاعر وان محمدا مجنون وانه كاهن بتنبأ بالغيب فأجابهم القرآن الكريم (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين) وتمادى الكافرون فى الصاق التهم بالنبي الكريم وتهافتت اقوالهم كالمحموم لا بلبث ان ينطق بغير رؤية فقالوا أضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر .

(وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا) .
فاجابهم الحق سبحانه :

(قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا رحيفا)
- الفرقان ٦ .

كان الحق سبحانه يتدرج مع المعارضين المنكرين ، فطلب منهم ان يأتوا بمثل القرآن فى مبناه ومعناه ولفظه واسلوبه وقوته وبيانه فعجز العرب عن الاتيان بمثله .

فطلب منهم ان يأتوا بعشر سور مثل سور القرآن الكريم وان يستعينوا بمن ساؤوا

قال تعالى فى سورة هود (ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون)

تم تحداهم ان يأتوا بسورة واحدة مثل سور القرآن فقال تعالى فى سورة البقرة (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فانقوا النار التى وقودها الناس والحجارة اعنت للكافرين)

وفي هذا التحدى دليل واضح على ان القرآن ليس من صنع بشر وليس من عند محمد بل هو بيان حكيم من عالم الغيب الذى يعلم انهم لن ياتوا بمثل القرآن ولا بمثل عشر سور منه بل ولا بمثل سورة واحدة من سورة الكريمة .

(قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لاياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)

وبهذا التحدى الخالد ، ظل القرآن الكريم سابقا غير مسبوق وحصنا عاليا لا يدرك ولا يسامى وذروة سامقة لا يدرك مداها ولا يشق غبارها (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) . (ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمد من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله . ان الله عزيز حكيم)

منهج القرآن

فى توحيد الصف

فى مبدا ظهور الاسلام تعرض المسلمون لآوان متعددة من الدس والوقية كما تعرضوا لعدد من المؤامرات المفرضة ، وعرض المشركون عروضاً مغرية على رسول الاسلام منها الملك والرئاسة والمال والجاه فقال كلمته الخالدة (والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله او أنفرد منى هذه السالفة)

وبعد ان ضيق الخناق على المسلمين فى مكة هاجروا الى المدينة ووضع النبى (ص) الأساس السليم للقاعدة الاسلامية العريضة واحكم الترابط والتلاحم بين المهاجرين والانصار وبارك القرآن هذه الأخوة فقال سبحانه (واللذين تبواوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)

وبدا الصف الاسلامى قويا متماسكا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ورسم القرآن المثل الأعلى للتعاون والتنظيم والاعداد بقوله سبحانه (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)

وسار ركب الدعوة يلهم وجوده فى ميدان السلم والحرب فنزلت آيات القرآن تحمل التشريعات الجديدة فى نظام الحياة والأسرة والمعادات والمعاملات والآداب والأخلاق وكل شئون الحياة . وتابع القرآن موكب الدعوة الى ميدان القتال فنزلت سور وآيات تحث على الجهاد وتبشر المجاهدين وتشرح نظم القتال ، واحكام الحرب ومرت غزوات متعددة بالمسلمين فى بدر وأحد والخندق والحديبية وفتح مكة وغيرها وكملت جهود المسلمين بالنصر فى

اكثر هذه الغزوات ، وتعرضوا للهزيمة في بعضها ، ولكن الهزيمة لم تكسر شوكتهم ولم تقتل حماسهم ونزلت آيات القرآن تأسو جراح المؤمنين وتوضح ان الحرب سجال وان الأيام دول يوم لك ويوم عليك ، قال تعالى : (ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) .

دقائق الأعداء :

انتهز أعداء الاسلام هزيمة المسلمين في غزوة احد وذهبوا ينشرون الأراجيف والاشاعات ومن هذه الأراجيف قولهم لضعفاء المؤمنين : لو كان محمد رسول الله حقا ما وقعت له هذه الواقعة ، وانما هو رجل كسائر الناس يوم له ويوم عليه فارجعوا الى دينكم الذي كنتم فيه ، فانزل الله عز وجل قوله (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين ، بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ، سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وماواهم النار وبئس مثوى الظالمين) .

والتامل لهذه الآيات يستوضح فيها امورا ثلاثة :

الأمر الأول : الحذر من طاعة الكافرين .

فقد بين القرآن أن طاعة المسلمين للكافرين تجرهم الى الخسران في الدنيا والآخرة .

فان الكفر عدو الايمان ولا يزال العدو يحارب عدوه ويتربص به الدوائر حتى يوقعه ويهزمه لو استطاع واهل الكفر لا يفتأون يحاربون المسلمين ليردوهم من دينهم ويعيدوهم في ملتهم ولهم في ذلك أساليب ليست الحروب أشدها ولا أفظمها ، منها غزو افكارهم بمبادئهم الفاسدة التي يصورونها لهم في صورة الصلاح والتقدم والمدنية ، ومنها اغراء العداوة بينهم ، وتقطيع الاواصر بين شعوبهم وطوائفهم ، فهم يخيلون لكل فريق من المسلمين انه هو المحق وهو الجدير بالزعامة ، ولا يزالون يشعلون نيران الخلاف بما استطاعوا حتى تأتي على كل شيء .

وقد حفظ التاريخ صورا كريهة احترب فيها المسلمون بعضهم مع بعض في الشعب الواحد فكان منهم قاتلون ومقتولون تحت راية العدو المشترك ، وأي شيء أفظع من أن يقتل الأخ أخاه باغراء عدوهما وتحريضه ودسيسته وخداعه .

الأمر الثاني : ولاية الله للمؤمنين وكفالتهم لهم بالنصر

ولكن نصر الله لا ينزل الا على قلوب مخلصه واند نظيفه رامة جادة قد
نصرت ربها واحترمت تعامله واطاعت اوامره . قال تعالى (ان نصرنا الله
ينصركم ويثبت اقدامكم) .

الأمر الثالث : الفاء الرعب في قلوب المشركين

وهذا الامر مترتب على سابقه فاذا اخلص المؤمنون وعملوا بهدى السماء
شملمهم بعنايه والفى عليهم المهابة والجلال وهدف في قلوب أعدائهم الخوف
والرعب .

ونحن احوج ما نكون الى معرفة انفسنا وعلاج ضعفنا فان الاسعمار
لا يقوم على قوة الأقوياء وانما يقوم على ضعف الضعفاء . وصدق الله العظيم
(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) .

من ادب القرآن في بناء المجتمع

يقول الله تعالى في كتابه الكريم (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا
وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار
الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من
كان مختالا فخورا) .

هذه الآية الكريمة تجمع خلال البر ، وبحض المسلمين على السحلى
بمكارم الاخلاق وجميع الخلال ، حتى يكون المسلم انسانا منالبا معيننا للضعيف
نافعا للفقير ، رحيمابالمساكين ، بارا بالشخ الكبير مستجمعا لأخلاق الدين،
مقتديا بسد المرسلين المبعوث رحمة العالمين .

اول ادب في هذه الآية ، هو عبادة الله وحده وعدم الاسراك به شبتا ان
الله وحده هو الخالق ، وهو الرازق وهو الضار وهو النافع ، (فل اللهم مالك
الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء
بيدك الخير انك على كل شىء قدير . تولج الليل في النهار وتولج النهار في
الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير
حساب) . آل عمران ٢٦ ، ٢٧

فبجب ان يفرد الله بالوحدانية وبخص بالعبادة فلا خوف الا منه ولاذل
الا له ولا تقرب الا الهه ، وبهذا حرر الاسلام الفرد من المل لفر الله او الركون
الى سواه ، وفتح باب السماء امام كل راغب فيه فانه اقرب الهه من جبل
الوريد ، هو مجيب الدعاء وهو اللطيف الخبير ، والسميع البصير ، (وهو
الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب
الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) - ٢٥ - ٢٦ الشورى .
والادب الثانى الاحسان الى الوالدين وقد كرر القرآن وصبته بالوالدين

وقرنها بتوحيد الله نبيينا لمنزلهما وحشا على اكرامهما خصوصا في سن الشيخوخة والضعف وهو السن التي يعجزان فيها ويحتاجان الى معونة اولادهم قال تعالى (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) . الاسراء ٢٣ ، ٢٤ .

ان بر الوالدين عرفان بالجميل وتضامن اجتماعي وتكافل بين الاجيال وقام الابناء بحق الآباء وكنز سيرد اليك من اولادك واحفادك قال صلى الله عليه وسلم (عفوا تعف نساؤكم ويروا آباءكم تبركم ابناؤكم) .

وقد حرم الله حقوق الوالدين وجعل ذلك من الكبائر لانه جحود لاصل الانسان وكنود لاولى الناس بعنايتك ورعايتك قال (ص) (ان الجنة ليوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق لوالديه ولا قاطع رحم) .

وقد اكد الاسلام الوصية بالام ونوه بما تحملته في سبيل الانسان من حمل ورضاع وتنشئة ، والزوم ان تكافا الام على الاحسان بالاحسان وعلى التربية بالشكران .

قال تعالى (ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) ويقول سبحانه (حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين) وقال صلى الله عليه وسلم (بر أمك واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك) أي - الاقرب فالاقرب .

الادب الثالث صلة الرحم ، وبر الاقارب ، فانهم اصلك الذي تعتمد عليه وفروع شجرتك وامتداد لحياتك ورحم امر الله ان توصل ، يقول الله تعالى في الحديث القدسي (انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته) .

وصلة الرحم سبب في بركة الرزق وزيادة الخير ونماء العدد فلا يوفق لصلة الرحم واکرام القرابة الا من وضع في قلبه الرحمة واشربت روحه حب الدين .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أفضل ؟ قال : (اتقاهم لله واوصلهم لرحمه وآمرهم بالمعروف وانهاهم من المنكر) وقال صلى الله عليه وسلم :

(من سره ان يمد له في عمره وان يوسع عليه في رزقه فليثق الله وليصل رحمه) وقد يكون بين الاقارب بعض المنازعات فحث الدين على صلة الرحم وان ادبرت والاحسان الى الاقارب وان اسأوا قال صلى الله عليه وسلم (ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالكافي ولكن الواصل الذي اذا انقطع رحمه وصله) .

والادب الرابع في الآية الاحسان الى اليتيم والمسكين وذلك شامل لابشاء الجمعيات الخيرية والمساجد والملاجئ والمستشفيات وكل ما من شأنه ان ينهض بالمجتمع فاذا قام الانسان بحق بيته وامتد نفعه الى ولده وقرابته وما زاد عم به على الفقراء والمساكين عمت المودة والالفة وزادت او اصر الاخوة والوحدة واصبح المسلمون صفا واحدا كالبنيان المرصوص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مثل المسلمين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى) .

الادب الخامس والآخر ، رعاية حقوق الجار قال عليه الصلاة والسلام مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه .

لقد سبق الاسلام حضارات الدنيا في التوصية بالجار واحسان معاملته والمحافظة على شعوره ومجاملته في المناسبات والصفح عن زلاته وفض البصر عن حرمانه .

قال رجل ماحق الجار على اخيه الجار يا رسول الله ؟

قال : (ان مرض عدته وان اصابه خير هنائه وان اصابه شر عزيته واذا مات اتبعت جنازته ولا تستعمل عليه بالبناء فتسد عليه الريح الا باذنه ولا تؤذ به بقتار قدرك الا ان تعرف له منها ، واذا اتيت بفاكهة فاعط ولده منها او ادخلها سرا ولا تخرج بها ولدك ليفيظ بها ولده) ..

(فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت) .

رسالات السماء

يقول الله تعالى في كتابه الكريم

(ألم الله لا اله الا هو الحي القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ، ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام) ١ - ٤ آل عمران .

ارسال الرسل شان الاهى وحكمة ربانية لهداية الناس ودعوتهم الى الفضيلة والخير .

وقد تواتر الرسالات وتعددت النبوات وربط بينها جميعها هدف مشترك هو الدعوة الى توحيد الله ، واصلاح المجتمع .

قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك

وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)
١٣- الشورى .

لقد استهدفت الرسالات هداية الناس وتصحيح القيم وتعليم الفضائل
ومحاربة الرذائل والدعوة الى الخير والحق والعقيدة الصحيحة والصراف
المستقيم .

(رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون الناس على الله حجة بعد الرسل)
النساء ١٦٥ فالمصدر واحد والسبيل واحد والغاية واحدة .

اخرج البخارى فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الانبياء اخوات لعلات امهاتهم شتى ودينهم واحد .

وابناء العلات هم ابناء الصرائر امهاتهم متعددة وابوهم واحد .
ومن عقائد المسلم التصديق بان الله ارسل رسلا وانبيا كثيرين لهداية
الناس والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، قال تعالى :

(قولوا آمنا بالله وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين
احد منهم ونحن له مسلمون) ١٣٦ - البقرة .

اخرج البخارى فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما
مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فاتمها واكملها الا موضع
لبنة فجعل الناس يقولون ما اكمل هذه الدار لو وضعت هذه اللبنة ، فانا
هذه اللبنة وانا خاتم الرسل) .

وقد جاهدت الرسل فى سبيل الدعوة الى الله وارشاد الناس وتميز
الايحاء الشائعة بينهم على نحو ما فعل شعيب فى محاربته لتطيف الكيل
بعضهم بصدق البلاء والصبر فى البأساء وطول الجهاد حتى لقبوا بأولى العزم
وكانوا قدوة حسنة فى الصدق والصبر وتبليغ الدعوة وهداية الناس قال
تعالى .

(فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل) .

وقد ارسل كل نبى الى قومه خاصة بدعوتهم الى توحيد الله ويحارب
الايحاء الشائعة بينهم على نحو ما فعل شعيب فى محاربته لتطيف الكيل
والميزان وما فعله ابراهيم فى محاربة عبادة الاصنام ، وما فعله موسى فى محاربة
الظلم والطغيان ، وما فعله عيسى فى محاربة حب اليهود للمال والمادة واهمالهم
القيم الروحية والمعنوية .

حتى اذا تكامل للبشرية نموها وعظم استعدادها وافاها الاسلام
دينا عاما خالدا بكتاب عربى مبين ورسول عربى كريم وافرغ باياته وشرائعه
البيئة الواضحة على اتباعه المؤمنين به المستظلين بظله صبغة الوحدة والجماعة

منحيا عنها عصبية الجنسية والاقليمية التي درج العرف البشرى على اتخاذها أساسا للجماعات ، وسما بالاسايه عن هذه الاعتبارات الى المبدأ الاسمى ، الذى تفنى به الشخصيات والعصبية ويوجه الناس الى الاخذ بيد الانسانية الفاضلة ، وكان شعاره الموحد لابنائه الوحدة فى النوجه الى الله والاخلاص له وتلقى دعوته فأفرغ عليهم وحدة العقيدة ووحده العبادة ووحدة السلوك ووحدة الاهداف ووحدة الرحم ، واخذ يتاديبهم فى ذلك كله بندايات الهية كريمة

(يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة)
(يا بنى آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى واصلاح
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

(يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة)
(يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون)
وبذلك يكشف لهم الغطاء عن المعتصم الذى يتمسكون به ولا يحيدون
عنه وهو نقوى الله والاتجاه اليه والاستعانة به فى تنفيذ اوامره والعمل بما
وضعه من سنن فى سبيل اسعاد البشرية ورقيا .

ايها المؤمنون :

ان اخوة المسلمين ليست كلاما يقال وليست مواطن وامنى ولكنها نظام
ثابت ومبدا ملزم بتكافل المسلمين وتعاونهم فى العسر واليسر وقد آخى عليه
الصلاة والسلام بين المهاجرين والانصار فقدم الانصار المعونة للمهاجرين
وآثروهم بالنفس والنفيس وكانت هذه الاخوة الصادقة حجر الاساس فى
نصر الاسلام وعز المسلمين .

قال تعالى : (والذين تبوأوا الفار والايمن من قبلهم يحبون من هاجر
اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا او يؤثرون على انفسهم ولو
كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) .

وقد مرت بالمسلمين مواقف حاسمة وكانت وحدتهم فى لحظات الحرج
وتعاونهم فى الشدة والضيق من اهم عوامل النصر .

فى حروب الردة ، فى فتح عمورية فى معركة حطين فى كفاح الجزائر فى
العدوان على بور سعيد فى هذه الازمات ترابط المؤمنون وتعاون المسلمون
فجاءهم النصر المبين (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) .

ان دعوة الاسلام دعوة انسانية عالمية لا تفرق بين لون ولون ، او جنس
وجنس ، قال صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع (ايها الناس ان ربكم
واحد وان اباكم واحد ليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لابيض
على احمر ولا لاحمر على ابيض فضل الا بالتقوى) .

وقد فتح الاسلام ابوابه لاهل الارض قاطبة واكد مساواتهم فى الحقوق
والواجبات فهم جميعا امام الله سواء يتفاضلون عنده بالتقوى ويدركون

نوابه بالعمل الصالح ، قال تعالى (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) .

موالاة الاعدا

يقول الله تعالى في كتابه الكريم .

(يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالوادة) حرص الاسلام على تقوية روابط المودة والمحبة بين المسلمين ووثق اواصر الاخوة - والتعاون بين بنى الاسلام بعضهم بعضا وكانت اركان الاسلام الخمسة ، تأكيدا لمعاني الترابط والتآزر والتعاون .
فالشهادتان التقاء على اله واحد لا شريك له وايمان برسول واحد هو خاتم الانبياء والمرسلين .

والصلاة فريضة يصطف فيها المسلمون خمس مرات في كل يوم وليلة ويتجهون الى قبلة واحدة ويناجون الالهة واحدا سميعا بصيرا مجيبا .
والزكاة - فريضة تحقق التكافل الاجتماعى والمشاركة بين الفنى والفقير .

قال تعالى (وفي اموالهم حق للسائل والمحروم) الداريات ١٩ .

والصوم - عبادة روحية وبدنية يحس فيها الفنى بجوع الفقير وتزكو بها النفس وتشعر بالام الآخرين .

والحج - رحلة وسياحة ومؤتمر عام لابناء الأمة الاسلامية يتدارسون فيه امورهم ويقفون على اخبار اخوانهم ويرسمون خطة سيرهم ويؤدون المناسك ويعظّمون - الشعائر ويشهدون المنافع العامة لخير الاسلام والمسلمين .

وهكذا ارشدت هداية السماء الى الاساس العملى لترابط المسلمين ووحدتهم فكتابهم واحد ونبيهم واحد وقبلتهم واحدة وذمتهم واحدة .

قال صلى الله عليه وسلم « المسلمون عدول يسعى بدمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم » .

وفى سبيل ذلك طلب القرآن التضحية بالنفس والمال والولد (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وهششيتكم واموال اقتسرفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بامره والله لا يهدى القوم الفاسقين) ٢٤ التوبة .

وجعل الاخوة عنوانا لهذا الترابط وحرر من الاخلاف والنفرق وبذلك
تحقق للمسلمين شخصية بارزة لها هيبتها ومكانتها ، ولها سلطانها وآثارها .
وصونا لهذه الشخصية ان تخدش ، او تتعرض للضعف والانحلال ،
حرص القرآن الكريم في هدايته على التحذير الشديد مما يضعفها او يفسدها
وكان ابرز ما حذر في هذا الشأن موالة الاعداء الذين لا يؤمنون بتلك
الشخصية وقد جاء ذلك التحذير في جملة من السور بأساليب مختلفة ومعان
متعددة .

ففي سورة آل عمران (يا ايها الذين آمنوا لا تتخلوا بطانة من دونكم
لا يالوتكم خيالا ودوا ما عنتم قد بدت البقضاء من افواههم وما تخفى صدورهم
اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون) ١١٨ .

وفي سورة المائدة (ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم
الظالمين) ٥١ .

وفي سورة التوبة : (يا ايها الذين آمنوا لا تتخلوا آباءكم واخوانكم
اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان) ٢٣ .

وفي سورة المتحنة (يا ايها الذين آمنوا لا تتخلوا عدوى وعدوكم اولياء
تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) ١ .

(ان يتقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء
وودوا لو تكفروا) ٢ .

وتشير هذه الآيات الى ان ممن ينتسبون الى الاسلام ويلبسون ثوبه ،
فريقا تغلب على ايمانه مصالحه الشخصية فيلقى نفسه بين احضانهم
ويسارع الى موالاتهم والاندماج معهم والدخول في دائرتهم ، وان هذا الفريق
بعيد عن دائرة الاسلام خارج على وحدة المسلمين .

ولوالة الاعداء صور والوان .

المعونة الفكرية بالرأى والتدبير موالة للاعداء

والمعونة المادية بالبدل والانفاق موالة للاعداء

وترويج سلعهم بالبيع والشراء ، تنمية لأموالهم وتثبيتا لأقدامهم في
بلاد المؤمنين في نفسه موالة للاعداء .

والافتترار بزخرف ثقافتهم ، وان فيها ماء الحياة ، وتوجيه النشء
اليها وغرس عظمتها في نفسه موالة للاعداء .

والعمل معهم في المصانع والمسكرات التي يهيئونها للنيل من المؤمنين
موالة للاعداء .

والتثاقل عن رد عدوانهم ومد يد المعونة الفعلية في كبح جماحهم موالاة
للاعداء .

(يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انما قلتم
الى الأرض - ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة العنيا في
الآخرة الا قليل) النوبة ٣٨ .

أيها المؤمنون

فد تبين الرشيد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد
استمسك بالعروة الوعى لا انفصام لها والله سميع عليم .

القرآن والدعوة

تهبط على المسلمين نسيمات القبول في شهر رمضان فهو شهر أنزل الله
فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعبد في غار حراء يتأمل في الكون وخالقه
ويتفكر في الوجود وخالق الوجود متحيرا مما عليه قومه من عبادة الاوثان
وقطيعة الارحام فاذا جاء شهر رمضان اخذ الزاد وذهب الى غار حراء يتعبد
فيه الليالي ذوات العدد ثم يعود الى زوجه خديجة فيتزود لمثلها ، وبينما هو
في خشوعه وتامله نزل عليه الملك جبريل فضمه الملك ضما شديدا حتى بلغ
منه الجهد والمشقة وقال جبريل اقرأ ، قال النبي ما انا بقارئ (اى انا امدى
لا يعرف القراءة) فضمه جبريل مرة ثانية حتى بلغ منه الجهد والمشقة
ليخلصه من شوائب الدنيا وأعراضها الزائلة وضمه مرة ثالثة ، وقال جبريل .

(اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم
الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) .

كان هذا اول ما نزل من القرآن يدعو الى الايمان بالله الخالق الرازق
بيده المشيئة والهداية وبيده الخلق والامر واستمر نزول القرآن ثلاثة وعشرين
عاما يجيب على اسئلة الكافرين ويثبت قلوب المؤمنين ويشرح عقائد الاسلام
واحكامه ويحارب عبادة الاوثان والاصنام ويدعو الى الخير والعدل والاحسان
بيد ان قلوب اهل مكة كانت اقصى من الجبال الراسيات قال سبحانه
(لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك
الأمثال نصرها للناس لعلهم يتفكرون) .

قص القرآن الكريم قصص الانبياء والمرسلين ليكون موعظة وعبرة
وليستلفت به انظار اهل مكة .

فهذا ابراهيم خليل الله يتأمل في الكون ويجد النجم بارزا فيتخذه
الاهة ويرى القمر ظاهرا فيتخذه الالهة ثم يرى الشمس اكبر نورا فيتخذه
الاهة .

ثم يقول ابراهيم النجم يغيب ، والقمر يغيب ، والشمس تغيب والاله
لا يغيب ، ومن ثم يتجه الى الاله الواحد الأبدى السرمدي قائلا :
(اتى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من
المشركين) ٧٩ الاعام .

ويناقش ابراهيم قومه ويدعوهم الى الله ، وينفرهم من الاصنام التى
لا تسمع ولا تجيب ولا تضر ولا تنفع .

حتى اذا يشس منهم اخذ فاسا وحطم الاصنام وترك الصنم الكبير فاذا
سأله قومه : (انت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم ، قال بل فعله كبيرهم هذا
فاسألوهم ان كانوا ينطقون ، فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون
ثم تكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ، قال افتعبدون من دون
الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا
تعقلون ، قالوا حرفوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين ، قلنا يا نار كونى
بردا وسلاما على ابراهيم) ٦٢ - ٦٩ الانبياء .

وهكذا ناقش القرآن اهل مكة مناقشة هادئة ومعظمهم عن طريق قصص
الانبياء واخبار السابقين فان ذلك اوقع في النفس وادعى الى التأمل
والاستجابة .

(لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن
تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)
١١١ - يوسف .

نزل القرآن منجما على حسب الوقائع والحوادث تشبيها للمؤمنين
وشرحا للمشركين واجابة على أسئلتهم : (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه
القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به قؤادك ورتلناه ترتيلا ، ولا يأتونك بمثل
الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا) ٣٢ ، ٣٣ الفرقان .

كان ابو جهل قبحه الله - عدوا لنفسه وعدوا لمحمد - عليه السلام -
وكان فيه جبروت ولكنه جبروت ذليل ، لا يتماسك امام وهبة الحق ، فكان كلما
لقى النبى يتعبد بجوار الكعبة نهاه عن عبادته وعن صلاته فشاهده مرة
يصلى فقال له الم انهك عن صلاتك ها هنا ؟ فأغظ له النبى الرد وحذره
وتهدده فقال ابو جهل (يا محمد اتهددنى وانا امز اهل الوادى ناديا ، فنزل
الوحى بقوله تعالى (ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى ؟ - ارايت ان كان على
الهدى او امر بالتقوى ، ارايت ان كذب وتولى ، الم يعلم بان الله يرى ، كلا

لئن لم ينته لنسفهم بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع
الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب) .

وبهذا سار القرآن مع المؤمنين ثلاثة عشر عاما في مكة وعشر سنوات في
المدينة يؤازر جهادهم ويشرح عقيدتهم ويؤيد عملهم ويقوى يقينهم واقبل
المسلمون على القرآن قراءة وفهما يمثلون اوامره ، ويجتنبون نواهيه ،
ويحلون حلاله ، ويحرمون حرامه ، وبذلك قويت روحهم بحياة القرآن وعظم
يقينهم بطاعة الرحمن قال تعالى .

(وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى
صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله
تصير الامور) . ٥٢ ، ٥٣ الشورى .

القرآن والتعليم

حث القرآن على طلب العلم ودعا اليه اذ هو راس الفضائل ودليل
المعرفة وسبيل الى الخير ، قال تعالى :

(وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) ، وقال
سبحانه (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) .

يكفى ان نعلم ان اول آية نزلت من كتاب الله تعالى كانت دعوة الى
القراءة والتعليم فقال سبحانه :

(اقرا باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك
الاکرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) .

وروى الامام أحمد وابن حبان والحاكم وصححه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال : (ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضد بما
يصنع) وفي صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من سلك
طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة) .

وفي الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ حين بعثه الى
اليمن : (لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها) .

وفي صحيح مسلم (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة
جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) .

وقد جعل الاسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ففرض
تعليم العلم والعمل به على الرجال والنساء وكان عليه الصلاة والسلام يجعل

يوما للنساء يعظهن ويعلمهن أمور الدين ومعرفة الله واحكام العبادات
والمعاملات حتى- كان عمر بن الخطاب يخطب فردت عليه امرأة فقال عمر
اصابت امرأة واخطا رجل .

ان اقبال الطلاب على العلم واجتهادهم وتفوقهم في تحصينه يعد
عبادة عملية وقربى دينية ومرضاة لله ورغبة في بناء صرح الوطن .
ومن اراد الدنيا فعليه بالعلم ومن اراد الآخرة فعليه بالعلم ومن ارادهما
معا فعليه بالعلم .

فالعلم خير من المال العالم حاكم والمال محكوم عليه والعلم يزكو بالانفاق
والمال ينقص بالانفاق .

قال الامام على رضى الله عنه :

ما الفخر الا لأهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعيش حيا به أبدا الناس موتى وأهل العلم أحياء

ان تعلم جميع العلوم والفنون يؤدي الى تماسك الأمة وتربطها وعلو
شأنها ومن الطبيعي أن تتخصص فئة في معرفة علوم الدين وفئة أخرى في
معرفة العلوم الانسانية وفئة ثالثة في معرفة العلوم العملية وبذلك يتكامل
العلماء ويصبح العلم مصدر قوة ومزعة ، وسلامة للدنيا والآخرة ومن دعاء
المؤمنين : (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) .

حفظ النفس

قال تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما
فقد جعلنا لولييه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا) . الاسراء ٣٣
خلق الله الانسان بيده ، وصوره فأحسن صورته ، ونفخ فيه من
روحه وجعله جميل القوام ، بديع التركيب قال تعالى : (ياأيها الانسان
ما غرك بربك الكريم ، الذي خلقك فسواك فمهلك ، في أى صورة ما شاء
وركبك) الانفطار ٦ - ٨ .

لقد خلق الله الانسان سوى الأطراف قائما على قدميه ومنحه العقل
والتفكير والادراك والاختيار ، وجعل له للسمع أذنين ، وللنظر عينين ،
وللبطش يدين ، ولسانا وشفيتين ، وهداه النجدين وبين له الطريقين .
تقول مجلة العلوم الانجليزية : ان يد الانسان في مقدمة المعجائب
الطبيعية الفلة ، وانه من الصعب ، بل من المستحيل أن يبتكر آلة تضارع
اليد البشرية من حيث البساطة والقدرة وسرعة التكيف .

وان جزءا من اذن الانسان (وهو الاذن الوسطى) هو سلسلة من نحو اربعة آلاف قوس دقيقة معقدة متدرجة بنظام بالغ في الحجم والشكل تشبه آلة موسيقية .

ومركز حاسة الابصار في العين التي تحتوى على مائة وثلانين مليوناً من مستقبلات الضوء وهى اطراف الأعصاب وبفوم الجفن ذو الأهداب بحمايتها أما السائل المحيط بالعين الذى يعرف باسم الدموع فهو أقوى مطهر (١) .

هذا الانسان الذى خلفه الله فى احسن تعويم . هو بنىان الله وصنعتة البديعة وفى الحديث الشريف (الانسان بنىان الله ملعون من هدم بنىان الله) . وقد حرم الله قتل النفس الا بالحق ، والقتل بالحق يكون فى ثلاثة مواضع ، قال صلى الله عليه وسلم : (لا يحل دم امرىء مسلم الا فى احدى ثلاث : ثلاث :

(الثيب الزانى والنفس بالنفس ومن بدل دينه فامتله)

وجعل الله لولى المقتول الحق فى الفصاص او احد الدبة او العفو لأن ولى المقتول اذا احس ان هناك عدالة تقتض له هدأت نفسه وامنع عن الاخذ بالثأر ولأن القاتل اذا تأكد من القصاص فكر كثيرا قبل ان يقدم على فعلنه ، قال تعالى (ولكم فى القصاص حياة) .

الصراط المستقيم

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم : (ان الدين قالوا ربنا الله نم استقاموا تنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون) .

ايها المؤمن ، الاستقامة على الطريق المستقيم دليل النجاة ، وآية السعادة ، وباب الفوز فى الدنيا والآخرة .

جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله قل لى فى الاسلام قولاً واقل فيه لعلى اعيه .

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : قل آمنت بالله تم استقم .

فهذه بلاغة النبوة وجوامع الكلم نرشد الى ان للسعادة الحقنة ركنين اساسيين الايمان بالله ، والاستقامة فى الحياة .

والايمان بالله سبحانه يستتبع الايمان بشرعه وهديه وانبيائه ورسله وكتبه واليوم الآخر .

(١) الله والعلم الحديث . للإستاد عبد الرازق نوفل .

قال تعالى : (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) البقرة / ٢٨٥ .

والاستقامة فى الحياة تشمل اداء الواجبات وترك المنهيات واتباع الدين والافتداء بسيد المرسلين والمؤمن يقرأ الفاتحة فى صلاته كل يوم سبع عشرة مرة ، وفيها يردد قوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم) .

فما هو الصراط المستقيم ؟

الصراط المستقيم : هو الطريق الواضح الذى لا اعوجاج فيه ولا انحراف . وقد كثر كلام المفسرين فى المراد بالصراط المستقيم :

قال ابن عباس : الصراط المستقيم هو الاسلام .
وقال الامام على : الصراط المستقيم هو كتاب الله تعالى .

وقال ابو العالية : الصراط المستقيم هو الطريق القويم ، والمعنى وفقنا الى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه من بعده ابو بكر وعمر .
وكل هذه الاقوال تلتقى على ان معنى الصراط المستقيم هو جملة ما يوصل الناس الى سعادة الدنيا والاخرة من عوائد وآداب واحكام . وهو سبيل الاسلام الذى ختم الله به الرسالات السماوية وجعل القرآن دستوراه الشامل ، ووكل الى محمد صلى الله عليه وسلم تبليغه وبيانه .

فالاسلام والقرآن والنبي محمد يطلق عليها الصراط المستقيم ، لأن الاسلام دعوة هادية ، والقرآن كتاب حق وهداية ، والنبي محمد مبین للقرآن وشارح لاعماله ، وهو التطبيق الحى والاسوة العملية ، سئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن .

أيها المؤمن ،

ان لنا فى رسول الله اسوة حسنة ، وان علينا ان نتبع هديه وان نقتدى بسنته وان نعترف من رحيق تعاليمه ، فقد ختم الله به الرسالات وارسله كافة للناس بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وانزل عليه القرآن هدى ورحمة فيه قصص السابقين وخبر اللاحقين ، وحكم ما بين المؤمنين :

(ان هذا القرآن يهدى للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا ، وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما) الاسراء / ٩ ، ١٠ .

هدانا الله واياكم الى الصراط المستقيم ، ووفقنا الى مرضاة الله رب العالمين .

الثبات في المحنة

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : (يا أيها الذين آمنوا خلوا حلقكم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً) النساء / ٧١ .

كتب الله علينا الجهاد ، وجعله باباً من أبواب الجنة وطريقاً من طرق السيادة والعزة وسبيلاً الى حماية العقيدة والدفاع عن المقدسات والدود عن الحمى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع الحسنين) العنكبوت / ٦٩ .

وقد جعل الله الحياة ميداناً للخير والشر ، والنور والظلام والليل والنهار والشدة والرخاء ، والعسر واليسر (ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، والينا ترجعون) الانبياء / ٣٥ .

وكما يوضع الذهب الابريز في النار ، فيبرز معدنه وتظهر ميزته ، فان الشدائد والمحن تظهر رجولة الرجال وعزم الأباة وصدق المؤمنين ، قال تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ، ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً) الاحزاب / ٢٣ ، ٢٤ .

وفي تاريخ البشرية الطويل وقف المؤمنون المخلصون وقفات خالدة ، أشد رسوخاً من الجبال الراسيات دفاعاً عن العقيدة والمثل ، ولم يكن الانبياء والمرسلون الا نماذج عالية ، ومعالم هادية في الثبات على العقيدة ، وقوة الصبر والاحتمال. قال تعالى (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم ، كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون) الاحقاف / ٣٥ .

وحفظ تاريخ الاسلام أمجاداً سطرت بحروف من نور ، وكان صمود الرجال فيها من أسباب صيانة الحق والخير واندحار الباطل والشر ، قال تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) الانبياء / ١٨ . وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ارتد كثير من الناس عن الاسلام ومنع بعضهم الزكاة ولم يشب على دينه الا اهل المدينة وقريش بمكة وثقيف بالطائف وبعض المؤمنين وما هو الا ان شرح الله صدر أبي بكر فارسل الجيوش لقتال المرتدين ومانى الزكاة فدحروهم وهزمهم ونصر الله الحق واهله وخلد الباطل واهله (قل ان ربي يقذف بالحق على الفيوب قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد) سبأ / ٤٨ ، ٤٩ .

وظل الزحف الاسلامي المقدس يفالب قوى الشر والظلم فيصرعها واحداً تلو الآخر . وتقدمت الجيوش الفاتحة تحمل كتاب الله ونور الاسلام

وهدى النبوة وقوة الحق وصدق العقيدة ، ويحدثنا التاريخ ان المسلمين عندما توجهوا لغزو الروم ارسل ملك الروم في طلب مندوب من جيوش المسلمين ليحادثه . فدخل عليه عبادة بن الصامت ، وكان عبادة اسود الوجه عريض المنكبين طويل القامة وقد كساه جلال الاسلام هيبة ووقارا ، وارتاع ملك الروم من منظر عبادة ، وحاول ان يطلب مندوبا غيره فاصر الجيش الا يتكلم عنه الا عبادة فقال ملك الروم لعبادة لقد كنتم معشر العرب اذل الناس نستأجركم لرعاية تجارتنا وحراسة قوافلنا الا انا جمعناكم وتركناكم تجرائم على حمانا وقدمتم بلادنا وان لدينا من الجيوش ما يفوقكم في العدة والعدد ولا طاقة لكم بحربنا وانا نقبل ان ترجعوا عنا ونجعل لكل واحد منكم جعلا ولأميركم جعلا .

فقال عبادة ، ايها الملك لقد كنا كما تقول حفاة ضعافا حتى ارسل الله الينا رسولا منا يأمرنا بالحق والعدل والمعروف والصدق وينهانا عن الفحشاء والمنكر فآمنا به وصدقناه فأزرننا الله به ، وخرجنا نبشر بهذا الدين وندعوا الناس اليه . واما ما نخوفنا به من كثرة جيوشكم فان ذلك والله أرغب لنا في قتال أعدائنا فما خرج واحد منا وهو يود ان يرجع الى اهله او بلده بل يتمنى ان يرضقه الله الشهادة في سبيله . وانا ندعوكم الى الاسلام فان أبيتم فالجزية ، فان أبيتم كان السيف والقتال ، ثم قال ملك الروم هذا الذي راى منظره ، ثم روعى حديثه ، وان صح مايقولون فسيملكون ما تحت قدمي هاتين .

وصح قول عبادة وهزم ملك الروم وفر الى سوريا ثم لاحقته جيوش المسلمين فاتحة منتصرة ، فقال ملك الروم سلام عليك يا سوريا سلاما لالقاء بعده .

أيها المؤمنون ،

ظهرت رجولة الرجال وبرز ايمان المؤمنين في احلك ساعات الشدائد والمحن في حروب الردة ، في حصار القسطنطينية ، وفي فتوحات الاسلام الخالدة ، في موقعة عمورية ، في معركة حطين ، وفي كفاح الجزائر ، الا وان رحى الحرب دائرة والأيام دول ، والنصر مع الصبر ، والحزم والعزم ، فاشحدوا همتمكم وامضوا في عزيمتكم (واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) الحج / ٧٨ .

نعم الله

اذا تأمل الانسان في نعم الله عليه وجدها أجل من أن تحصى وأكثر من ان تعد ، قال تعالى : (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) . ابراهيم / ٣٤
لقد خلق الله الانسان في أحسن تقويم وشق له للنظر عينين وللسمع

اذنين وللبطش يدين ، وللمشى رجلين وهداه النجدين وبين له الطريقين .
قال تعالى : (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا . انا
خلقنا الإنسان من لطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ، انا هديناه
السبيل اما شاكرا واما كفورا) . الإنسان / ١ - ٣

وواجب الإنسان ازاء هذه النعم ان يشكر المنعم سبحانه وتعالى . فمن
شكر النعمة زاده الله فضلا وعزا ومن جحد النعمة واستغلها في الفساد
والافساد فانه يلقي جزاءه في الدنيا وله في الآخرة عذاب شديد . قال تعالى :
(واذا تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد)
ابراهيم / ٧ .

أيها المؤمن :

ان الحياة رسالة ينجح فيها المؤمنون ، ويفشل فيها الخاسرون . قال تعالى
(الفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون فتعالى الله الملك الحق
لا اله الا هو رب العرش الكريم) المؤمنون / ١١٥ - ١١٦ .
خلق الله الحياة للامتحان والابتلاء . قال تعالى (الذي خلق الموت
والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا) الملك / ٢ .

وجميع ما على وجه الأرض من جاه ومال ومتاع اما هو مادة ذلك
الابتلاء . قال تعالى : «انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن
عملا » الكهف / ٧ .

والإنسان هو المخلوق الوحيد الذي كرمه الله وأسجد له الملائكة وسخر
له الليل والنهار والشمس والقمر والسماء والأرض والافلاك والبحار ،
والفضاء والهواء . قال تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر
والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)
الاسراء / ٧٠ .

الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي تحمل الأمانة وميزه الله بالعقل
والتفكير والارادة فاذا حفظ الإنسان الامانة واستقام على الطريق القويم كان
من اجتباهم الله وقربهم ، واذا خان الإنسان الامانة وعاث في الارض فسادا،
فحكمته شهواته وأسلم قياده لنزواته طمس الله على بصرته ، فصار لا يسمع
دعاء الهدى ولا يبصر طريق النور ، قال تعالى : (افرأيت من اتخذ الهه هواه
وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن
يهديه من بعد الله افلا تذكرون) . الجاثية / ٢٣ .

أيها المؤمن :

لقد بين الله طريق الهدى وطريق الضلال وجعل عونه وفضله للمهتدين
وأعد عقابه للجاحدين لكنه أقر العقاب حتى يقف الناس الى ربهم ويتوبوا

الى خالقهم فمن تاب اليه قبل توبته ومن رجع اليه فتح له بابه . وصدق الله العظيم : (قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) . الزمر / ٥٣

القرآن واليهود

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) .

من رحمة الله بخلفه وتمام نعمته على عباده ، ان ارسل اليهم الرسل وانزل عليهم الكتب في اجيال متعاقبة لهداية الناس الى الدين الحق وارشادهم بالبراهين الساطعة والادلة الفاطعة الى العقيدة الصحيحة التى تقوم على الايمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر ، فجميع الرسل كانت دعوتهم الى الله وحده : (اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) .

وجاء الاسلام خاتما للرسالات وكان محمد صلى الله عليه وسلم خاتما للرسل الكرام عليهم السلام ، ولا يتم ايمان المسلم الا اذا آمن بجميع الانبياء والمرسلين ، ولقد حفل القرآن الكريم في كثير من سوره ، باحداث اليهود قديما في عهد موسى وهارون كما قص علينا كثيرا من صفاتهم والوانا من اخلاقهم ، يندى لها جبين الانسانية في كل زمان فلقد طلبوا من موسى بعد نجاته من فرعون وبطشه ، وبعد ظهور المعجزات على يديه ان يصنع لهم صنما يعبدونه ويخافونه ويرجونه ، قال تعالى .

(وجاوزنا بيني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ، قال انكم تجهلون ، ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون) .

نفسية وضيعة لا تريد ان ترتفع الى عالم الروح والحق انما تهبط بطبيعتها الى عالم المادة الحالك السواد ، وحين حاول موسى اقناعهم بوجود الله الذى انجاهم من فرعون وتفضل عليهم بضروب النعم المختلفة ، قالوا ارنا الله جهرة حتى اذا ذهب موسى الى ميقات ربه حنوا الى طبيعتهم المادية المظلمة وعبدوا عجلا جسدا له خوار وبعد رجوع موسى بالتوراة التى فيها حكم الله ، لم يرموا حقها ، ولم يؤدوا احكامها بل اعتدوا فى السبت (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) وظلموا انفسهم وغيرهم وصدوا عن سبيل الله واخذوا الربا واكلوا اموال الناس بالباطل ، فحرم الله عليهم بعض ما كان قد احل لهم من الطيبات فى الدنيا واعد لهم عذابا اليما فى الآخرة ، قال تعالى (فيظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن

سبيل الله كثيرا ، واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل
واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما) .

وهكذا يقص القرآن ويحكى التاريخ من جرائمهم ومنكر أخبارهم مالا
يشرف امة ندعى كذبا وزورا انها شعب الله المختار وتقول نحن ابناء الله
واحباؤه فنظرة واحدة الى تاريخهم الطويل تدلنا في غير خفاء الى صفاتهم
المرذولة الممقوتة ، فهم الجبناء على مدى التاريخ (لا يقاتلونكم جميعا الا في
قرى محصنة او من وراء جدر) ومن قبل ذلك قالوا لموسى (اذهب انت
وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون) ، وهم الجشعون المحبون لجمع المال من كل
السبل وهم الموزعون في الأرض الأذلاء في كل دولة المبغضون الى كل امة
لا يعلو لهم شأن ولا يظهر لهم كرامة الا بمساندة غيرهم لتتم العبرة للمؤمنين ،

او بقوة من الله ليفتنوا فيستحقوا غضب الله وعذابه ، ولم يذكر
التاريخ لهم عزة ذاتية ولا كرامة نفسية ، وصدق الله العظيم (ضربت عليهم
الذلة اينما نفقوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)

هكذا كان اليهود ، جماعة ذليلة موزعة في الارض ، وقد اقامت في
يثرب ، مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، جماعات منهم ، ولما هاجر
المسلمون الى المدينة وصارت دار الاسلام الاولى اراد الرسول أن يتفرغ
لتربية المؤمنين على فاضل الصفات وعظيم الخلال ولدعوة المشركين الى
الايمان بالله حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

ف عقد مع هؤلاء اليهود معاهدة تنص على مبادئ الحرية الدينية
والمسالمة وحسن الجوار والتعاون على دفع كل اذى يلحق بالمدينة ، التي
صارت دارا للمسلمين واليهود على السواء .

وكعادة اليهود في الغدر ونقض العهد نقض اليهود عهدهم مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يكن أمام المسلمين في سبيل تثبيت دموتهم وحماية
دينهم وحياتهم - طريقا أفضل من جعل المدينة دارا خالصة للاسلام
والمسلمين .



وفي ثلاث مواقع تطهرت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم من
رجسهم ونزلت سورة الحشر في بنى النضير (هو الذى اخرج الذين كفروا
من اهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم
مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم
الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يااولى الابصار) .

وفي بنى قريظة وهم آخر من بقى من اليهود بالمدينة نزل قوله تعالى
في سورة الاحزاب (وانزل الدين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصياهم
وفذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا واورثكم ارضهم
وديارهم واموالهم وارضوا لم تطؤوها وتان الله على كل شئ قديرا) وهكذا
انتهت حياة اليهود في مدينة الاسلام الاولى .

وقد بليت الأمة العربية في هذا العصر ، بدويلة العصابات في اسرائيل
وطباعهم كطباع اسلافهم في الخيانة والفساد والخنال (لتجندن اشد
الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا) .

وفي سياسة الرسول معهم لنا اسوة حسنة ، بل انه بشرنا بالنصر
عليهم كما روى البخاوى في صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
(لن تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فيختبىء احدثهم وراء الحجر فيقول
الحجر يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله) .

من ادب سورة الحجرات

سورة الحجرات سورة مدنية ورغم ان آياتها لا تتجاوز ثمانى عشرة
آية الا ان السورة تضمنت آدابا سامية وحقائق كبيرة من حقائق العقيدة
والشريعة ، ومن حقائق الوجود والاسسانية حقائق تفتح للقلب وللعقل
آفاقا عالية ، وآمادا بعيدة ، وتشير في النفس والذهن خواطر عميقة ومعانى
كبيرة ، وتشمل من مناهج التكوين والتنظيم ، وقواعد التربية والتهديب
ومبادئ التشريع والتوجيه ، ما يتجاوز حجمها ، وعدد آياتها مئات المرات .

وأول ما يبرز للمنظر عند مطالعة السورة ، هو انها تكاد تستقل
بوضع معالم كاملة ، لعالم رفيع كريم نظيف سليم ، متضمنة القواعد والاصول
والمبادئ والمناهج التى يقوم عليها هذا العالم ، والتى تكفل قيامه أولا ،
وصيانته أخيرا . عالم نقى القلب نظيف المشاعر ، عفا اللسان ، وقبل
ذلك نقى السريرة .

عالم له ادب مع الله ، وادب مع رسوله ، وادب مع نفسه ، وادب
مع غيره ، وفي الوقت ذاته له شرائعه المنظمة لأوضاعه ، وله نظمه التى
تكفل صيانته .

تبدا سورة الحجرات بهذا النداء

(يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله

سميع عليم) .

فتنادى المؤمنین بصفة الايمان الذى حبه الله اليهم وزينه فى قلوبهم اختيارا لهم ومنه عليهم ، وتحثهم على تقديم امر الله وأمر رسوله على رأيهم ، ونهاهم عن النعدى على احكام الله ، وقال الطبرى فى تفسير الآية : يا ايها الدين اقروا بوحداية الله وبنبوته نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) اى لا تعجلوا بقضاء امر فى حروبكم أو دينكم قبل أن يقضى الله لكم ورسوله فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله .

وقال مجاهد : لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضى الله تعالى على لسانه .

وقال ابن عباس : لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة

وفى الآية أدب نفسى مع الله ورسوله وفيها منهج فى التلقى والتنفيذ وهو أصل من أصول التشريع والعمل فى الوقت ذاته وهو منبثق من تقوى الله وراجع اليها هذه التقوى النابعة من الشعور بأن الله سميع عليم وكل ذلك فى آية واحدة قصيرة نلمس وتصور هذه الحقائق الأصيلة الكبيرة .

الطاعة

قال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) البقرة / ٢٨٥ .

هذه الآية والتي بعدها حتام سورة البقرة وهى أطول سورة فى القرآن وتسمى الزهراء الاولى .

وقد رسم للمسلمين حياتهم وبينت تشريعاتهم ، وفى ختام السورة تلخيص لاصول الايمان :

انه الايمان الذى ينبع من قلب الرسول الكريم ويشترك معه المؤمنون فى هذا الايمان وهذا تشریف لهم . ومن أصول هذا الايمان : الايمان بالله ربا وخالقا ورازقا ومشرعا بيده الخلق والأمر ، والايمان بالملائكة ، وهم عباد مقربون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . والايمان بكتب الله ورسوله : بالتوراة والانجيل والذبور والقرآن : وبرسل الله اجمعين ، وبانهم هداة البشرية ، وحملة الخير والنور للانسانية وبذلك تمتد جذور الايمان الى اصول عميقة تتلاقى على الايمان بالرسول والكتب ، ويكون الرسل جميعا أئمة هدى ودعاة اصلاح يشتركون فى بناء الايمان وارساء قواعده كما ورد فى الحديث الصحيح : « انما مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فاتمها واكملها الا موضع لبنة فجعل

الناس يقولون ما احسن هذه الدار لو وضعت هذه اللبنة فانا هذه اللبنة وانا خاتم الرسل .

ومن سمات هذا الايمان السمع والطاعة لامر الله ورسوله فلا اسلام بلا طاعة لامر الله ، وانفاذ لمنهجه في الحياة ، ولا ايمان حيث يعرض الناس عن امر الله في الكبيره والصغيرة من شئون حياتهم ، او حيث لا ينفذون شريعته ، او حيث يتلفون تصوراتهم عن الخلق والسلوك والاجتماع والاقتصاد والسياسة من مصدر غير مصدره ، فالايان ما وقر في القلب وصدقة العمل .

ومع السمع والطاعة لامر الله يكون الشعور بالتقصير والطمع في رحمة الله العلى القدير ، فيقولون : **غفرانك ربنا واليك المصير** .

والايان بالبعث والحشر والجزاء جزء من عقيدة المسلم الذى يؤمن بالله خالقا ورازقا ، خلق الانسان بيده ونفخ فيه من روحه وسخر له الكون كله ورسم له منهج السلوك والعبادة وشرع له العبادات والمعاملات رحمة به في الحياة والممات . ثم ان المصير والمرجع الى الله (وان الى ربك الرجعى) (ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) .

وبذلك يتلاقى البدء والمعاد في تصور المؤمن ويمتد ايمانه الى جميع الرسل ، ثم يمتد اعتقاده بان المصير الى الله والمرجع اليه والجزاء العادل منه . (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) .

التسامح

قال تعالى : (**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين**) آل عمران / ١٥٩ .

كان صلى الله عليه وسلم سمحا سهلا مؤالفا محببا حباه الله بالخلق الجميل وميزه بمكارم الأخلاق .

وكان النبی مع اصحابه كاحدهم لا يتميز عليهم ، وفي هذه الاية يذكره الله بنعمته عليه وعلى المسلمين ان جعل قلبه رحيمًا بهم لينا معهم ولو كان فظا غليظ القلب لنفروا منه وشردوا . . ذلك ليستجيش هذه الرحمة الكامنة في صدره - عليه الصلاة والسلام - فتغلب ما في نفسه منهم . . ثم يدعو ان يعفو عنهم ويستغفر لهم ويشاورهم في الامر كما كان يشاورهم ، حتى اذا اعتزم بعد المشاورة لم يتردد ومضى متوكلا على الله لا يتلفت .

(**فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من**

حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) .

وهكذا يقرر الاسلام مبدأ الشورى في الحكم حتى ومحمد الرسول هو الذى يتولاه وهو نص جازم قاطع ، لا يترك للامة الاسلامية شكا في أن الشورى مبدأ أساسى من مبادئ الحكم في الاسلام .

اما كيف تتم هذه الشورى ، فذلك متروك لمقتضيات الحياة ، واختيار الامة المسلمة حسبما تراه .

السحر في القرآن

قال تعالى : (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين بيابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولوا انما نحن فتنه فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ، ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ، ولو انهم آمنوا واتقوا لثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ، يا ايها الذين آمنوا ، لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم ، ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) البقرة ١٠٢ - ١٠٥ .

المفردات

(تلو) أى تقرا أو تتبع يقال تلاه يتلوه تلاوة أى قراه ، وتلاه يتلوه تلوأ أى تبعه . (بيابل) بابل مملكة قديمة كانت بالعراق . (هاروت وماروت) اسما ملكين هبطا من السماء الى الأرض لتعليم الناس السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة ، وهذا بعيد عن العقل وأحسن منه ما قيل من انه عنى بالملكين رجلين صالحين سماهما ملكين لصلاحيهما (فتنه) أى اختبار وابتلاء ، والفتنة أيضا الضلال والاثم والفكر والفضيحة والعداب والجنون واختلاف الناس في الآراء وما يقع بينهم من الاضطراب ، فعله فتن يفتن فتنه ، وفتنه الشيء أعجبه ، وأفتن فلانا أوقعه في الفتنة وفتن في دينه وأفتتن مال عنه ، (بضارين) بمضرين يقال ضاره مضارة وضارا اضره وآذاه . (خلاق) أى نصيب . (شروا) هنا بمعنى باعوا . فان فعلى شرى وباع يؤدي أحدهما معنى الآخر (لثوبة) أى لثواب ، والثواب ما يرجع الى الانسان من جزاء عمله (راعنا) راقبنا .

معنى الآيات

تحدثت الآيات السابقة عن اليهود فوصفتهم بالفدر ونبد العهد والمواثيق .

وأضافت هذه الآيات الى اليهود انهم نبدوا كتاب الله ليحجروا خلف أساطير غامضة لاتستند الى حقيقة ثابتة . لقد تركوا ما أنزل الله من القرآن مصدقا لما معهم ، وراحوا يتتبعون ما يقصه الشياطين عن عهد سليمان وما يضلون به الناس دعاوى مكذوبة عن سليمان ، اذ يقولون : انه كان ساحرا ، وانه سخر ما سخر عن طريق السحر الذى كان يعمله ويستخدمه .

والقرآن ينفى عن سليمان — عليه السلام — انه كان ساحرا فيقول — وما كفر سليمان — فكأنه يعد السحر واستخدامه كفرا ينفيه عن سليمان — عليه السلام — ويثبته للشياطين : (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) .



لقد انهمك اليهود في اتباع ما كان يقرأه الشياطين على عهد ملك سليمان من السحر يعلمونه للناس افسادا لهم واتبعوا أيضا ما أنزل على الرجلين الصالحين ببابل من الامور السحرية مع انهما كانا اذا علما أحدا حدرا من استخدامهما في الايداء وقالوا له انما هو امتحان للناس فلا تفكر بالله بسببه ، فكان الناس يتعلمون منهما ما يفرقون به بين الزوجين ، وما هم بمؤذنين به من أحد الا باذن الله وقد علموا ان من تجرد لهذه الامور المؤذية ماله في الآخرة من نصيب .

ولو ان هؤلاء الذين يتعلمون السحر آمنوا وخافوا الله لاثابهم جزاء أعمالهم مثوبة افضل مما شغلوا انفسهم به .



يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا لرسول الله راعنا بل استعوضوا عنها بقولكم انظرونا ، واسمعوا ما يقال سماع قبول ، وللكافرين عذاب اليم ، وقد أبدل الله بقولهم (راعنا) قولهم (انظرونا) لأن اليهود لما سمعوا الصحابة يقولونها للنبي صلى الله عليه وسلم وراوا أن هذه الكلمة توافق كلمة سب في العبرية أخذوا يقولونها بتلك النية .

ثم أخبر الله المؤمنين بأن أعداءهم من المشركين والذين كفروا من أهل الكتاب لا يحبون ان يتتابع نزول وحى السماء عليهم حقدا على المسلمين أن يختارهم الله لهذا الخير وينزل عليهم القرآن ويحبوهم بهذه النعمة ويعهد إليهم بأمانة العقيدة في الأرض وهى الأمانة الكبرى في الوجود .

والله أعلم بمن يستحق الخير فهو يختص محمدا بالرسالة والمؤمنين به بالهداية لانهم أهل لهذا الاختصاص .

والله ذو الفضل العظيم وهو صاحب المنة والعطاء فهو يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ، وليس أعظم من النبوة والرسالة ، وليس أعظم من نعمة الايمان والدعوه اليه .

وفي هذا رد على اليهود الذين حقدوا على العرب المسلمين ان يختار الله محمدا من بينهم فيبين القرآن ان الرسالة فضل من الله يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

قال تعالى (ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ، فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا) النساء / ٥٤ ، ٥٥ .

ويقول صاحب الجوهرة :

ولم تكن نبوة مكنسببه ولو رقى في الخير أعلى عقبه
بل ذاك فضل الله يؤتية من يشاء جل الله واهب المنن

باب السعادة

قال تعالى : (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما ، ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت إيمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا) . النساء ٣٢ ، ٣٣

شرح المفردات :

الموالى جمع مولى وهو بمعنى الولى ، أى الذى يتولى غيره أو يتولاه غيره ، كقوله تعالى : (الله مولى الذين آمنوا) ، أى وليهم ، ويقال للعبد هذا مولى فلان ، ويقال لسيدته مولى كذلك ، لان كليهما يتولى الآخر . ومعنى قوله تعالى ولكل جعلنا موالى أى لكل انسان جعلنا ورثة يرثونه . (والذين عقدت إيمانكم) أى والذين ربطت إيمانكم . والمراد بهم أحلاف الرجال ، فقد كان من عادة العرب ان يتحالف الرجل مع رجل آخر على تبادل النجدة والمعونة فى مهام الحياة ، وكان الحليف يرث سدس مال حليفه وفى هذه الآية حث على ايتاء الحليف حقه من الميراث ، ولكن نسخ هذا بقوله تعالى (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض) .

التفسير :

(ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض . للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما) .

وردت روايات كثيرة في سبب نزول هذه الآية ..

فقد قال الرجال : نرجو ان يكون اجرنا على الضعف من اجر النساء كالميراث . وقالت النساء يكون وزرنا على نصف وزر الرجال كالميراث .

وعن مجاهد قال : قالت ام سلمة : يارسول الله تغزو الرجال ولا تغزوا ، وانما لنا النصف من الميراث فانزل الله تعالى : (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) .

وعن عكرمة ان النساء سالن الجهاد فقلن وددنا ان الله جعل لنا الغزو فنصيب من الأجر ما يصيب الرجال ، فانزل الله هذه الآية .

والآية توحى بان فريقا من الرجال والنساء تمنى بعضهم نصيب الآخر . والارجح ان يكون النساء هن اللواتى تمنين فضل الرجال عليهن في الميراث وفي غنائم الحرب .. ولبس لهن فيها نصيب ، لانه ليس عليهن جهاد .

ولكن العبرة بعموم النص لا بخصوص السبب ، والنص هنا عام ينهى عن تمنى ما في ايدى الاخرين من فضل ، ويامر بالتوجه الى فضل الله ، تكريما للنفس عن التطلع ، وتنقية للضمير من الحسد ، وبرئة للقلب من الحقد ، وتوجيها للفرد الى الله الذى لا تغلق خزائنه ولا تنفذ .

وليس في هذا تحذير للفقراء ليتركوا الاغنياء وغناهم ، ويكتفوا بالتطلع الى رزق السماء ، انما المقصود هو صيانة ارواحهم من التهاوى والضعف ، ومن الحسد والحقد امام الثراء والاثرياء .. اما حقوق الفقراء في اموال الاغنياء فيكفلها لهم التشريع عن طريق آخر ، غير طريق التطلع والتمنى : والتمنى هو التطلع العاجز السلبي ، الذى لا يدفع الى جهد ولا محاولة .

واما الرغبة في الثراء عن طريق العمل ، فهي رغبة حميدة مشروعة ، لانها تدفع الى الانتاج والنماء والصلاح ، وهى ابتغاء فضل الله الذى لا يستحقه الا العاملون ، والله هو العليم بمدخل النفوس ومسارب الاحاسيس ، ومسالك الخير في الحياة (ان الله كان بكل شيء عليما) .

واذا كانت المرأة لا ترث الا نصف الرجل . فلانها اذا كانت بنتا فهى في كفالة ابيها ، واذا كانت زوجة فنفقتها ونفقة الأولاد على زوجها . فمن حكمة التشريع ان اعطاها من الميراث على قدر حاجتها واعطى الرجل على قدر تبعاته .

مصالح الجمهور فعلى كل واحد أن يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو خير له ، ولو كان خلافه لكان وبالا عليه ، كما قال : (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض) .

وفي الكلمات القدسية : من استسلم لقضائي ، وصبر على بلائي ، وشكر نعمائي ، كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة مع الصديقين ، ومن لم يرض بقضائي ، ولم يصبر على بلائي ، ولم يشكر على نعمائي ، فليخرج من أرضي وسمائي ، وليطلب ربا سواي .

قال المحققون لا يجوز للانسان ان يقول : اللهم اعطني دارا مثل فلان ، وزوجة مثل زوجة فلان وان كان هذا غبطة لا حسدا ، بل ينبغي ان يقول : اللهم اعطني ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعادي ومعاشي .
وعن الحسن لا يتمنى احد المال فلعل هلاكه في ذلك المال .



وقيل في سبب نزول الآية ، ان وافدة النساء امت الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت : رب الرجال والنساء واحد ، وانت الرسول الينا واليهم ، وأبونا آدم وامنا حواء ، فما السبب في ان الله يذكر الرجال ولا يذكرنا فنزلت الآية ، فقالت وقد سبقنا الرجال بالجهاد فمالنا ؟

فقال صلى الله عليه وسلم ان للحامل منكن اجر الصائم القائم ، واذا ضربها الطلق لم يدر احد مالها من الاجر ، فان ارضعت كان لها بكل مصة اجر احياء نفس .

(للرجال نصيب مما اكتسبوا . .) اي للرجال نصيب مما اكتسبوا بسبب قيامهم بالنفقة على النساء وللنساء نصيب مما اكتسبن بحفظ فروجهن وطاعة ازواجهن والقيام بمصالح البيت ، فينبغي ان يرضى كل فريق بما قسم له (١) .

(ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون) ، موالى يرثون هؤلاء وهؤلاء ويؤول اليهم منهم ومنهن نصيب ، فلكل من الرجال والنساء حق في الكسب وحق في الارث فلا يتم احد ما فضل الله به بعضهم على بعض .
(والذين عقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا) .

قيل ان هذا النص يشير الى ما كان في الجاهلية : ان يتحالف الرجل مع الرجل على تبادل النجدة على ان يرث الحليف السدس من الميراث .

(١) تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري ج ٥ ص ٢٨

وقيل : انه يشير الى ما كان في صدر الاسلام من المؤاخاة بين المهاجرين والانصار والتوارث فيما بينهم . . وذلك قبل ان يقصر الارث على ذوى القربى . .

ومعناه ان هؤلاء الذين قام بينكم وبينهم انفاق قبل قصر الميراث على الاهل ، عليكم ان توفوا لهم بنصيبهم وفاء بتلك الايمان (ان الله كان على كل شيء شهيدا) .

الاحسان في القرآن

قال تعالى في كتابه الكريم :

(قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غنى حلیم ، يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والاذى كالذى ينفق ماله رثاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثلته كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرين على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين ، ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير) البقرة ۲۶۳ - ۲۶۵ .

قرر القرآن ان المال مال الله وان الرزق الذى فى ايدى الواجدين هو رزق الله .

فحبة القمح الواحدة قد اشتركت فى ايجادها قوى وطاقات كونية من الشمس الى الأرض الى الماء والهواء ، وكلها ليست فى مقدور الانسان ، وقس على ذلك نقطة الماء وخيط الكساء وسائر الاشياء . فاذا اعطى المحسن للفقير شيئا فانما اعطاه من فضل الله فينبغى الا يبطل صدقته بالبن والتناول على الفقير .

ويقرر القرآن ان الكلمة الطيبة والتسامح والمغفرة خير من صدقة يتبعها اذى وتناول على الفقير والمسكين ، (والله غنى حلیم) غنى عن الصدقة المؤذية ، حلیم يعطى عباده الرزق فلا يشكرون .

ثم يرسم القرآن مشهدا عجيبا ، او مشهدين عجيبين :

المشهد الاول مشهد القلب الجاحد الاصم الذى لا ينبض بقطرة من الرحمة ، فهو لا يؤمن بالله واليوم الآخر ، وانما ينفق ماله رثاء الناس وتظاهرا وطلبا للفخر والثناء بين الناس ، فهذا القلب أشبه بحجر صلد عليه تراب يغطيه ويحجب صلاته وقسوته وجذبه عن الناس . ثم امطرت السماء فتركت هذا الحجر عاريا مكشوقا ، لا ينبث ثمرا ولا يثمر خيرا .

أما المشهد الثانى فهو مشهد قلب المؤمن الذى يتحرك بذكر الله وينفق المال ابتغاء مرضات الله وطمعا فى النّبات على الايمان ، هذا القلب الخير تمثله جنة خصبة عميقة التربة على ربوة مرتفعة من الأرض نزل عليها المطر من السماء فأحياها وضاعف إنتاجها كما تحيى الصدقة قلب المؤمن فيزكو ويزداد صلة بالله ، (فان لم يصبها وابل) غزير من المطر (فطل) أى رذاذ قليل يكفيها وينمبها لأن تربتها طيبة .

وكذلك قلب المؤمن يستفيد بالصدقة ، ويستشعر مرضاة الله ويرجو ثوابه بعمله .. انه يعطى الله ، ولا يرجو الا نواب الله .

(والله بما تعملون بصير) انه مطلع ومشاهد لحركات الجسم والنفس .

وفى الحديث الصحيح : سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل الا ظله من هؤلاء السبعة : « رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه » .

(٩)

الجلال والمحرام

الحليل والتحرير

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض
جميعا)

البقرة / ٢٩

خلق الله الانسان وسخر له الليل والنهار والشمس والقمر ، والبحار
والأنهار وأباح له الانتفاع بخيرات الأرض جميعها أكلا وشربا ولباسا وتداويا
وركوبا وزينة ، وغير ذلك مما جعله الله رزقا حلالا لبني آدم . وصدق سبحانه
اذ يقول :

(ولقد كرمتنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) الاسراء / ٧٠

ومن هذا يتضح لنا نص الدليل القطعى على القاعدة المعروفة عند
الفقهاء « أن الأصل فى الأشياء المخلوقة الإباحة » .

أى ان الله أباح منافع العالم عامة للانسان . قال تعالى :

(وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا) الجاثية / ١٣

وقال سبحانه : (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا
وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) النحل / ١٤ .

وقال سبحانه : (ويحصل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث)
الأعراف / ١٥٧

والطيب من الأطعمة ما تستطيبه الأذواق وتستفيد منه فى التغذية
النافعة ، والطيب من الأموال ما أخذ بحق وتراض فى المعاملة . والخبث

من الاطعمة ما تمجه الطباع السليمة وتستتقده ذوقا كالميتة والدم المسفوح او تصد عنه العقول الراجحة لضرره في البدن كلحم الخنزير الذى تتولد من اكله الدوده الوحيدة . والخبيث من الاموال ما يؤخذ بغير حق كالربا ، والرشوة والسرقة والخيانة والغصب والسحت قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم) البقرة / ١٧٢ ، ١٧٣ .

قال الامام محمد عبده في تفسير المنار : « لا يفهم هذه الآية حق فهمها الا من كان عارفا بتاريخ الملل عند ظهور الاسلام وقبله ، فان المشركين واهل الكتاب كانوا فرقا واصنافا منهم من حرم على نفسه اشياء معينة بأجناسها او اصنافها كالبهيرة والسائبة عند العرب وكبعض الحيوانات عند غيرهم . وكان البعض يتقرب الى الله تعالى بتعذيب النفس واحتقارها وحرمانها من جميع الطيبات المستلذة ، واحتقار الجسد ولوازمه ، واعتقاد الا حياة للروح الا بذلك وان الله تعالى لا يرضى منا الا احياء الروح » .

وقد تفضل الله تعالى على الامة الاسلامية بجعلها امة وسطا تعطى الجسد حفه والروح حقها . قال تعالى (وكذلك جعلناكم امة وسطا البقرة / ١٤٣ . فأحل الطيبات لتتسع دائرة نعمه الجسدية علينا ، وأمرنا بالشكر عليها ليكون لنا منها فوائد روحانية وعقلية ، فلم يجعل حياة الانسان لخدمة الجسم وحده كالانعام ، ولا لخدمة الروح وحدها كالملائكة ، وانما جعلنا بشرا نأكل الطعام ونتمتع بالطيبات وتؤدي حق الله . وفي الحديث الشريف : « ان لبدنك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا ، وان لربك عليك حقا فاعط كل ذى حق حقه » .

ايها المؤمن :

ما حرم الله شيئا الا لضرره في الجسم او العقل او الدين او المال او العرض والضرر يختلف باختلاف الاشخاص والأوقات والاحوال ، وقد يتخلف أحيانا اذ يكفى فى التحريم أن يكون ضارا فى الغالب ، فمن عمل عملا من شأنه الضرر فى الجسم فربما ينجو من ضرره بقوة مزاجه اذا هو لم يسرف فيه ، لكنه وشيك الوقوع فى الخطر ، بعيد عن الأمان والاطمئنان .

ومن حكمة الله سبحانه انه اذا حرم أمرا ، أمر بسد الطريق على بواعثه ودواعيه ، فما لا يتم الواجب الا به فهو واجب .

لقد حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأرشد المسلمين الى حرمة الخلوة بالأجنبية . وأمرهم بغض الابصار والبعد عن مواقف التهم ، طلبا للسلامة وابتعادا عن الشبهات .

دوى البخارى فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
«الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات لا يعلمهن كثير من الناس .
فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع
فى الحرام ، كزاع يرمى حول الحمى يوشك أن يقع فيه . الا وان لكل ملك
حمى ، الا وان حمى الله محارمه ، الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح
الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهى القلب » .

الحلال والحرام

أحل الله الحلال وحرم الحرام لحفظ حياة الانسان وعقله وعرضه وماله ،
وما حرم الله شيئا الا وفيه مضره حقيقية قد تظهر لبعض الناس ، وقد تغيب
عن بعضهم ، ولكن الحقيقة الثابتة ان ماشرعه الله لعباده فيه نفعهم وصلاحهم
لأن رب العباد أعلم بما يصلح حال العباد .

حرم الله الميتة ، والمراد بها مامات حتف أنفه بدون ذبح ، اذ يفلب على
الميتة ان تكون ماتت بسبب المرض او الضعف او غير ذلك من انواع الاضرار ،
كما حرم الله الدم المسفوح الذى يسيل ويراق من الحيوان ، وحكمة تحريمه
ما فيه من عسر الهضم وشدة الضرر بالجسم . اما الدم المتجمد فى الطبيعة
كالطحال والكبد فقد أحله الله ، وفى الحديث : « أحلت لنا ميتتان ودمان .
السّمك والجراد ، والكبد والطحال » .

وقد حرم الله اكل لحم الخنزير لما يترتب عليه من الضرر بالجسم ،
وجل ضرره ناشىء من اكله للقاذورات ، والاسلام طيب يحب الطيبات ويحرم
الخبائث ويبالغ فى أمر النظافة . كما ان اكل لحم الخنزير يولد الديدان
الشريطية كالدودة الوحيدة ، وسبب سريان ذلك اليه اكل العذرة . ومعروف
ان لحم الخنزير أعسر اللحوم هضما لكثرة الشحم فى أليافه العضلية ، وقد
تحول الأنسجة الدهنية فيه دون عصير المعدة فيعسر الهضم وتتعب المعدة
أكله ويشعر بثقل فى بطنه واضطراب فى قلبه .

أيها المؤمن :

حرم الله شرب الخمر ، وأمر بالابتعاد عنها ، وجعل ذلك سببا فى الفلاح
والنجاح وقد بين الله أن للخمر والميسر نفعا ولكن ضررها أكبر من نفعها وما
كثر ضرره وجب تركه .

ولقد احتوت الخمر على العديد من الاضرار ، فمن أضرار الخمر الصحية
افساد المعدة ، وفقد الشهية للطعام ، وتفسير الخلق ، فالسكارى يسرع اليهم
التشوه فتجحظ أعينهم وتمتقع سحنتهم ، وتعظم بطونهم ، بل قال أحد
الأطباء : ان السكر ابن الأربعين يكون نسيج جسمه كنسيج ابن الستين
ويكون كالهرم جسما وعقلا .

اما ضرر الخمر في العقل فهو مسلم عند الناس ، وليس ضرره فيه خاصا بما يكون من فساد الصور والادراك عند السكر ، بل ان السكر يضعف الفوة العاقلة ، وكثيرا ماينتهى بالجنون ، ولاحد اطباء المانيا كلمة اشتهرت كالأمثال هي : « اقلوا لى نصف الحانات أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات والبيمارستانات والتكافا والسجون » .

ومن اضرار الخمر في التعامل وقوع النزاع في الخصام بين السكارى بعضهم مع بعض وبينهم وبين من يعاشرهم ويعاملهم ، تثير ذلك أدنى بادرة فيوغلون فيه حتى يكون عداوة وبغضاء ، وهذه العلة في التحريم من أكبر العلل في نظر الدين ولذلك ورد بها النص في سورة المائدة : (انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر) .

ومن اضرار الخمر افشاء السر وهو ضرر يتولد منه مضرات كثيرة ، لاسيما اذا كان السر يتعلق بأمور الدولة ومنها الخسة والمهانة في أعين الناس، فان السكران يكون في هيئته وكلامه وحركاته بحيث يضحك منه ويستخف به كل من يراه حتى الصبيان ، لأنه يكون أقل منهم عقلا وأبعد عن التوازن في حركانه وأعماله ، والضبط في أفكاره وأقواله .

وتنقل كتب الأدب عن السكارى من النوادر الغربية ما يكفي في ردع الانسان العاقل عن الاقتراب من الخمر .

اما منافع الخمر التي أشار اليها القرآن فأهمها التجارة ، فقد كانت ولا يزال موردا كبيرا للثروة ومادة عظيمة للتجارة ومنها انها تثير النخوة ونشجع الجبان ، وقد كان هذا أعظم منافعها عند العرب في الجاهلية ، وهو من أكبر مضراتها في أيامنا هذه ، لأن الحمية هي السبب فيما يكون بين السكارى من التنازع والنخاصم والاعتداء ، ولا حاجة اليها في الحرب الآن بل هي ضارة فيها . لأن الحرب صارت صناعة دقبة وفنا من العلم لا بد فيها من حضور العقل وجودة النظر ، فرب غلطة من قائد تذهب بجيشه وتمكن منه عدوه ، فالضباط مديرون والجنود آلات عاقلة في أيديهم لا نجاح لها الا بالسمع والطاعة مع الفهم ، والسكر قد يحول دون حسن التدبير من العقلاء وسرعة الامتثال من الجنود .

أهها المؤمن :

كلما تقدم الزمان ، كلما أئب صدق القرآن الذي حذر من الخمر والميسر ، وبين أن ضررهما أكبر من نفعهما ، وقد وضحنا ذلك في شأن الخمر، أما الميسر وهو القمار فضرره أظهر وأوضح ، لاسيما في هذا العصر الذي كثرت فيه أنواع القمار وعم ضررها حتى ان الحكومات الحرة التي تبيع تجارة الخمر تمنع أكثر أنواع القمار وتعاقب عليها .

فمنفعة القمار وهمية ومضراته حقيقية ، فان القامر يبذل ماله المملوك

له حقيقة على وجه اليقين لاجل ربح موهوم ، وقد انتهى الامر بكثير من المقامرين الى قتل أنفسهم غما ، او الرضى بعيشة الذل والمهانة .

قال الامام محمد عبده : اننى اعرف رجلا كانت ثروته لا تقل عن ثلاثة ملايين جنيه ، فما زال شيطان القمار يفره باللعب حتى فقد ثروته كلها وعاش بقية حياته فقيرا معدما .

وصدق الله العظيم : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما) .

التدرج في التشريع

يقول الله تعالى في كتابه الكريم .

(يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ، ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) .

حرم الله شرب الخمر بحرما تدريجيا ، فبين أن ضررها اكثر من نفعها ثم نهى عن شرب الخمر في اوقات الصلاة ، ثم حرمها تحريما قاطعا ، وبين سبحانه أن الخمر والميسر رجس من عمل الشيطان يجب الابتعاد عنه .

وقد كان الحق سبحانه يأخذ بيد الجماعة الاسلامية الناشئة خطوة خطوة في الطريق الذى اراده لها ويصنعها على عينه للدور الذى قدره لها ، وهذا الدور العظيم لا تتلاءم معه تلك المضيعة في الخمر والميسر ، ولا تناسبه بعثرة العمر ، وبعثرة الوعى ، وبعثرة الجهد في عبث الفارغين ، الذين لا تشغلهم الا لذائد انفسهم ، او الذين يطاردهم الفراغ والخواء ، فيفرقونه في السكر بالخمر والانشغال بالميسر ، او الذين تطاردهم انفسهم فيهربون منها في الخمار والقمار ، كما يفعل كل من يعيش في الجاهلية والرذيلة ، الا ان الاسلام على منهجه في تربية النفس البشرية كان يسير على هنية وفي يسر وتؤدة ، وهذا النص الذى بين ايدينا كان اول خطوة من خطوات المحريم ، فالاشياء والأعمال قد لا تكون شرا خالصا . فالخير يتلبس بالشر ، والشر يتلبس بالخير في هذه الأرض ، ولكن مدار الحل والحرمة هو غلبة الخير أو غلبة الشر . فاذا كان الائم في الخمر والميسر اكبر من النفع فتلك علة تحريم ومنع ، وان لم يصرح هنا بالتحريم والمنع .

هنا يبدو لنا طرف من منهج التربية الاسلامى القرآنى الربانى الحكيم، وهو المنهج الذى يمكن استقراؤه في الكثير من شرائعه وفرائضه وتوجيهاته ، ونحن نشير الى قاعدة من قواعد هذا المنهج بمناسبة الحديث عن الخمر والميسر .

عندما يتعلق الأمر أو النهى بفاعدة من قواعد التصور الایمانی ای بمسألة اعتقادیة فان الاسلام یقضى فیها قضاء حاسما مند اللحظة الأولى .
ولکن عندما ما يتعلق الأمر أو النهى بمادة وتقلید أو بوضع اجتماعی معقد ، فان الاسلام یتربث به ویأخذ المسألة بالیسر والرفق والتدرج ، ویهیه الظروف الواقعیة التی تیسر التنفید والطاعة فعندما كانت المسألة مسألة التوحید أو الشرك : أمضى امره مند اللحظة الأولى ، فی ضربة حازمة جازمة لا تردد فیها ولا تفلت ، ولا مجالمة فیها ولا مساومة ، ولا لقضاء فی منتصف الطریق ، لأن المسألة هنا مسألة قاعدة أساسیة للتصور لا یصلح بدونها ایمان ولا یقام اسلام .

فأما فی الخمر والمیسر فقد كان الأمر امر عادة والف ، والعادة تحتاج الی علاج ، فبدأ بتحریک الوجدان الدینی ، والمنطق التشریعی فی نفوس المسلمین ، بأن الائم فی الخمر والمیسر أكبر من النفع ، وفی هذا ایحاء بأن ترکهما هو الأولى ، ثم جاءت الخطوة الثانیة بأیة سورة النساء : (یا ایها الذین آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) . والصلاة فی خمسة اوقات معظمها متقارب ، لا یکفی ما بینها للسكر والافاقة ، وفی هذا تضییق لفرص المزاولة العملیة لعادة الشرب ، وكسر لعادة الادمان التی تتعلق بمواعید التعاطی ، اذ المعروف أن المدمن یشعر بالحاجة الی ما ادمن علیه من مسکر أو مخدر فی الموعد الذی اعتاد تناوله فاذا تجاوز هذا الوقت وتكرر هذا التجاوز فترت حدة العادة وأمكن التغلب علیها . . حتی اذا تمت هاتان الخطوتان جاء النهی الحازم الآخر بتحریم الخمر والمیسر : (انما الخمر والمیسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشیطان فاجتنبوه لعلکم تفلحون . انما یرید الشیطان ان یوقع بینکم العداوة والبغضاء فی الخمر والمیسر ویصدکم عن ذکر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون) .

تحريم الخمر والمیسر

بسم الله الرحمن الرحيم

(یا ایها الناس قد جاءکم من الله نور وكتاب مبین یرهدی به الله من اتبع رضوانه سبیل السلام ویخرجهم من الظلمات الی النور باذنه ویهدیهم الی صراط مستقیم) .

ایها المؤمنون :

أرسل الله محمدا صلی الله علیه وسلم هادیا ومبشرا ونذیرا ودامیا الی الله باذنه وسراجا منیرا .

أرسله ربه علی حین فترة من الرسل ، فی وقت خفت فیهِ صوت الحق

وانمحت معالمه ، فقد كان اهل الجاهلية يثدون البنات وينهكون الحرمات
ويقيمون الحروب لانفه الاسباب ، ويعتدى القوى على الضعيف ، ويعيش
بعضهم على السلب والغارة . فلما جاء الاسلام دعاهم الى الايمان الذى نقى
قلوبهم وطهر افئدتهم وسما بارواحهم الى معالم الخير والحق .

وكان القرآن ينزل فيهدب النفوس ويحث على الفضائل ويدعو الى
مكارم الأخلاق ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث .

ومما حرمه القرآن شرب الخمر لما لها من اثر فى فساد العقل وانتشار
الاثم والشر ، قال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب
والالزام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن
الصلاة فهل انتم منتهون) الايتان ٩٠ ، ٩١ من سورة المائدة .

فقد وصفت الآية الخمر والقمار وعبادة الاصنام بانها رحس اى ذنب
كبير ووصفتها بانها من عمل الشيطان ، وهو كناية فى اللسان العربى وفى
الاسلوب القرآنى عن غابة القبح ونهاية الشر ثم امرت الآية باجتناى هذه
الاشياء الضارة ، فقال سبحانه (فاجتنبوه) ، ومعناه ان تكون الخمر فى
جانب المؤمن فى جانب منها بحيث لا يقربها ، فضلا عن ان يتصل بها فضلا
عن ان يتناولها .

ثم سجلت الآية ان الخمر تصرف المؤمن عن الصلاة ، وتصدده عن ذكر
الله وعن تذكر جماله وجلاله .

واخيرا تختم الآية هذه الجهات كلها بهذا الاستفهام التقرىعى الدال على
غاية التهديد : (فهل انتم منتهون) ؟

تلك اساليب التحريم التى تضمنتها آية الخمر وانه لفى الواحد منها
مايملا قلب المؤمن بربه رهبة من غضبه اذا ماحدثته نفسه ان يقترب من
الخمر .

وقد جاءت الاحاديث الصحيحة عن رسول الله (ص) بروايات متعددة
واسانيد مختلفة تنبت حرمة الخمر وضررها فقال (ص) : « كل مسكر خمر
وكل خمر حرام » . وقال (ص) : « لعن الله الخمر ، شاربها وساقياها وبائعها
ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة » .

والاحاديث فى تحريم الخمر اكثر من ان نحصى حتى قال العلماء ، ثبت
عن النبى (ص) تحريم الخمر بأخبار تبلغ بمجموعها رتبة التواتر ، واجمعت
الامة من لدن الرسول صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا على تحريمها ،
وبذلك استقرت الحرمة حكما للاسلام وصارت حرمتها من المعلوم

من الدين بالضرورة ، ومن لو ارم ذلك ان من استحلها ، وانكر حرمتها ، يكون خارجا عن الاسلام . وان من يناولها طائعا مختارا يكون فاسقا عن امر الله خارجا على حدوده عاصيا لأحكامه .

أيها المؤمن :

هذه هي أحكام الاسلام في الخمر : حرمة تناولها ، حرمة الانتفاع بدائها ، حرمة اهدائها ، حرمة بيعها والانتفاع بثمرتها ، اهدار قيمتها ، وجوب العقوبة عليها قد بينها كما امر الله سبحانه ، حتى يعرف المؤمن ضرر الخمر فينبعد عنها وسلك طريق النجاة بانباع ما امر الله ، وبالتزام طريق التوبة والانابة والاستقامة . (ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) .

أيها المؤمن :

قرن الله الخمر بالميسر وبين أن امهما كبير ، والميسر هو القمار ، واشتقاقه من اليسر بمعنى السهولة لأنه كسب بلا مشقة ولا كد ، وقد جاء فيه ما جاء في الخمر من كونه يورث العداوة والبغضاء ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة . وهذا ظاهر واضح . ثم انه طريق لأكل أموال الناس بالباطل أى بغير عوض حقيقى من عين أو منفعة . وهذا محرم بنص القرآن ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) .

ومن مضرات الميسر افساد التربية بتعويد النفس على الكسل وانتظار الرزق من الطرق الوهمية ، واضعاف القوة العقلية بترك الاعمال المفيدة في طرق الكسب الطبيعية ، واهمال المقامرين للزراعة والصناعة والتجارة التى هي أركان العمران .

ومن أشهر مضرات القمار تخريب البيوت فجأة بالانتقال من الفنى الى الفقر فى ساعة واحدة ، فكم من عشيرة كبيرة نشأت فى الغنى والعز وانحصرت ثروتها فى رجل اضعافها عليها فى ليلة واحدة فأصبحت غنية وأمست فقيرة لاقدرة لها على أن تعيش على ما تعودت عليه من السعة .

ويشترك الميسر مع الخمر فى أن متعاطيهما قلما يقدر على تركهما والسلامة من اثرهما ، فللخمر تأثير فى الاعصاب يدعو صاحبه الى العودة اليها ، وأما الميسر فان صاحبه كلما ربح طمع فى تعويض الخسارة ، ويضعف الإدراك حتى تعز مقاومة هذا الطمع الوهمى وهذا شر ما فى هاتين الجريمتين .

أيها المؤمن :

ذاك هو هدى القرآن ، فى حفظ العقول والأموال والأعراض ، ومن يهد الله فلا مضل له ، ومن يضل الله فما له من هاد .

حكمة التشريع الاسلامى فى القصاص (١)

جعلت الشريعة القصاص عقوبة للقتل العمد ، والجرح العمد ، ومعنى القصاص ان يعاقب المجرم بمثل فعله فيقتل كما قتل ويجرح كما جرح .

ومصدر عفوية القصاص هو القرآن والسنة ، فانه عز وجل يقول (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) الى آخر الايتين ١٧٨ ، ١٧٩ من سورة البقرة .

ويقول جل شأنه : (وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون) المائدة ٥٠ .

وفى السنة (من قتل له قتيل فاهله بين خيرين ان احبوا فالقود وان احبوا فالقتل) اى الدية .

(وفى السنة) من اعتبط مؤمنا بقتل فهو قود به الا ان يرضى ولى المقتول) .

وليس فى العالم كله قديمه وحديثه عقوبة تفضل عقوبة القصاص فهى اعدل العقوبات اذ لايجازى المجرم الا بمثل فعله وهى افضل العقوبات للامن والنظام ، لان المجرم حينما يعلم انه سيجازى بمثل فعله لا يرتكب الجريمة غالبا .

والذى يدفع المجرم بصفة عامة للقتل والجرح هو تنازع البقاء وحب التغلب والاستعلاء ، فاذا علم المجرم انه لن يبقى بعد فريسته ابفى على نفسه بابقائه على فريسته واذا علم انه اذا تغلب على المجنى عليه اليوم فهو متغلب عليه فدا لم يتطلع الى التغلب عليه عن طريق الجريمة ، وامامنا على ذلك الامثلة العملية نراها كل يوم ، فالرجل العصبى المزاج السريع الى الشر تراه اهدا ما يكون وابعد من الشر وطلب الشجار واذا رأى خصمه اقوى منه او قدر انه سيرد على الاعتداء بمثله .

والرجل المسلح قد لا يثنيه شىء عن الاعتداء ولكنه يتراجع ويتردد اذا رأى خصمه مسلحا مثله ويستطيع ان يرد على الاعتداء بالاعتداء والمصارع والملاكم لا يتحدى شخصا يعلم انه اكثر منه قوة او مرانا او جلدًا ولكنه يتحدى بسهولة من يظنه اقل منه قوة واضعف جلدًا .

والتفسير ، وخاصة تفسير المنار ١٣٥/٢ - ١٤٧ ، (١) مقتبس من كتب التشريع الاسلامى ،
والتشريع الجنائى الاسلامى مقارنا بالقانون الوضعى ٦٦٣/١ ط ٢ .

تلك هي طبيعة البشر وضعت الشريعة على أساسها عقوبة القصاص فكل دافع نفسى يدعو الى الجريمة يواجه من عقوبة القصاص دافعا نفسيا مضادا يصرف عن الجريمة ، وذلك ما يتفق تمام الاتفاق مع عام النفس الحديث .



وللمجنى عليه ولوليه حق العفو عن عقوبة القصاص فاذا عفا سقطت العقوبة والعفو قد يكون مجانا وقد يكون مقابل الدية ولكن سقوط عقوبة القصاص بالعفو لا يمنع ولى الأمر من أن يعاقب المجرم بعقوبة تعزيرية مناسبة .

ولقد كانت الشريعة عملية ومنطقية في منح حق العفو للمجنى عليه أو وليه لأن العقوبة فرضت أصلا لمحاربة الجريمة ولكنها لا تمنع وقوع الجريمة فى أغلب الأحوال :

أما العفو فيؤدى الى منع الجريمة فى أغلب الأحوال لأنه لا يكون الا بعد الصلح والتراضى وشفاء النفوس وخلوها من كل ما يدعو الى الجريمة والأجرام .

فالعفو هنا يؤدى وظيفة العقوبة وينتهى الى نهاية تعجز العقوبة عن الوصول اليها . وفى تفسير المنار :

« وقد تقع فى كل بلاد صور من جرائم القتل يكون فيها الحكم بقتل القاتل ضارا وتركه لا مفسدة فيه كان يقتل الانسان أخاه أو احد أقاربه لعارض دفعه الى تلك ويكون هذا القاتل هو العائل لذلك البيت واذا قتل يفقدون بقتله المعين والظهير بل قد تكون فى قتل القاتل أحيانا مفسد ومضار وان كان اجنبيا من المقتول ويكون الخير لأولياء المقتول عدم قتله لدفع المفسدة أو لأن الدية أنفع لهم ، فأمثال هذه الصور توجب الا يكون الحكم بقتل القاتل حتما لازما فى كل حال بل يكون هو الأصل ويكون تركه جائزا برضاء أولياء المقتول وعفوهم فاذا ارتقت عاطفة الرحمة فى شعب أو قبيل أو بلد الى أن صار أولياء القاتل منهم يستنكرون القتل ويرون العفو أفضل وأنفع فذلك اليهم .

والشريعة لا تمنعهم منه بل ترغبهم فيه وهذا الاصلاح الكامل فى القصاص هو ما جاء به القرآن .

وما كان ليرتقى اليه بنفسه علم الانسان (1) .

(1) تفسير المنار ١٣٧/٢ ، ١٣٨ .

« الرضاع المحرم للزواج »

سألني كثير من الناس عن حكم الشريعة في حالات تتصل بالرضاع فمنهم من يسأل عن زواج منى بعتاه رضع على أختها التي تكبر عنها ولم يرضع عليها نفسها ويظن ان الرضاع المحرم هو رضاع الفتى على الفتاة التي يريد التزوج بها خاصة .

والله تعالى يقول في كتابه الكريم :

(حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الأخت وامهاتكم اللاتي أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة) .

فهذه الآية من سورة النساء وهي السورة التي تناولت تنظيم المجتمع الاسلامي فبدأت بالأسرة وهي الخلقة الأولى في المجتمع وأوصت بالبتيم ثم تحدثت عن أقدس رابطة بين اثنين وهي الزواج وبينت المحرمات من النساء بسبب القرابة وهن سبعة اصناف .

الام والبنات والأخت والعمة والخالة وبنات الاخ وبنات الأخت ثم ذكرت الآية المحرمات من الرضاع فقالت **(وامهاتكم اللاتي أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة)** فأجملت المحرمات من الرضاع في صنفين (الأمهات والأخوات) ثم جاء الحديث الصحيح المشهور وهو قوله صلى الله عليه وسلم (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) فبين أن الصنفين اللذين ذكرا في التحريم بالرضاع يتناولان الأصناف السبعة التي ذكرت في التحريم بالنسب .

ومعنى هذا انه يحرم بالنسب سبعة اصناف أيضا هي الأمهات من الرضاعة والأخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الأخت من الرضاعة .



وجدير بنا في هذا المقام ان نجمل مذاهب العلماء في مقدار الرضاع الذي يحرم الزواج بين الرضيعين وقد كثرت المذاهب في هذه المسألة تبعا لاختلاف النظر في الآية مع الأحاديث التي وردت في قدر الرضاع .



فمن الائمة من رأى ان قليل الرضاع وكثيره سواء في التحريم ولو كان الرضاع قطرة واحدة تصل الى الجوف فانه يثبت بها التحريم .
ومنهم من رأى ان المحرم خمس رضعات فأكثر .
ومنهم من رأى ان المحرم سبع رضعات وهكذا الى خمس عشرة رضعة .

ومنشأ هذا الخلاف هو كثرة الاحاديث الواردة فى هذا الشأن وتحكيم كل فريق فى الرضاع ما صح عنده من الاحاديث .

واذا لجأنا الى القرآن الكريم نجد ان معنى الامومة من الرضاعة لا يتحقق بالقطرة ولا بالقطرات فانه عز وجل يقول (وامهاتكم اللاتي ارضعنكم) ولا شك ان عنوان (الامهات) يعطى ان مدة الرضاعة امتدت وقتا شعرت فيه المرزعة بمعنى الامومة للرضيع ولا شك ان هذا الوقت الذى يتحقق به معنى العطف والحنو والشوق من المرزعة للرضيع لا يكون من رضعة ولا من ثلاث رضعات بل اقل ما يتحقق به معنى الرضاع وما يثبت به امومة المرزعة هو خمس رضعات مشبعات فيها يتحقق انبات اللحم وانشاز العظم كما ورد فى الحديث الشريف (الرضاع ما اثبت اللحم وانشز العظم) .

وهذه ناحية اعرضها للبحث الذى يستعان فيه برأى الاطباء الواقفين على المقدار - الذى يثبت فيه اللحم وينشز العظم ونرجو أن يصل العلماء الى ما يرفع اختلاف المعنيين فى هذه المسألة فكثيرا ما تحدث عقد نفسية بين الزوجين حينما يخبران بأن فلانة ارضعتهما .

واذا كان جمهور العلماء اليوم يتوسطون بين الآراء ويختارون منها ان المقدار المحرم (خمس رضعات فاكثر) .

فان كثيرا من المفتين الذين يسألون يرعجون الأسر الهادئة بأن قليل الرضاع وكثيره سواء فى التحريم وكان الأولى اختيار الأوفق والأيسر والأبعد عما يشير فى نفوس الأسر الزعزعة والاضطراب .

واذا رجحنا ان المقدار المحرم هو خمس رضعات فاكثر فيجب ان نعلم ان التحريم يثبت بين الرضيعين من المرزعة الواحدة سسواء اتحد زمن رضاعتها منها ام اختلف ومن المعروف ان كل اثنين اجتمعا على ثدى واحد لم يجز لهما ان يتزاوجا .

فالثدى يحرم من رضع منه من قبل ومن بعد .

(تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتمدد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) . النساء ١٣ ، ١٤

واليك تحديد للمبادئ العامة فى الرضاع

- ١ - لا يحرم من الرضاع الا خمس رضعات فأكثر .
- ٢ - اذا اجتمع اثنان على ثدى واحد بخمس رضعات فأكثر فى مدة الرضاع وهى حولان كاملان حرم التزاوج بينهما .
- ٣ - لا نتوقف حرمة الزواج بالرضاع على اختلاف الزمن ولا على اختلاف زوج المرضعة .
- ٤ - يجوز للانسان ان ينزوج أخت أخيه من الرضاع وللفتاة ان تتزوج اخا أخيها من الرضاع - لأنهما لم يجتمعا على ثدى واحد ولم يتدرجا تحت الاصناف السبع المحرمات بالرضاع .

(١٠)

سؤال وجواب

السؤال والجواب

هذه اسئلة متنوعة بعضها قدم لى من القاهرة ، واكثرها قدم لاذاعة البرامج الأجنبية ويظهر فيه اثر البساطة والسؤال عن امور بديهية او امور لا يتعلق بمعرفتها كبير فائدة .

وقد اجبت على هذه الاسئلة فى حينها وتركت اثرا حسنا فى نفوس السائلين وقوبلت بالقبول والاستحسان والتاثر .
ورجوت فى اثباتها هنا ان يكون فيها بعض الفائدة وأن تكون نموذجا عمليا للسؤال والجواب .

وقد ورد السؤال والجواب فى القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة .

قال تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر ...)

(يسألونك عن الأهلة ...)

(يسألونك عن الشهر الحرام ...)

(يسألونك عن الأنفال ...)

وفى صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم اسألونى فتهيّبوا أن يسألوه

فدخل رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ليس عليه سحناء السفر ولا يعرفه أحد من الجالسين .

فسأل الرجل النبى صلى الله عليه وسلم عن الاسلام ثم عن الايمان ثم عن الاحسان ثم عن الساعة . واجابه الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثم انصرف الرجل فقال صلى الله عليه وسلم ردوا السائل فذهبوا وراه فلم يجدوا شيئاً .

فقال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم .

والتعليم عن طريق السؤال والجواب فيه رياضة للنفس ، وتنوع في طريق المعرفة ، وتبسيط لبعض امور الدين ، واجابة لبعض ما خفى منها ، وفي بعض ما ترى سداجة تمثل الفطرة البشرية وهو عرض لبعض تصورات الانسان . وقد كان عمر رضى الله عنه يستشير النساء والأطفال لأن ذهنتهم حاضر وفكرهم غير مشغول فربما قدموا مشورة حسنة او فكرة جيدة .

سؤال : هل تبطل صلاة المصلي اذا تجشأ في صلاته ؟

الجواب :

التجشئ لا يبطل الصلاة ولكن تركه من الآداب التي ينبغي مراعاتها . فاذا كان الانسان مضطراً وقلبه التجشئ فيرفع بصره للسماء حتى لا يؤذى المصلين بجواره . قال الفقهاء « ويكره رفع البصر الى السماء الا في حال التجشئ اذا كان يصلى مع الجماعة فيرفع وجهه حتى لا يؤذيهم برائحته ولا كراهة في رفع الوجه الى السماء في حال التجشئ » .

ومبطلات الصلاة عند الشافعية ما ياتي :

الكلام بكلام اجنبي عن الصلاة ، والعمل الكثير الذي ليس من جنس الصلاة وهو ما يخيل للناظر اليه ان فاعله ليس في الصلاة . ومنها التحول عن القبلة ، ومنها الاكل والشرب وكل ما وصل جوف المصلي فانه يبطل الصلاة .

ومن مبطلات الصلاة طرود ناقض الوضوء أو الغسل أو التيمم أو المسح على الخفين ومنها البكاء والابتن ، ومنها اكتشاف العورة في الصلاة مع القدرة على سترها . واتصال نجاسة غير معفو عنها ببدنه أو بملابسه ، وسبق المأموم امامه بركنين فعليين أو تأخره عنه بهما . ويشترط أن يكون كل منهما من غير عذر .

وتبطل الصلاة بترك ركن من أركانها عمداً ، وبانقضاء مدة المسح على الخف أثناء الصلاة .

سؤال :

امراة نزل عليها الحيض ثم انقطع بعد ٢٤ ساعة ، فهل تجب عليها الصلاة حينئذ أم لا ؟ . وهل تعتبر في حالة الحيض ؟

الجواب :

ذهب الشافعية الى أن اقل مدة الحيض يوم وليلة بشرط أن يكون الدم نازلا على الاتصال المعتاد فى الحيض بحيث لو وضعت قطنة لتلوثت .
فهذه المرأة تعتبر فى حالة حيض لمدة ٢٤ ساعة ولا يجب عليها الصلاة فى هذه الفترة .

وذهب الحنفية الى أن اقل مدة الحيض ثلاثة أيام وأوسطه خمسة وأكثره عشرة . ويعتبر الدم الذى ينزل اقل من ثلاثة أيام دم استحاضة . والاستحاضة هى سيلان الدم فى غير وقت الحيض والنفاس . فكل ما زاد على اكثر مدة الحيض أو النفاس أو نقص عن اقله فهو استحاضة . ولا تمنع الاستحاضة شيئا مما يمنعه الحيض والنفاس من قراءة القرآن ومس مصحف ودخول مسجد واعتكاف وطواف وغير ذلك . وتتوضأ المستحاضة لوقت كل صلاة .

ومما تقدم نرى أن هذه المرأة لا تعتبر فى حالة حيض عند الحنفية بل هى مستحاضة من أصحاب الأمدار فتجب عليها الصلاة وتقوم بكل شئونها كأنها طاهرة .

أما الشافعية والمالكية والحنابلة فيرون أن هذه المرأة فى حالة حيض ولا تجب عليها الصلاة فترة الأربع وعشرين ساعة التى نزل فيها الدم .
ومن أحكام الحيض والنفاس ما يأتى :

يحرم على الحائض والنفساء مس كتابة المصحف ودخول المسجد ولا يقبل منهما الصوم والصلاة أيام الحيض والنفاس .

وتقضى الحائض والنفساء الصوم ولا تقضيان الصلاة ويحرم جماع الحائض والنفساء لقوله تعالى (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) .

ويباح للرجل أن يستمتع من زوجته الحائض بما شاء ماعدا الجماع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن الحائض : « اصنعوا كل شيء الا النكاح » .

سؤال :

ما حكم زواج رجل من امرأة حامل من زنا ؟ وهل يعاد عقد الزواج بعد الوضع ؟

الجواب :

حرم الله الزنا ونهى عنه وتوعده فاعله بالمذاب والنكال . فقال سبحانه :
(ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا) .

والزنا يهدم كيان الأمة ويضعف شأن الأسرة ويشيع الأمراض والفساد بين الناس .

أما حكم زواج المرأة المزني بها ، فإذا كان راغب الزواج هو الزاني فله أن يتزوجها ويدخل بها ولو ظهر بها الحبل عند أبي حنيفة والشافعي لعدم الدليل على تحريم هذا الزواج ، ولأن ماء الزنا لا حرمة له .

ورأى مالك رضي الله عنه أنه ليس له أن يتزوجها حتى يستبرئها من مائه الفاسد لأن النكاح له حرمة ، ومن حرمة ماؤه إلا يصيب ماؤه على ماء السفاح فيختلط الحلال بالحرام ، ويمتزج ماء المهانة بماء العزة .

وأما غير الزاني بها - فقبل ظهور الحمل له أن يتزوجها ويدخل بها عند أبي حنيفة ، وقال محمد بن الحسن الشيباني لا أحب له أن يطأها مالم يستبرئها بحيضة لاحتمال أن تكون قد حملت من الزاني .

وبعد ظهور الحمل ، له أن يعقد عليها عند أبي حنيفة ومحمد والشافعي لعدم ذكرها في المحرمات ، ودخولها بهذا في قوله تعالى (وأحل لكم ما وراء ذلكم) ولأن الزاني ليست له حرمة توجب المحافظة على ثمرة جرمه ، غير أن الزوج يجب عليه الامتناع عن قربانها حتى تضع حملها لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يستقى ماءه زرع غيره) .

وذهب مالك وأحمد وأبو يوسف وزفر إلى أنه لا يصح العقد عليها لا احتراماً للزاني ، بل احتراماً للحمل الذي لم يرتكب جريمة يستحق العقوبة عليها ، ولهذا لا يجوز إسقاطه باتفاق .



ومما تقدم يمكن أن نقول :

ان زواج الرجل من امرأة حامل من زنا زواج صحيح جائز ، ويماد عقد الزواج بعد الوضع خروجاً من خلاف الفقهاء واحتياطاً للتأكد من صحة الزواج .

السؤال :

هل يجوز الشاب المسلم أن يترك شعره بدون تقصير ؟

الجواب :

خلق الله الانسان في أحسن تقويم وأمر الاسلام بالنظافة وحث المسلم على أن يكون حسن المظهر حسن الخبر . قال صلى الله عليه وسلم : (تنظفوا وتزبنوا حتى تكونوا كالشامة البيضاء بين الأمم) .

ان الله خالق الكون وجعله آية في الابداع وحسن التنظيم . وفي الحديث الشريف : (ان الله جميل يحب الجمال نظف يحب النظافة طيب يحب الطيبين) .

كما امر الاسلام ان يكرم الرجل شعره ويفسله ويرجله . قال صلى الله عليه وسلم (اذا كان لاحدكم شعر فليكرمه) .

ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم رجل طويل الشعر ثائر الرأس « غير منظم . ولا مرجل » فقال صلى الله عليه وسلم : (يدخل احدكم علينا ثائر الرأس كأنه شيطان اما كان في بيتك منتط) .

فنظافة الشعر وترجيله والعناية به امر حسن وهو من النظافة المطلوبة من المؤمن ، والنظافة من الايمان .

ومن ناحية اخرى ورد في الحديث : (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال) .

ونحن نعلم ان اصابع اليهود وراء بعض المودات . فالرجل الذي يطيل شعره طولا غير مناسب ويتشبه بالاناث في طريقة تسريحته وقصه يخرج بذلك عن آداب الاسلام . ويجب ان نعلم ان الأمر متروك في ذلك الى ضمير المسلم وحسن اختياره ، فاطالة الشعر في حد ذاتها لا بأس بها .

ولكن اذا أصبح تطويل الشعر زيادة عن المعهود تشبها بالاناث ونقليدا لليهود او غيرهم فانه مستهجن من هذه الناحية . ونستطيع ان نلخص ما سبق فيما باتى :

١ - الدين يحث على النظافة وعلى حسن المظهر .

٢ - الدين يأمر باكرام الشعر وتنظيفه وترجيله حتى يظهر المسلم انيقا جميلا حسن الهيئة .

٣ - الدين ينهى عن تشبه الرجال بالنساء ولذلك يجب ان يظل طول الشعر محدودا وان يكون مظهر الرجل مشعرا بأنه رجل . ويقول الشاعر الحكيم :

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالرجال فلاح

السؤال :

هل يجوز للمسلم ان يستحم في مكان غير مستور ، كان يستحم في النهر مثلا ؟

الجواب :

حدد الاسلام عورة الرجل وعورة المرأة .

فعورة الرجل من السرة الى الركبة ، وعورة المرأة جميع بدنهما ماعدا وجهها وكفيها وقدميها .

وقد حث الاسلام على تعلم السباحة والرماية والرياضة . فاذا لبس المسلم ازارا يستتر عورته فانه يجوز له ان يستحم في النهر بشرط الا يكون فاتنا ولا مفتونا وان يضمن انه لن يثير فتنة وان المكان ليس فيه نساء يتطلعن اليه .

وقد ذكر الفقهاء ان الرجل اذا كشف جسمه فلا يباح للمرأة ان تنظر اليه والمرأة اذا كشفت عن بعض عوراتها فلا يباح للرجل ان ينظر اليها .

ويجب ان نفرق بين حالتين :

في الريف مثلا يستحم بعض الرجال في النهر بدون ان يراهم احد وبدون اثاره فتنة . ولكن على شاطئ الكورنيش وشاطئ البحر الابيض المتوسط يجتمع جموع من الرجال والنساء ويلبس الناس ملابس قصيرة لا تستر الا العورة المغلظة . وينظر الرجال الى النساء وتنظر النساء الى الرجال . وهذه وسائل الشيطان لان الله كرم الانسان وميزه بان يلبس ملابس تستتر عورته وتوارى سوءته قال تعالى : « يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشسا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلمهم يذكرون) .

والخلاصة انه يباح للمسلم ان يستحم في النهر اذا كان يلبس ازارا يستتر عورته . واذا اطمان الى عدم وجود نساء ينظرون اليه .

اما المصايف التي ينظر فيها الرجال الى النساء والنساء الى الرجال فهي وسيلة الشيطان الى الفتنة وينبغي للمسلم ان يبتعد عن اماكن التجمع ، وان يستحم في مكان منعزل حتى ينال رضا الله سبحانه وتعالى . والله الموفق والهادى الى الطريق القويم .

السؤال :

هل يجوز قبول طالب كافر في مدرسة اسلامية ؟

الجواب :

نعم يجوز قبول طالب كافر في مدرسة اسلامية ، فقد جاء الاسلام دعوة عامة للناس جميعا يحمل الخير والبركة والمودة والرحمة للجميع ،

وأمرنا الاسلام ان نحسن جوار الآخرين وان نعلم من أراد ان يعلم . قال تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) سورة النوبة الآية ٦ .

ومعنى هذه الآية ان المتارك اذا طلب ان يفهم في جوار الرسول صلى الله عليه وسلم فليقبل النبي جواره حتى يسمع القرآن ويعرف احكام الاسلام . وينعلم شئون الدين . وعلى المسلمين ان يحافظوا على هذا المتارك وان يحرسوه في طريق عودته الى قومه حتى يصل الى مكان الأمان ، لأن المشركين لا يفقهون الاسلام مهم في حاجة الى من يفقههم ويعلمهم لعلهم يهتدون .

وينبغي ان نعلم ان بعض الكفار يريد ان يندس في صفوف المسلمين لبتجسس عليهم وليبلغ أخبارهم لأعدائهم فمثل هذا يعامل بحذر واحتياط وتفيد الآية السابقة ان المشرك يبغى في جوار المسلمين حتى يتعلم ثم يعود الى أهله ولا يبقى طويلا بينهم حتى لا نقل أسرارهم .

والخلاصة انه يجوز قبول طالب كافر في مدرسة اسلامية بشرط ان نضمن ونتأكد انه ليس جاسوسا على المسلمين .

فاذا كان المسلمون في حالة حرب مع بعض الأعداء فلا تسمح بقبول غير مسلم في المدرسة من الأعداء .

اما اذا لم يكونوا في حالة حرب وتأكدوا ان الطالب الكافر يريد التعليم فقط فيجوز قبوله في المدرسة الاسلامية . والله تعالى يوفقنا جميعا الى طريق الصواب والرشاد .

السؤال :

هل وجد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم منظمة دينية او جمعية من أي نوع ؟

الجواب :

أيها السائل العزيز . الاسلام نفسه كان جمعية دينية كبيرة تجمع جميع المسلمين تحت لواء التوحيد . ومع هذا فقد وجدت جماعات للقراء وجماعة أهل الصفة وهم قوم من الفقراء كان لهم مكان خاص في المسجد يأكلون فيه وينامون فيه ، ووجدت جماعات للحرب وجماعات للتدريب وجماعات لكتابة الوحي . وهي جماعات تشبه التخصص العلمي في العصر الحديث . فالمعروف انه كان بين المسلمين من شغل نفسه بالحروب والكفاح والجهاد مثل سيدنا خالد بن الوليد وأبي عبيدة عامر بن الجراح وغيرهم . ومن

المسلمين من شغل نفسه برواية الحديث الشريف مثل سيدنا أبو هريرة
وأبي سعيد الخدري وغيرهم ، ومن المسلمين من شغل نفسه بكتابة الوحي
لرسول صلى الله عليه وسلم مثل سيدنا معاذ بن جبل وزيد بن ثابت
وغيرهم .

فكانت هناك جماعات متخصصة على أن الحاجة الى هذه الجماعات لم
تكن ماسة لأن كل مسلم كان يعرف قدرأ مشتركا من الفرائض كالجهاد
والسنة والقرآن ، ثم يتخصص في نوع من أنواع التكليف الاسلامية .
وكان الايلام هو الرباط المتين الذى يجمع بين المسلمين جميعا . قال تعالى
(والى بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما افقت بين قلوبهم ولكن
الله الف بينهم انه عزيز حكيم) الانفال / آية ٦٣ .

السؤال :

ما تفسير لا اله الا الله ، فقد سمعت ان معناها لا حاكم ولا مشرع
الا الله .

الجواب :

معنى لا اله الا الله = لا معبود بحق الا الله ، وما سمعته عن معناها هو
من لوازم المعنى لان الاله الحق هو الذى يشرع لعباده . وهذه الجملة هى
اساس التوحيد ، وهى الكلمة الطيبة التى قال الله عنها : (ألم تر كيف
ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء
تؤتى اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون)
سورة ابراهيم الاية ٢٤ ، ٢٥ .

فهذه الكلمة مدخل الى التوحيد وباب اليه لا يصير المسلم مسلما الا
بها وقد كان كفار مكة يتخذون آلهة متعددة ، وسألوا النبى صلى الله عليه
وسلم عن صفة ربه ولونه ونسبه ، فأنزل الله تعالى قوله :

(قل هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا
احد) .

قاله واحد فى ذاته ليس معه شريك آخر ، وواحد فى صفاته لانه
قادر مرید متصف بالكمال ، وواحد فى افعاله ، فهو الذى يحفظ الكون
ويرفع السماء ويبسط الرزق ويحيى ويميت وهو على كل شىء قدير .

(الله الصمد) أى الغنى عن عباده الذى يحتاج اليه جميع الموجودات ،
وهو لم يلد ولدا ولم يولد من أب ولم يكن له نظير ولا شبيه ولا مثيل ولا
كفو له ، (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) . فمعنى (لا اله الا الله)
لا معبود بحق الا الله فكل ماعداه عن الالهة والشركاء لا دليل على الوهيتهم ولا

حجة ، أما الله سبحانه فهو الاله الحق وهو المعبود بحق وكل ماسواه باطل ، قال تعالى (فذلکم الله ربکم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانی تصرفون) سورة يونس الآية ٣٢ .

السؤال :

سمعت ان من نوضاً أو اغتسل من الجنابه لابد أن يزيل جميع الدهون من جسمه ، فهل هذا صحيح ؟ .

الجواب

نعم هذا صحيح لأن الاغتسال : هو تعميم البدن بالماء يصل الى كل عضو يمكن اتصال الماء اليه من غير حرج . ويجب الغسل بنزول المنى في بطنه أو نوم ، كما يجب الغسل على الحائض والنفساء بعد انقطاع الدم ويستحب الغسل في يوم الجمعة والعبدن ، وللأحرام للحج وللحج وللوقوف بعرفات .

وفرائض الاغتسال ثلاثة :

- ١ - تعميم الماء جميع أجزاء البدن .
- ٢ - المضمضة : وهي غسل الفم بالماء .
- ٣ - الاستنشاق : وهو غسل داخل الأنف بالاستنشاق .

ومما تقدم نعرف أن إزالة الدهون من على الجسم واجب حتى يصل الماء الى جميع أجزاء الجسم ، فإذا كان هناك حرج أو مرض أو جراحة أو عذر يمنع من اتصال الماء الى بعض أجزاء الجسم فإن الإنسان يباح له التيمم .

والله الموفق والهادي الى سواء السبيل .

السؤال :

ماحكم الاحتفال بالمولد النبوي ومتى بدأ الاحتفال به وفي أي بلد ومن احتفل به لأول مرة ؟

الجواب

الاحتفال بالمولد النبوي في هذه الايام مناسبة كريمة وشعيرة حسنة وعبادة مستحبة لتذكير المسلمين بفضل الرسول صلى الله عليه وسلم وعظمته وجهاده وكرام صفاته وآدابه العالمة .

ولم يكن الاحتمال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم معروفا في صدر الاسلام ولا في عصر الصحابة رضوان الله عليهم ولا في عصر التابعين .

وقد عرف عن دولة الفاطميين بمصر عنايتهم بالاحتفالات الدينية وخصوصا مولد النبي صلى الله عليه وسلم . وسرى ذلك التقليد وانتشر في سائر البلاد الاسلامية فأصبح العرب والمسلمون يحتفلون بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم باقامة الحفلات والفاء العظمت وقراءه القصص والسيرة النبوية وكلها آداب جميلة لا نأس بها .

ولكن المسلمين في حاجة الى ان ينركوا الاحتفالات التقليدية التي نوزع فيها الحلوى وعرائس المولد ، وهم في حاجة الى احياء المعالم الاسلامية والاداب المحمدية والافتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فدوة حقيقية في صدقه واخلاصه وشجاعته وعفته ونزاهته ونواضعه وبذلك تحيا فيهم اخلاق الاسلام ويعود الاسلام رباطا قويا وسباجا منيعا يحفظ المسلمين وبرد الهم عزتهم وكرامتهم . قال تعالى (والله العزة ولرسوله وللمؤمنين) .

السؤال :

ماحكم العقيقة ، وهل يجوز تسمية المولود بدون العقيقة ؟

الجواب

العقيقة هي دبح ساة عن المولود عند ولادته شكرا لله على هذه النعمة .
والعقيقة سنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويجوز تسمية المولود بدون العقيقة ، ويستحب أن يكون التسمية يوم السابع من ولادة المولود .

قال الشعراني في الميزان، العقيقة عند مالك والشافعي مستحبة وعند ابي حنيفة مباحة وعند أحمد في أشهر رواينيه سنة والثانية أنها واجبة واختارها بعض أصحابه وهو مذهب الحسن البصري وداود الظاهري ، والسنة في العقيقة عند الأئمة الثلاثة عن الغلام شاتان وعن الجارية واحدة . وقال الامام مالك عن الغلام شاة واحدة كما في الجارية .

ويشترط أن ينوى عند ذبح العقيقة أنها عقيقة كما في الأضحية ، ويستحب أن يقول عند ذبحها بعد التسمية اللهم لك واليك عقيقة فلان ، ويستحب أن لا يتصدق بلحمها نيتا بل يطبخه شىء حلو ويتصدق به على الفقراء ، ويستحب أن يأكل منها ويتصدق ويهدى . والسنة أن يكون ذبحها في اليوم السابع ولا تفوت بتأخيرها عن السبعة لكن ستحب أن لا يؤخرها عن البلوغ فان بلغ سقط حكمها عن الوالد والمولود مخير ان شاء عق عن نفسه وان

شاء لم يعنى ولو مات بعد اليوم السابع وبعد الممكن من الدبح يستحب أن يعق عنه ويستحب أن نذبح أول النهار وأن يدفع للعابله رجل العقيقه .

وفعل العميه افضل من التصدق بمنها ، وسن الشاه الى سديح بغيره كالاضحيه ، جدعه : وهى ماتم له سنه أو اقل اذا كانت من الصان ، فاذا كان من المعرفىء الننيه وهى مادخلت فى السنه النابه أو الناله . وقد ذهب الامام أحمد بن حنبل فى احدى رواينيه الى أنها واجبه وذهب الامام الأعظم أبو حنيفه انها ليست واجبه ولا سنه بل هى بدعه . وقد سبق أن ذكرنا أن الامام مالك والامام الشافعى ذهبا الى انها مستحبه وأستدلا على اسنحبابها بما رواه الترمذى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : القلام مرهين بغيرته نذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه ويسمى . ومن هذا الحدب نعلم أن العقيقه سنه ، وأن من السنه أن يحلق شعر الصبى يوم السابع ويوزن بالفضة ويتصدق بوزن شعره فضه ، ومن السنه أن سمى العلام يوم السابع ، ويجوز نسمة المولود بدون العقيقه ، لأن النسميه سنه مسقلة ، والعقبه سنه مسقلة عن التسميه ، والله تعالى الموفق والهادى الى سواء السبل .

السؤال :

مسلم يعيش فى بلد يطول نهارها عن المعتاد ثلاث أو أربع ساعات مثلا فما حكم صومه ؟

الجواب :

الصيام فريضة محكمة فرضها الله بنص القرآن والسنة . قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « بنى الاسلام على خمس : شهاده أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » .

فالصوم عبادة صحية وبدنية وروحية ولا بد من ادائها لأنها شعيرة من شعائر الدين وركن من أركان الاسلام .

لكن كيف يصوم من يعيش فى بلد يطول نهاره عن المعتاد ؟

والجواب أن مثل هذا المسلم يصوم من الساعات بمقدار نهار معتاد فليتخير بلدا مثل مكة أو المدينة حيث نزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم ويعرف مقدار ساعات النهار التى يصومها المسلم فى هذا البلد ، ثم يصوم من الساعات بمقدارها .

وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن صيام من يفيم في بلد يطول ليله أو بهاره فقال : اقدروا له . أى صوموا بمقدار نهار متوسط معتاد . فالدين سر لا عسر ، ولا ضرر ولا ضرار في الاسلام . ومن فواعد الاسلام أن المشقة تجلب التيسر وان الأثر اذا انسح وان الأصل في العبادات رفع الحرج والله الموفق والهادى الى سواء السبيل .

السؤال :

ماهى الصفات التى يجب أن يتحلى بها الامام ؟

الجواب :

ذكر الفقهاء ان الأحق بالامامة هو امام المسجد ورب المنزل ثم الأعم بأحكام الصلاة ثم الأجود قراءة ، ثم الأكبر ورعا وتقوى ثم الأكبر سننا ثم الأحسن خلفا ثم الأحسن وحها ثم الأنرف نسبا ثم الأنظف بوبا .

ومما تقدم يعرف ان الامام هو شفيح المامومين وقائدهم وان الامام لسان الجميع والمتحدث باسمهم فيجب أن يتحلى بصفات الكمال والادب والمحافظة على قراءة القرآن ودراسة الفقه والتفسير والحديث والعلوم والمعارف ، والمعرفة بأحوال المسلمين وبأحكام الدين وبحجج الموحدين وأدلة العقائد وطرق الهداية وأساليب الارشاد .

والامام مع ذلك قدوة حسنة ، فينبغى أن يتحلى بالسلوك الحسن والأخلاق الفاضلة حتى يقتدى به الناس وهم مطمئنون الى قبول صلاتهم .

قال الفقهاء : وتكره امامة العبد والاعمى والامرابى وولد الزنا والجاهل والفاسق والمبتدع ، ويكره للامام أن يطيل الصلاة اطالة شديدة تدعو للسامة والملل لأن الصلاة لقاء ومودة ومحبة بين العبد وربيه والطول الزائد مكروه لقوله صلى الله عليه وسلم (من أم بالناس فليخفف فان منهم الكبير والضعيف وذا الحاجة) رواه البخارى .

أما اذا كان المقصود من السؤال . ما هى الصفات التى يجب أن تتحلى بها الامام أى الحاكم .

فالصفات التى يجب أن تتوفر فى الامام هى :

١ - العدل فالعدل أساس الملك قال تعالى (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) .

٢ - المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات .

- ٣ - الشورى واخيار اهل الحل والعقد والرجوع الى رأيهم قال تعالى :
 (وشاورهم فى الامر) وقال سبحانه (وامرهم شورى بينهم)
- ٤ - حسن اختيار الولاة والمساعدى فى الحكم وان يكون اساس اختيارهم
 الامانة والقوة والقدرة على انجاز العمل بكفاءة ونشاط قال تعالى :
 (ان خير من استاجرت القوى الامين) . .

السؤال :

فى اى يوم يجب ان يعطى المولود اسما هل يوم ولادته ؟ ام بعد اسبوع
 من ولادته ؟
 واذا مات المولود هل يعطى له اسما قبل دفنه ام بعد الدفن .

الجواب :

من حقوق الولد على ابيه ان يحسن اسمه قال صلى الله عليه وسلم
 (انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء آبائكم فاحسنوا اسماءكم) .
 وافضل الاسماء عبد الله وعبد الرحمن ، ويستحب ان تكون التسمية
 يوم السابع من ولادته ، ويستحب تسمية السقط الذى ولد ميتا لخبر ورد
 فيه ، فان تركه ولم يسمه طالبه السقط بذلك يوم القيامة ، حكى الغزالى
 ان السقط يوم القيامة يسمى الى ابيه فيقول انت ضيعتنى وانت تركتنى
 ولا اسم لى ، فان لم يعلم هل السقط ذكر ام انثى سمي باسم يصلح لهما
 مثل : شمس ، وعصمت ، وحمزة ، وطلحة ، وعماره ، ونحو ذلك .
 وقال الامام مالك لا يسمى مالم يستهل صارخا ، فاذا نزل السقط
 من بطن امه صارخا ثم مات فانه يسمى ثم يغسل ويكفن ويصلى عليه ويعطى
 له الاسم قبل الدفن .

ويستحب تغيير الاسم القبيح فقد ورد ان النبى صلى الله عليه وسلم
 غير اسم عاصيه الى جميلة ، وفى الصحيحين ان زينب كان اسمها برة فقيل
 تركى نفسها بهذا الاسم ، فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ،
 وفى الصحيح ان شخصا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما اسمك
 قال حزن ، قال انت سهل ، قال الرجل لا اغير اسما سمانيه ابنى فما زالت
 الحزونة والشدة فيه وفى اولاده ، والحزونة غلظ الوجه وشيء من القساوة
 وبهذا يعلم الا ترى :

- ١ - يستحب ان نتخير لاولادنا اسما جميلة مناسبة مثل عصام ،
 عماد ، ايمن ، عبد الرحمن ، عبد القادر . . الخ .

- ٢ - يستحب أن يكون اطلاق الاسم على المولود يوم السابع من ولادته .
- ٣ - اذا نزل سقطا ميتا فلا يعطى له اسم الا اذا نزل صارخا حتى ندرك انه كانت فيه حياة .
- ٤ - اذا مات المولود يعطى له اسم قبل دفنه .
- ٥ - الأب الذى لا يسمى السفط يخطئ خطأ كبيرا فى حق ولده مما دام السقط قد نزل صارخا وجب على أسرته أن تسميه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الفلام يعق عنه يوم السابع - (أى يذبح عنه عقيقة كشاة أو عنزة) ويسمى ، ويماط عنه الأذى فاذا بلغ ست سنين أدب فاذا بلغ نسع سنين عزل من فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة سنة يضرب على الصلاة فاذا بلغ أوان الزواج زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وزوجتك اعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة .

السؤال : ما هى نواقض الوضوء

الجواب : ينتقض الوضوء بالأمور الآتية :

- ١ - خروج خارج معتاد من أحد السبيلين كالبول والغائط والمذى والودى والريح ، والمذى ماء رقيق يخرج عند الملاعبة ويقرب الى البياض وقد اتفق العلماء على نجاسته لم يخالف فى ذلك الا بعض الامامية .
- روى عن على رضى الله عنه قال : كنت رجلا مذاء فسألت النبى (صلى الله عليه وسلم) فقال (من المذى الوضوء ومن المنى الغسل) .
- ٢ - غيبة العقل بسبب من اسباب المغيبات كتعاطى مسكر ، أو جنون ، أو صرع ، أو اغماء ، أو غيرها .
- ٣ - النوم الثقيل الا نوم الممكن مقعدته من الأرض .
- ٤ - وينقض الوضوء عند الشافعية لمس المرأة الأجنبية وهذا اللبس ينقض ولو بدون لذة ولو كان الرجل هرما والمرأة عجوزا شوها ، بشرط عدم الحائل بين بشرة اللامس والملموس ، ويكفى الحائل الرقبى .
- ولا ينتقض الوضوء الا اذا كانت المرأة قد بلغت سن الشهوة عند ارباب الطباع السليمة .
- واستثنوا من بدن المرأة شعرها وسننها وظفرها فان لمسها لا ينقض الوضوء ولو تلمذ به لأن من شأن لمسها عدم التلذذ .
- وينتقض الوضوء بلمس الميت ، ولا ينتقض بلمس المحرم (وهى التى حرم نكاحها على التأييد بسبب نسب أو رضاع أو مصاهرة) .

أما التي لا يحرم زواجها على التأييد ، كاخت الزوجة وعمتها وخالتها
فإن لمس أحدهن بنقض الوضوء .

السؤال : على من تجب ركاه الفطر وما هو وقت أدائها

الجواب : جعل الله شهر رمضان موسما للعمل الصالح ، كما جعله
موسما للصدقة وصلة الرحم ، وقد أوجب الله زكاة الفطر على الصائمين ،
مشاركة بين الفنى والفقير ويجوز إخراجها قبل آخر رمضان بمدة يتمكن فيها
الفقير من الانتفاع بها في يوم العيد ، وذلك تحقيق للمعنى المقصود منها ، وهو
غناء الفقير عن مد يده في يوم العيد . قال صلى الله عليه وسلم « أغنوهم عن
ذل السؤال » .

والأصل في الزكاة - بوجه عام أن تصرف في بلد المزكى وجاز نقلها
لقريب في بلد آخر ، ويحسن أن يراعى بعد قرابة النسب ترتيب قرابة الجوار
مع تفاوت الحاجة ، وهى على العموم لا يجوز إعطاؤها لمن يعود نفعه الى المزكى
فلا يعطيها لوالده الفقير ولا لابنه الفقير لأن نفقة الأصل والفرع واجبة عليه ،
وكل من تجب نفقته من الأقارب يمنع إعطاؤهم من الصدقة .

ويعطى صدقة الفطر الى الأصناف الذين تصرف لهم الزكاة المفروضة ،
والفقراء والمساكين هم أولى الأصناف بها ، لما ورد في الحديث ما معناه « فرض
رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهره للصائم من الذنوب والآثام
وأطعم للمساكين » .

ويجوز دفع زكاة جماعة الى مسكين واحد كما يجوز دفع زكاة الفرد
الى مساكين

والمستحب إخراج زكاة الفطر في المكان الذى فيه المتصدق لأنها تتعلق
بمدة المؤدى لا بماله ، وهذا بخلاف زكاة المال فإنها تؤدى حيث يكون المال .

وليعلم المسلم أن الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ، فليبادر المسلم الى
إخراج زكاة الفطر مخلصا لوجه الله مطهرا نفسه من الشح والبخل ، مطعما
أخوانه المسلمين في ختام رمضان وعلى أبواب العيد حتى يأتى العيد وقد فرح
به المسلمون ، وصاروا فيه أسرة واحدة يتبادلون التهاني بيوم الفطر ويذكرون
فضل الله وأنعامه ، أعاده الله علينا وعلى المسلمين جميعا بالعرز والاقبال .

السؤال : كيف يستطيع الرجل زواج الأمة إذا كانت ليست ملكا له .

الجواب : يستطيع الرجل زواج أمة غيره بأن يخطبها من مالها
ويتزوجها .

قال الفقهاء (ولو تزوج أمة غيره فجاءت بولد ثم ملكها صارت أم ولد
له ومعنى ذلك :

انه يحق للانسان ان يتزوج جارية ملكا لرجل آخر .
وقد راعى الاسلام في ذلك ان الجارية انسانة ولها حاجات بيولوجية
ونفسية فمن حقها ان تتزوج اذا وافق مالکها على ذلك ويشترط موافقة
المالك لانه بمجرد ان تتزوج الجارية من رجل آخر يحرم على سيدها ان
يطاها حتى لا تختلط الانساب .
فاذا وافق السيد على زواج جاريته فانه يعتبر ضمنا انه اسقط حقه
في وطئها وصار محرما عليه هذا الوطء لان المرأة لا تحل الا لرجل واحد
حيث انها مكان الحرث وهي المحضن الذي يتم فيه الحمل .
وفي الحديث (ملعون من سقى ماءه زرع غيره) .
وقد اباح الاسلام الرق ، وابعح للسيد المالك الاستمتاع بجاريته .
لما ياتي :

جاء الاسلام والرق نظام عالمي لا يستغنى عنه المجتمع فكان الغاء الرق
فجأة من شأنه ان يريك المجتمع ، مثل ان نلغى استخدام الكهرباء في هذا
الزمن ، لقد كان الرقيق كهرباء الحياة وبخارها .

ولكن الاسلام عمد الى تشبيه الرق بنهر له منابع ومصبات فضيق
المنابع ووسع المصبات حتى يجف نهر الرق في مستقبل الأيام وقد حث
الاسلام على تحرير الارقاء وجعل عتق الرقاب كفارة لأحداث تتكرر في
المجتمع ، وابعح للرجل ان يتسرى بجاريته لأنها متى أنجبت ولدا فقد أعنتها
ولدها ولا يصح لسيدها ان يبيعهما ، وقد أنكر عمر بيع أمهات الأولاد وقال
(ابعده ان اختلطت لحومكم بلحومهن ودماؤكم بدمائهن تريدون بيعهن) (١) .
فالاسلام قد ابعح لمالك الجارية ان ينكحها ليكون ذلك وسيلة الى تحرير
العبيد وعتق الرقاب ، وقد استغل الاسلام في ذلك ميول الغريزة للقضاء على
روافد الرق واشاعة الحرية بين الناس ، حيث تعتق الجارية ويعتق اولادها
من سيدها ، وفي الاثر (اعتقها ولدها) .

السؤال : هل الدين الاسلامي انتشر الى سائر البلدان العربية وغير العربية
بعد السيف أم بالاقناع ؟

واذا كان قد انتشر بالاقناع فما هو السبب الرئيسي في الفتوحات
الاسلامية هل هو العامل الاقتصادي أم الديني ؟

الجواب : الدين الاسلامي رسالة عالمية ودعوة انسانية صالحة لكل
زمان ومكان .

وقد ادعى اعداء الاسلام انه انتشر بالسيف وهذه دعوى باطلة
لما ياتي :

(١) بدائع الصنائع للكاساني ص ١٢٤ .

١ - أساسى الاسلام اخلاص الوجه لله واقتناع القلب وذلك يتنافى مع الاكراه فى الدين قال تعالى : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشده من الفى » .

٢ - لا يقبل الاسلام ما لم يتبعه تصديق القلب ويفين الوجدان واطمئنان النفس قال تعالى : « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم » .

السبب الرئيسى للفتوحات :

مكث المسلمون فى مكة ثلاثة عشر عاما بعد البعثة المحمدية يدعون الى دين الله بالحق ويتحملون فى سبيل هذه الدعوة كثيرا من الآلام ، وقد أمرهم الله بالصبر والاحتمال . ثم هاجر المسلمون من مكة الى المدينة ، وتركوا اموالهم وأرضهم ودورهم ، وحاول أهل مكة أن يحاربوهم وأن يذلوهم عند ذلك أذن الله للمسلمين أن يقاتلوا وأن يحاربوا فى سبيل الله ، فالقتال فى سبيل الله لم يكن لعامل اقتصادى وإنما كان للأسباب الآتية :

أولا : الدفاع عن النفس قال تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » الحج / ٣٩ ، ٤٠ .

ثانيا : تحطيم طواغيت الكفر وأهل الظلم والعدوان من المشركين .

ثالثا : الدفاع عن المستضعفين من الصغار والنساء والشيوخ المسنين حتى لا يضغط عليهم الكفار وحتى لا يفتنوهم فى دينهم . قال تعالى : « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لذك ولينا واجعل لنا من لذك نصيرا » النساء / ٧٥

رابعا : الدفاع عن الاسلام حتى ينتشر بين الناس ويدخل فيه من شاء حرا طليقا بدون خوف أو رهبة .

وقد حارب المسلمون فى غزوات معينة هى غزوة بدر وغزوة أحد والخندق والحديبية ، ثم غزوة فتح مكة ، وغزوة حنين والطائف ، وكلها فى بلاد العرب وكلها كانت دفاعا عن النفس ، أو ردا للعدوان أو حماية للضعفاء ، قال تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » ثم فتح المسلمون بلاد الفرس وقد كانت تعبد النار وقد مزق ملك الفرس خطاب النبى صلى الله عليه وسلم اليه فقال النبى الكريم (مزق الله ملكهم شر ممزق) .

وكانت مصر تتعرض لظلم الرومان وابتزاز اليهود وتجبر الحكام فجاء

الإسلام فخلص السوريين والمصريين من ظلم الرومان وكان أقباط مصر يرحبون بالفاتحين المسلمين ويقدمون لهم الزاد والمؤنة لأنهم علموا بعدلهم وسماحتهم مع أهل الأديان الأخرى .

ومن ذلك نعلم أن الإسلام دين رحمة وهداية عامة للناس وأنه رسالة البشرية وأنه حارب مضطرا لأهداف دينية وإنسانية لا لأسباب اقتصادية كما يدعى المفرضون ، وقد بين القرآن أن رسالته عامة فقال للنبي محمد صلى الله عليه وسلم « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وقال القرآن أيضا : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » .

السؤال : هل سيأتي نبي الله محمد عليه الصلاة والسلام هاديا في آخر الزمان أم لا ؟

وهل سنراه في أرضنا مرة أخرى ؟

الجواب :

الموت حق وقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى : « **أنتك ميت وأنتم هيتون** » .

وقال تعالى : « **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل** **أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم** » .

ومن هذه الآيات نتعلم الآتى :

١ - مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد أن بلغ الرسالة وادى الأمانة .

٢ - جاءه الوحي على سن الأربعين وقد مكث حيا بعد نزول الوحي ٢٣ عاما ومات وسنه ٦٣ عاما .

٣ - لن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان ، ولن نراه في أرضنا مرة أخرى .

٤ - يأتي دعاة ومصلحون ومجددون ينصحون الناس بالتمسك بسنته ، قال صلى الله عليه وسلم (لا يزال الله يرسل لأمتي على رأس كل مائة عام من بجدد لها أمر دينها) .

٥ - عدم حضوره في آخر الزمان لا ينقص من قيمته ولا يفض من قدره .

٦ - يدعى بعض الجهلاء أن عيسى إذا كان سيظهر في آخر الزمان فالأولى أن يظهر محمد أيضا . ويجب على هذا بأن الخصوصية لا تقتضى

الأفضلية ، فنلك خصوصية بسيدنا عيسى لا تمضى أنه افضل من محمد بل أن الأحاديث الصحيحة أفادت أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان حكما عدلا يدعو الناس الى المسك بالحق واحياء شريعة الاسلام ورسالة محمد عليه الصلاة والسلام .

٧ - ينبغى أن نشغل أنفسنا بامور العبادات والمعاملات وأن ننرك الغيبيات . وقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن (قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال) .

السؤال : كم يجب اخراج زكاة الف ريال سعودي ؟ وهل يجوز اعطاء الزكاة لأحد من أقاربه الفقراء ؟

الجواب :

أولا : زكاة المال مقدارها ربع العشر أى ($\frac{2}{4}$ %) اثنان ونصف فى المائة أو ٢٥ فى الألف ، ومعنى ذلك أن زكاة الألف ريال سعودى هو (٢٥) خمسة وعشرون ريالا سعوديا . وتجب كل سنة مرة بعد ان يحول الحول على المال . ويجوز اخراج الزكاة قبل موعدها اذا رأينا محتاجا أو مضطرا فنُدفع له من الزكاة بمقدار ما يزيل اضطرابه وحاجته .

ثانيا : يجوز اعطاء الزكاة لأحد الأقرباء اذا كان مفيرا بل اخراج الزكاة الى القريب الفقير أولى من اخراجها الى الفقير غير القريب ، وفى الأثر . صدقتك على القريب صدقة ، وصدقتك على القريب صدقة وصلة رحم . لكن لا يجوز أن يخرج الانسان الزكاة الى شخص تجب نفقته عليه ، مثل الابن وابن الابن وان نزل والأب والجد وان علا .

لأن الانسان يجب عليه أن ينفق على أولاده الصغار وأولاده الكبار اذا كانوا عاجزين عن الكسب ، وأن ينفق على زوجته وآبائه وأجداده اذا كانوا فى حاجة الى النفقة .

فاذا كان القريب لا تجب نفقته على المزكى مثل العم وابن العم والخال وابن الخال وأشباه ذلك ممن يسمون بالحواشى فهم ليسوا من الأصول ولا من الفروع ولكنهم من الحواشى والأطراف ، فانه يجوز أن يدفع لهم الانسان الزكاة ، وينبغى أن نلاحظ أن الزكاة فرضها الله للفقراء والمساكين والمحتاجين فلا يصح أن نأخذ حق الفقراء والمساكين وندفعه للأقرباء الملاصقين .

مثل الأخ فان بعض الفقهاء يقول ان نفقة الأخ الفقير واجبة على أخيه الغنى .

فمن دفع الزكاة الى اخيه ، كان منصرفا في مال الفقراء فهو ينقل حقوق الفقراء والمحتاجين الى اخيه ، ونقول له ادفع الزكاة الى الفقراء ، وادفع الى اخيك من الصدقة الواجبة عليك .

وحاول أن تكون فوق الشبهات ما استطعت الى ذلك سبيلا .

والخلاصة : انه يجوز دفع الزكاة الى القريب قرابة غير ملاصقة ، ولا يجوز دفعها الى القريب قرابة قريبة كالابن والجد لأن هؤلاء نفقتهم واجبة على الانسان أما الأخ فان بعض الفقهاء يعتبر النفقة عليه فرضا على اخيه الفنى .

والأحوط أن تدفع للأخ من الصدقة الواجبة ولاندفع له من الزكاة .

السؤال : مسلم يصوم رمضان دون أن يصلى التراويح هل صومه مقبولا أم لا ؟

الجواب : صيام رمضان فريضة فرضها الله بنص الكتاب والسنة والاجماع ، وصلاة التراويح سنة سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي الحديث الشريف (من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) .

فمن صام رمضان دون أن يصلى التراويح فصومه صحيح مقبول .
ولكن من آداب الصيام ما ذكره الفقهاء فيما يأتي :

١ - تعجيل الفطر وتأخير السحور

٢ - أن يفطر على تمر أو على شيء حلّو فان لم يجد فعلى الماء فانه ظهور

٣ - أن يتخير مطعمه من الحلال حتى يكون صومه مقبولا
قال تعالى : (كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) .

٤ - الا يستكثر من الطعام عند الافطار فان في ذلك اضرارا بالمعدة
وفي الحديث (لا ضرر ولا ضرار) .

٥ - أن يحافظ على صلاة التراويح وهي قيام الليل في رمضان وقد شرمت فيها الجماعة وهي عشرون ركعة تصلى مثنى مثنى يستريح القوم فيها بين كل أربع ركعات بقدرها ، وان شاءوا ذكروا الله تعالى وان شاءوا صلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وان شاءوا سكتوا .

ونلاحظ أن صيام رمضان فريضة لا بد من أدائها ، قال تعالى :
(يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بنى الاسلام على خمس :
شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة
وصيام رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا) .

وفي حديث طلحة بن عبيد الله : (ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله : أخبرني عما فرضه الله على من الصيام . قال
شهر رمضان . قال : هل على غيره ؟ قال : لا الا أن تطوع) .

ومن كل ما تقدم نلاحظ أن ما فرضه الله من الصيام هو صيام شهر
رمضان وأن صلاة التراويح كمال وأدب ولكن تركها لا يبطل الصيام .

السؤال : هل ختان البنت سنة أم فرض أو مندوب في مذهب الامام
مالك ؟

الجواب : اختار الله للأنبياء عليهم السلام سننا وآدابا وامرنا بالاقتداء
بهم فيها وجعلها من قبيل الشعائر التي يكثر وقوعها ليعرف بها اتباعهم
ويتميزوا بها عن غيرهم وهذه الخصال تسمى سنن الفطرة ومن هذه الآداب
والسنن : الختان وتقليم الاظافر واكمام الشعر بأن يدهن ويسرح ويفسل
والعناية بالنظافة ، والتطيب بالمسك وغيره من الطيب الذي يسر النفس
ويشرح الصدر وينبه الروح ويبعث في البدن نشاطا وقوة .

الختان

الختان : هو قطع الجلد الذى تغطى الحشفة لثلا يجتمع فيها الوسج وليتمكن من الاستبراء من البول ، ولثلا تنقص لذة الجماع ، هذا بالنسبة الى الرجل ، واما المرأة فيقطع الجزء الاعلى من الفرج بالنسبة لها وهو سنة قديمة فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اختتن ابراهيم خليل الرحمن بعدما أنت عليه ثمانون سنة ، واختنن بالقدم » رواه البخارى ، والقدم آلة النجار او موضع بالشام ومذهب الجمهور والمالكية أن الختان واجب ويرى الشافعية استحبابه يوم السابع وقال الشوكانى : لم يرد تحديد وقت له ولا ما يفيد وجوبه .

وعندما نستعرض الاحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم التى وردت فى الأمر بختان المرأة نجد أنها ضعيفة لم يصح منها شيء .

والراى المختار من كلام الفقهاء : أن الختان واجب بالنسبة للرجال وأنه مكرمة بالنسبة للمرأة وأن الأفضل الا يقطع قدر كبير من الجزء الاعلى من الفرج ، والا يقطع قدر صغير بل تقطع نسبة متوسطة مألوفة معروفة عند الخبراء .

لأن قطع قدر كبير من الجزء الاعلى من الفرج يجعل البنت عندما تتزوج لا تستجيب لزوجها بسرعة وربما كان عندها برود جنسى .

وإذا قطعنا جزءا صغيرا او تركنا الختان بالمرّة فربما تصبح البنت عندها تهيج جنسى .

ويرى المجتهدون المحدثون أن ختان البنت امر طبي بحت بخضع لخبرة الناس ومعرفتهم ، فلم يرد حديث صحيح يأمر بختان البنت . وبذلك اصبح الأمر متروكا لخبرة الأطباء وأهل الاختصاص . فاذا كان الختان يؤدي الى مضرة فلا بأس من تركه ، واذا كان للختان محامد وفضائل فالأولى عمله .

وإذا كان للختان مضار في البلاد الباردة يترك ، وإذا كان له بالحامد في البلاد الحارة يفعل - لان الختان للبنات أمر من أمور العادات خاضع لتحقيق المصلحة العامة والاستحسان . فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن - وعلى هذا فختان البنات أمر من أمور العادات لامن أمور العبادات فمن فعله فهو حسن ومن تركه فلا اثم عليه . لان الاعتبار والمعول عليه هو مصلحة البنث والانفع لها بحسب كل بلد والله أعلم .

السؤال : ما هي السن التي اذا وصلت اليها المرأة لا يتزوج منها الرجل ؟

الجواب : سن اليأس عند المرأة

نصف النساء يكون يأسهن بين ٤٥ - ٥٠ سنة

ربع النساء يكون يأسهن بين ٤٠ - ٤٥ سنة

ثمن النساء يكون يأسهن بين ٣٥ - ٤٠ سنة

ثمن النساء يكون يأسهن بين ٥٠ - ٥٥ سنة

ومن هذا الاستعراض السابق نعلم أن المرأة تظل صالحة للحمل والولادة الى سن اليأس وهي ٤٥ سنة أو ٥٠ سنة أو ٥٥ سنة ، ومن الممكن أن يتزوج الانسان المرأة في أى سن مهما كانت كبيرة اذا كان القصد من الزواج المودة والرحمة والألفة أو لم يكن الرجل حريصا على انجاب الاولاد ، وقد كانت خديجة زوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها وكان عمرها ٤٠ سنة وعمره خمسة وعشرون سنة وظل وقبا لها لم يتزوج عليها حتى ماتت وكان عمرها ٦٢ سنة (اثنتين وستين سنة) وعمر النبي عند وفاتها (٤٧) سبعة وأربعون سنة .

ومسألة السن امر اعتبارى يختلف باختلاف الظروف والاحوال ولكن الأفضل أن يكون هناك تقارب في السن حتى ينشأ عن ذلك نوع من الألفة والمودة والرحمة والحب .

وإذا كان فارق السن محتملا فلا بأس به فهذه أمور اعتبارية ترجع الى طبيعة الزوج والزوجة ومدى استعدادهما للفاهم والتقارب والعمل في أسرة موحدة يجمعهما سقف واحد وهدف واحد . والله أعلم .

السؤال : قيل أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو خير خلق الله فهل جاء ذلك في القرآن أو الحديث ؟ وإذا كان في القرآن ففي أى سورة وإذا كان في الحديث فما هو الحديث ؟

الجواب :

فضل الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بعدد من الفضائل والمزايا . فقد أرسله الله للناس أجمعين قال تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) سورة الانبياء الآية ١٠٧ .

وقال تعالى (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) سورة سبأ الآية ٢٨ . وروى البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلى :

١ - بصرت بالرعب مسيرة شهر .

٢ - وجعلت لى الارض مسجدا وترابها طهورا فأبما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل

٣ - وأحلت لى الغنائم ولم تحل لنبي قبلى

٤ - وأعطيت الشفاعة .

٥ - وأرسل كل نبي الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة .

وخلاصة شرح هذا الحدث ما يأتى :

١ - عندما يذهب النبي صلى الله عليه وسلم الى حرب قوم فان الله عز وجل يلقى الرعب فى قلوبهم فينهزمون أمام رسول الله ، وتضعف روحهم المعتوية .

٢ - ان المسلم يستطيع التيمم والصلاة فى الصحراء والأراضى الزراعية وغير المسلم لا يصلى الا فى الكنيسة او البيعة او دار العبادة .

٣ - ان المسلم أحل الله له الغنائم عند الحرب اما موسى عليه السلام فكان يحرق الغنائم وأما عيسى فلم يؤمر بالحرب .

٤ - ان الأنبياء يوم القيامة لا نستطيع أن تشفع للناس حتى يستريحوا من هول الموقف ، ويعتذر المرسلون جميعا فيقول سيدنا ابراهيم انى كذبت على قومي حين كسرت الاصنام ، ويقول سيدنا موسى انى قتلت رجلا خطأ ويقول سيدنا عيسى نفسى نفسى ان الجبار غضب اليوم غضبا شديدا لم يغضب مثله اذهبوا الى فيرى اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم .

فيذهبون للنبي صلى الله عليه وسلم يطلبون منه الشفاعة عند الله فيقول النبي أنا لها أنا لها ثم يسجد تحت ساق العرش ، فيقول له الله ارفع واشفع تشفع وسل تعطى فذلك المعام المحمود الذى قال له الله (ويبعثك وبك مقاما محمودا) .

والخلاصة ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل خلق الله وان علينا ان نهتم بالعمل الصالح والتمسك بسيرة النبي وأعماله وأخلاقه ولا نتمسك بأمور الخلاف والجدال . فما منح قوم الجدل الا منعوا بركة العمل .

السؤال : قيل ان رسول الله وجد نبي الله موسى ذات يوم جالسا على جلد مفروش على الأرض . فجلده بعيدا عن المكان الذي كان يجلس فيه فهل هذا صحيح واذا كان صحيحا فهل يعتبر شرا أم خيرا .

الجواب :

هذا الخبر ليس صحيحا ، لأن سيدنا موسى عليه السلام قد مات قبل ميلاد النبي محمد صلى الله عليه وسلم بألاف السنين .

ومثل هذه الأخبار من الاسرائيليات المخالفة للمنقول وللمعقول .

فهذا الخبر لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح ، والدين الاسلامي امرنا أن نتقبل أمور الدين من القرآن والسنة المطهرة وما اثر عن الصحابة والتابعين .

اما الأخبار الواهية والأحاديث الموضوعة فاننا نرفضها ومن علامات الحديث الموضوع ما يأتي :

١ - ركافة معناه وضعفه .

٢ - فساد معناه كان يخالف البدهيات أو ما هو معروف مسلم به من القواعد العامة في الحكم والأخلاق .

٣ - مخالفته للكتاب أو السنة المتواترة أو الاجماع القطعى .

٤ - مخالفته الوقائع التاريخية المقطوع بصحتها .

٥ - اشتمال الحديث على افراط في الثواب العظيم جزاء عمل صغير أو اشتماله على مبالغة في الوعيد الشديد على الأمر الحقير .

ومن كل ما تقدم يتأكد لدينا ان الكلام الوارد في السؤال ليس صحيحا لأن سيدنا موسى قد مات قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهذا الكلام الوارد في السؤال مخالف للوقائع التاريخية المقطوع بصحتها .

السؤال : ما رأى الدين في المزاخ بين الزوجين ؟

الجواب :

امر الاسلام الزوج بحسن المعاشرة والملاطفة واکرام الزوجة واعطائها حقوقها وهي المهر والنفقة والكسوة والعشرة بالمعروف والصبر عليها

واحتمال بعض الهفوات قال تعالى : « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فحسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .

قال أبو حامد الغزالي - ومن أدب الزواج أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزاح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهم وينزل الى درجات عقولهن في الأعمال والأحلاق حتى روى أبو داود والنسائي ، وابن ماجه بسند صحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة في العدو (الجرى) فسبقته يوما وسبقها في بعض الأيام فقال عليه الصلاة والسلام هذه بذلك ، وفي الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم من أفكاه الناس مع نسائه .

وقال صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا والطفهم بأهله ، وقال عليه السلام خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي ، وقال عمر رضي الله عنه ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلا ، وروى البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجابر حين تزوج نبيا (هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك) أي هلا تزوجت بكرا حتى تلعب معها وتلعب معك ، فالمزاح والملاعبة بين الزوجين سنة مشروعة ولكن ينبغي ألا يزيد الرجل في الدعاية وحسن الخلق والموافقة باتباع هوى الزوجة الى حد يفسد خلقها ويسقط هيئته عندها بل يراعى الاعتدال فيشتد ويفضب اذا رأى منكرا ، وينبسط ويفرح اذا رأى شيئا حسنا وخير الأمور الوسط وكان عليه الصلاة والسلام يحب الرفق في الأمر كله ، والخلاصة أن المزاح كالمالح للطعام ينبغي أن يكون باعتدال وفي أوقات مناسبة ، فهناك ساعة للجد ووقت للمزاح والمجاملة ، وفي الحديث الصحيح (أن لربك عليك حقا وأن لزوجك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه) .

ثلاثة أسئلة

السؤال الاول : كم كان عمر موسى عندما ذهب الى مدين وما هو الوقت الذي استغرقه سفره الى مدين وما هي المدة التي قضها عند شعيب ؟

الجواب :

أقام موسى بمصر الى أن بلغ أشده وصار عمره ثلاثين عاما ثم قتل رجلا خطأ فهرب من مصر ماشيا على قدميه في شهور الصيف ، واشتد به الجهد والجوع وحفيت قدماه من السير فلما وصل الى أرض مدين ساعد بنتى نبي الله شعيب في سقى أغنامهما ، ثم استراح في ظل شجرة وقال (وب انى

لما أنزلت الي من خير فقير) ، مجاءته ابنه شعيب ودعته لمقابلته أبيها وهناك تزوج من هذه الفتاة ومكث عند شعيب عشر سنوات ، وبدلك أتم أربعين سنة وبينما هو عائد الي مصر اعطاه الله الرسالة والنبوة وأرسله الي فرعون وقومه .

وقد عاش موسى بعد أن أصبح رسولا ثمانين عاما منها ثلاثين سنة قضاها بمصر قبل اختراقه البحر ، وخمسين سنة قضاها بعد اختراق البحر ومات وعمره ١٢٠ عاما .

فعمر موسى كالآتي :

ثلاثين سنة في مصر ، عشر سنوات في مدين ، تم جءته الرسالة وعمره أربعون عاما وهو في طريق عودته من مدين الي مصر .

ثم عاش ثمانين سنة بعد الرسالة ومات وعمره ١٢٠ سنة .

السؤال الثاني : عندما ذهب موسى الي مصر هل كانت معه صفوة ابنة شعيب ؟

الجواب :

جاء في تفسير مقاتل بن سليمان ، المتوفى سنة ١٥٠ هـ ، « وهو تفسير مخطوط حققه الدكتور عبد الله شحاته » ، وعند تفسير الآية ٢٩ من سورة القصص ما يأتي :

« أتم موسى عشر سنين عند شعيب وتزوج من ابنته الكبرى صبورا بنت شعيب بن نويب بن مدين بن ابراهيم . (فلما قضى موسى الاجل) أي السنين العشر وسار بأهله ليلة الجمعة رأى نارا ناحية الطور ، وكان قد تحير ليلا وضل الطريق فقال لأهله أمكثوا مكانكم لعل آتاكم بجدوة من النار تستدفئون بها أو أجد عند النار من يرشدني الي الطريق » . ومن تفسير مقاتل يتضح أن اسمها صبورا لا صفوة كما ذكر السائل . أما موسى عليه السلام فقد وجد عند النار نورا الهيا ونداء ريانيا هو نداء الحق سبحانه : (ان يا موسى انى الله رب العالمين) القصص / ٣٠

ثم اعطاه الله الرسالة فذهب بها الي فرعون وقومه بأرض مصر .

السؤال الثالث : أين حصل موسى على عصاه في مدين أو في مصر وماذا كان لون العصا ؟

الجواب : جاء في تفسير مقاتل بن سليمان لقوله تعالى في سورة طه (وما تلك يمينك يا موسى قال هي عصاى أتوكا عليها واهش بها على غمى ولي فيها ما رب اخرى) طه / ١٧ ، ١٨

كان موسى عليه السلام يحمل زاده وسقاه على عصاه ، وكان اذا ركزها في الأرض خرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكانت بضئ بالليل في غير قمر لبهتدى بها ، ويرد بها عنمه عليه وكانت تعنه باذن الله من الآفات ويقتل بها الحيات والعقارب باذن الله عز وجل .

حدثنا عبيد الله قال وحدثني ابي ص الهذيل عن مقال قال دفع جبريل عليه السلام العصى الى موسى وهو متوجه الى مدين بالليل واسم العصى نعمة .

اما السؤال عن لون العصا فهو من المكلف الذي لا فائدة منه وأولى بالمسلم ان يصرف همه الى فهم كتاب الله والاكتفاء بما جاء به .

قال الامام الحافظ بن كثير في حديثه عن الاسرائيليات : « وعالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى امر ديني ولهذا يخلف علماء اهل الكتاب في مثل هذا كثيرا ويختلف المفسرون عادة بسبب ذلك ، كما يدكرون في مثل أسماء اصحاب اهل الكهف ولون كلبهم وعدتهم وعصا موسى من اى شجر كانت وأسماء الطيور التى احيها ابراهيم ، وبعين البعض الذى ضرب به القتل من البفرة ، ونوع الشجرة التى كلم الله منها موسى الى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن حيث لا فائدة منه نعود على المكلفين في دينهم او دنياهم » .

ويقول ابن كير ايضا : « وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الاخبار المتقدمة لأنها لا تكاد تخلو من بديل وزيادة ونقصان وقد وضع فيها أشياء كثيرة .

ويقول المحقق الأسناذ احمد شاكر « ان في ابات مثل هذه التفسيرات بجوار كلام الله ما يوهم أنها بيان لمعنى قول الله وتفصيل لما أجمل فيه . وحاشا لله ولكتابه ان نفسره باسرائيليات امرنا بالا نصدقها ولا نكذبها ، وبالتالي امرنا الا نضعها موضع التفسير أو البيان لكتاب الله » .

سؤالان

س ١ - الكتب السماوية أربعة . القرآن الكريم باللغة العربية .

ما هى اللغات التى انزلت بها الكتب الأخرى ؟

ج ١ : انزل الله صحفا على أنبيائه ورسله . قال تعالى (ان هذا لفي الصحف الأولى . صحف ابراهيم وموسى) .
كما انزل القرآن والتوراة والانجيل والزبور .

نزل القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم باللغة العربية قال تعالى (انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) يوسف ، وقد انزل الله التوراة بالبرانية وانزل الزبور بالبرانية ، وانزل الانجيل بالارامية ونلاحظ ان الكتب التي نزلت على بنى اسرائيل وهى التوراة والزبور كانت بلغتهم البرانية قال تعالى :

(وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)

وقد ذكر القرآن هذه الكتب السماوية وبين انها منزلة من عند الله قال تعالى فى بداية سورة آل عمران (ألم • الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل) وقال سبحانه (وآينا داود زبوراً)

والمؤمن مطالب ان يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وان يصدق بان الله ارسل رسلا وانزل عليهم كبا وان هذه الكتب فيها احكام الله ، وبعضها دخله التحريف والقرآن متم لهذه الكتب ومهيمن عليها ولم يدخله تحريف فهو حاكم صادق على الكتب السابقة ، وقد نسخ الاسلام الشرائع السابقة وجمع القرآن اهم الاحكام السابقة فى الكتب المنزلة وزاد عليها قواعد اساسيه تمس حاجة الانسان فى جميع العصور فهو كتاب البشرية الخالد احكامه عامة وقواعده عادلة قال تعالى :

(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)

س ٢ : كيف يستطيع المسلم ان يعوض صلاته التى اقامها فى غير وقتها .

ج ٢ : الصلاة ركن من اركان الاسلام فرضها الله وبين اوقانها وامرنا ان نحافظ عليها وان نواطب على ادائها فى اوقانها قال تعالى (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) اى فرضا مؤقنا يؤدى فى وقته واذا اضطر الانسان وادى صلاته فى غير وقتها ، فان كفارة ذلك هى الندم والاحساس بالتقصير والاستغفار والعزم على المحافظة على الصلاة فى المستقبل .

ولم يؤخر النبى صلى الله عليه وسلم صلاة عن وقتها ، وفى غزوة الأحزاب جمع الظهر والعصر والمغرب والعشاء فى وقت واحد ثم دعا على الكافرين وقال ملا الله بيونهم وديارهم نارا شغلونا عن الصلاة الوسطى - صلاة العصر .



ان المحافظة على الصلاة من صفات المؤمنين الخاشعين الذين اختاروا طريق الفلاح قال تعالى (فد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) ثم قال سبحانه (والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)

ومن أذى الصلاة متأخرة عن وقتها الشرعى ، وأراد أن يعوض هذا التأخير ، فان عليه الندم والاستغفار والاحساس بالتقصير وليعزم على المحافظة على الصلاة ويمكن أن يتبع ذلك بصلاة ركعتين تطوعا واخراج صدقة وتقديم عمل نافع ، كمساعدة محتاج أو تفريج كربه مكروب أو تلاوه القرآن أو نحو هذا قال تعالى (وأقم الصلاة ظهري النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)

أي أن الاعمال الصالحة والطاعات تخفف آثار السيئات وتمحو عقابها لأن الحسنات اذا رجحت كفتها في الميزان فقد فاز الانسان قال تعالى (فاما من نقلت موازينه ، فهو في عيشة راضية ، واما من خفت موازينه ، فاما هاهوية ، وما أدراك ماهية ، نار حامية) القارعة ٦ - ١١

ثلاثة أسئلة

س ١ - هل يجوز التهرب من الغرامة التي يدفعها الزوج عقابا له على طلاق زوجته ؟

ج ١ - الطلاق حلال وأبغض الحلال الى الله الطلاق .

ومعنى ذلك أن الله شرع الزواج وجعله وسيلة لاقامة الاسرة المستقرة الناجحة ، وقال عليه الصلاة والسلام (ان الله لا يحب الدواقين ولا الدواقات فاذا تزوجتم فلا تطلقوا)

والدواق هو الذي يتزوج المرأة ليدوق طعمها ثم يتركها الى امرأة اخرى . مع انه لو فكر جديا لوجد ان أساس الهدى الاسلامى هو الاكتفاء بزوجة واحدة تكون أساس الاستقرار والسعادة وتكون أشبه بالنحلة التي يقدم لها الغذاء فتخرج عسلا شهيا مختلفا الوانه فيه شفاء للناس .

فاذا رأى ولى الأمر أن بعض الناس يستغل حق الطلاق ويتعسف في استخدام هذا الحق ويستعمله في غير محله ، واذا أراد ولى الأمر أن يحافظ على سلامة المجتمع من أضرار الطلاق ثم فرض غرامة على كل زوج يطلق زوجته عقابا له فيجب على الانسان أن يدفع هذه الغرامة عند الطلاق ولا يجوز له أن يتهرب منها . لأنها تأديب ووسيلة من وسائل تقليل الطلاق حتى يفكر الانسان طويلا قبل أن يقدم على طلاق الزوجة وليعلم المؤمن أن الانسان خلق ضعيفا والمرأة خلقت شديدة العاطفة والتأثر فينبغى للرجل أن يحسن عشرتها وأن يصفح عن بعض هفواتها وألا يبادر للطلاق لأسباب يسيرة . وفي الحديث الشريف يقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا يفرك مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضى منها آخر)

أي لا يبغض زوج زوجته من أجل عيب معين وليبحث عن صفاتها الحميدة الأخرى . . وربما ينقلب بفضه لزوجته الى حب وتعاون وربما رزق

منها ولدا أو ساعدته الايام على التفاهم والسماعة الزوجية فال تعالى
(وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله
فيه خيرا كثيرا) النساء / ١٩

س ٢ - هل يجوز للمسلم ان يزوج فناه غير سريعة

واذا كان يجوز لماذا يفعل .

ج ٢ - امرنا الاسلام ان نختار الزوجة وان نحسن الاحتيال والعوامل
التي يختار الانسان من اجلها الزوجة هي الجمال والمال والحسب والدين .

فلا بأس ان يكون جميله جمالا سسبيا وكره الفقهاء صاحبه الجمال
الباهر لأنها نزهى بجمالها .

ولا بأس ان يكون لديها مال يعين على نوايب الحياه .

ولكن اذا كانت فقيرة حسنه السيرة والخلق فان الله قد وعد زوجها
بالغنى فال تعالى (وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم واماتكم ان
يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) النور/ ٣٢ .

ولا بأس ان تكون الزوجة من عائلة كريمة معروفة بالاستقامة وحسن
السلوك ولا يلزم ان تكون عائلة غنيه أو حاكمة بل يكفى ان تكون عائلة ذات
مسوى اخلاقى كريم .

واخيرا يجب ان تكون الزوجة ذات دين وايمان يعصمها من التردى فى
الرذيلة ويدعوها الى الاعمال الحسنة .

قال صلى الله عليه وسلم (تنكح المرأة لأربع لمالها وجمالها وحسبها
ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) اى احرص على زواج المراه المؤمنه
التي نلتزم بأحكام الاسلام وتنفذ أوامر الله وتجتنب المحرمات وهناك ملاجىء
ودور حضانه ، ومؤسسات ترمى اللطفاء وساعدهن على التعليم واكتساب
حرفة او مهارات معينه .

فاذا رأى الانسان فتاة لقيطه أو فتاة من غير زواج شرعى أو فتاة ضلت
الطريق وأعجبتة ورأى انه قادر على رعايتها وحمايتها من الرذيلة فلا مانع من
زواجها ، ويجوز له ان يتقدم لخطبتها من ولى أمرها فان لم يكن لها ولى
خطبها من أقرب الناس اليها أو ممن يرمى أمورها .

وعليه ان يتم عقد الزواج تماما بالصورة الشرعية .

فيقدم لها الهدايا ويعقد القران ويقدم لها المهر وعند حضور وقت
الزواج يتم بصورة طبيعية ولا بد من حضور الشهود واملان الزواج
واشهاره أمام الناس .

س ٣ - ما هي اللغة التي كان يتكلم بها أبونا آدم وأمنا حواء ؟
ج ٣ - أولا : البحث عن هذه الأشياء تكلف لا داعى له ، وقد امرنا أن نسال عما فيه فائدة .

ثانيا : كان آدم قد علم اسماء الأشياء والمسميات قال تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها)

ومن هذه الآية يمكن أن نسمى لغة آدم اللغة الادمية نسبة الى آدم .
أو نسميها اللغة الالهية نسبة الى الاله سبحانه لأنه هو الذى علمها لآدم .

ثالثا : نحن نعلم انه كانت هناك وسيلة للتفاهم بين آدم وحواء والملائكة أما ما هي الوسيلة وما اسم اللغة التي كان يتكلمها آدم ، فالبحث عنه تكلف غير مفيد وفي القرآن (قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبسرون وما كنتم تكتمون) البقرة / ٣٣

وخلاصة معنى هذه الآية ان الله علم آدم أسماء الأشياء وقواعد اعمار الكون واستخلاص النتائج من المقدمات ، ثم طلب من الملائكة أن تنطق بأسماء الأشياء التي أمامها فعجزت لعدم علمها ولأنها مخلوقات مجبرة على الطاعة لا تملك أسباب الابتكار والاستنتاج . فطلب الله من آدم أن يخبرهم بأسماء الأشياء التي أمامهم فلما أخبرهم آدم بأسماء الأشياء أعلمهم الله أن الأرض لا يعمرها الا انسان وان الله عليم بغيب السماء ولذلك جعل عمارة الأرض بيد آدمى من أفراد الانسان لأن الانسان بصعانه الغريزية وطبيعة التنافس والتغالب فيه هو الذى يتناسب مع عمارة الأرض وتكاليف الحياة الدنيا ، أما الملائكة فأجسلم من نور لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

سبعة أسئلة

س ١ : هل الحب حرام أم حلال

ج ١ - مدح الله المؤمنين بقوله سبحانه (يحبهم ويحبونه)

وامتن الله على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : (والف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم) .

وقد ألف الناس أن يطلق الحب على العلاقة العاطفية بين الفتى والفتاة أو بين الرجل والمرأة .

مع أن الحب يمكن أن يمتد الى حب الوطن وحب الأسرة وحب العمل وحب الحياة وحب الناس وحب العبادة ومحبة الله وهى الحب الاكبر .

قال صلى الله عليه وسلم : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) .

والحُب العاطفى بين الفتى والفتاة من الأمور التى نلمسها فى حياتنا وعادة ما يتعرض له الفتيان والفتيات بل الشباب والشابات وليس الحب ميبا فى ذاته إنما العيب هو الاستسلام للهوى والشهوة والاسترخاء أمام جموح العاطفة وقد أمرنا أن نسامى بعواطفنا وأن نغطم أنفسنا عما حرم الله ، وأن نحفظ الجوارح من معصية الله قال تعالى (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يقنئهم الله من فضله والله واسع عليم) .

س ٢ : لى زميل يترك عمله الرسمى الى صلاة الظهر ويستمر فترة طويلة جدا فى الصلاة هل ذلك جائز أم غير جائز .

ج ٢ : فرض الله الصلاة وجعلها خمس صلوات فى اليوم والليلة وجعل لكل صلاة وقتا محددا . قال تعالى (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) .

ولابد من الصلاة فى أوقاتها وذهب الامام احمد بن حنبل الى جواز جمع الظهر مع العصر جمع تقديم والمغرب مع العشاء جمع تأخير فى السفر والمرض والبرد والعدر الشديد ، كالشرطى الذى ان ترك عمله اعتدى اللصوص على أموال الناس التى يحرسها .

أما من ترك عمله وتغيب منه فترة طويلة جدا للصلاة . فإنه يتشاغل من عمله بدون حق . كما قال القائل .

إذا رام كيدا بالصلاة مقيما فتاركها عمدا الى الله أقرب
لقد قرن التجار بالمجاهدين فقال سبحانه :

(وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) .

وقد وسع النبى صلى الله عليه وسلم انواع العبادة وجعل أوجه النشاط المختلفة نوعا من العبادة اذا قصد بها وجه الله .

راى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شابا جلدا قويا قد بكر ليسعى فقالوا يارسول الله لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم : « دعوه فإنه ان كان خرج يسعى على أبوين كبيرين فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على صبية له صغارا فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها عن المسألة فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى استكثارا للمال وتفاخرا به فهو فى سبيل الشيطان »

فمن ذهب الى الصلاة فليؤدها في وقتها وعليه الا يضيع وقتنا طويلا جدا بعيدا عن عمله ، بل يؤدي الصلاة ويعود الى عمله ليسعى على رزقه من حلال .
قال تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) .

س ٣ : اشترت فاكهة وعندما عدت الى المنزل وجدت في الكيس الذي أحمله نوعا رديئا بسبب الغش . أرجو توجيه كلمة الى التجار .

ح ٣ : حرم الله الغش وتوعد فاعله بالعذاب والنكال .

قال صلى الله عليه وسلم (من غشنا فليس منا) .

وروى الامام احمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(المسلم أخو المسلم ولا يحل لسلطان اذا باع من أخيه بيعا فيه عيب ان لا يبينه)

وكما حرم الاسلام الغش فقد حرم تطفيف الكيل والميزان . قال تعالى
(ويل للمطففين • الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون • واذا كالوهم أو
وزنوهم يخسرون • الا يقن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) .

فقد توعد الله من يبخس الناس حقهم في الكيل والميزان بالويل وهو و
في جهنم بعيد غوره شديد عذابه ، فله الويل والسعير لانه اذا اشترى اسنوفى
حقه واذا باع بخس الناس حقها .

قال تعالى (أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين وزنوا بالقسطاس
المستقيم)

وكذلك حرم الاسلام الاحتكار وهو جمع السلعة رجاء زيادة سعرها ،
وفي الاثر (بئس التاجر المحتكر اذا أرخص الله الاسعار حزن واذا اغلاها فرح

س ٤ : هل يجوز اعتناق المذهب المادى

ج : أرسل الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومشرقا
ونديرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وقد أنزل الله عليه القرآن داعيا
الى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر .

وساق القرآن العديد من الأدلة على وجود الله . ولفت نظر الانسان الى
خلق السماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبحار والانهار ،
قال تعالى :

(هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه)

وقال سبحانه (أم من جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل
لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا)

فالانسان جسم وروح والاسلام دين وسقط . قال تعالى (وكذلك جعلناكم امة وسطا) .

ان المذاهب المادية تنكر الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتدعى ان الدين خرافة وانه افيون الشعوب وكل ذلك افتراء على الله .
لقد ادت الاديان دورا هائلا في خدمة البشرية ، ولا غنى للانسان عن عفيده سليمة تربطه بخالقه ورازقه . قال تعالى : (قل انتم اعلم ام الله) .
وقال سبحانه (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

س ه : بعض الناس يهتمون بذكر صفات الرسول الجسدية فما حكم الدين في ذلك

ج ه : الملح للطعام قليله مفيد ، وكثيره يفسد الطعام وهذا الامر ينطبق على موضوع السؤال

ذلك اننا اذا نظرنا الى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وجدنا سفرا ضخما في حياته ودعوته وجهاده وهجرته وخلقه . وصفاته النفسية والخلقية .

وفي كتب السيرة القديمة او الحديثة نجد مجلدات كبيرة في وصف حياة النبي صلى الله عليه وسلم ونجد صفحة او صفحات تصف النبي صلى الله عليه وسلم من ناحية شكله وصورته .

فمن ذلك . ان النبي صلى الله عليه وسلم مر في طريق الهجرة من مكة الى المدينة بخيمة ام معبد ولم يكن عندها طعام وقد خرج زوجها يرمى الأغنام ، وترك شاة ضعيفة متخلفة لا لبن لها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قريبا يا ام معبد ومسح على ضرعها فدر باللبن وشرب منه ابو بكر الصديق وشربت ام معبد وشرب رسول الله وملاّت ام معبد اوانبها باللبن .

فلما حضر زوجها سألها عن مصدر اللبن فقالت حضر رجل مبارك ومر يديه الكريمتين على ضرع الشاة فدر باللبن فقال لها زوجها صفيه يا ام معبد فقالت :

(لبس بالطوبل ولا بالقصير . ضخم الراس مشربا وجهه حمرة ادعج العينين (اللعج شدة السواد وشدة البياض) سبطه الشعر (سهلا غير ملبد) سهل الخدين (غير مرتفع الوجنتين) كان عنقه ابريق فضة ، واذا التفت التفت جميعا ، كان العرق في وجهه اللؤلؤ الرطب لطيب عرقه وريحه .

س ٦ : أحيانا أسرح أثناء تلاوة القرآن مما يسبب لى بعض المتابع النفسية كيف اتغلب على ذلك .

ج ٦ : القرآن كلام الله وهو خطاب الله الى البشر ومن سبل الانصات احساس السامع أنه يتلقى كلام الله له . وفي الاثر اقرا القرآن كأنما أنزل عليك .

ومن سبل الانصات معرفة الانسان بالأهداف العامة لسور القرآن الكريم فسورة البقرة تناولت موضوعين رئيسيين : الأول : الحديث عن بنى إسرائيل وعدوانهم في السبب وظلمهم أيام موسى وبعد موسى .

والثانى : شريع الله للمسلمين أحكام تنظيم حياتهم . من ذلك تشريع الصيام والجهاد وشئون الاسرة .

وسورة آل عمران عنيت بالحديث عن غزوة احد

وسورة النساء عنيت بالحديث عن شئون النساء واليتامى والميراث ونظام المجتمع .

وسورة المائدة عنيت ببيان احكام الحلال والحرام وذكرت قصة قابيل وهابيل .

وسورة الانعام عنيت بذكر أدلة الألوهية ونعم الله على الناس .

وسورة الاعراف عنيت بذكر قصة آدم وقصص الانبياء .

وسورة الأنفال عنيت بذكر اخبار غزوة بدر وبينت وسائل النصر .

وهكذا عندما يحس الانسان بالروح العامة للسورة ويهتم بالمعنى الاجمالي للآيات ، يجمع بين حضور الذهن وتدبر المعانى . قال تعالى (واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحموا) ويساعد على ذلك اختيار القارئ في الميائتم والمحافل سورا سهلة الفهم مثل سورة مريم ، طه .

وفقنا الله لما يحب ويرضى وهدانا سواء السبيل .

س ٧ : ما حكم الاحتفال بالمولد النبوى ومتى بدأ الاحتفال به وفي أى بلد ومن احتفل به لأول مرة ؟

ج ٧ : الاحتفال بالمولد النبوى في هذه الأيام مناسبة كريمة وشعيرة حسنة وعبادة مستحبة لتذكير المسلمين بفضل الرسول صلى الله عليه وسلم وعظمته وجهاده وكرامته صفاته وآدابه العالية .

ولم يكن الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم معروفا في صدر الاسلام ولا في عصر الصحابة رضوان الله عليهم ولا في عصر التابعين .

وقد عرف عن دولة الفاطميين بمصر عنايتهم بالاحتفالات الدينية وخصوصا مولد النبي صلى الله عليه وسلم . وسرى ذلك التقليد وانتشر في سائر البلاد الاسلامية فأصبح العرب والمسلمون يحتفلون بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم باقامة الحفلات والقاء العظات وقراءة القصص والسيرة النبوية وكلها آداب جميلة لا بأس بها .

ولكن المسلمين في حاجة الى أن يتركوا الاحتفالات التقليدية التي توزع فيها الحلوى وعرائس الولد ، وهم في حاجة الى احياء المعالم الاسلامية والاداب المحمدية والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم قدوة حقيقية في صدقه واخلاصه وشجاعته وعفته ونزاهته وتواضعه وبذلك تحيا فيهم أخلاق الاسلام ويعود الاسلام وابطا قويا وسياجا منيعا يحفظ المسلمين ويرد اليهم عزتهم وكرامتهم . قال تعالى (والله العزة والمرسولة للمؤمنين) .

استله من طلبة الجامعة

س أنا الطالب /ع/ع بجامعة القاهرة

اتلو اليك هذه المشكلة راجيا من الله ان تاتى لنا باجابة يرضاها هو عز وجل .

كان لى أخت هي أكبر اخواتى . كنت حين ذاك فتى صغيرا لم أتجاوز الثامنة من عمرى وقد زفت وبعد زفافها بأشهر طلقت منه . . . فبعد عدة أيام من طلاقها ، وذات يوم وأنا نائم أقمت على أيتها وانها تعلقونى وتمارس معى الجنس كأحد من الأشخاص التي لا تعرفهم كنت لا أصر ف لماذا تفعل ذلك معى حتى انها استمرت فى هذا ، فكانت تنادىنى وتبدأ بممارسة الجنس معى علانية فى صسحتى . كنت أطيعها لانها كانت تضربنى كثيرا لو رفضت لها طلبا استمرت هذه الطريقة لمدة عام كامل حتى بلغت التاسعة من عمرى وكنت فى الرابعة الابتدائية . وتزوجت شخصا آخر وبعدت بعيدا عنا . ولكنها تركت فى فريزة جنسية عنيفة الى الآن وكراهة فظيعة لأخوتى . . حتى اننى عندما بلغت واحسست بالمراهقة كدت أمارس الجنس مع أخت صغيرة لى كما كانت تفعل معى أختى الكبرى ، ولكن خشية من الله كنت أبعده كثيرا عن البيت كى لا أقع فى مثل هذا العمل ولكن عاشت هذه الفريزة عندى بطريقة لا معقولة حتى اول هذا العام . . اولا ماذا أفعل ؟ ؟ ثانيا ما حكم الدين والشريعة الاسلامية فى مثل هذا العمل ؟ ؟ ثالثا : ما موقف الاسلام منى ؟ ؟ رابعا : هل يغفر لى الله مثل هذا الذنب الذى ارتكبته وأنا الآن من الذين يعبدون الله حق عبادته ؟؟ أخبرنى بالله عليك .

المعذب

ع . ع .

ج : أما ما حدث وانت صغير فقد رفع عنه القلم لأنك كنت دون سن التكليف الشرعي . فانسسه وانس كل ما ينصل به . وعقابه الكبير على من كانت تدفعك اليه .

أما وقد بلغت سن التكليف الشرعي فحذار مما قد يسول لك الشيطان به لأن الزنا بمحرم كالأخت والبنات حكمه الشرعي هو القتل . فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (من وقع على ذات محرم فاقتلوه) .

فأكثر من استغفار الله والاعتصام به وبأوامره ونواهيه ، وهل يعالج الخطأ الشنيع من ناقصة عقل ودين بمعصية أشنع منها ، وانت من الذين يعبدون الله حق عبادته ؟

وفي علم النفس أن ما تعرف سببه لا يمثل عقدة مستعصية .

أنت إنسان طبيعي ، وقد يكون الذنب من أبواب الوصول الى الله والله غافر الذنب وقابل التوب . للتائبين ، وهو شديد العقاب لمن أصر على المعصية .

قال تعالى (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير)

س : أنا طالب بالسنة الثالثة الجامعية نشأت في أسرة محافظة عودني الخلق الكريم مند الصغر ، لى جارة نصفرنى بأقل من عام نربينا معا مند طفولتنا ، ودون قصد من أينا أصبحت طباعها مماثلة لما طبع عليه ، وأصبحت أمرها بالشئء تفعله دون جدال إيماناً بأن ما أفوله هو الصواب واستناداً الى سمعتى الطيبة فى الحى عامة وعند أسرتها خاصة ، فأمرتها بالصلاة فصلت وأمرتها بالاحتشام فالتزمت بالزى الاسلامى وأربط كل منا بالآخر لدرجة لا يمكن ايضاحها ، فاتحت والدتى لأخذ منها كلمة لمستقبلى وصدمت لما وجدته من اصرار لديها على رفض هذه الفتاة بالدات وبررت ذلك بأن أسرتها ليست من نفس المستوى الاجتماعى وان لها شقيقان ليسا على خلق وان كانا قد حصلنا على شهادات متوسطة ، وحقيقة ان أسرتها دون مستوانا الاجتماعى وان شقيقها سيئا الخلق . . . ولكن مالى ومالها بكل هذا . . . وأين أجد فتاة فى مثل خلقها فى آنسات هذه الحضارة الزائفة .

أرجو من سيادتكم الرأى والمشورة

ولسيادتكم وافر الشكر والتحية

ج : بنى العزيز ، لست من أنصار الزواج لطالب فى السنة الثالثة الجامعية خصوصا وحولك هذه الظروف التى شرحتها نصيحتى ، انصرف لدراستك ، واصرف ذهنك كلية عن الموضوع واتمنى ان تكون رفيقة حياتك حائزة على شرطين الأول رضاك ، الثانى رضا أسرتك ، وستجد فى المستقبل

ان شاء الله من ينحرف فيها ذلك . والدنيا بخير (والحير في وفي امسى الى يوم
القيامة) كما ورد في الحديث الشريف

س . ابلغ من العمر ٣٠ سنة متزوج ولى طفلين لى اخب كيفه تسكن
معى فى نفس الحجرة التى اسكن فيها انا واسرتى دخلى محدود للغاية ولى
أخ ميسر الحال يعيش فى الصعيد ، وهل ارسل اخنى لتعيش مع اخى
هذا وهو بيته كبير وواسع واتولى انا الانفاق على تعليم اولادى او من
واجبى ان اترك اخنى تعيش معى رغم ان اخى هو الأكبر فى السن والمال فما
راى الدين فى هذا

، وشكرا ، ،

ج : ارسل اخنك الى اخيك ، والافضل ان تكتب له خطابا تشرح
له فيها ظروفك وحاجتك الملحة اليه فى ان يرمى اخنك لينفق عليها ويرعاها .
قال تعالى (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما
اتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاه سيجعل الله بعد عسر يسرا) . الطلاق/٧

س : ما حكم شرب الحشيش والبيرة ؟

ج : دلت نصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة - فى مجموعهما -
على حرمة كل ما خامر العقل أى اثر عليه بذهاب أو سكر أو تخدير أو
نحوها .

فكل ما ادى الكثير منه الى شىء من ذلك فالقليل منه حرام . ولا
يجادل فى حرمة ذلك مؤمن صحيح الايمان .

ويرى ابن تيمية وجمهور فقهاء المسلمين - ان من استحل شيئا من
ذلك وزعم انه حلال فانه يستتاب ، فان تاب والا قتل مرتدا ، لا يصلى
عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين .

والخمور والمخدرات وسائر المشروبات الكحولية - ومنها البيرة - سواء
فى هذا الحكم .

س : انا طالبة جامعية بالفرقة الرابعة استفسر عن حكم الشرع فى
المرأة التى تذهب لأداء فريضة الحج واثناء أداء مناسك الحج قد جاء ميعاد
الدورة الشهرية فأتت فى اثناء أداء هذه المناسك فماذا تفعل حتى تحسب
لها الحجة أرجو تفسير ذلك بايضاح ونشرها فى مجلة الوعى الدينى اذا
سمحت .

، وشكرا .

ج : كل ما عليها ان تمتنع عن الطواف بالبيت الحرام حتى تطهر ،
ثم تطوف .

روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها وهي تبكى .

فقال : انفسى (حضت) ؟

قالت : نعم .

قال : ان هذا شيء كتب الله على بنات آدم ، فأقضى ما يقضى الحاج غير الا تطوفى بالبيت حتى تفتسلى . وهذا هو حكم من حاضت أثناء الحج . فإذا أنزل عليها الحيض بعد أن طافت طواف الإفاضة ، فإنها ترمى الحمار ، وتساغر عندما تشاء السفر ويسقط عنها طواف الوداع لأنه سنة ، ويسقط طواف الوداع عن الحائض والنفساء .

انا الطالب/ عطية - ١ . النانية كلية الآداب

أحببت فتاة من الكلية حين التحقت بها وزاد هذا الحب بطريقة غير ممقولة عبر هاتين السنتين اللتين قضيتهما في الكلية ونجحت والحمد لله وبتوفيقه بتقدير جيد ، ولكن هذه الفتاة متذبذبة من الناحية الدينية كذلك أن معارفها من الشبان زادت بطريقة غير طبيعية وصادقت أحدهم غيرى وعندما كنت أكلمها في هذا تقول انه صديق كائى صديق في الكلية وانها تخرج مع اى شاب الى خارج المنزل وخارج الكلية وكانت تتأخر خارج البيت كثيرا اننى لا اثق في حبها لى .

جعلك الله لنا عوناً

١ - هل أتقدم لخطبة مثل هذه الفتاة .

٢ - هل أستمر في علاقتى بها .

٣ - ما رأيك في هذه الفتاة من جميع النواحي .

ابنك

عطية .. بالسنة الثانية

ج : اهرب بنفسك ودينك وعرضك ومستقبلك كله من هذه الفتاة ، وحاذاً أن تخادمك نفسك بغير هذا .

ورأى فيها تعرفه من السطرين السابقين .

انا طالبة جامعية في الخامسة والعشرين متزوجة ولى بنتان وكل ما أسأل عنه هو حقى لأننى أعرف واجبى جيداً تجاه بناتى وزوجى ووالدى وأخوانى والحمد لله انى أؤدى واجبى على أكمل وجه بشهادتهم هم ولكن ما هى حقوقى

ما هو حقى عند والدى ؟

ما هو حقى عند امى ؟

ما هو حقى عند زوجى ؟
ما هو حقى عند اخوتى ؟
هل من حقى ان اعرف دخل زوجى كاملا ؟
هل من واجب والدى الانفاق على وعلى دراستى لأنه متيسر الحال ؟
هل من واجب زوجى ان ينفق على اخوته وامه رغم ان والده موجود
ومن الأثرياء ؟

ان من حق الزوج نرك زوجته اذا مرضت فهل من حق الزوجة ان
تترك زوجها اذا مرض ؟

ادخر لى والدى مبلغا منذ طفولتى لكى يؤثت لى به بيتى ولكن عند
زواجى لم يمس هذا المبلغ وأثت البيت بأحسن جهاز ، والآن يعرض على كى أخذه
فرفضت فهل أخطأت فى حق اولادى رغم ان أبى هو المنولى الانفاق على اذا
مرضت وعلى كتب الكلية وملابسى . وشكرا .

أرجو الاجابة بلا تحيز لجنس الرجال
أو الشفقة على بل احكم بما أمر الله .

ج ١ : أنت فى دوامة يا بنيتى ، الحياة ليست مسطرة توضح حقوق
الناس بالسنتيمتر . الحياة أخذ وعطاء وأمور متداخلة فى بعضها .

الحياة سلوك سليم ورحمة بالآخرين وعمل نافع بالمجتمع وثقى من
تمود العطاء سيجد الجزاء .

ولكن لا بأس من توضيح بعض المواقف
١ - ليس من واجب والدك الانفاق عليك

لكن اذا عاوبك بالنفقة وشراء الكتب فهذا تفضل منه واقسم لك
صادقا لو كانت لى ابنة متزوجة فى حاجة الى الانفاق لأنفقت عليها بل وعلى
زوجها حتى يقفا على أرجلهما كما أنفق على اولادى .

٢ - ليس من واجب زوجك ان ينفق على اخوته وامه مادام والده
موجودا ومن الأثرياء بل عليه الرعاية الحسنة والهدية المتيسرة ، وفرض
على زوجك ان ينفق عليك وعلى منزله .

٣ - من قال ان من حق الزوج ترك زوجته اذا مرضت ؟

هل هذا هو الوفاء والمودة والرحمة ، ان الانسان يجب ان يعتنى
بالحيوان اذا مرض فما بال شريكة الحياة أو شريك الحياة . الانسانية ،
المودة ، الألفة ، لا تظهر الا عند المرض والبلاء . والله جعل الزواج سكنا
وأية من آيات الله .

أذيبى الجليد بينك وبين زوجك وان كان زوجك معرضا عن الحق فانقلى له هذا الكلام أو حكى أحد العلماء الفضلاء ليلزمه بالحق ويحكم بالعدل بينكما .

٤ - إذا عرض عليك أبوك أن يعطيك المال المدخر مرة أخرى فأقبله واتركه باسمك فى البنك فهذا خير ساقه الله اليك ، ولا ترفض الخير وابتسمى للحياة واشكرى أبك على حنانه وعطفه ومساعدته ولحى لزوجك أن مساعدة والدك يجب أن تخف ليتولى هو شئون الأسرة .

وعند تخرجك من الكلية ستدور عجلة الحياة وتحل الامور نفسها .
ليس الأمر تحيز للرجال أو شفقة على النساء انما الأمر عدالة يجب أن تأخذ مجراها .

ودائما يجب أن تعلم أنه لا بد من الزيت الذى يوضع مع الحديد حتى يدور .

الزيت هو الليونة أو المرونة فى التعامل مع الحياة ، الرفق ، التأقلم الاخذ والعطاء ، الدبلوماسية الكياسة ، حسن التانى للامور . وفقك الله .
ووفعنا جمعا لما يحب ويرضى .

س : يصلى بنا فى المسجد رجل كبير السن ولا يستر فروة رأسه ، فهل صلاة المأمومين صحيحة ؟
ج : نعم صحيحة .

س : هل يجوز لآى شخص لديه القدرة على الخطابة ان يخطب فى المسجد أم لا بد من شروط معينة .

ج : يجوز لآى شخص لديه القدرة على الخطابة ان يخطب ، والأفضل ان يقدم أقدر الحاضرين على الخطابة وأكثرهم علما وفقها واقناعا .

س : هل يجوز أن تصلى المرأة صلاة الجمعة ركعتين كالرجل أم تصلى أربع ركعات ؟ وهل تقبل صلاتى - كفتاة يتعذر عليها الذهاب للصلاة فى المسجد يوم الجمعة على صوت المدياع ؟

ج : أولا : صلاة الجمعة ركعتان للرجل والمرأة ، واذا ذهبت المرأة الى المسجد وأدت صلاة الجمعة فهى صلاة مقبولة وتسقط الفريضة عنها .

ثانيا : لا يجوز الصلاة على صوت المدياع لأنه يشترط أن لا يفصل بين الامام والمأموم طريق تمر فيه العربى ولا نهر يمر فيه الزورق .

س : ما موقف الدين من العادة السرية بكل صراحة ؟

س . ١ . م السنة الأولى - جامعة القاهرة

س : هل المنى اذا اصاب الملابس الداخلية ينجسها ؟ بماذا تنصحني
لأخفف من حدة العادة السرية ؟

م . ف . اولى - كلية دار العلوم
س : انا أصلى وأمارس العادة السرية ، ولكنى متألم نفسيا جدا وقد
تبت منها ثم رجعت لها مرة واحدة بعد التوبة وضميرى الى الآن لم يفر لى
ذنبى ، وحينما أدخل الصلاة أخجل خجلا شديدا وأخاف خوفا كبيرا من
الرحمن ، فما موقف الدين من صلاتى اثناء ممارستها ، وصلاتى بعد التوبة
التي أريد من الله أن يوفقنى لها .

ملاحظة : أرجو الاجابة على هذا السؤال رافة بحالتى النفسية سريعا
س . ا . م السنة الاولى - كلية الآداب

ج : **اولا** : المنى اذا اصاب الملابس الداخلية لا ينجسها - قال صلى الله
عليه وسلم « يا عائشة افسليه رطبا وامركيه يابسا » فيغسل المنى اذا كان
رطبا ويفرك اذا كان يابسا ، وقد ذهب الشافعية الى أن المنى طاهر ، وذهب
غيرهم الى نجاسة المنى ورأى الشافعية رأى قوى ، ولكن الأفضل غسل المنى
اذا تيسر ذلك . فان لم يغسل فالصلاة به صحيحة .

ثانيا : العادة السرية - نشرت « مجلة الوعى الاسلامى » فى عدد
ذى الحجة سنة ١٣٩٢ هـ سؤالا يقول :

هل ينجم عن العادة السرية اضرار صحية وما حكم الدين فيها ؟

الاجابة : يقول الأطباء : ان العادة السرية تنجم عنها اضرار صحية
وعقلية ، فهي تعفد الانسان حساسيته الجنسية وهذا يؤثر على الحياة
الزوجية كما ان الافراط فيها يسبب التبدل الدهنى والنسيان . فضلا عن انها
تسبب التهابا فى المسالك البولوية وتؤدى الى ارتعاش أطراف معتادها
ويقول الامام أحمد انها حرام واستدل على ذلك بقوله تعالى : « **والذين هم
لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن
ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون** »

وأقول للأخ س . ا . م : رفقا بنعسك لقد تبت وعدت لها مرة واحدة ثم
اخلصت فى التوبة فلا تكثر من الخوف والقلق وكن سعيدا بتوبتك وثق ان
الله يقبل التوبة ويمفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب للذين
آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ، ويرى بعض علماء التربية
الجنسية والصحية أن أكثر من ٩٠ ٪ من الشباب يمارسون العادة السرية فى
وقت من اوقات حياتهم وان العادة السرية فى ذاتها ليس فيها ضرر كثير
ولكن الضرر يأتى من ادمانها أو الاكثار منها ، والضرر باتى كذلك من توهم
المرض والضعف والاعتقاد الخاطيء المنتشر بين الناس بأنها سبب لضعف

البصر والقوى العقلية والجسمية . الخ وهذه أوهاج لا حقيقة لها كما أن خطر العادة السرية في التخوف الزائد من غضب الله وهماجه أو اليأس من قبول التوبة ، ويرى هؤلاء العلماء « أن العادة السرية مرض عارض يصادف الكثير من الشباب في بعض مراحل حياتهم ، وأن من الخطر أن نذكر له عيوباً ومساوئ ليست فيه بل أن الحق أحق وأولى بالقول والمعرفة » .

ويجب أن يدرك الشباب أن العادة السرية لا تسبب كل الأضرار والأمراض التي تشاع عنها وأنها مرض طارئ يمكن التغلب عليه وأن الضرر في الإدمان عليها ، وفي توهم المرض والخوف والقلق بعد ممارستها وأن كثيراً من الشباب مارسوها ثم تركوها زهداً فيها وتعالياً بأنفسهم وسموا بأقدارهم أن تضعف أمام اغراء الشهوة ، ومما يساعد على التخفيف من العادة السرية « قراءة القرآن ، والمحافظة على الصلاة ، والصلاة بالليل ، والإخلاص في الصلاة ، وصيام بعض الأيام ، وانشغال الإنسان بعمل نافع كرحلة خلوية أو ممارسة رياضية أو الاشتراك في صحيفة بالكلية أو ممارسة هواية نافعة كالاشتراك في جمعية للشعر أو التصوير أو غير ذلك » .

إن حياة الطالب حياة اجتماعية سليمة وشغل فراغه بعمل نافع كفيلاً بأن يسمو به إلى الحياة الجادة ، وأن أخطأ فليسارع بالتوبة النصوح ، وليثق بأن باب الله مفتوح وأن رحمته واسعة وأنه يحب التوابين ويحب المتطهرين قال تعالى :

« قل يا عبادة الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم » .

أيها السائل هنيئاً لك توبتك وأترك الخوف والقلق وأشرح صدرك وثق بنفسك وضع يدك في يد الله فما أقرب مولاك منك وأنت لا تشعر وقربه وما أحبك إليه وأنت لا تشعر حبه - قال تعالى : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » - وفي صحيح البخاري يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة جل جلاله أنه قال : « إن تقرب عبدي إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن جاءني بمشى أتيتته مهرولاً » .

س : أنا طالبة بالسنة الثانية - كلية الآداب جامعة عين شمس جمعنتي الصدفة بزميل لي في نفس السنة على درجة عالية من الدين والأخلاق ، واتضح من خلال صداقتي له ومن كلامه معي أنه يريد خطبتي ، فرفضت نظراً لظروفي الاجتماعية وبعد الرفض لاحظت عليه اليأس والضيق النفسي وصرح لي أنه لم يداكر وأنه سيرسب لو لم أوافق على الخطبة منه .

سيدي الدكتور ماذا ارد عليه لأنقد مستقبله هل انركه وابتعد عنه او
أعدده بالخطبة منه حرصا على مستقبله وعند التخرج كل واحد فينا يذهب
لشأنه .

شكرا لسيادة الدكتور للاجابة على هذا السؤال - أختك س.ا بالسنة
الثانية جامعة عين شمس .

ج : لى تعليق على سؤالك قبل الاجابة عليه ، فانا لا اوافق على أن
يكون سبب الرفض هو ظروفك الاجتماعية السيئة ، واذا كان سبب الرفض
هو الفقر فليس الفقر عيبا ، فقد كان أشرف المرسلين فقيرا .

لقد تعلمت الفتاة وصارت قادرة على العطاء والمشاركة في تحمل اعباء
الحياة ، فانت بالتعليم والأخلاق والثقافة والقدرة على التفاهم ثروة كبرى
لا تقدر - وانت انسان مقدر بانسانيته لا بظروفه الاجتماعية ،
وانا أعرف ان المجتمع له حكم صارم ، ولكننا يجب أن نقاوم عوج المجتمع
وان نقدر الفتاة بأخلاقها وانسانيتها وفضيلتها لا بفقر أهلها أو غناهم ،
فالقرآن يقول : « لا تزد وازدة وذر أخرى » ويقول سبحانه وتعالى : « كل
أمرئ بما كسب رهين »

أما الاجابة على السؤال ، فانا من دعاة الصراحة ، كوني صريحة مع
نفسك ومع ، قولى له انا رفضت الخطبة نظرا لظروفي الاجتماعية السيئة ،
فان قبل فأهلا وسهلا ، وان رفض فمع السلامة . ولا اوافق مطلقا على
الوعد بالخطبة حرصا على مستقبله - انه رجل والرجل يجب أن يتحمل
مثل هذا الموقف بشجاعة - ان الذى يرسب من أجل رفض خطبته لا يصلح
أن يكون زوجا يتحمل مسئولية الحياة الزوجية وابعائها ومتطلباتها - كوني
حازمة ، وعموما فالابتعاد عنه اليوم أفضل من الوعد الكاذب الذى ينتج عنه
أسوأ الأثر في المستقبل .

على حافة الهاوية

س : سكنت فى شقة بعد ان تركت المدينة الجامعية ف وقعت فريسة
المنزل كله .. كل يوم أجد امرأة تداعبنى بشكل مفر حتى الجيران .. هم
ايضا يفعلون ذلك .. كدت أرتكب الخطيئة اكثر من مرة مع فتيات ونساء
ولكن كان ايمانى والحمد لله قوى ، حاولت البحث عن شقة أخرى ، ولكن
للأسف لم أجد مطلقا .. ولكن خوفي من هذا البيت يزداد يوما تلو الآخر
واحساسى بأننى سوف أرتكب الذنب يؤلمنى كثيرا ، ويراودنى الشيطان أكثر
من مرة باعتبارى شابا فى مثل هذه السن .

ماذا أفعل بالله عليك يا أستاذى الفاضل ؟ .. أدركنى والا وقعت فى
الخطيئة .

(عطية . ع)

الإجابة : يظل في ظل عرش الله تعالى سبعة ، منهم : (رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين) .
 إذا آمنت بالله حقا فالتفت الى علومك واشغل نفسك ببعض الأنشطة والرياضة خارج المنزل ، وثى أن هناك جزاء عادل من الله لكل مؤمن يقاوم الاغراء وينتصر على الهوى ويسير في الطريق القويم .
 الكلام لا يكفى منى ، لكن بالإرادة الصادقة والعزيمة الجادة تجد من السعادة في طاعة الله مالا يجده الأشقياء في معصيته . انك تطيع الرحمن وهو الفائل (وليستغف الذين لا يجدون نكاحا) أى لا يقدرين على الزواج الحلال (حتى يغنيهم الله من فضله) . قواك الله والهكم السداد . (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) .

بنى العزيز ،

رب شهوة ساعة أورتب أهلها حزنا طويلا ، تذكر اسرتك : أمك ..
 أختك ، وابنتك في المستقبل ، زوجتك ، هل تحب أن تنتهك أعراضهم .
 اتق الله في أعراض الناس . وفي الحديث الشريف (عفوا تعف نساؤكم ، وبروا آباءكم ببركم أبناؤكم) .

لقد مدح الله المؤمنين ووصفهم بالفلاح ، إذا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحفظوا فروجهم من الزنا ، قال تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون) .
 وقال صلى الله عليه وسلم : « من ضمن لى ما بين لحييه ورجليه ضمن له الجنة » .

س : اننى فتاة متزوجة .. ذات يوم وجدت زوجى يخونى فى الشقة المجاورة لشتقتنا ، وهذا بعد ان علمت من العلاقة التى بينه وبين المرأة المجاورة لنا .. فأردت الانتقام لنفسى ولكرامتى فكان يسكن فى الدور الثالث طالب جامعى فى مثل سننى ، أو ربما كنت أكبر منه قليلا راودته عن نفسه فوقع تحت تأثيرى وزنا بى فانا لم اكن اعقد النية لخيانة زوجى ولكن ردا لشرفى وكرامتى فعلت ذلك بالرغم من اننى لم اكن راضية نفسيا على ما فعلت .

أولا : هل لهذا الطالب المسكين ذنب فى هذا وهو على وشك التخرج من الجامعة .. وهل يفقر له الله اذا تاب .. وهل يقبل منه التوبة .

ثانيا : اننى ارتكبت الخطيئة مع اكثر من واحد واغلبهم من الوسط الجامعى .. فهل يمكن أن يقبل الله منى هذه التوبة ويجعلها توبة نصوحا بعد ذلك .. وكيف اتوب الى الله ؟

ثالثا : هل اصارح زوجى بالحقيقة ثم ألقى الضوء على ما فعله هو واقول انه السبب .. أم لا ؟ أريد أن اتوب ..

المعلبة : ع . ع . 1 . 1
 السنة الثالثة - حقوق القاهرة

ج : الى المعذبة ع . ع . 1 . 1 . بالسنة الثالثة - بجامعة القاهرة
ارتعدت عندما قرأت خطابك ودارت بي الأرض وتركت مكتبى وكل
الأسئلة نافرا منها . وابتعدت عن اجابة الأسئلة كلها ثلاثة أسابيع . ثم عدت
للاجابة .
ابنتى ،

لقد عرفت أن زوجك يخونك فانحرفت وزعمت انك انتقمتم لشرفك
بجريمة الزنا مع جارك .

ولكنك والله مرغت شرفك فى الوحل .
ثم انك استمرات الخطيئة وطريق الحرام .
واضع امامك هذه الحقائق :

(١) من رأى شريك حياته يخونه فليفكر طويلا فى أسباب الخيانة ،
وليحاول أن يسبغ على شريك حياته العطف والحنان والرعاية وأن يتحلى
بالنظافة والطهارة والصبر . وأن يلتمس العذر للآخرين ، عندئذ ستجدين
من زوجك ندما وارعواء وعودة الى حماك عودة التائب المنيب ، النادم على
ما فعل .

(ب) الزنا جريمة فى حد ذاته ولكنه من المتزوج جريمة أبشع . وقد
رأى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء والمعراج رجلا بين يديه طعام
هنىء نضيج وطعام خبيث نبيء فجعل الرجل يترك الطعام الهنء النضيج
ويأكل من الطعام الخبيث ، فقال النبى ما هذا يا جبريل . قال : هذا الرجل
من أمتك تكون عنده زوجة حلالا طيبا فيتركها ويبيت بامرأة خبيثة والمرأة
من أمتك تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتتركه وتبيت برجل خبيث . قال
الفقيهاء ولا عبرة بالبيات بل المراد الوقوع فى الزنا على كل حال .

ابنتى ، تسالين ثلاثة أسئلة . وهذه اجوبتها :

اولا : نعم لهذا الطالب المسكين ذنب ، وهو ذنب المطاوعة والمشاركة ،
ولكن الله مطلع على كل ما حول الموضوع ولا يحاسب الانسان الا بقدر
ما اشترك . وتسألين عن توبته : والجواب نعم اذا تاب وأخلص التوبة
وابتعد نهائيا عن الحرام ، تاب الله عليه وقبل توبته .

ثانيا : ان جريمة المتزوج اشد وأفظع لأن عنده الحلال فيتركه الى
الحرام . فاطمى الله واطمى نفسك عن السوء واتركى طريق المعصية بكل
جد وتصميم .

ثالثا : لا نصارحى زوجك بالحقيقة ، ولا نلقى الضوء على ما يفعله
فالانسان معاند مكابر ، قولى له انك أفضل رجل وأطهر انسان وأنبل زوج

وأغدقني عليه عطفك واعتنى بمظهرك اخلصي له اخلاصا حقيقيا ، وتوحي الى الله توبة نصوحا ، وأدع الله أن يشرح صدرك ويلهمك رشداً وأن يشرح صدر زوجك حتى يلتئم شمل هذه الأسرة .

وطريق التوبة واضح ، ويتكون من ثلاثة أمور :

١ - الندم الصادق على الذنوب .

٢ - الاقلاع عنها في الحال .

٣ - العزم والتصميم على البعد عنها في المستقبل .

مع دوام المراقبة لله ومراقبة نفسك حتى تحملها حملا على الطريق

القوم .

جواب حذف سؤاله

تلميذتي المعذبة

لماذا نحول النعم الى نقم ، لماذا نريد أن نعيش في دراما متصلة وأحزان وعذاب .

شيء طبيعي أن يصادفك في حياتك معجب أو محب مخلص و شيء طبيعي أن يتردد أهلك خوفاً عليك وشكاً في قدرتك على اختيار شريك لحياتك .

الدين يعطيك الحق في اختيار شريكك ويعطى لأسرتك الحق في الاطمئنان على ان خطيبك كفء في منزلته وأسرته وشكله ومجموع أمورهِ إذا اقتنعت بالزميل ، واقتنع به أهلك فلا مانع من اعلان الخطبة بعد انتهاء الامتحان .
وفي الحديث الشريف «خير النساء ما خفت مهورهن وقصرت خطبتهن»
أي ان من يمن الزوجة أن تكون فترة الخطوبة قصيرة لا طويلة .

لا أدري يقينا سر عذابك ، ولكن اذا لم توافق أسرتك ، أو لم توافقى أنت فكوني شجامة وصارحيه بوجوب أن يتركك فترة حتى تستقر عواطفك وتختارين رأياً بعد ترو ومهلة كافية ،

جواب محذوف السؤال

الطالبة س ف بالفرقة الرابعة الجامعية

تصرفك أشبه بتصرفات الصغار الذين يريدون أن يجمعوا كل شيء في أيديهم ؟

لماذا قبلت أن يعقد قرانك على ابن عمك ، هل هذا لعب أم جد ؟

كونى عاقلة ، أبحثى عن مستقبلك ، لاتظنى أن زميلك سسيموت أو ستطبق عليه السماء . كلا .

ستطلع الشمس فى كل يوم وسيجد زوجة تناسبه
انسى زميلك تماما . وبعد الامتحان واستقرار الاعصاب حاولى أن
تقبلى ابن عمك فان لم تقدرى فاطلبى منه الطلاق ان لم يكن من ذلك بد .

وأضع بين يديك هذا الحديث الشريف .

«أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما سبب لم ترح رائحة الجنة»
أكرر نصيحتى حاولى أن تقبلى ابن عمك ، فاذا رأيت أن كرهك له
كامل لا يحتمل فاطلبى منه الطلاق .

علما بأن الفتاة العاقلة تنظر بعين العقل وميزانه فان كان ابن عمك فيه
صفات مؤلمة فلعل هناك صفات أخرى مرضية

وفى الحديث الشريف « لا يفرك مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضى
منها آخر » ومعناه لا يبغض الزوج زوجته بغضا كاملا فان كان فيها بعض
العيوب فلينظر بعين الرضا عن صفاتها الحسنة .

ومثل هذا يقال للزوجة ، انظرى اليه ككل بعيدة عن كل تأثير ، والله
يوفقك

تعدد الأديان

تعرفت على صديق نزع فى مهنته ، وعرف بين الناس بأمانته
كصيدلى يبيع الدواء فى صيدليته ويخلص فى عمله ، وساق الحديث بعضه
بعضا الى الكلام عن الايمان بالله وأخذ يسألنى

إذا كان الله واحدا فلم تعددت الأديان السماوية ولم تكن ديننا
واحدا ؟

وأجبنه

ان تعدد الأديان ، تعدد فى الشكل لا فى الموضوع ، فكل رسالة
كانت مناسبة خاصة لفترة من فترات البشرية ولرحلة من مراحلها ، فهى
أشبه بتدرج التشريع الواحد فى الشريعة الواحدة وبلغة الطب ، هى أشبه
بالطبيب الذى يغير الدواء للمريض الواحد تبعا لتطور مرضه ، والطبيب
واحد والمريض واحد .

ولقد كان رب الكون بطب للبشرية ، ويرسل لها من يعالج أدواها
ويهدىها سواء السبيل .

وضربت له منلا بقولى ادا كان لعطر من الأفطار حاكم واحد وولى عددا من المتصرفين لعدة ألوية أى طبق نظام اللامركزية ، أو الادارة المحلية ، فلكل متصرف قوانينه التى تناسب اللواء الذى يريده ولكن جميع المتصرفين يخضعون فى الاساس العام للنظام الرئيسى للدولة وقوانينها وحاكمها .

وبهذا المثل بهم كيف تعددت الرسالات بما يناسب الامم والشعوب وكان كل رسول يدعو قومه الى توحيد الله ويأمرهم بالفضائل وينهاهم عما شاع بينهم من الرذائل مع خضوع المرسلين جميعا لأساس واحد وشريعة واحدة هو الله سبحانه وتعالى .

ودراسه التاريخ الطبيعى يؤكد قوله تعالى (كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)

بل ان الشريعة الواحدة كانت تتدرج فى تشريعاتها ترويضاً للنفس البشرية وتمهيدا لقبول الوحي الالهى وتريثا فى بربية المؤمنين ونزيين الايمان فى قلوبهم ، فان البطء مع التنظيم خير من العجلة مع الفوضى .

وحسبنا على سبيل المثال ان نذكر النحرىم القرآنى المتدرج للعادة الشعورية الخطيرة المسماة (بأدمان المسكرات)

فقد نزل فى أمرها قوله تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما) - البقرة - ٢١٩ .

فوجه انظار السكارى الى ان الحرمة انما تقوم على غلبة الشر ، فمهما يكن فى الخمر من منافع اقتصادية فى المتاجرة بها ، ومن منافع ظاهرية فى حمرة الخد التى توهم الصحة الحسنة ، ومن منافع اجتماعية فيما تدفع اليه من السخاء والجود فى حالة السكر والعريضة او من الشجاعة التى تبلى أحيانا حد التهور فى ساحة الحرب ، فان اثمها اكبر من نفعها فتلك علة كافية لتحريمها ، فكانت الخطوة الاولى تحريكا للمنطق ، بقوله تعالى

(يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ٤٢ - النساء .

فضيق عليهم الفرصة لمزاولة السكر ، لأن الصلوات الخمس كانت قد شرعت فى أوقات متفارية ، لا يكفى ما بينها للافاقة من نشوة الخمر حتى اذا أصبحت فرصة السكر نادرة - بطبيعة الحال حرم الله عليهم الخمر فى لهجة قاطعة جازمة فقال سبحانه (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانساب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون) ٩٤ - المائدة .

فقالوا انتهينا وانتهوا حقيقته واصبحوا ينتظرون حدود الله في شارب الخمر ، ويخجلون ان يصل الامر بأحد المسلمين الى ان نقام عليه هذه الحدود .

أخرج البخارى فى صحيحه عن عائشة قالت : انما نزل او ما نزل منه (اى القرآن) سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى اذا ناب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل اول شىء .

(لا تشربوا الخمر فقالوا لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل (لا تزنوا) لقالوا لا ندعوا الزنى أبدا) صحيح البخارى ١٨٥/٦ .

ذلك من فضل الله وتيسيره ورحمته بعباده ان مهد نفوسهم لمقبل احكامه حتى لا يكون فيها حرج ولا مشقة قال تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)

وسكن صديقى كأنه تقبل الامر فى الظاهر والله اعلم بالسرائر ، ففرات له ثلاث آيات من سوره النساء هى قوله تعالى (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الدين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ، والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما . يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا) . النساء ٢٦ ، ٢٨

وما رواه البخارى فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (انما مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فأتها واكملها الا موضع لبنة فجعل الناس يقولون ما اكمل هذه الدار وما أجملها لو وضعت هذه اللبنة فانا هذه اللبنة وأنا خاتم الرسل) - وقوله (صلى الله عليه وسلم) (والأنبياء أخوات لعلات (١) أمهاتهم شتى ودينهم واحد) .

(١) أبناء العلات هم أبناء الضرائر أبوهم واحد وأمهم متعددة .

(١١)

قصص القرآن الكريم

« جهاد الانبياء والمرسلين »

أرسل الله الرسل وانزل عليهم الكتب لهداية الناس من الضلالة
الى الهدى واخراجهم من الظلمات الى النور ، قال تعالى
(وسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)
١٦٥ - المائدة

وقد ابلى الانبياء والمرسلون بلاء حسنا وتعرضوا لكثير من الوان
العذاب وصنوف الاضطهاد فصبروا وصابروا واحتسبوا قال تعالى
(فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل)

وضع في النار ابراهيم ، فجعلها الله بردا وسلاما عليه واضجع للدبح
اسماعيل حين قال له ابوه (يا بنى اتى ارى في المنام انى اذبحك فانظر ماذا
ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ، فلما
اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي
الحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بلذبح عظيم) ١٠٣ - ١٠٧ الصافات

واخرج موسى من مصر خائفا يتربص (قال رب نجنى من القوم الظالمين)
وضاق يونس بقومه حين خرج هاربا منهم فركب سفينة كادت ان تفرق
بسببه فالتقى في البحر ، وفي ظلام البحر وظلام الألم والغم لم يياس يونس
من رحمة الله (فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من
الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نجى المؤمنين) .

٨٧ ، ٨٨ الانبياء .

واشد البلاء والمرض نايوب عليه السلام ولكنه صبر واحتسب حتى صار فدوه حسنة وملا يحتذى قال تعالى (وايوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وابيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) ٨٣ - ٨٤ الانبياء .
وتعرض يوسف الصديق لمحنة نفسية قاسية حين راودته امرأة العزيز عن نفسه وقالت هيت لك ولكنه قاوم الاغراء ولبى نداء ربه ونهى النفس عن الهوى (قال معاذ الله انه ربي احسن مثواى انه لا يفلح الظالمون) ٢٣ - يوسف .

وجمعت زليخا اتباعها وامرت يوسف بالخروج عليهن فلما رأينه أكبرنه فسلب لهن جماله وجر الباهن بحسنه وكمال خلقته فانضمت النسوة الى زليخا وزاد الاغراء منهن والتبذل - والامتهان ، فلما قاوم يوسف وتأبى ، وذكرهن بالله ، وحرمة الأزواج ، وعقوبة الظالمين ، لم تلن قناة زليخا ، بل اوعده بالسنج والدل والصغار ، ولكن يوسف آثر السجن فى طاعة الله (قال رب السجن احب الى مما يدعونى اليه والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين ، فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم) ٣٣ ، ٣٤ - يوسف

ولما أرسل الله سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام (شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا) اخذ يدعو قومه الى توحيد الله ، والايمان بالبعث والحساب والجزاء وبرشدهم الى الرحمة والعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهاهم عن الفحشاء والمنكر والبغى ، ويحذرهم من عبادة الأصنام وقد لاقى عليه الصلاة والسلام عننا شديدا وضيقا وحرجا من كفار مكة الذين آذوه وآذوا اصحابه بكل صنوف الأذى ، حتى اضطروهم للهجرة الى الحبشة ولم نكتف كفار مكة بذلك بل بعثوا وراءهم من يكيل لهم التهم ، عند النجاشى ملك الحبشة ، حتى بوغروا صدره على المسلمين ويخرجهم من بلاده .

ولكن النجاشى أبى أن يخرج المسلمين حتى يستمع الى كلامهم فاستدعاهم الى مجلسه وسألهم عن هذا الدين الجديد الذى جاءوا به فقال له جعفر بن أبى طالب (رضى الله عنه) .

(أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام وناكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال

اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً
وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه وآمنا به .. فعدا علينا قومنا
فعدبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى وأن
نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا،
وحاولوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادكم) .

ثم قرأ جعفر بن أبي طالب صدرا من سورة مريم (كهيعص ذكر وحمة
ربك عبده زكريا ، اذ نادى ربه نداء خفياً ..) فلما أتم قصة زكريا وقصة
مريم ، عليهما السلام قال النجاشي هذا والله هو الذي جاء به المسيح انه
لينبع من مشكاة واحدة .

أيها المستمع الكرم

تلك صفحات مشرقة ، من جهاد الانبياء ، وبلاء المرسلين ، وصدق
السابقين الأولين من المؤمنين ، في اخلاص النية وجلال التضحية والفداء
وجمال الصبر في البأساء وشدة البلاء (والصابرين في البأساء والضراء وحين
البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) ..

ادريس

ادريس نبي الله ابن بارد بن سهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن
آدم عليه السلام واسمه في التوراة العبرية خنوخ وفي الترجمة العربية
اخنوخ .

قال الله تعالى : (واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه
مكانا عليا) .

قال الحافظ ابن كسير وهو اول من أعطى النبوة بعد آدم وشيث
عليهما السلام .

وقال ابن اسحاق هو اول من خط بالقلم .

وفي صحيح البخارى في حديث الاسراء أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم مر في السماء الرابعة فرأى ادريس عليه السلام .

قال البخارى ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن الياس هو ادريس
عليه السلام .

ولد ادريس عليه السلام بمصر وكان مولده بمدينة منف ولما كبر ادريس
آتاه الله النبوة فنهى المفسدين عن مخالفة شريعة آدم وشيث ، ودعا
الخلايق الى الايمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله عز وجل
ودعا قومه الى تخليص النفوس من عذاب الآخرة بالعمل الصالح في الدنيا ،

وحث على الزهد فى الدنيا والعمل بالعدل وأمر قومه بصلوات ذكرها لهم على صفات بينها ، وأمرهم بصيام أيام معروفة من كل شهر وحثهم على الجهاد لأعداء دينهم وأمرهم بزكاة الأموال معونة للضعفاء ، وحرّم السكر من كل شىء من المشروبات وشدد فيه أعظم تشديد وجعل لهم أعيادا كثيرة فى أوقات معروفة ، منها أعياد الرؤية الهلال ، وأعياد لدخول الشمس ورءوس البروج . .

ولما ملك ادريس الأرض رتب الناس ثلاث طبقات كهنة وملوكا ورعية ، وجعل مرتبة الكاهن فوق مرتبة الملك لأن الكاهن يسأل الله فى أمر نفسه وفى أمر الملك وفى أمر الرعية وليس للملك أن يسأل الله الا فى ملكه وفى الرعية ، ولا يدعو فى أمر الكاهن لأن الكاهن أقرب الى الله منه وبذلك تنقص منزلة الملك عن منزلة الكاهن ، ولبس للرعية أن تسأل الله فى شىء الا فى نفسها لأن الملك أجل منزلة منها عند الله الذى ملكه على الرعية فنقصوا بذلك مرتبة من الملك ومرتبته عن الكاهن .

صورة ادريس :

قيل انه كان رجلا آدم (احمر يضرب الى سواد)

تام القامة حسن الوجه كث اللحية مليح الشمائل والتخطيط عرض المنكبين ضخم العظام قليل اللحم براق العينين أكحلها متأنيا فى كلامه كثير الصمت ساكن الأعضاء اذا مشى أكثر نظره الى الأرض كثير الفكرة به عبسه وبحرك سبابته اذا تكلم .

وكانت مدة حياته فى الأرض ٨٢ سنة .

وكان على فص خاتمه (الصبر مع الايمان بالله يورث الظفر) وعلى المنطقة التى يلبسها وقت الصلاة (السعيد من نظر لنفسه وشفاعته عند ربه اعماله الصالحة)

وكانت لادريس مواعظ وآداب تجرى مجرى الأمثال والرموز ومن ذلك قوله :

(لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الأنعام على خلقه)

وقال (من أراد بلوغ العلم وصالح العمل فليترك من يده أداة الجهل وسوء العمل) .

وقال (اذا دعونم الله سبحانه فأخلصوا النية ، وأخلصوا النية كذلك فى الصلاة والصيام) .

وقال (لا تحلفوا كاذبين ولا تهجموا على الله سبحانه باليمين ولا تحلفوا الكاذبين فتشاركوهم فى الاثم) .

وقال (تجنبوا المكاسب الدنيئة)
وقال (أطيعوا لملوككم وأخضعوا لأكابركم واملأوا أفواهكم بحمد الله) .

ابراهيم عليه السلام

ساق القرآن الكريم كثيرا من القصص للعتة والاعتبار او لتحقيق مبدأ وتأكيد هدف وابرار حكمة من أحكام التشريع او العقيدة او البعث والجزاء .

ولقد جرى القرآن الكريم أن يكتفى من القصة بموضوع العبرة ومحل العظة ، وقد ساق كثيرا من قصص الانبياء والمرسلين ليكونوا نماذج هادبة وأعلام مضيئة ، قال تعالى : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » .

أيها المؤمن :

تحدث القرآن عن ابراهيم الخليل فذكر انه ابو الانبياء وأبو الملة (الديانة) والرجل الذي جمع خصائص الرجولة فكان أمة واحدة « ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين »

وقف ابراهيم يناقش قومه ويجادل اباه آزر وكان أبوه يصنع الأصنام لقومه ويدعوهم لعبادتها فقال ابراهيم لأبيه اتخذ أصناما آلهة ؟ اتنحت الأصنام بيدك وتصنعها من الأخشاب بقدمك ثم تسجد لها من دون الله مع أنها لا تسمع ولا تبصر ولا تجيب ولا تضر ولا تنفع .

وينكر الأب على ابنه عزوفه عن آلهته ويستصغر سنه بل يلح عليه أن يتبعه ويهدده بالطرد والحرمان ويتلطف ابراهيم في خطاب أبيه فيخبره أن الهدى بيد الله وليس الهدى مقصورا على كبير ولا محجوبا عن صغير ، يقول ابراهيم :

(يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يفنى عنك شيئا يا أبت انى قد جازى من العلم ما لم ياتك فاتبعنى أهلك صراطا سويا . يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا » .

أيها المؤمن :

للإيمان الحق اثره الواضح في صلق الهمة ومضاء العزيمة ونجاح العمل وقد أوتى ابراهيم الخليل من كل ذلك النصيب الأوفى وكان من أولى العزم من الرسل .

ناقش ابراهيم قومه في عبادة الأصنام وبين لهم خطأ فكرتهم وضلال

عبادتهم ، وإن الأولى بالعبادة هو الإله الواحد الخالق الذى رفع السماء
وبسط الأرض وقدر الأرزاق والأفوات وهو الذى يسمع النداء ويجب
الدعاء .

ولما أصم القوم آذانهم عن سماع دعوته وحجبوا عقولهم عن التفكير فى
رسالته لجأ الى برهان عملى قام به فى جراحة ومضاء ، فقام الى الأصنام التى
يعبدونها من دون الله فانها لم تحط بها تحطيماً ونكسيراً حتى صارت قطعاً قطعاً
وترك صنماً كبيراً لم يمسسه .

فلما جاء القوم وراوا ما صنع إبراهيم بأصنامهم أجمعوا على محاكمته
وواجهوه بالتهمة فلم ينكروها ، وإنما طلب منهم أن يسألوا الصنم الكبير عن
كسر الأصنام .

وهنا بدأ القوم بناملون فى أعمالهم ويتشككون فى سلوكهم ويتبينون أن
الحق مع إبراهيم ، ولكنهم تكبروا عن الخضوع لرأيه وقالوا له فى إباء
وجحود : لقد علمت يا إبراهيم أن الأصنام لا تنطق ولا تنكلم وهنا صاح
إبراهيم فيهم :

« افتعبون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم »

ولما هزم القوم أمام منطق إبراهيم وحجته الواضحة لجأوا الى القوة
والعنف فأوقدوا ناراً عالية والى إبراهيم فى النار فحفظه الله منها وجعلها
برداً وسلاماً عليه وكانت هذه معجزة للخليل إبراهيم عليه السلام .

أيها المؤمن :

للخليل مواقف خالدة على مر الزمان منها نقاشه أمام النمرود ملك
بابل وقوله للملك « إن الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
فبهدت الذى كفر » أى تحير وانقطعت حجته .

ومن مواقف إبراهيم الخالدة قصة الفداء حين أمر بديح ولده اسماعيل
فامتثل لأمر الله وأخذ ابنه للجبل وأضجعه للذبح ولما رأى الله منه الصدق
والامتثال أرسل اليه ملاكاً يحمل كبشاً للفداء ونجا اسماعيل بعد أن صار
علماً من أعلام الصدق والوفاء .

وفد كان إبراهيم دائم التأمل فى ملكوت الله ، بتأمل فى النجوم وفى
القمر وفى الشمس ، ثم يقول النجوم تغيب والقمر تغيب والشمس تغيب
والإله لا يغيب « أنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما
أنا من المشركين » الأعمام ٧٩ .

يوسف الصديق

يوسف الصديق نبي الله - أبوه يعقوب نبي الله ، وجده ابراهيم خليل الله وقد رأى يوسف في منامه رؤيا اخبر بها اياه .

قال يوسف لآبيه رايت الشمس والقمر يسجدون لى ورايت وراءهم احد عشر كوكبا يسجدون لى ايضا .

وقال الاب لابنه اكنم هذه الرؤية عن اخونك لأن معناها ان اباك وامك واخونك الاحد عشر سينحنون لك ساجدين . وكان السجود علامة التعظيم وكان مباحا وجائزا قبل الاسلام ثم حرم الاسلام السجود الا لله .

وقد سرب خبير هذا الحلم الى اخوة يوسف فأخذوه معهم الى المرعى ثم افوه في بئر عميق لينخلصوا منه .

ولكن الله الكريم اراد ان ينجيه من البئر لانه مظلوم وممرت جماعة من الناس ارادو أن يشربوا فألقى أحدهم دلوا ليملا الماء من البئر، فتعلق يوسف بالدلو وفرحت به القافلة لأنه كان جميلا ثم باعوه ظلما الى ملك مصر واشتراه الملك بنمن قليل ونركه في الفصر وقال لزوجته احسنى معاملة هذا الغلام لان عليه علامة النبوغ وكرم الاصل والسماحة ،

ونما يوسف وترعرع وكان يزداد فى كل يوم جمالا وتضح معالم شبابه وفتوته ، وراودته امرأة العزيز عن نفسه وعرضت عليه جمالها ومفاتنها وحاولت ان تغربه بنفسها

(وقالت هيت لك .. قال معاذ الله)

امتنع يوسف عن الفحشاء والمنكر وحافظ على الامانة والفضيلة . وحاولت زليخا تنفيذ غرضها بالقوة فأسرع يوسف من امامها وادركته زليخا فجذبتة من قميصه وقطعت القميص ، وفى اثناء ذلك كان الملك يمر فى القصر ورأى بنفسه منظرا مريبا .

فاتهمت زليخا يوسف بالتعدى عليها ولكن الله نجاه من تهمتها لان القميص كان مشقوقا من الخلف وهو يجرى منها وتسامع النسوة بخبر يوسف وجاءوا الى قصر الملكة يلومونها على انشغالها بخادمتها . فأجلستهن الملكة وأمرت يوسف أن يخرج عليهم فلما راوه بهرهن جماله .

(وكان حاشى لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم) .

نالم يوسف من حياة القصر ونمنى ان يعيش فى السجن بعيدا عن الفتنة والافراء واستجاب الله دعاءه فمكث فى السجن سبع سنين وكان يوسف يفسر الاحلام ويدعو للايمان ويأمر المظلومين بالصبر والرضا بالقضاء .

ورأى الملك فى منامه سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات جافة ورأى سبع بقرات سمان قوية يأكلهن سبع بقرات عجاف صعيمة ، وطلب الملك من يوسف نفسير رؤيا ففسر البقرات القوية بأنه سيأنى سبعة أعوام يزيد فيها النيل ويكثر الزرع ويعم الخير ،

وفسر البقرات الضعيفة بأنه سيأنى سبعة أعوام أخرى مجدبة تستهلك كل ما ادخروه فى الأعوام السابقة وبعد السنوات المجدبة يأتى عام جميل يزيد فيه النيل وتجد الأرض بالزراعة ، وتنتهى المجاعة ويسود الحير أنحاء البلاد .

ولما فسر يوسف الرؤيا للملك جعله الملك وزيرا للتموين حتى يحفظ القمح فى سنابله والذرة فى كيزانه ويخزن التموين وينظم صرف الحبوب ونجت البلاد من المجاعة بفضل تدبير يوسف .

وجاءت البلاد المجاورة تشتري القمح من مصر .

وجاء أخوة يوسف فعرفهم وأكرمهم وذكرهم بما فعلوه معه فطلبوا منه العفو والصفح وطلب منهم يوسف أن يحضروا معهم أباهم وأمههم وبقيعة أخوتهم ، وقدم الجميع الى يوسف وخروا له سجدا الاب والأم والأخوة الأحد عشر وأجلس يوسف أبويه على عرش الوزارة وشكر الله على فضله ونعمه وأكرم أخوته وأحسن معاملتهم قال تعالى :

(ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقا ، وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وأختي إن ربي لطيف لما يشاء أنه هو العليم الحكيم) .
سورة يوسف الآية ١٠٠

٢٣ - « قصة موسى وفرعون »

حديث اليوم عن قصة نبي كريم هو موسى عليه السلام .

وهو حديث موصول السبب بقدره الله وعظيم تديره فاذا أراد أمرا هيا له الأسباب ثم قال له كن فيكون .

لقد طفى منفتح ، أحد ملوك قدماء المصريين الملقب « بفرعون »

فدبح الأبرياء واستباح الحرمات وجعل الناس شيعة وأحزابا يقرب فئة ويستبعد أخرى .

وولد موسى عليه السلام فى هذه الظروف القاسية فوضعت أمه فى نابوت وألقته فى البحر وألقى الله على موسى محبة من عنده فكل من رآه أحبه

رأه آسية امرأة فرعون وكانت عديمة الولد ففرحت به وقالت : (لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون) ٩/العصص .

وهكذا نرى موسى فى بيت فرعون وسامت الأقدار أمه إليه ترضع ولدها وتأخذ أجرتها ، والفطرة السليمة كالتسجيرة الطيبة تؤتى أكلها كل حين يأذن ربها ،

نشأ موسى سليم الفطرة يكره ظلم فرعون وبطنته بل كان يندره ويحدره وانطلق موسى إلى الناس يدعوهم إلى الإيمان بالله وينهاهم عن عبادة فرعون حتى ضاق فرعون ذرعا بموسى وأمر بعله ، وفى أحلك ساعات العسر نظهر رجولة الرجال وصدق الأصدقاء قال تعالى :

(وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملائكة ياتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين) ٢٠ سورة العصص .

خرج موسى من مصر خائفا يتربص قال رب نجنى من الغوم الظالمين . . بيد ان المروءة وفعل الجميل ، ان ضاع جزاؤها عند الناس فلن يضيع عند رب الناس .

سقى موسى الغنم لبنتى نبي الله شعيب وجلس نحت ظل شجرة - فى أرض مدين - جائعا خائفا ، فمد يده إلى السماء وقال : رب انى لما انزلت إلى من خير فقير .

فجاءته أحدهما نمتى على أسحياء فالت : ان أبى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا .

وهكذا قبض الله لموسى الكليم ، أن يصهر إلى نبي كريم ويمكت عتري سنين فى أرض مدين تم يعود إلى مصر ، ليجاهد فرعون ويخلص بنى اسرائيل وفى طريق سيناء عند التسجيرة المباركة يسمع موسى صوت الحق الإلهى يبشره بالنبوة والرسالة ، والفضل العظيم يسمع فوله تعالى :

(يا موسى . انى أنا ربك فاخضع نعليك انك بالوادي المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكري) ١٢ - ١٤ طه

ويذهب موسى مع أخيه هارون إلى فرعون إلى توحيد الله والكف عن ظلم الرعية فيهما فرعون ويقول : من ربكما يا موسى ؟

كان فرعون يسأل عن صفة الرب ما لونه ؟ وما جرمه ؟ وما هيئته فبين له موسى ان الاله منزه عن الكم والكيف فلا يحده مكان ولا يحويه زمان وليس جوهرًا ولا عرضًا ولا جرما ولا صورته انه عله العلل او هو المعلول الاول : يخلق ولا بحلق بوجد ولا بوجد هو مسبب الاسباب وخالق الخلق ومبدع الاكوان .

قال موسى : ربنا الذى أعطى كل سىء خلفه ثم هدى

قال فرعون : فما بال المرون الأولى

أى ما شأن الاجيال السابفة التى هلك وصارت رمادا باليا أبعد
ما تكون عن الحياة

قال موسى : (علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ، الذى
جعل لكم الأرض مهذا وسلك لكم فيها سبيلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به
ازواجا من نبات شتى)

فقال فرعون : هل من دليل على صدق رسالك ودعواك ؟

قال موسى نعم : وأخرج موسى يده من جيبه فاذا هى ببضاء بياضا
باهرا يغلب ضوء الشمس ويبهز العيون والابصار بم القى موسى عصاه
فانقلب حية هائلة خاف منها فرعون وولى الادبار ، فأسار موسى للحية
فعادت عصا كما كانت فى يد نبي الله ، ورجع فرعون قائلا : أجتئنا
لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى ؟ فسأجمع لك السحرة ليبطلوا سحرك
ولك أن تحدد يوم اللقاء .

قال موسى : موعد اللقاء بوم العمد فى وقت الضحى ليسشهد الناس
ظهور الحق وانحدار الباطل .

وجمع فرعون السحرة من كل مكان ومهام الامامى ووعدهم بالفرى منه
وبالدرجات العلا وفى اليوم الموعد القى السحرة حالهم بعد أن وضعوا عليها
الزئبق فلما أرسلت الشمس أشعها كان للحبال نموج وبالق وبريق فخيل
للمشاهدين أن الحبال تسعى وتتحرك ، « **وسمجروا أعين الناس واسترهبوهم
وجاءوا بسحر عظيم** »

فأوحى الله الى موسى أن القى عصاك ، فالقى موسى عصاه فانقلب حية
هائلة ابتلعت جميع الحبال ، ثم عادت الى بد موسى .

وهنا أيفن السحرة أن عمل مرسى ليس سحرا ولكنه معجزه الهه فوق
قدرة البشر وطافهم فخرؤا سجدا لله : قالوا آمنا رب هارون وموسى .
واشتد غضب فرعون حين شاهد ايمان السحرة وهددهم بالسوعند
والعذاب الشديد ، ولكن الایمان ادا دخل القلب عن بعين وعقبده صادقة
اتسع له الصدر وانشرح وهانب الدبا بجوار بواب الله وعقابه ،

فعال السحرة لفرعون : **انا آمنا بربنا لیغفر لنا خطایانا وما أكرهتنا علیه
من السحر والله خیر وأبقى** .

أیها المستمع الکریم : كانت العاقبه للمتفین ، وفى النهاية انتصر ايمان

المؤمنين وأهلك الله الطغاة المفسدين فنجى الله موسى ومن آمن معه وأهلك
فرعون ومن ابغى دولة الباطل ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة .
قال تعالى : (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا
وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو
اسرائيل وأنا من المسلمين ، الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم
ننجيك ببطنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون)
- الآيات : ٩٠ - ٩٢ / سورة يونس

(١٢)

تَرْبِيَةُ إِلَهِيَّة

عام جديد (١)

قلت للواقف على باب العام أعطنى نورا يضىء لى الطريق فقال لى ضع يدك فى يد الله فانه نور كل شىء وضيائه وهو الذى فلق الظلمات بنوره . وهر الذى يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء .

على رأس كل عام يقف المؤمن وقفة يستعرض عامه الذى مضى وما قدم فيه من خير أو شر ، فيحمد الله على الخير ويتوب اليه ويستغفره من التقصير والتأخير فى أداء الواجب فان المؤمن بين مخافتين أجل قد مضى لا يدرى ما الله قاض فيه ، وأجل قد بقى لا يدرى ما الله صانع به ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت فهو الذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد هذه الدار من دار الا الجنة أو النار .

لقد انقضى عام كامل من حياتك أيها الانسان وختم فصل من فصول الكتاب الذى تمثله ، وفى يوم القيامة ستجد كتابك بين يديك فيه جميع أعمالك والكتاب مكون من أبواب وفصول وأوراق وصفحات ، فالأبواب هى السنون الرئيسية فى حياتك والفصول هى الشهور والأوراق والصفحات هى الأيام والليالى . وقد اثبت فى هذا الكتاب ما قدمته فى دنياك وسجل فبه كل عمل أحصاه الله ونسيته ، قال تعالى : « ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا » . سورة الكهف ٤٩ .

فى ختام هذه السنة نجد ظاهرة لا تتكرر الا فى كل ثلث قرن وهى التقاء رأس السنة الميلادية برأس السنة الهجرية ، فالسنة الميلادية تزيد

(١) القيت فى يوم الجمعة . أول محرم سنة ١٣٩٦ الموافق ، يناير سنة ١٩٧٦ م .

أحد عشر يوما عن السنة القمرية أى أن كل ثلاث و ثلاثين سنة ميلادية يكون فيها فرق سنة للسنوات القمرية وكل مائة سنة ميلادية يكون فيها فرق ثلاث سنوات عن السنوات القمرية وقد المح القرآن الى أن كل ثلاثمائة سنة شمسية تزيد أيامها نسع سنوات عن مثيلاتها من السنوات الفجرية ، قال تعالى : « ولبنوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تساعا » الكهف ٢٥ .

والقرآن بذلك يشير الى نظام السنين وحساب الأيام والليالى وقدرة الله المبدعة الى سخرت الليل والنهار وجعلت الليل ظلما للنوم والراحة وجعلت النهار ضياء للسعى والعمل قال تعالى : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا » الاسراء/ ١٢ .

فى هذه السنة نفترب نهاية السنة الهجرية من نهاية السنة الميلادية ويحفل المسلمون والمسيحيون بأعيادهم وتعقد مؤتمرات عالمية وقومية لتوطيد العلاقة بين الأديان وبيان أن الأديان السماوية فى جملتها هى رسالات الهية لاصلاح العفيدة والدعوة الى مكارم الأخلاق وبث الفضائل والآداب وتلقين الشرائع والأحكام ومحاربة الرذائل والمنكرات .

فالرسل جميعا اساتذة ورواد للبشرية يبلغونها احكام السماء ويأخذون بيدها الى طريق الاستقامة والعدل . وهم وسائط للحق والخير يحملون رسالة الوحي عن ملائكة الله ويبلغونها الى الناس لئلا يدعى انسان أن رسالة الله لم تصله وأن طريق النور والفلاح لم يعرض عليه قال تعالى : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما » .

ان الأديان كلها دعوة الى التوحيد ، وصيحة للحق والعدل ، وغضبة فى وجه الظالم ، وهمة للتحرير والبناء ، والمؤمنون جميعا أسرة واحدة فى ركب الايمان ، قال تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والانسارى والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » البقرة / ٦٢ .

أيها المؤمن : امامك عام للعمل والأمل وخلفك عام اعطيت فيه الحياة والوقت وغيرهما فماذا عملت فيه ؟ ، ان كنت عملت خيرا فاحمد الله على التوفيق واسأله المزيد ، وان كنت أخطأت فاختم عامك بتوبة نصوح تندم فيها ندما شديدا على ذنبك واقصد باب مولاك بتوبة صادقة فانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات . وثق أن السعيد من أرضى مولاة وصدق فى توبته وأخلص فى عبادته .

ان التوبة فى حقيقتها عرمان بالخطأ وكل بنى آدم خطائن

النوابون ، التوبة في حقيقتها طهارة من الذنوب ، ومغفرة من السيئات وصلاح على الرحمن وزجر للشيطان وباب للاستقامة والعمل الصالح قال تعالى :

« والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين » آل عمران ١٣٥ ، ١٣٦ .
أيها المؤمن :

امامك عام حافل فاغتنم أوقانه للعمل الصالح وثق ان الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه فساعد المحتاج ، وفرج كربة المكروب ، وعز المحزون وخذ بيد الضعيف، وتعاون مع المواطنين لبناء صرح الوطن ، واعزازه واسعاده فحب الوطن من الايمان .

وعليكم بالوحدة والجماعة وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وثقوا ان النصر مع الصبر وان الشجاعة صبر ساعة وان وحدة الصف قوة وسعادة وأن الفرق والتخاذل باب الهوان والتخلف قال تعالى :
«ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص» .
الصف / ٤ .

اجعلوا من هذا العام عاما للوحدة الوطنية وتماسك ابناء الوطن من أجل استرداد حقوقه ، وارغام عدوه ، وبناء مستقبل مشرق للأجيال القادمة .
قال تعالى : **« واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين »** الأنفال/٤٦ :

السعادة في التمسك بالدين

يقول الله تعالى في كتابه الكريم .

(واذا سالك عبادي عنى فانى قربب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون) .

أيها المؤمن ، ما أقرب مولاك منك وانت لا تشعر قربه وما أحبك اليه وانت لا تشعر حبه انه قريب من عباده يكلؤه بمطفه وبرعاهم بعنايته يجيب السائلين ويرحم المسترحمين ويغفر للمستغفرين جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا جعل الشمس سراجا والقمر نورا يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ، يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء عمن ناداه بيده الخلق والامر (كل يوم هو في شأن) رفع السماء بلا عمد وقسم الارزاق قلم ينس احد .

قديم وجوده عميم فضله وجوده اول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء ، لا تراه

العيون ولا تحيط به الظنون تنره عن النظر والمسل ، لس كمله شىء وهو السميع البصير .

وقد حثنا الله على الدعاء وحرصنا على الالتجاء اليه فبابه مفتوح ورحمته واسعة ومفرته سابقة بغفر الذنب ويقبل النوب لا برد من فصد بابه ولا يحرم من التجأ اليه كرمه سابغ وفضله واسع يرزق من شاء بغير حساب .

لقد لجأ الى باب الله الأنبياء والأصفاء ، والضعفاء والففراء ، والاقوياء والاغنياء فهو لا برد سائلا ولا يخيب طالبا فاعتمد عليه واكثر التضرع بين يديه .

لا نسألن بنى آدم حاجة وسل الذى ابوابه لا تحجب الله بغضب ان تركت سؤاله أما ابن آدم حن يسأل بغضب

ناب اليه آدم فقبل توبته ونوسل اليه نوح فأجاب دعونه وناداه ذو النون (لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين) قال الله تعالى (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) ونزرع اليه ابوب قائلا (انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب) فاستحق نعمة ربه وقال له : (اركض برجلك هذا مفتسل بارد وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب) .

واشتكى اليه موسى فقره وحاجته قائلا : (رب انى لما انزلت الى من خير فقير) وما ان اتم كلامه حتى جاءته فتاة نمشى على استحياء (قالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا) .

والتجأ اليه خاتم الانبياء والمرسلين حين اشتد عليه ايداء المشركين فتضرع الى رب العالمين قائلا : (اللهم انى اشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا رب العالمين انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلمنى ؟ الى عدو يتجهمنى او بعيد ملكته امرى اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة أن ينزل بى غضبك او يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ان لم يكن بك غضب على فلا ابالى ، عافيتك هى اوسع لى) .

وما ان اتم النبى هذا الدعاء حتى جاءه جبريل الأمين يقول يا محمد ان الله امرنى ان اطيعك فى قومك بسبب ما فعلوه بك فان شئت ان اطبق عليهم الاخشسين فعلت ، فقال له النبى لا تفعل انى لأرجو ان يخرج من ظهورهم من يعبد الله اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون ، ولم تتخلف زكريا عليه السلام عن دعاء ربه والتضرع اليه فقال (ولم اكن بدعائك رب شقيا) فسمع زكريا صوت الحق جل جلاله (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا)

ايها المؤمن

لقد كان قادة الجيوش الاسلامية يستمدون النصر من السماء بأخلاص الدعاء والاستغاثة بمن يجيب المضطر اذا دعاه وفي اول معركة فاصله بين المسلمين والكافرين - في ليلة الفرقان - وقف النبي يدعو ربه طويلا حتى اوشك رداؤه ان يسقط عن كتفه وأبو بكر وراءه يقول يا رسول الله خفف عن نفسك ان الله منجز لك وعدك وفي ذلك يقول الحق سبحانه (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين • وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) ٩ ، ١٠ - الانفال .

واثر ان لبعض الصالحين دعاء مقبولا فكان المطر اذا ابطأ عن اهل بغداد لجثوا الى بعض الأتقياء والصالحين فخرجوا معهم الى الفضاء وصلوا صلاة الاستسقاء واستغاثوا بالله والحواء في الدعاء فينتشر الغيم في السماء ويهطل المطر باذن الله قال تعالى (استغفروا ربكم انه كان غفارا • يرسل السماء عليكم مدرارا • ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا) .

وقد وردت ادعية وابتهالات اثرت عن الأئمة المتعبدين تهز اوتار القلوب وتخلص في المتضرع الى علام الغيوب فمن ذلك ابتهاج ابي حيان التوحيدى حين قال :

اللهم انى ابرأ من الثقة الا بك ومن الأمل الا فيك ومن التسليم الا لك ومن التوكل الا عليك ومن الطلب الا منك ومن الرضا الا عنك ، أسألك ان تجعل الاخلاص قرين عقيدتى ، والشكر على نعمك شعارى ودثارى ، والنظر الى ملكوتك ، دأبى وديدنى ، والانقياد لك شأنى وشغلى ، والخوف منك أمانى وايمانى ، اللهم انى أسألك خفايا لطفك وفوائح توفيفك ومألوف برك وعوائد احسانك وأسألك الفناعة برزقك والرضا بحكمك .

ومن دعاء للجنيد يعول (اللهم انى أسألك يا خير السامعين ووجودك ومجدك يا اكرم الأكرمين وبكرمك وفضلك يا أسمح السامحين ، أسألك سؤال خاضع خاشع متدلل متواضع ضارع اشتدت البك فاقتته وعظمت فيما عندك رغبته وعلم الا يكون شىء الا بمشيئتك ولا يشفع شافع البك الا من بعد اذنك ، الهى وسيدى وسندى انا بك عائد مستغيث مستنجد) .

هذه مآثر الصالحين الذين عرفوا ربهم فى الشدة والرخاء وشكروه على النعماء وصبروا على البأساء حتى لفوا ربهم راضين مرضيين (رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه)

« الانسان الصالح خليفة الله فى الأرض »

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم :

(واذا قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون) ٣٠ - القره .

ايها المؤمن :

ارأيت كرامة الانسان عند ربه ومنزلته لدى خالقه ، لقد استخلف الله الانسان لعماره الأرض وأخبر الملائكة بذلك ، والملائكة عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

ومن المشاهد ان الكون كله يخضع لله خضوع القهر والغلبة فالسماوات مرفوعة والأرض مبسوطة والجبال مرساة ، والبحار مجراة والليل مظلم والنهار مضى والشمس تسير فى مدارها والقمر يظهر فى منازله (وكل فى فلك يسبحون) . أى ان كل ما فى الكون انما سخر بقدرة الله وخضع لأمره وقوانينه والملائكة أنفسها قد خضعت لطاعته واستمرت على عبادته بدون محالفة ، والانسان هو المخلوق الوحيد الذى أعطى العقل والتفكير والارادة ، وأعطى القدرة على الطاعة والمعصية ، فان أطاع صار خيرا من الملائكة وان عصى كان شرا من البهائم .

وقد كان اعتراض الملائكة متضمنا هذا المعنى حين قالت لله سبحانه (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟) فقد عرفت الملائكة ان هذا الانسان سيحمل خصائص مميزة نجعله يستطع الاصلاح والافساد ويملك المقدرة على عمل الخير والقدرة على فعل الشر وسفك الدماء .

وكان جواب الله سبحانه للملائكة (انى اعلم ما لا تعلمون) أى انى اعرف ان الأرض لا يعمرها الا الانسان وحده ، فهو الذى يملك خصائص التنافس والتسابق فى عمارة الأرض واختراع الآلة واستخدام العقل والفكر واستنتاج المجهول من المعلوم ، وهو أهل لأن يعرف خصائص الأسماء والمسلمات ولو كانت الأرض كلها ملائكة تعبد الله لما وجدت من يعمرها ويفلح أرضها وبغوص بحارها ويطير فى سمائها فالانسان الصالح خليفة الله فى الأرض لاقامة الحق والعدل وبت الحياة والنماء فى جنبات الأرض فى كشف الظنون (لو علم عباد الله ان رضى الله فى احياء أرضه لم يبق فى وجه الأرض خراب)

ان الانسان الفاضل والمؤمن الصادق أهل لأن يكون خليفة الله فى الأرض فعليه أن يحيى مواتها ويبعث جوانب الخير والنماء فيها بالزراعة والصناعة والتجارة واثقان الحرقة واحترام المهنة واعتبار العمل - أى العمل - قربة الى الله ومساهمة عملية فى نفع الناس ورفق الأمة ودعم الثروة قال صلى الله

عليه وسلم (ما أكل أحدكم طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده) رواه البخاري وأبو داود والنسائي وغيرهم .

ان العمل في حد ذاته كسب شريف ومهنة نافعة وهو نوع من العبادة الصامته فسعى الانسان على نفسه عمل صالح ورعايته لأسرته عمل صالح وكفالته لوالديه وذوى قرابته عمل صالح .

روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه يوما فنظروا الى شاب ذى جلد وقوة قد بكر ليسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هذا فانه ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان (رواه الطبراني .

أيها المؤمن :

لقد بعث الاسلام النشاط والهمة فى نفوس المؤمنين به فاذا رايت المسلم رايت نشاطا لا يهدأ وعزيمة لا تكل ، استمع الى قوله تعالى (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) وقوله سبحانه (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) .

فانطلق المسلم ولم يدع سهلا ولا جبلا ولا واديا ولا عامرا ولا غامرا الا وقد تحصن باسلاميته ثم اقتحمه واستعمره وأجرى الخير فى جنباته واطلع السعاده فى آفاقه .

الا ان الأمل أن نسرى روح النشاط فى جميع أعمالنا وان يفلح الزارع الأرض وينميها ويجرى الخير والحضرة فى جنباتها ، فلا سىء يذيب نفسى حسرة أكثر من رؤيتى أرضا صالحة للزراعة والنفعة والحياة وأراها مع ذلك مهملة يبابا قفرا بلفعا ويحضرنى كلام العالم المفكر الفيلسوف (ابن حزم) الأندلسى :

« اعلّموا ان اللذة والسلامة والعز والأجر فى أصحاب فلاحه الأرض »
فار فى اصلاح الأرض وزراعتها آية من آيات الله ودليلا من دلائل قدرته قال تعالى (ومن آياته انك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى احيها لمحيى الموتى انه على كل شىء قدير) ٣٩ - فصلت .

انما تبنى الأوطان وترقى الأمم بجد ابنائها واخلاص شبابها وقيام كل ذى مهنة وحرفة باتقانها وفى الحديث الشريف

(ان الله يجب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) .

وإذا استلان الناس حياة الدعة والراحة وأهملوا سبيل التقدم والتطور
فقد استبدلوا الذي هو أدنى بالذى هو خير .

ان للحياه قوانين صارمة ونواميس قاطعة تقوم على تمجيد العاملين
واهلاك المترفين واستخلاف الصالحين قال تعالى (ولقد كتبنا فى الزبور من
بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادى الصالحون) .

فاعملوا كما عمل اسلافكم وجدوا فقد جد الزمان بكم واعلموا ان قافلة
الحياة تسير ولا مكان لتخلف او كسول وقد كان من دعاء رسولنا العظيم .
(اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل
واعوذ بك من الجبن والبخل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) .

المقدوة الحسنة

جاء الاسلام ومعه الدعوة الى القدوة الحسنة ، والطريق القويم ،
والفضيلة والهداية قال تعالى (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل
صالحا وقال اننى من المسلمين) وكان الاسلام روحا وحياة ، ايقظ الجزيرة
العربية من غفوتها وبعثها من سباتها فحول العرب من رعاة للشاه والغنم الى
هداة للدين والامم .

وانتشر الاسلام الى فارس والروم وامتد من المحيط الاطلسي الى
الخليج الفارسي وكان النشاط الاسلامي ينهض بالمجتمع فى افرادة وفى
مجموعة فلا ترى المسلم الا غاديا الى بيت الله او مجاهدا فى سبيل الله او
عاملا على سعادة امته وتقدم بلاده او باحثا عن العلم والمعرفة .

قدم المسلمون الى العالم حضارة من ارقى الحضارات قامت على
احترام العقل وحرية الفكر وتمجيد العاملين .

فهذا كتاب الله يبحث على العلم والمعرفة فيقول سبحانه وتعالى
(قل انظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء) (هل
يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة
وأولوا العلم)

وقال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

وحضارة الاسلام العقلية والفكرية غنية بأبطال كانوا روادا اوائل ،
اناروا الدنيا واستضاء بعالمهم الفكر الانسانى فى الشرق والغرب ، ونزع
الاسلام من نفوس هؤلاء الرواد كل هوى أو غرض ذاتى ، وجعل فيها
الإخلاص لله وحده (أوئك الذين هدى الله فبهم اهم اقتده) .

ومن هؤلاء الرواد الاعلام الامام محمد بن ادريس الشافعي ، فقد كان رضى الله عنه عجيبة من عجائب الدنيا ، حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين ، وجلس للفتيا وعمره خمسة عشر عاما ، ورحل الشافعي الى العراق سنة ١٩٥ هـ ، وأسس بها مذهبه القديم ، ثم رحل الى مصر سنة ١٩٨ هـ ، ورأى مصالح الناس وأحوالهم على نمط جديد فأسس بمصر مذهبه الجديد ، لأنه يرى أن الفقه قانون الحياة والحياة متطورة فيجب أن يتطور الفقه بما يوافق شرع الله من جهة وما يناسب مصالح الناس من جهة أخرى ، وأينما توحد المصلحة فتم شرع الله .

والامام الشافعي ، واضع علم أصول الفقه ، ومبتكر قواعده وأحكامه ،
مثل :

ان العبرة بالمعاني لا بالألماط ، وان الضرورات سيجح المحظورات ، وان المشقة تجلب التيسير ، وان الضرر الخاص تتحمل لدفع الضرر العام ، وانه لا يفكر تغير الأحكام بتغير الأزمان ، وانه لا ضرر ولا ضرار في الاسلام .

وكان الامام الشافعي بحرا لا يجارى في فقهه وعلمه ، وكان عالما بالرياضة والانساب والشعر والرمي والغروسية ، ويرمى العشرة أسهم فتصيب جميعها الهدف ولا بخطيء في رمية واحدة .

وسئل الشافعي يوما بم عرفت الله ؟ قال بالنحلة نصفها يلسع
ونصفها يعسل .

أبها المؤمن :

لقد نزع الاسلام من هذه الأنفس الخيرة كل حقد وكل ضغينة فلن نجد رجلا حربا على رجل ولا عالما حاقدا على عالم .

واليكم حادثة حدثت بين الامام الشافعي والامام أحمد بن حنبل وكلاهما امام مجتهد في الدين ، ولن ترى بينهما الا الولاء والحب والتقدير ، وانما يعظم فضل الواحد منهما على مقدار ما أسدى الى الناس من نفع .

نزل الشافعي ضيفا على أحمد بن حنبل ، وكانت للامام أحمد ابنة سالحة تسلم أخبار الشافعي وتتشوق الى رؤية صلاحه وعبادته فرقيب عبادته بالليل وذكره بالاسحار ، لكن الشافعي أصبح مستلقيا على ظهره حتى الفجر وابن حنبل مشغول بذكره وعبادته فلما أصبحت قالت لأبيها رأيتك تعظم الامام الشافعي وما رأيت له في هذه الليلة صلاة ولا ذكرا ولا وردا ، فبينما هما في الحديث قام الامام الشافعي فقال له الامام أحمد كيف كانت ليلتك ؟ قال ما رأيت ليلة أطيب منها ولا أبرك ولا أريح .

فقال الامام احمد وكيف ذلك ؟ قال الشافعى لاني استنبطت في هذه الليلة مائة مسألة ، وانا مستلق على ظهري كلها في منافع المسلمين ثم ودعه ومضى .

فقال أحمد بن حنبل لابننه هذا الذي عمله الليلة وهو نائم أفضل مما عملته وانا قائم .

وكان احمد بن حنبل رضى الله عنه يقول ما صليت صلاة منذ أربعين سنة الا وانا ادعو للشافعى ، فقال له ابنه اى رجل كان الشافعى حتى ندعو له كل هذا الدعاء ؟ قال الامام أحمد يابنى كان الشافعى كالشمس للدنيا والعافية للناس فأنظر يابنى هل لهذين خلف ؟ أو عنهما عوض ؟ .

أيها المؤمنون :

لكل هي القدوة الحسنة أولئك الذين هدى الله فهداهم اقتده ، تكافؤ وتساند في سبيل الهدى الأسمى ، وتعاون وتآزر في خدمة الدين ومرضاة رب العالمين

رجال وهبوا حياتهم لله ، وجهودهم لنصرة دين الله ،

فمنحهم الله توفيقه العظيم ، وجدد بهم شباب الدين ، وحقق بهم ما قاله النبي الأمين محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم .

(لا يزال الله يرسل لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها) .

من هدى الأنبياء

ميز الله الانسان وفضله على سائر المخلوقات ومنحه كثيرا من الفضائل والزايا ووهبه قدرات خاصة ومكنه من تنميتها واستغلالها الى ابعد حد .

وارسل الله الرسول وأنزل الكتب وشرع الشرائع لهداية الانسان والأخذ بيده الى مسالك الخير والسمو بنفسه وروحه الى مراحل التطهر والنقاء . وكان الأنبياء والمرسلون عناصر ممتازة من الرجال اصطفاهم الله واختارهم ليحطموا للناس مصابيح الهداية وأساليب الرفعة والعزة .

وكان للأنبياء حواريون وأتباع مخلصون تأثرت أفئدتهم وقلوبهم برسول الله وأنبيائه وكانوا أكثر تفاعلا مع العقيدة وأوضح ايجابية مع التعاليم الدينية . قال الله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فآيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) .

وإذا كان هدف التربية الحديثة هو إيجاد أكبر قدر من التماسك والترابط بين المواطنين باعتبار التعليم وسيلة من وسائل التقارب الفكرى بين المعلمين ، فلقد كانت رسالات السماء جميعا من أسبق أساليب لتربية في الدعوة الى المساواة والاخوة بين الناس .

لم تفرق بين جنس و جنس . ولا بين طبقة وطبقة ، بل كانت دعوات عامة الى الناس جميعا باعتبار ان الانسان هو المخلوق الاسمى ، الذى خلفه الله بيده واسجد له ملائكته وأباح له الكون ليستعمله ويستثمره ، فكان نداء النبوات والرسالات الى هذا الانسان سواء اكان عبدا ام حرا ، حاكما ام محكما غنيا ام فقيرا ، قويا ام ضعيفا ، فالجميع عباد الله وخلقته ، ومن أجلهم جميعا خلق هذا الكون وسخر لهم افلاكه وأرضه وسماؤه . قال تعالى (ولقد كرمتنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) . الاسراء / ٧٠

وكانت آيات القرآن نداء جهيرا يدعو الناس - كل الناس - الى دعوة الحق والصدق وتكريم الانسان .

وفى أول آيات تنزلت من الوحي يقول الله تعالى : (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) العلق / ١ - ٥ .

وأفصح رسول الله (ص) فى اكتشاف هذه النفس الانسانية وفى تفجير الطاقة الهائلة من المواهب والقوى فجمع المسلمين على معان سامية من الوحدة والاخاء ، والجد والبناء ، ثم حثهم على الصدق والصبر والتحمل ، ودفعهم الى الجهاد فى سبيل الله وأعلى كلمته ، فكاوا العقل الجديد والفجر الجديد والروح الجديد . وفتحوا البلاد بأخلاقهم قبل أن يفتحوها بسيفهم . واستعلوا على المال والجاه والسلطان وكان نفوسهم أقوى من عوارض الحياة التى تعترضهم ، فلما نجحوا فى تطهير أنفسهم وأفلحوا فى الامساك بزمامها واحكام قيادتها ، رزقهم الله الفلاح والنصر ، وكانوا أهلا للعزة والسيادة ومظهرا من مظاهر سمو الروح البشرى وآبة من آيات الله فى اظهار فضائل الانسان . وكان المربى العظيم والقائد الكريم يفرح حين يرى أصحابه بين يديه ثروة من المواهب المبدعة ، وحلقة يكمل بعضها بعضا فيهم الفائدة المحنك الذى يعرف سبيله الى النصر ، والفقيه العالم الذى حفظ الحديث وفقه كتاب الله ، والقاضى العادل الذى لا يحتسب فى الحق لومة لائم ، والفدائى المخلص الذى باع نفسه لربه ، والداعية المسلم الذى يأخذ سبيله الى القلوب والنفوس بما يحمل من كتاب الله وكلماته . وكان الصحابة رضوان الله عليهم نجوما زاهرة ، وثمارا يانعة ورد وصفها فى التوراة والانجيل والقرآن .

قال تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء

بينهم تراهم وكما سجدا ينتفون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم
من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه
فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد
الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما) . الفتح / ٢٩

صفات المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

(انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم
آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم
ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق
كريم) . الأنفال ٢ - ٤

(وجلت) أى خافت : يقال وجل يوجل وجلا أى خاف (تليت) أى قرئت .

وصف الله المؤمنين هنا بخمس صفات : وجل القلوب عند ذكر الله ،
وزيادة الايمان عند تلاوة آياته ، والتوكل على الله وحده ، واقامة الصلاة ،
والانفاق مما رزق الله .

ثم بين انهم بهذه الأوصاف يكونون من أهل الايمان واستأنف مبينا
جزاءهم بقوله (لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) .

الصفة الأولى وجل القلوب :

والصفة الأولى تدل على أن من خصائص المؤمنين عند ذكر الله الوجل
والخوف ، والخوف على قسمين : خوف العقاب ، وخوف العظمة والجلال ،
وخوف الجلال والعظمة لا يفارق قلب المؤمن لأنه يرى بايمانه أن الله غنى
وما سواه محتاج ، قوى وما سواه عاجز ، عالم مطلع على خفيات النفوس ،
وما سواه جاهل لا يحيط بسىء من علمه ، فاذا استحضر الانسان فقره
وحاجته وضعفه وعجزه وجهله أمام عظمة الغنى القوى المحيط بكل شيء ،
امتلات نفسه وقلبه بوجل الهيبة والجلال والعظمة والجمال ، سواء تذكر
عصيانا يخشى عقابه ، أم تذكر طاعة يرجو نوابها .

الصفة الثانية زيادة الايمان :

والصفة الثانية زيادة الايمان عند تلاوة الايات ، وللايمان اطلاقان :
يطلق ويراد منه التصديق فقط كما فى قوله تعالى : (وقال رجل مؤمن
من آل فرعون يكتم ايمانه) ويطلق ويراد منه جميع عناصر الدين من
تصديق وقرار وعمل وذلك كما فى قوله تعالى : (أفمن كان مؤمنا كمن كان
فاسقا ؟)

وزياده الايمان بالمعنى النانى مما لا سبيل الى انكاره لأن من أجزاءه العمل ولا ريب انه يزيد وينقص ، وبزيادته يزيد الايمان وينقصه ينقص الايمان كالرجل يكمل خلقه ، فيقال كامل الخلق وكالرجل يفقد بعض أعضائه فيقال ناقص الخلق أو مشوه الخلق .

اما الايمان بمعنى التصديق فلفظ فقد اشتهر انه لا يقبل الزيادة ولا النقصان والحق انه يعبل الزيادة والنقصان ورياده الايمان معناه الفه والاطمئنان واليعين الكامل بالله العلى الفدير . فكلما قلب المؤمن بصره فى القرآن أو تأمل آيات الله فى الكون زاد ايمانه وسوخا فى النفس ويقينا فى القلب . قال تعالى (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما) .

التوكل على الله

والصفة الثالثة : التوكل على الله وحده ، والتوكل على الله أعلى مقامات النوحيد ، وان من مقتضيات الايمان بأن الله هو المدبر للامور ، التوكل عليه فى كل ما يحتاج اليه المؤمن فيما وراء مقدوره . وليس من تناول التوكل ترك الأسباب وتكذب سنن الله فى الخلق فمن يترك الطعام والشراب باسم التوكل على الله فى حفظ حياته فهو جاهل بالله ، ومن يترك العمل للحصول على الرزق باسم التوكل على الله فهو جاهل بالله ، ومن يترك اعداد العدة للدفاع عن الأوطان واعلاء كلمة الله باسم التوكل على الله وباسم ان يدافع عن الدين آمنوا فهو جاهل بالله .

التوكل معناه الأخذ فى الأسباب وعمل ما يمكن عمله مما هو فى اختيار المخلق ثم ترك النتائج اعتمادا على الله وتوكلا عليه .

اما ترك الأسباب بالكلية فهو تواكل وتنطع فى الدين . والتوكل الحقيقى عمل وسعى ، ثم يقين صادق وثقة كاملة بالله . وقد جمع الرسول صلى الله عليه وسلم شطرى التوكل فى كلمة جامعة . حين جاءه اعرابى وقال : يا رسول الله ناقتى بالباب اعقلها ؟ أم اتركها واتوكل على الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام (اعقلها وتوكل على الله) .

اقامة الصلاة :

والصفة الرابعة : اقامة الصلاة ، واقامتها عبارة عن أدائها مقومة الأركان كاملة فى صورتها وأركانها الظاهرة من قيام وركوع وسجود وقراءة وذكر ، وفى معناها وروحها الباطنة من خشوع وحضور فى مناجاة الرحمن ، وتدبر واتعاظ بتلاوة القرآن ، وهذه الاقامة الحققة هى التى تجعل صاحبها

مستقيدا بخشوع الصلاة مستهيا عن الفحشاء والمنكر قال تعالى (ان الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر)

الانفاق مما رزق الله

والصفة الخامسة الانفاق مما رزق الله ، فقد قضت حكمة الله - ابتلاء
لخلفه - ان يجعل فيهم الفقير والغنى ، وان يربط الفقراء والأغنياء برباط
اخوه الدين والانسانية ، وان يكلف الغنى بمقتضى ذلك الرباط ان يسد
حاجة الفقير ، حما له في ماله ، وواجبا دينيا في ذمته ، (والذين في أموالهم
حق معلوم للسائل والمحروم) المارج ٢٤ ، ٢٥

وبذلك يكمل التعاون وتطهر القلوب ، وتصفو النفوس من الأحقاد التي
يولدها الجشع ويسميها التسح . والآية بعمومها تطلب الانفاق من كل ما رزق
الله وهو يشمل كما فصل الفقهاء زكاة النقدين والزروع والمواشي والبضائع
التجارية .

تلازم الصلاة والزكاة :

لا نكاد نجد آية فرضت للصلاة ، الا وتذكر الانفاق في سبيل الله كما
ابا لا نكاد نجد آية تعرض لأوصاف المؤمنين وتهملها أو نهمل احداهما ،
فقد جعل الله اقامة الصلاة مثلا لبدل النفس في سبيله ، وجعل الانفاق مثلا
لبدل المال في سبيله ، واقتصر في كثير من المواضع عليهما من جهة الاعمال
الظاهرة كما نراه في آيتنا هذه .

وقد ذكر قبلها من احوال القلوب ثلاث مراتب : الأولى : الوجيل من
هيبة الله وجلاله ، الثانية : نمو هذا الوجيل وامتلاء النفس به ، الثالثة :
الاعتماد القلبي على الله وحده في جميع الشئون .

الجزاء المعد لأرباب هذه الصفات :

بعد أن ذكر الله هذه الأوصاف ختم لأصحابها بخاتم الايمان الحق
الذي لا مكان فيه للباطل فقال : (أولئك هم المؤمنون حقا) وأثبت لهم بهذه
الأوصاف (درجات عند ربهم) .

واذا كانت الأحوال الباطنة والأحوال الظاهرة متفاوتة في ذاتها وهي
التي بها وعلى قدرها استحقاق الجزاء ، كانت الدرجات متفاوتة بتفاوتها ،
فيقدر ما يكون عند المؤمن من هذه الصفات يكون له عند الله من هذه الدرجات .

ثم عطف على هذه الدرجات (مقفورة ورزق كريم) مفره الله لهم ،
ورزقه الكريم اياهم .

اما المفخرة فهي محو ما يكون من سيئات (ان الحسنات يذهبن السيئات) والتجاوز عن عقابها حتى لا يعكر عليهم صمو هذه الدرجات والرزق الكريم هو المنحة الالهية اللى لا يعلم حقيقتها ولا يحيط بكميتها الا خالقها ومانحها هى رزق كريم من رب كريم .

فساد بنى اسرائيل فى الأرض

يقول الله تعالى فى سورة الاسراء (وفضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين وتعلن علوا كبيرا) الاسراء / ٤

هذه الآية هى الآية الرابعة من سورة الاسراء ، وبعيد هذه الآية والآيات الأربعة التى نليناها أن من طبع اليهود البغى والعدوان ، والظلم والظلم ، وخلصنا المعنى المستفاد من هذه الآيات ما يأتى :

- ١ - أخبر الله أن بنى اسرائيل سيفسدون فى الأرض مرتين وهذا الفساد معناه ظفیان وعدوان منهم على عباد الله وخروجهم على الطريق القويم
- ٢ - أخبر الله عنهم أنهم لما طفوا وبغوا سلط الله عليهم من ينتقم منهم .
- ٣ - بعد الانتقام الاول عادوا الى طريق الجادة فانتصروا على اعدائهم لكنهم لم يلبتوا أن عادوا للفساد فحق عليهم وعيد الله .
- ٤ - سلط الله عليهم فى المرة الثانية من أذلهم وهدم هيكلهم وهدم المسجد الأقصى وفضى عليهم وعلى ملكهم .
- ٥ - ذكر الله انه يشملهم برحمته اذا نابوا اليه فان عادوا للفساد عاد عليهم بالعقاب .
- ٦ - كثر عدد اليهود بعد الافساد الأول والثانى وعقوبتهما . وأعزهم الله بعد الدل واعطاهم المال والجاه .
- ٧ - ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا يعرفون صفته فى التوراة ، ولكنهم كذبوه وغدروا به فسلط الله عليهم المسلمين فحاصروهم وقابلوهم وقرضوا عليهم الجرية وأخرجوهم من بلاد العرب .
- ٨ - استمرت حياة اليهود بين مد وجزر فكلما أرخى الله لهم الحبل وامتعوا بالنعمة أسرفوا فى استغلال النعمة وفى الفساد وسلط الله عليهم من ينتقم منهم .
- ٩ - كان من افسادهم فى الوقت الحاضر سيطرتهم على فلسطين سنة ١٩٤٨ واغتصاب مساحات واسعة من البلاد العربية عام ١٩٦٧ .

١٠ - تكاتف مصر والامة العربية الاسلاميه فعمت حرب رمضان عام ١٣٩٣هـ
ودبرتها عبرت اسرائيل وبركت حصونها في خط بارليف وبدأ الأمل
يرأود المسلمين في أن يسردوا حقهم وارضهم المفضبه .

لكل معان سعلق بالآيات اللى ذكرت فساد بنى اسرائيل فى الأرض
مربين ، ولم يذكر هذا المعنى فى القرآن كله الا مرة واحدة فى سورة الاسراء .
وفى ختام الآيات بتساره من الله للمسلمين بأنهم اذا تمسكوا بالقرآن وعملوا
بأحكامه وادبوا بأدابه فان أمامهم طريق النصر فى الدنيا والسواب الكبير فى
الآخرة .

وبعيد الاحاديث الصحيحة أن المسلمين سيعانلون اليهود قتالا عنيفا،
وان اليهود ستختبىء فى الحصون خلف الاحجار ولكن الحصون برشد اليهم
وتدعو المسلمين الى فتالهم .

وقد بعنى ذلك فى حرب العاشر من رمضان ، والأمل وطيد فى الامة
العربية أن يستمر تماسكها وتمساندها ، وأن تعلم أنها أمام عدو شرس عنيد،
ولا فلاح لنا فى الدنيا والآخرة الا بالتزام طريق الجهاد والنضال ، جهاد
الميدان ، وجهاد النفس ، وجهاد الكلمة ، وجهاد العمل ، وجهاد الأمل ،
فطريق النصر له معالم وأسس تتمثل فيما يلى :

١ - وحدة الكلمة ووحدة الصف لأن يد الله مع الجماعة ، فالاتحاد قوة
والتفرق ضعف .

٢ - اخلاص النية والرغبة فى الجهاد والطمع فى السواب وايتار الآخرة
على الدنيا .

٣ - انقان العمل واعتقاد كل مواطن انه على نفرة من تفور العدو فالصانع
والزارع والطبيب والمهندس والمدرس والموظف ، كل واحد من هؤلاء
اذا قام بعمله وأدى واجبه فانه يسهم فى بناء صرح الوطن ويضيق لبننة
فى بناء العزة والكرامة والاعداد والقوة ويحقق قوله تعالى (وأعدوا لهم
ما استطعتم من قوة) الانفال / ٦٠ .

الانسان فى القرآن

جعل الله الانسان خليفته فى الأرض ، ليعمرها ويثريها ويقيم عليها
الحق والعدل ، وقد كرم الانسان أنواعا من التكريم ، فممنحه العقل وميزه
على جميع الكائنات ، لأن السماء والأرض والجبال والبحار ، تخضع لله
خضوع القهر والغلبة ، أما الانسان فهو المخلوق الوحيد الذى يخضع لله
ويعبده عن حرية وإرادة ، واختيار وتفكير، وفى تفسير الأمانة - التى عرضها

الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان - أنها هي الثواب. على الطاعة والعقاب على المعصية ، لقد خيرت هذه المخلوقات بين التفكير والارادة ، وبين الطاعة النامة بلا تفكير ولا ارادة فاختارت الطاعة النامة بلا تفكير ولا ارادة .

وهذا معنى قوله تعالى (وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) .

فالارض لا يعمرها ملاك مطيع ، ولكن يعمرها انسان ينافس ويتسابق ويطيع . ويعصى ، ويعمل الخير والنشر فهذا جزء من حقيقة هذه الحياه ، حتى يميز المحسن من المسيء . قال تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين ، الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) هود ١١٨، ١١٩
لقد كان الانسان مجهولا في طلعات العدم فهيا الله له الحياه والوجود ، وندرجت خلقتة من تراب ثم من طين ثم من حمأ مسنون ثم خلق من نطفة ثم صلبة ثم مضفة ثم عظام ثم كسى العظام لحما ثم أنشأ خلقا آخر فبارك الله احسن الخالقين .

قال تعالى (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ، انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) الانسان ١ - ٣

لقد خلق الله الانسان من نطفة امشاج : والامشاج هي الاخلاط ، يقال مشجه يمشجه مشجا حلظه ، والمراد اخلاط الحيوان الموى للذكر ببويضة الانثى فينشأ مخلوق جديد يحمل صفات الأب وصفات الأم ، بل يحمل صفات الأجداد والأقارب ، وملايين الحيوانات المنوية حجمها في مثل رأس الدبوس ، يسبق حيوان واحد منها فيتم عملية الاخصاب ، ويحمل هذا الحيوان خصائص اللون والتفكير والصفات النفسية والحسية لوالديه ، ثم يتم الخلق بقدرة الله ، ليتم الابتلاء والاختبار ولذلك وهب الله الانسان ادوات التفكير والارادة فجعله سميعا بصيرا ، وبين له طريق الهدى والضلال ليختار الشكر والعرفان أو الكفر والنكران ، فمن عصى فله النار ، ومن أطاع فله جنات النعيم .

نعيم الآخرة :

تحدث القرآن عن وصف الجزاء في الآخرة فذكر البعث والنشور والحساب ، والصراط والميزان والجنة والنار ، وقد بين الله في سورة الانسان جزاء الكفار وثواب الأبرار .

فتحدث عن الكفار في آية واحدة هي قوله تعالى : (انا اعتننا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا) الانسان ٤

أى جعلنا لمن كفر بالله وصد عن سبيله سلاسل للأيدي وأغلالا وقيودا
في العنق ، وسعيرا تتلظى ، ونارا تحزق جميع الجسم .

ثم تحدث عن النعيم الإلهي في آيات مستفيضة تبدأ من قوله تعالى :
(ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) الانسان هـ

فذكر أنهم أبرار ، والبر هو الذي أطاع ربه ، وبر خالفه وابتعد عن
إيذاء الآخرين ، هؤلاء الأبرار يشربون خمر الجنة وقد مزجت مرة بالكافور،
ومزجت مرة بالزنجبيل ، ويأكلون من ثمارها ، وهي ثمار قريبة منهم ينالها
القائم والقاعد والمضجع والمتكىء .

ويطوف عليهم فلما ن صباح الوجوه لا يعترهم المشيب كأنهم في صفائهم
وجمال وجوههم اللؤلؤ المنشور ، ويلبس أهل الجنة حريرا رقيقا ، وحريرا
مبطنا ، ويحلون أساور الفضة والذهب ولؤلؤ .

ويتمتعون بالنعيم الكبير ، والجنة الواسعة والملك العريض ، وإذا
رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا) الانسان ٢٠

وهناك رضوان الله ورؤية الجبار ، وعزف الأوتار ، وجرى الأنهار
وقطف الثمار .

هناك أنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ،
وأنهار من عسل مصفى .

هناك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، هناك
رضوان من الله أكبر ، أى رضا الله وفضله عن المتقين .

قال تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يونس ٢٦

أى للذين آمنوا وأحسنوا الجنة ورؤية الله رؤية تكريم وتشريف .
قال تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة) القيامة ٢٢ ٢٣

أرحموا أرحموا واغفروا يغفر لكم

اتصف الله بالرحمة ، وقسم الرحمة مائة جزء أنزل جزءا واحدا في الدنيا
يتراحم به الناس ، وادخر ٩٩ جزءا يرحم بها العباد يوم القيامة .

وحين نستفتح الصلاة نبدأها بقولنا « بسم الله الرحمن الرحيم ،
الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم » وقد وصف الله رسوله بالرحمة
فقال (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وقال عليه السلام عن نفسه (إنما أنا
رحمة مهدها) .

وقد حث الاسلام على الرحمة وبين أنها صفة من صفات المؤمنين .

وتواردت احاديث النبي الامين تدعو الى الرحمة ونحث عليها وهو
الذي يقول (ان البر يهدى الى الجنة ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من
فى السماء ، لا يرحم الله من لا يرحم الناس ، الراحمون يرحمهم الرحمن ،
لا تنزع الرحمة الا من شقى) .

وقال تعالى : (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص
عليكم بالمؤمنين ووفى وحيه) .

وقد اتسمت رحمته صلى الله عليه وسلم فشملت الكبير والصغير
والغنى والفقير وجاهد لتحرير العبيد ورفع قيمتهم ، فلم يدخر مالا ولا
سلطانا ولا دعوة فى سبيلهم وكانت روحه تفيض بالرحمة عليهم والبر بهم .

من ابي مسعود قال : ضربت فلانما لى بالسوط فسمعت صوتا من خلفى ،
فاذا برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أعلم ابا مسعود ان الله اقدر
عليك منك على هذا الفلام .

وبلغ من رحمة النبي الامين . انه كان لا يطيق أن يقول احد : عبدى
أو امتى فأمر المسلمين أن يكفوا عن ذلك وأن يقولوا فتاى وفتاى وقد كان
لهذه التربية احسن الأثر فى تحرير الأرقاء ، ونشر المساواة ، وتغليب روح
الاخوة والمودة والرحمة .

من ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم (من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة
ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن اطعم جائعا
اطعمه الله من ثمار الجنة ومن كسا عريانا كساه الله من السندس الأخضر
يوم القيامة والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه) .

أيها المؤمنون :

لقد حث الاسلام على التراحم والتكافل فمن رحم عباد الله شمله الله
برحمته وقضله .

ارحم عباد الله يرحمك الذى

عم البرية فضله ونواله

فالراحمون لهم نصيب واقسر

من رحمة الرحمن جل جلاله

وهذا معنى الحديث الشريف ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم ،
اى عليكم بالسماحة والعفو والصفح فما تواضع احد لله الا رفعه ومازاد الله
عبدا يغفو الا عزا .

قال تعالى : (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم • وما يلقاها الا الذين صبروا وما
يلقاها الا ذو حظ عظيم) •

تعاونوا على البر والتقوى ، وكونوا يدا واحدة كالبنيان المرصوص
يشد بعضه بعضا ، فالله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه ، والله
يضاعف ثواب العاملين ، ويبارك خطى المنفقين قال تعالى (ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا) •

مصر تعاليم السماء

ورد ذكر مصر فى كثير من آيات القرآن منها قوله تعالى على لسان نبي
الله يوسف (ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين)

ووردت احاديث كثيرة تصف مصر بانها كنانة الله فى أرضه وتدعو
المسلمين الفاتحين الى معاونة الاقباط . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
(ستفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم ذمة ورحما)

وقد حكى القرآن ان نبي الله ابراهيم جاء الى مصر ، وان نبي الله
موسى جاء الى مصر ، وان نبي الله عيسى جاء الى مصر ، وان رسالة النبي
محمد صلى الله عليه وسلم وردت الى المقوقس عظيم القبط بمصر وفيها
(اسلم تسلم يؤتك الله اجرک مرتين) •



وقد حملت كنيسة الاسكندرية دورا رائدا فى الدعوة الى الهداية
والايمان •

ولما جاء الاسلام الى مصر خلص أهلها من عنق الرومان وابتزاز اليهود
ونشر العدل وال عمران ، وليس صدقا أن الاسلام انتصر بالسيف ، ولكن
الحق أن الاسلام انتصر على السيف . وأراح الناس من الظلم والجبروت
وهيا لهم العدالة والاستقرار •

ان الاسلام هو الدين الوسط الذى لا غلو فيه ولا تفريط قال تعالى
(وكذلك جعلناكم امة وسطا) •

ان الاسلام يحترم الملكية الفردية ولكنه يجعل الفنى موظفا فى ماله عليه
ان يخرج منه الزكاة وصدقة الفطر والعيدين والأضحى والندور والكفارات
والصدقات الموسمية •

وتلك وسيلة الاسلام الى التعاون والتكافل والتراحم قال تعالى
(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) •

وقال صلى الله عليه وسلم (مثل المسلمين في بوادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو نداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى) .

لقد مكث الأزهر في مصر الف عام ويندر ان تجد بلدا من بلاد الاسلام الا وتجد فيه اثرا لعالم ازهرى او كتاب ازهرى ، وقد أمدت مصر البلاد العربية والاسلامية بالعلماء والمدرسين . ونأمل أن تقوى .. أواصر التعاون والتكاتف بين الأمة العربية جمعاء وبين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها لتعود لنا العزة والكرامة بصدق العقيدة وسلامة الفكرة وحمل الدعوة الصادقة وخيرها وسعادتها . قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .

أمة واحدة

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم (ان هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون) . الانبياء « ٩٢ »

كان العرب فى جاهليتهم اشباعا مختلفة وقبائل متفرقة لا بجمعهم سلطان ولا توحدهم حكومة وربما تفاخروا بالفأرة على بعضهم البعض ، واقتخر القوى بسلب حق الضعيف واذا رحلوا فى طلب الكلا والمرعى تركوا كبار السن فى الصحراء يلقون مصيرهم المحتوم .

فلما ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم مبشرا وندبرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، دعا الى توحيد الله وندد بعبادة الأوثان والأصنام وقد مكث فى مكة ثلاثة عشر عاما يؤكد سلامة العقيدة ويحارب الشرك والانحراف ، فلما هاجر المسلمون الى المدينة المنورة نزلت التشريعات المدنية والاجتماعية والانسانية تنظم حياة الفرد وحياة الاسرة وحياة المجتمع وتغير المثل الأعلى فى الاسلام عنه فى الجاهلية . فصار المثل الأعلى للمؤمن هو طاعة الله والتزام الأوامر والبعد عن المحرمات واقامة الحق والعدل وترك الفحشاء والمنكر والبغى .

وخلق القرآن روحا جديدا بين العرب ورباطا جديدا بين المسلمين فاذا المؤمنون أخوة متحابون متعاونون متساندون يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وأصبح المسلمون يدا واحدة وقوة متماسكة كالبنيان المرصوص يشد بمغضه بعضا وتوالت آيات القرآن تحث على التعاون والتراحم وتنهى عن الخلاف والشقاق فيقول سبحانه (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) . المائدة « ٢ »

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قائدا حكيما ومصالحا ومربيا حازما

فوضع لهم أساس الوحدة والقوة وجنبهم مواطن الضعف والخلاف وأرسل توجيهاته الحكيمة وأحاديثه الشريفة تقوى روابط المودة والألفة بين المسلمين وتحارب التنابذ والفرقة فيقول عليه الصلاة والسلام :

(اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخوانا كما امركم الله تعالى ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره بحسب امرىء من الشر ان يحقر أخاه المسلم : كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعوضه ، ان الله لا ينظر الى أجسادكم ، ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم) رواه البخارى ومسلم .

لقد كانت وحدة المسلمين وترابطهم وتعاونهم من أسباب قوتهم وعزتهم بل أصبحوا أقوى قوة في الجزيرة العربية وامتد نور الإسلام فعم بلاد العرب وفتحت مكة أم القرى ودخل الناس في دين الله أفواجا وجماعات ولم نمض عشر سنوات على وفاة الرسول الأمين حتى كان الخلفاء الراشدون يفتحون بلاد الفرس والروم ومصر وينشرون دين الله في المشارق والمغرب .

يا من رأى عمرا تكسوه بردته

والزبت آدم له والكوخ مأواه

يهتز كسرى على كرسيه فرقا

من بطشه وملوك الروم تخشاه

ولقد كانت الفرقة والخلاف بين المسلمين بعد ذلك من أسباب ضعفهم وتفرق كلمتهم وانزاع بعض أملاكهم وسقوط بعض دولهم .

ثم شاء الله ان يبعث في المسلمين روحا جديدا وفجرا جديدا ونورا جديدا فتقاربت أمورهم في العصر الخاضر وتعاونت رؤسائهم ، وتساندت دولهم وقامت حرب العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ - أكتوبر سنة ١٩٧٣م - وعبر المصريون قناة السويس وحطموا خط بارليف وتقدم السوريون ليطبقوا على أعداء العرب والإسلام واذا العرب جميعا يدا واحدة هدفهم واحد ، وأملهم واحد ، نشيدهم واحد ، وأحرزوا جانبا من النصر حين توحدت كلمتهم وتوحدت صفوفهم ، ودخل البترول في المعركة سلاحا حاسما ينبه الجميع الى حقوق العرب في أوطانهم وبلادهم ، وفهم الناس لغة القوة وأدركوا ان فلسطين عربية فتحتها العرب المسلمون منذ أكثر من ألف عام وبقيت عربية اسلامية طوال هذه القرون ، وان اسرائيل المعتدية قد تنجح لفترة محدودة ولكن الباطل عمره قصير ودولة الباطل ساعة ، ودولة الحق الى قيام الساعة .

آيتها الامة العربية الاسلامية ، هدفنا واحد ، كتابنا واحد ، ربنا واحد ، نبينا واحد ، قبلتنا واحدة ، امتنا واحدة ووجدتنا هي مصدر عزتنا وقوتنا

يمينا لو يمينك في يميني لقبلت الشعوب لنا يمينا

ان امضى سلاح في يد اليهود هو سلاح الكيد والدس والخداع والفتنة وقديما حاول شاسي اليهودي ان يدكى نار الخلاف بين الانصار من اهل المدينة فقال لغلام تسال الى الاوس والخزرج وذكرهم بيوم بعث . وهو يوم مشهور تحاربوا فيه في الجاهلية . فتناشدوا اشعار ذلك اليوم واختلفوا وتنادوا السلاح السلاح وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج جزعا يجرد رداءه وقال :

(ادعوى الجاهلية وانا بين ظهرانيكم ؟ ذروها فانها مفتنة ذروها فانها مفتنة) وتنزل آيات القرآن الكريم تقول :

(يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين . وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) . آل عمران « ١٠٠ ، ١٠١ »
وعاد الانصار اخوة يتماثون بعد ان ادركوا دسياسة الاعداء ومكرهم .

آيتها الامة العربية الاسلامية . ان اعداءكم ببذلون جهودا مكثفة حتى يشظوكم بانفسكم ويقضوا عليكم بأسلحتكم ، ويتركوكم فريسة للنزاع والخلاف والاطماع . فاحذروا الفتنة فانها قائمة لعن الله من ابغظها (والفتنة اشد من القتل) .

ارتفعوا فوق الحقد والضغنة ، وتناسوا آلام الماضي من اجل آمال المستقبل ، وتعاونوا فيما اتفقتم عليه ، وليعدر بعضكم بعضا فيما اختلفتم فيه وثقوا ان النصر مع الصبر وان يد الله مع الجماعة ، وان رحى الاسلام دائرة ، فدوروا مع الكتاب وعليكم بالجماعة فانما ياكل الذئب من الغنم القاصية .

آيتها الامة العربية المسلمة : ان العمل هو الحياة فلا مكان على ظهر هذه البسيطة للكسالى والعاطلين ، ان العمل شرف وقوة والله تعالى يقول :

(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيق اجر من احسن عملا)
الكهف « ٣٠ » . اتقنوا اعمالكم واخلصوا في خدمة اوطانكم واعلموا ان ميدان المعركة واسع رحيب يشمل الزارع في حقله والصانع في مصنعه ، والمدرس في فصله ، والعالم في معمله ، والموظف في مكتبه ، وكل عامل على ثغرة من ثغور الوطن فلا يؤت من قبله ،

لقد كانت الحروب في القرون الوسطى تعتمد على شجاعة القائد وتنهزم الجيوش بانهزام أميرها ولكن الحروب الآن تنوعت وتعددت وصارت فنا من فنون العلم والمعرفة ، وأصبح ميدان المعركة محتاجا الى كل ذى خبرة وموهبة ، وصارت الجيوش مرتبطة بالشعوب نستمد منها الزاد والروح والفكر والالهام .

أيها الشعب المصرى ان لك ماض فى الحضارة عريق ولك قدم فى الجهاد أصيل طهرت البلاد من الغزاة والمغامرين وقمت بواجب التحرير فى حرب رمضان وأصبح أمامك واجب مقدس هو اكمال التحرير والتطهير واتمام البناء والتعمير فلنعمل جميعا يدا واحدة ، وشعورا وطنيا سابقا ، ولنعلم ان حب الوطن من الايمان وان الايمان ليس كلاما ولكنه عمل وجهاد ، وسعى وجلاد ، وتضحية وانتاج . قال صلى الله عليه وسلم (ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل الا وان اقواما غرتهم الامانى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا على الله لو أحسنوا الظن لاحسنوا العمل) .

الاسلام والتربية الجنسية

جاء الاسلام ديننا عاما لارساء قواعد التوحيد واصلاح العقائد وتشبث دعائم القيم والأخلاق الحميدة . وقد مكث النبي عليه الصلاة والسلام ثلاثة عشر عاما فى مكة داعيا الى توحيد الله مذكرا بما أصاب الامم السابقة التى كذبت أنبياءها . منبها الى الحياة الآخرة وما فيها من بعث وحساب وجزاء وجنة ونار .

فلما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة مكث عشر سنوات يرسى دعائم الأخوة بين المسلمين ويبلغ عن ربه قواعد العبادات والمعاملات ويعلم المسلمين أمور دينهم ودنياهم موضحا لهم ان قوة الامة فى قوة عقيدتها وان النصر مرتبط بتمسك الامة بالقيم والأخلاق والمبادئ وأهداف الدين .

وفى سبيل ذلك وضحت آيات القرآن المدنى أحكام الحلال والحرام وتشريعات الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وسنت للناس أحكام الجهاد والقصاص ، والزواج والطلاق وعلاقة المسلم بربه وعلاقة المسلم بأخيه المسلم وبغيره من الناس .

وقد شملت التشريعات الاسلامية شئون الحياة كلها فى الحرب والسلم والبيع والشراء وطرق المقاضاة واقامة الدعوى وأنواع الشركات ، والرهن والأجارة . الى جوار الاخلاق والآداب التى ينبغى مراعاتها والتمسك بها .

ومما وضحه القرآن أيضا الحدود والقصاص ، وكل ما يكفل سلامة الفرد والمجتمع .

وقد كان القرآن منهجيا وتربويا في علاجه للأمراض الاجتماعية المنتشرة ووضع العقوبات اللازمة لمن يتعدى حدود الله .

ومن أمثلة ذلك تحريم الخمر ، فقد سلك القرآن سبيل التدرج في تحريمها ، فبين أولا أن ضررها أكبر من نفعها ، ثم نهى عن المدخول في الصلاة عند السكر ، ثم حرمها تحريما قاطعا صريحا .

✽ قال تعالى : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما) البقرة / ٢١٩

✽ ثم قال سبحانه : (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى) النساء / ٤٣

✽ وأخيرا قال عز شأنه : (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون) المائدة / ٩٠ و ٩١

كذلك في التشريعات الخاصة بتحريم الزنا ، فقد سلك القرآن الى ذلك طريقة الحكيم فأرسى دعائم التوحيد أولا ثم شرع للمسلمين أمور الحلال والحرام ، وتوج هذه التربية بتحريم الزنا والخمر بعد أن مهد لذلك بالتهذيب والتأديب والتدريب العملي والسلوكي .

قالت عائشة رضى الله عنها : انما نزل من القرآن اول ما نزل آيات تدعو الى توحيد الله وتحث على الايمان بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر . ولو نزل اول ما نزل آيات تدعو الى ترك الزنا لقال العرب لانترك الزنا أبدا . ولو نزل اول ما نزل آيات تبين تحريم الخمر لقال العرب لا نترك الخمر أبدا .

لقد وضع القرآن الاساس السليم من الدعوة المتكررة الى الايمان بالله وساق الأدلة المتعددة على وجوده ولفته نظر الانسان الى الكون وما فيه من أدلة شاهدة على عظمة الخالق وابداعه ، فلما استقر الايمان في القلوب شرع للناس الشرائع وبين الاحكام . ثم وضع الحدود لمن يخالف هذه الاحكام

وكمثال على ذلك علاج القرآن لجريمة الزنا ، فقد كانت منتشرة بين العرب في الجاهلية ، وكانت هناك نساء ينصبن رايات حمراء فوق بيوتهن ليرشسدن الزوار اليهن . وكانت بعض الاماء تكره من سادتها على ممارسة البغاء حتى يجلبن المال لسادتهن .

قال تعالى : (ولا تکرهوا فتیانکم علی البغاء ان اردن تحصنا لتبتنوا
عرض الحياة الدنيا ، ومن یکرههن فان الله من بعد اکراههن غفور رحیم)
النور / ۳۳

وكانت بعض النساء في الجاهلية تخرج لقضاء حاجتها وتلتقي جماعات
النساء مع جماعات الرجال في الطرقات ، وربما دار هناك حديث أو كلام
وربما اعقب ذلك ملاطفة أو مواعدة .

وتنزل آيات القرآن تدعو الى انصاف المرأة وحمايتها من الفوایة
والرذيلة فقد نهى القرآن عن الزواج بالمشرکة وبالزانية وبالبعی فقال سبحانه
(لا تنکحوا المشرکات حتی يؤمن ولامة مؤمنة خیر من مشرکة ولو اعجبتکم
ولا تنکحوا المشرکین حتی يؤمنوا ولعبد مؤمن خیر من مشرک ولو اعجبتکم اولئک
یدعون الى النار والله یدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ویبین آیاته للناس
لعلهم یتذکرون)
البقرة / ۲۲۱

وحرم القرآن الزنا ، و بین ما یترتب علیه من آثار ضارة بالفرد
والمجتمع فقال سبحانه : (ولا تقریوا الزنا انه کان فاحشة وساء سبیلا
الاسراء / ۳۲ .

وفي سورة النور استهلال بارع ببيان أحكام الزناة ووجوب اقامة الحد
عليهم ، وتنفير من الزنا بأحكام بيان وأروع أسلوب . قال تعالى :

(الزانية والزانی فاجلدوا کل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذکم بهما
رافة فی دین الله ان کنتم تؤمنون بالله والیوم الآخر ولیشهد علیهما طائفة من
المؤمنین ، الزانی لا ینکح الا زانیة او مشرکة والزانیة لا ینکحها الا زان
او مشرکة وحرم ذلك علی المؤمنین)
النور / ۲ و ۳ .



وفي نفس السورة بین الله طائفة من الاحکام تستهدف صيانة المرأة
وابعادها عن التبذل والاثارة والفتنة ، واغلاق الباب امام حیل الشيطان
واساليبه ، فقد حرم الله الخلوة بالمرأة الاجنبية ، كما حرم اللمسة
والقبلة والنظرة ، وصان المجتمع من عبث العابثین وطرق المفسدین . قال
سبحانه : (قل للمؤمنین یغضوا من ابصارهم ویحفظوا فروجهم ذلك ازکی
لهم ان الله خیر بما یصنعون ، وقل للمؤمنات یغضن من ابصارهن ویحفظن
فروجهن ولا یبدين زینتهن الا ما ظهر منها ولیضربن بخمرهن علی جویبهن
ولا یبدين زینتهن الا لبعولتهن او آبائهن او ابناءهن او ابناءهن او ابناءهن
بعولتهن او اخوانهن او بنی اخوانهن او بنی اخواتهن او نساءهن او ما ملکت
ایمانهن و التابعین غیر اولی الاربة من الرجال او الطفل الذین لم یظهروا علی

عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليطمح ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون (النور / ٣٠ و ٣١

وقد تتابعت آيات القرآن تحث على الفضيلة ونحذر من الفواية والرذيلة وتأخذ على الشيطان مسالكه وتأمّر المرأة أن تستر جسمها والا تبدي مواطن الفتنة والا تظهر شيئا من العورة ، لأن القرآن اذا حرم شيئا حرم السبل المؤدية اليه من باب قولهم مالا يتم الواجب الا به فهو واجب . قال تعالى : (يا ايها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يكنن عليهن من جلايبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما)

الأحزاب / ٥٩

ووجه الله أمهات المؤمنين الى الطريقة المثلى والتقدوة العملية فنهاهن عن اسباب الاثارة والفتنة وحذرهن من النبرج ومن اظهار الزينة أمام الاجانب ، وحثهن على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وتلاوة القرآن وبذلك رسم للمرأة طريق العفاف النفسى وطريق الحماية والحفاظ الاجتماعى .

قال تعالى : (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا ، وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ، واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا) .

الاحزاب / ٣٢ - ٣٤

وتكفل رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسم الطريق الامثل لسلك الرجل والمرأة ، فأمر بفض البصر وحفظ الجوارح وحذر من الزنا وشدد فى النكير عليه ، وبين الطرق النفسية والتربوية لتنقية المجتمع من هذه الفاحشة الضارة .

ورد فى الحديث الصحيح ان شابا موفور الصحة والقوة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يارسول الله ارجو ان تأذن لى فى الزنا . فتألم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واوشكوا أن يأخذوا على يد الشاب . فقال (ص) لأصحابه مه مه (أى كموا عنه) ، ثم قال للشباب أدن (أى اقترب) أتحب ان يفعل ذلك بأمك ؟ قال لا يارسول الله . فقال النبي ولا الناس يحبون لامهاتهم ، ثم قال النبي (ص) للشباب : أتحب ان يفعل ذلك بزوجتك ؟ . قال : لا يارسول الله ؟ . قال النبي : ولا الناس يحبونه لزوجاتهم . ثم قال النبي للشباب : أتحب أو يفعل ذلك بابنتك ؟ قال الشاب : لا يارسول الله . فقال النبي : ولا الناس يحبونه لبناتهم .

وفى رواية أخرى أتحب ان يفعل ذلك بعمتك أو خالتك ؟ قال : لا يارسول الله . فقال له : ولا الناس يحبونه لعماتهم ولا لخالاتهم .

ثم مسح النبي صلى الله عليه وسلم على صدر الشاب وقال : اللهم اشرح له صدره ويسر له أمره والهمه رشده ، قال الشاب فوا الله ما وجدت انرا لنزغ الشيطان بعد ذلك .

وتوات احاديث الرسول الكريم تهيب بالمسلم ان يحفظ عينه ويده ورجله وان يحفظ قلبه وفكره .

روى البخارى فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(ان الله كتب على ابن آدم حفظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فالعينان تزنيان وزناهما النظر ، واليدان تزنيان وزناهما اللمس ، والرجلان تزنيان وزناهما الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج او يكذبه)

وفى القرآن الكريم يقول الحق سبحانه (ولا تفف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا) الاسراء / ٣٦ .

وامتدت توجيهات النبي الكريم فأمرت بغض البصر وحفظ الفرج ، واداء الأمانة وترك الخيانة . وصدق الحديث ووفاء العهد ، وكلها آداب سلوكية تؤدى الى خلق سلوك مهذب ومجتمع سليم .

قال صلى الله عليه وسلم (يا معشر الناس اضمنوا لى ستا اضمن لكم الجنة : اصدقوا اذا حدثتم ، واوفوا اذا عاهدتم ، وادوا الأمانة اذا اؤتمنتم ، وغضوا ابصاركم ، واحفظوا فروجكم ، وكفوا ايديكم) .

وحدثت الأحاديث النبوية من تتبع العورات ، ونهت عن اتساع النظر لان النظر بريد الزنا ولأن العين هى الدائرة التى تطل على الدنيا وترى بها كل شىء من الخير والشر .

وفى الحديث : (يا على لا تتبع النظرة النظرة ، فان لك الأولى وعليك الثانية) .

(من نظر الى امرأة لاتحل له صب فى عينيه الا انك - وهو النحاس الأصفر - يوم القيامة) .

وفى الحديث القدسى (النظرة سهم مسموم من سهام ابليس من تركها خوفا منى أبدلته ايمانا يجد حلاوته فى قلبه) .

وقد تمكن هذا الهدى الالهى من نفوس المسلمين فادى الى حفظ المجتمع الاسلامى وتماسكه والى قلة الرذيلة فيه . قال انس بن مالك :

« نظرت الى امرأة فاتبعتها بصرى ثم دخلت على عثمان بن عفان فعان عثمان يدخل أحدكم علينا وأثر الزنا بين عينيه . فلت أبوه بعهد رسول الله يا عثمان ؟ قال لا ولكن المؤمن ينظر بنور الله » .

وقد فرق جمهور الفقهاء بين الزانى المحصن (المتزوج) والزانى الاعزب فاذا كان الزانى متزوجا فحده الرجم حتى يموت لأنه كفر بنعمة الله وترك زوجته الجلجل الى اخرى لا تحل له .

وإذا كان الزانى اعزبا فانه يجلد مائة جلدة ، يضرب بسوط لا نمره فيه (اى لا عقدة به) ويوزع الضرب على جميع جسمه حتى يحس بالالم كما احس باللذة الحرام ، ولا يضرب على وجهه لأنه مجمع الحاسن ولا يضرب على فرجه لأنه مقتل ، ولا يشدد على الزانى الضرب فيؤدى ذلك الى هلاكه ولا يخفف عليه فيؤدى ذلك الى عدم الاحساس بالالم ، بل يضرب ضربا وسطا ويراه طائفة من الناس ليعتبروا به وليكون أوقع فى احداث الألم النفسى به ، فان شرع الله يحارب الزناة ، وياخذ على الرذيلة طريقها ويسد الباب امام السمار الجسدى ويأمر بغض البصر وحفظ الفرج وينهى عن الرذيلة والفاحشة .

وما نراه الآن من انتشار الامراض الفتاكة كالسيلان والزهرى بين الزناة وانتقال ذلك الى ذريتهم ومن يخالطهم هو اكبر دليل على صدق القرآن وهو تفسير عملى لقوله تعالى (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا) .

الاسراء / ٣٢

وتيسير الزنا يؤدي الى تقليل الزواج ، وبذلك تنهار الأسرة وينهار المجتمع بعد ذلك .

قد حقت كلمة العذاب على امم سابقة لاحقة فاصابها الخزي والخذلان نتيجة لسيرها فى طريق الهوى وبعدها عن الحفاظ والاستقامة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خمس بخمس) قلنا يا رسول الله وما خمس بخمس ؟ قال : (ما ظهرت الفاحشة فى قوم يتعامل بها علانية الا فشا فيهم الطاعون والاوراجاع التى لم تكن فيمن قبلهم ، ولا حكموا بغير ما انزل الله الا جعل الله تعالى بأسهم بينهم ، ولا عطلوا حدود الله تعالى الا سلط الله عليهم عدوهم فاستنقلوا بعض ما فى أيديهم ، وما منع قوم الزكاة الا امنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، وما طفف قوم الكيال والميزان الا اخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور الحكام) .

ان الأمة اذا اختلت فيها القيم وسادت الرذائل وهجرت الفضائل فسدت ذوقها وتمطلت فيها الحدود وانتشر المنكر وهجر المعروف ، بل

تنشأ فيها اجيال تأمر بالمنكر لأنها الفتة وشاهدته وتنهى عن المعروف لأنها هجدته ولم تعرفه وحينئذ نترك الأمة فى حيص بيص ومى شسده يعسر التخلص منها فيحص المؤمن أنه حائر لا يدري اين الطريق ، ولا طريق له سوى طريق الله ، وئنفيد الحدود واقامه الاحكام .



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف بكم اذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم ؟ قالوا وان ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال نعم والذي نفسى بيده وأشد منه سيكون . قلنا وما أشد منه يا رسول الله قال : كيف بكم اذا تركتم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ قلنا : وان ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال : نعم والذي نفسى بيده وأشد منه سيكون . قلنا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال كيف اذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا ؟

قلنا وان ذلك لكائن يا رسول الله ؟ . قال : نعم والذي نفسى بيده وأشد منه سيكون . قلنا : وما أشد منه يا رسول الله قال : كيف بكم اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قلنا : وان ذلك لكائن يا رسول الله ؟ . قال : نعم والذي نفسى بيده يقول الله تعالى : (بى حلفت لآتيحن لهم فتنة يصسير الحليم فيها حيران) .



خاتمة

هذا كتاب قدمت احاديثه بالاذاعة والتليفزيون

ثم نظمت هذه الأحاديث ، ورتبتها بحسب موضوعاتها ، وقدمت لها بفكرة عن الدعوة الى الله وعن فن الخطابة والاعلام الدينى ، وآمل أن يفيد الداعية وأن يجد فيه المسلم زادا روحيا مناسباً وأن يعاون الامام والمتصدى للدعوة الى الهدى ،

وأن يكون وسيلة لعرض الدعوة الاسلامية بأسلوب العصر ، والكتاب غير متخصص في فن الدعوة ، ولكنه حصاد خبرة عملية في ميدان الخطابة الدينية والاعلام ، والكتب في هذا الميدان محدودة .

ومن يمن الطالع أن هناك بوادر نهضة اسلامية كبرى في الدعوة والاعلام، فقد أنشئ معهد للدعوة الاسلامية بجامعة الامام محمد بن مسعود بالرياض بالملكة العربية السعودية وهو معهد عال يقبل جميع الحاصلين على أى شهادة جامعية مدنية او دينية فيقبل الأطباء والمهندسين ورجال الاعلام وخريجي كليات الآداب والتجارة والشريعة واللغة العربية ، وبه ثلاثة تخصصات ، تخصص لخريجي الكليات العملية ، وثان للكليات النظرية ، وثالث للكليات الشرعية وأنشئت كلية للدعوة الاسلامية بمدينة طنطا بجمهورية مصر ، تقبل الحاصلين على شهادة الثانوية ويدرسون بها التفسير والحديث وسائر العلوم الاسلامية والعربية فضلا عن دراسة الدعوة الاسلامية .

وهناك وثبة اسلامية في العناية بالدعوة والتاريخ لها وتنظيم مناهجها وتوضح طرقها .

وأسأل الله أن يوفقنا جميعا لأقوم السبل وأن يرزقنا الاخلاص والقبول (قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى وسبحان الله وما انا من المشركين) ١٠٨ يوسف .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المحتوى

٣	مقدمة
٥	الدعوة الى الاسلام
١٣	منهج الدعوة الاسلامية
١٩	فن الخطابة والاعلام الدينى
٣٣	الاعلام الدينى
٣٩	البحث والمقال
٤١	العقيدة والايمان بالله
٥١	نظام الأسرة فى الاسلام
٦١	الايمان سبيل السلام للفرد والمجتمع

احاديث الاذاعة

٧١	- العبادات (الصلاة - الصيام - الزكاة - الحج)
٩٥	- الآداب الاجتماعية
١١٩	- المرأة
١٣٩	- الجهاد
١٧٧	- الأخلاق
١٨٥	- الذكريات الاسلامية
٢١١	- هذا هو الاسلام
٢٥٣	- من هدى القرآن
٢٨٧	- الحلال والحرام
٣٠١	- سؤال وجواب
٣٥٢	- قصص القرآن الكريم
٣٦٣	- تربية الهية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٦/٤٣١٥

ISBN ٩٧٧-٠١-١٠٥٨-٢

To: www.al-mostafa.com